

تصنيف الإمام العلامة

محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي

تحقيق

محمد إبراهيم شلبي شومان

(ت ١١٨٨هـ)

الجزء الأول




بسم الله الرحمن الرحيم

البحور الزاخرة

في

علوم الآخرة

الجزء الأول

الطبعـــة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥
الكويت - الخالدية: ص. ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١
Website: www. gheras. com
E-Mail: info@ gheras.com

مقدمة

الحمد للَّه الأول قبل الإنشاء والإحياء، والآخر بعد فناء الأشياء.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له جعل الدنيا دار ممر وجعل الآخرة دار مقر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المختار، والرسول المبعوث بالبشارة والإنذار، صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد:

فإن الإيمان باليوم الآخر ركن ركين من أركان العقيدة الإسلامية، لا يصح إيمان مؤمن ولا إسلام مسلم إلا باليقين به، ولا تكون النجاة إلا بالعمل من أجله.

ولقد ذكر اللَّه سبحانه وتعالى حقيقة هذا اليوم الآخر، وأوضح أن فيه الحياة الدائمة، التي يجازى فيها المحسنون بإحسانهم، ويعاقب المجرمون بإجرامهم ويقتص منهم.

ولقد جاءت الآيات في القرآن الكريم، وكذا الأحاديث النبوية الصحيحة التي تتحدث عن اليوم الآخر، وعن أحوال الآخرة، فتارة يتحدث القرآن عن ضرورة الإيمان باليوم الآخر أو الحث على العمل الصالح من أجله، وأخرى يتحدث عن التحذير من الكفر به، وقد يأخذ حديث القرآن طابع ضرب المثل لتقريب حقيقة هذا اليوم إلى الأذهان، وأحياناً أخرى

يقيم الأدلة والبراهين على إمكانه وتحققه اليقيني، مع مناقشة شبهات منكري البعث وإبطالها، وأحياناً يصف القرآن ما في هذا اليوم من نعيم وعذاب، وجنة ونار، وعرض وحساب وميزان وصراط، وغير ذلك من مشاهد القيامة واليوم الآخر.

وكانت هذه هي طبيعة حديث السنة عن هذا الجانب المهم من جوانب العقيدة الإسلامية، الأمر الذي جعل اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، حقيقة ثابتة وعقيدة راسخة، حتى أصبحت في الإسلام أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، متى أخل المنتسب للإسلام بها كَفَرَ وخرج من الملة.

ومن هنا كانت الدار الآخرة موضع اهتمام المسلمين وعناية علمائهم، فألفت المؤلفات الكثيرة في بيان كل ما يتصل بها، ووصف كل مشاهدها، وكانوا في ذلك بين مقل ومكثر فمنهم من جمع وأوعب ومنهم من لخص وهذب.

ومن هؤلاء الذين اعتنوا بأمر الآخرة عناية فائقة الإمام السفاريني - صاحب المؤلفات المتعددة - وكان كتابه «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» من أجمع الكتب التي تحدثت عن اليوم الآخر، إذ هو نمط من التأليف عجيب، ونسق من الجمع غريب، فرأينا أن إخراجه والعناية به يعتبر إخراجاً لموسوعة ضخمة في هذا الجانب.

وإننا إذ نقدم هذا الكتاب لعامة المسلمين وخاصتهم نسأل اللّه سبحانه وتعالى أن ينفع به، وأن يساهم في إزالة هذه الغفلة عن اليوم الآخر والعمل له، والتي وقع فيها كثير من الناس.

وفي الختام أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الشيخ الفاضل والأخ الكريم فضيلة الشيخ/ فيصل يوسف العلي - الذي أمدني بمخطوطات

الكتاب وكان معي دائماً بنصائحه المخلصة، وآرائه النيرة، وتوجيهاته السديدة، ونظراته الثاقبة، والتي كان لها أكبر الأثر في إخراج هذا الكتاب في هذه الحلة.

أسأل الله أن يجزيه عني وعن الباحثين خير ما يجزي به العاملين الصالحين، وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحقق

محمد إبراهيم شلبي شومان

الكويت

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

ترجمة المصنف

اسمه:

هو الإمام العلامة أبو العون وقيل أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفَّاريني النابلسي الحنبلي.

مولده:

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في قرية سفَّارين من قرى نابُلس سنة ألف ومائة وأربع عشرة من الهجرة.

طلبه للعلم:

بدأ الإمام السفاريني طلب العلم في سن مبكرة من حياته، حيث أتم حفظ القرآن الكريم سنة ألف ومائة وإحدى وثلاثين، وسِنُّه إذ ذاك سبعة عشر عاماً، وبعدها بسنتين رحل في طلب العلم حيث توجه إلى دمشق وأقام بها خمس سنوات، وهناك أخذ العلم عن كبار العلماء فيها من مكّيين ومدنّيين وشاميّين ومصريّين.

شيوخه:

أخذ الإمام السفاريني العلم عن كوكبة من أهل العلم في زمانه - ذكر معظمهم في ثبته - ومن هؤلاء:

١- الشيخ/ عبد القادر التغلبي.

٢- عبد الرحمن بن محي الدين المجَلِّد الحنفي.

٣- أبو المجد مصطفى بن مصطفى السواري.

٤- الشهاب أحمد بن علي المنيني.

٥- العلامة/ محمد بن عبد الرحمن الغزي.

٦- الشيخ/ أحمد الغزي.

٧- الشيخ/ مصطفى بن عبد الحق اللَّبَدي الحنفي.

٨- الشيخ/ إسماعيل بن محمد جراح العجلوني - صاحب «كشف الخفا».

٩- الشيخ/ عبد الغني النابلسي.

١٠- الملا/ إلياس الكردي الكوراني.

١١- الشيخ/ عبد السلام بن محمد الكاملي.

١٢- الشيخ/ عواد بن عبيد الكوري.

١٣- الشيخ/ موسى المحاسني.

١٤- الشيخ/ طه أحمد اللبدي.

١٥- الشيخ/ مصطفى بن يوسف الكرمي.

١٦- الشيخ/ عبد الرحيم الكرمي.

١٧- الشيخ/ محمد السلفيتي.

١٨- الشيخ/ محمد الخليلي.

١٩- الشيخ/ حامد أفندي مفتي الشام.

٢٠- الشيخ/ محمد حياة السندي.

٢١- الشيخ/ الشيخ محمد الدقاق المغربي.

٢٢- الشيخ/ عبد الله البصروي.

٢٣- الشيخ/ محمد العجلوني.

ومعظم هؤلاء الشيوخ قد قرأ عليهم كثيراً من الكتب والمتون وأجازوه فيها وفي غيرها، وتتلمذ على غيرهم ممن لم يُذكروا، حيث يقول: «وأخذت عن عدة أوادم من المشايخ، تركنا ذكرهم لعدم اشتهارهم، رحمهم اللّه تعالى وعفا عنهم وأكرم مثواهم».

ويمكن أن نضيف إلى شيوخه عَلَمين كبيرين كان لهما أثر كبير على تكوينه العلمي - وإن كانت بينه وبينهم مسافات زمنية كبيرة - ألا وهما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم، حيث أكثر من النقل عنهما والإشادة بآرائهما في مواضع كثيرة من كتبه، وانظر إليه وهو يقول عن ابن القيم بعد أن عدَّد كتبه «وسائر كتبه المفيدة، العديمة المثل في تحريرها وجودة تأليفها، وأكثرها قرأناها وهي كثيرة شهيرة».

علمه بالقراءات:

كان الإمام السفاريني على علم بالقراءات ووجوهها، ويظهر ذلك من أنه في مواضع متعددة من كتابنا هذا «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» قد أورد عدة آيات بروايات أخرى غير رواية حفص ومن ذلك مثلًا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] حيث أوردها برواية أبي عمرو هكذا ﴿والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾.

تلاميذه:

نفع اللّه بالإمام السفاريني نفعاً عظيماً؛ حيث تلقى العلم عنه جمع غفير من الناس، وكان له العدد الكثير من التلاميذ، ومن هؤلاء:

١- العلامة/ محمد مرتضى الزَّبيدي.

٢- الشيخ/ محمد بن أحمد بن محمد البخاري الحنفي - مسند الشام.

٣- الشيخ/ كمال الدين محمد الغزي العامري.

٤- الشيخ/ مصطفى بن سعد الرحيباني السيوطي.

٥- المحدث/ عبد القادر بن خليل بن عبد اللّه المعروف بكدِك زاده - الرومي أصلًا المدني داراً.

٦- الشيخ/ محمد شاكر بن علي العقاد.

٧- الشيخ/ محمد زيتون الحنبلي.

حجه:

أدى الإمام السفاريني فريضة الحج سنة ثمان وأربعين ومائة وألف، وفي المدينة المنورة التقى بالشيخ/ محمد الدقاق المغربي.

مؤلفاته:

١- الأجوبة النُجدية عن الأسئلة النجدية.

٢- الأجوبة الوهبية عن الأسئلة الزعبية.

٣- البحور الزاخرة في علوم الآخرة - وهو كتابنا هذا.

٤- تحبير الوفا في سيرة المصطفى.

٥- تحفة النساك في فضل السواك.

٦- تعزية اللبيب بأحب حبيب.

٧- تناضل العمال بشرح حديث أفضل الأعمال.

٨- ثبت في الحديث.

٩- الجواب المحرر في الكشف عن الخضر والإسكندر.

١٠- الدُّر المنثور في فضل يوم عاشور.

١١- الدر المنظم في فضل شهر الله المحرم.
١٢- الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات.
١٣- الدرة المضية في عقيدة الفرقة الناجية.
١٤- رسالة في بيان الثلاث والسبعين فرقة والكلام عليها.
١٥- رسالة في بيان كفر تارك الصلاة.
١٦- رسالة في ذم الوسواس.
١٧- رسالة في شرح حديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة».
١٨- رسالة فضل الفقير الصابر.
١٩- رسالة في الكلام على أنَّ من صلى على ميت فله بالصلاة عليه قيراط وله بتمام دفنه قيراطان.
٢٠- شرح دليل الطالب.
٢١- شرح نظم الخصائص الواقعة في الإقناع.
٢٢- عَرْفُ الزَّرْنَب في شأن السيدة زينب بنت سيد العجم والعرب ﷺ.
٢٣- غذاب الألباب لشرح منظومة الآداب.
٢٤- غرر الذخائر لشرح منظومة الكبائر.
٢٥- فتاوى متفرقة.
٢٦- قرع السياط في قمع أهل اللواط.
٢٧- القول العلي في شرح أثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.
٢٨- كشف اللثام في شرح عمدة الأحكام.
٢٩- اللمعة في فضائل الجمعة.

٣٠- لوامع الأفكار السنية في شرح قصيدة أبي بكر بن أبي داود الحائية.

٣١- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية.

٣٢- معارج الأنوار في سيرة النبي ﷺ: «وهو شرح لنونية الصرصري».

٣٣- المُلَحُ الغرامية في شرح منظومة ابن فرْح اللامية «وهي شرح لقصيدة غرامي صحيح لابن فرْح الإشبيلي في مصطلح الحديث».

٣٤- منتخب كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل.

٣٥- نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار.

٣٦- نفثات صدر المكمد وقرة عين المسعد بشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد.

شعره:

للإمام السفاريني شعر حسن، وفي كتابنا هذا طائفة كبيرة من أشعاره تترجم عن جودة قريحته وفصاحة بيانه.

ثناء العلماء عليه:

نقل المحقق/ محمد بن ناصر العجمي- حفظه الله- بعضاً من ثناء العلماء على الإمام السفاريني ووصفهم له، ومن ذلك ما قاله عنه العلامة/ محمد بن محمد المغربي «الإمام البارع الذكي اللوذعي العذب المشارع لخفي المدارك الذي هو في فنون العلوم مشارك».

وقال العلامة/ المرادي: «وله الباع الطويل في علم التاريخ وحفظ وقائع الملوك والأمراء والعلماء والأدباء، وما وقع في الأزمان السالفة، وكان يحفظ من أشعار العرب العرباء والمولَّدين شيئاً كثيراً».

وقال تلميذه/ الغزي العامري: «أكمل المتأخرين، حجة المناظرين، محرر المذهب، منقح الفروع، الجامع بين المعقول والمنقول، مُخرِّج الفروع على الأصول، مطرِّز أردية الفتاوى بحرير التحرير، ملبس هامات المباحث بتيجان التقرير، سيد التحقيق، وسند التدقيق».

وقال العلامة/ عبد الرحمن بن سليمان الأهدل: «مسند الشام، الإمام الكبير».

وفاته:

توفي الإمام السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ثمان وثمانين ومائة وألف، بنابلس ودفن بها[١].

---

(١) مصادر ترجمة المصنف: «ثبت الإمام السفاريني» بتحقيق محمد بن ناصر العجمي، «الأعلام» للزركلي، «معجم المؤلفين» لرضا كحالة، «صفحات في ترجمة الإمام السفاريني» محمد بن ناصر العجمي.

عملي في الكتاب

١- نسخُ الأصل وكتابتُه على طريقة الإملاء الحديث.

٢- تحقيق النص وضبطه وذلك بمقابلته على نسخة الأصل ونسخة (أ).

٣- إذا حصل الشك في صحة عبارة أو نصٍّ فإنني أستعين على ضبطه بالرجوع إلى المصدر الذي نقل منه المصنف إن توفر لدي، أو التعليق عليه في الحاشية بما يوضح المراد.

٤- التعليق على بعض المسائل الواردة في الكتاب والتي تحتاج إلى تعليق.

٥- قمت بتخريج الآيات القرآنية الواردة في الكتاب، وذلك بعزوها إلى السور التي وردت فيها وكتابة رقم الآية، وذلك في متن الكتاب.

٦- قمت بتخريج الأحاديث المرفوعة أو التي لها حكم الرفع، وذلك بعزوها إلى مصادرها التي ذكرها المصنف، وكذا غيرها من دواوين السنة، وما لم أعثر عليه اجتهدت في تخريجه من الكتب الأخرى حسب الاستطاعة.

٧- بالنسبة للحكم على الأحاديث الواردة في الكتاب فقد اتبعت فيه منهجاً وهو:

أ - أن الحديث إذا كان في الصحيحين أو أحدهما فإنني أكتفي بعزوه إليهما أو لأحدهما، وألحقت بهما في ذلك موطأ الإمام مالك، وذلك نظراً لثناء كثير من المحدثين عليه ووضعهم له في

مرتبة الصحيحين.

ب- إذا لم يكن الحديث موجوداً في الصحيحين ولا في الموطأ فإنني أنقل ما قاله الأئمة السابقون - ومنهم المصنف - في الحكم على الحديث ولا أتعداهم إلى غيرهم إلا في القليل النادر، وما لم أجد عليه حكماً فإنني أكتفي بعزوه إلى مَن خرَّجه دون الحكم عليه، وهذا قليل جدّاً بالمقارنة مع العدد الضخم من الأحاديث الواردة في الكتاب والتي قمت بتخريجها والحكم عليها بفضل اللّه تعالى، وقد استفدت في بعض المواضع من اصطلاحات المنذري في الترغيب والترهيب، فما ضعفه ذكرت أنه صدّره بصيغة التمريض.

٨- قمت بتفسير الكلمات الغريبة الواردة في الكتاب، وذلك بالرجوع إلى المعاجم اللغوية.

٩- قمت بعمل عناوين للفصول التي لم يذكر لها المصنف عنواناً وجعلتها في فهرس الكتاب، وتتميز العناوين التي كتبها المصنف عن العناوين التي كتبتها بأن عناوين المصنف في متن الكتاب وفي فهارسه، أما العناوين التي وضعتها فلا توجد إلا في فهرس الكتاب فقط، وقد فعلت ذلك ولم أدخلها لمتن الكتاب لتبقى نسخة المؤلف مضبوطة دون زيادة أو نقص.

توثيق نسبة الكتاب إلى المصنف

هناك عدة أمور من خلالها نقطع بصحة نسبة كتاب «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» إلى الإمام السفاريني ومنها:

١- كتابة اسمه على النسخ الخطية التي عثر عليها له وأنها من تأليفه، وكذا ذكر اسمه صراحة في تعليقات عدة داخل الكتاب وكذا في نهايته؛ فقد جاء في نهاية الكتاب «ووافق الفراغ من تبييضه نهار الخميس لثلاثة عشر بقيت من ذي القعدة المبارك الذي هو من شهور سنة ثلاثة وأربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على يد فقير رحمة ربه، الخائف وصمة ذنبه، المعترف بتقصيره وذنوبه الراجي لطف سيده ومطلوبه، المفتقر لمولاه العلي مؤلفها الضعيف محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي.

٢- في حواشي الكتاب تعليقات لحفيده سعيد صرح فيها باسم الإمام السفاريني وبأنه مؤلفه.

٣- صرح أبو الفضل محمود الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» بنسبة الكتاب إلى الإمام السفاريني، ومن ذلك قوله في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] وهو يَرُدُّ بعض الأقوال في موت إبليس: «ولم يرتض ذلك الفاضل السفاريني وقال في كتابه البحور الزاخرة أخرج نعيم بن حماد في الفتن...» (روح المعاني) (٨/ ٩١).

وقال في موضع آخر: «وقد تصدى السفاريني في كتابه البحور الزاخرة للجمع بين بعض هذه الأخبار المتعارضة» (روح المعاني ٢٠/ ٢٤) وغير ذلك من المواضع.

وصف النسخ الخطية التي اعتمدت عليها في إخراج الكتاب

لقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على نسختين خطيتين:

الأولى بخط المصنف، وتتكون من جزئين:

وهذه النسخة مصدرها: الظاهرية،رقمها: الجزء الأول ٥٣٩٦ تصوف - والجزء الثاني ورقمها: ٥٣٩٧، سنة النسخ ١١٤٣ هـ، الجزء الأول يقع في ٢١١ ورقة في كل ورقة صفحتان في كل صفحة سبعة وعشرين سطراً، وفي كل سطر ثلاث عشرة كلمة تقريباً، الجزء الثاني ويقع في ١٥٧ ورقة في كل ورقة صفحتان في كل صفحة سبعة وعشرين سطراً، وفي كل سطر خمس عشرة كلمة تقريباً.

وهذه النسخة مكتوبة بخط نسخ واضح وعليها تعليقات وتصويبات للمؤلف وبعض أهل العلم.

وقد جعلت هذه النسخة أصلًا واعتمدتها في كتابة النص وذلك لما تتميز به من مميزات عدّة، وقد رمزت لهذه النسخة بـ «الأصل».

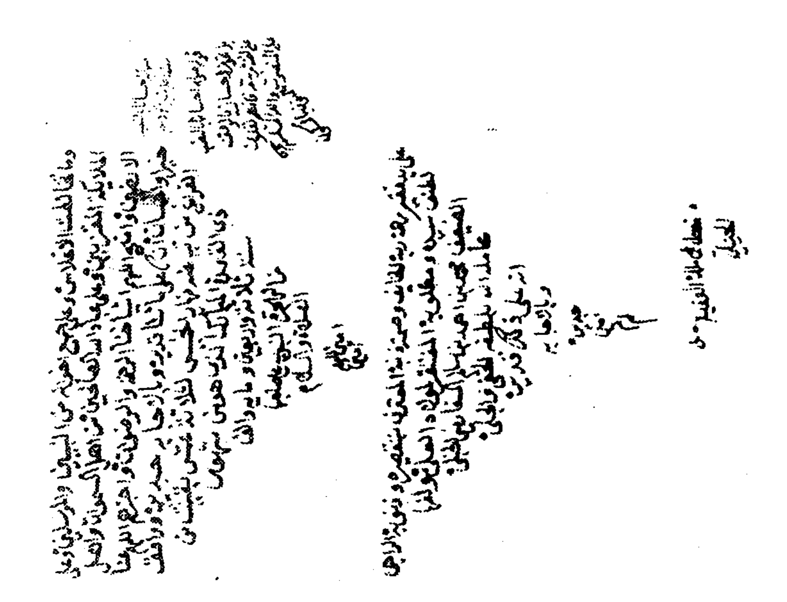
وإلى جانب هذه النسخة استفدت من نسخة أخرى لم تتوفر لها مميزات نسخة الأصل وهذه النسخة مصدرها: الظاهرية.

رقمها: ٣٥٨٧ تصوف، عدد الأوراق١٤٢ ورقة.

ومما يلاحظ على هذه النسخة أن بها نقصاً في بعض الأوراق في أولها وآخرها ومن هنا كانت استفادتي منها مقصورة على قراءة كلمة مطموسة أو غير واضحة، واعتمدتها اعتماداً كاملًا في صفحتين ساقطتين من نسخة الأصل أشرت إلى موضعهما في مكانه من الكتاب.

وقد رمزت لهذه النسخة بـ(أ).

صورة الورقة الأولى من الجزء الأول من نسخة الأصل



صورة الورقة الأخيرة من الجزء الثاني من نسخة الأصل

صورة الورقة الأولى من نسخة (أ)

صورة الورقة الأخيرة من نسخة (أ)

البحور الزاخرة
في
علوم الآخرة

تصنيف الإمام العلامة

محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي

(ت ١١٨٨هـ)

تحقيق

محمد إبراهيم شلبي شومان

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد للّه الذي قهر بالموت العباد، وأذل به رقاب أهل التجبر والعناد، وجعله تذكرة لأهل المعرفة والسداد، وساوى به بين الشريف والخسيس والقريب والناد، وشرح صدور عباده المتقين، وألهمهم المعرفة والرشاد، وأحيا بذكره قلوب المخلصين وعمرها بحبه وشاد، وجعل زبدة أعمالهم السكون لعظمته والانقياد، وأقام لهم من يدعوهم إلى منازل الأفراح فذلك حادي الأرواح والأجساد، وأبهج وجوههم بنور معرفته فأصبحوا كالبدور السافرة فمن اقتدى بهم ساد، وجعل لهم السعادة في الدنيا والعاقبة في الأخرى يوم النفخ والتناد، وجعل قلوبهم قبور أسراره وصدورهم محشر نوره الوقاد، فسبحانه من إله تفرد بالعظمة والبقاء والإيجاد، وقضى على عباده بالسعادة والشقاء، فكم من متكبر أباد، وجعل الدور ثلاثة، طيبة لأهل الطاعة والازدياد، وخبيثة لأهل الكفر والإلحاد، ومشوبة بهما[1] امتحاناً لتظهر الحكمة من الكريم الجواد.

وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له شهادة عبد مذنب قد قالها من صميم الفؤاد، وأدخرها عند من لا تضيع لديه الودائع يوم تذوب الأكباد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحبيبه وصفيه وخليله النبي الهادي، الذي أرسله رحمة للعالمين، فأظهر الحق وأباد الفساد، صلى اللّه وسلم

(١) يقصد بهما الطيبة والخبيثة.

عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الأئمة الأمجاد، صلاة وسلاماً دائمين ما دامت السموات والأرض والبياض والسواد، وعلى العلماء العاملين والأئمة المجتهدين الذين بذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاتك وجاهدوا حق الجهاد.

أما بعد، فلما كانت فوائد العلوم لا تحصى، وعوائده لا تستقصى، إذ هو البحر لكن لا ساحل له، والفضاء الذي لا ندرك آخره ولا أوله، وكنت قد انقطعت للاشتغال بالعلوم الشرعية النقلية، وعكفت على التقاط الفوائد الذهنية العقلية، غير أني جعلت جل مطلوبي وغاية مقصودي ومرغوبي علم الحديث، الذي(١) هو المعول عليه في القديم والحديث، إذ مبنى الشريعة عليه، وقواعد الدين موكولة إليه، كونه كلام الحبيب المختار، وحديث نور الأنوار، لا شك عند العقلاء والنظار، إن الحبيب يهوى كلام محبوبه في سائر الأطوار: (شعر)

لم أسع في طلب الحديث لسمعة ... أو لاجتماع قديمه وحديثه
لكن إذا فات المحب لقاء من ... يهوى تعلل باستماع حديثه

فلما خالطت بشاشته قلبي، ومازجت حلاوته لبي صنفت فيه كتابي المسمى (**بتحبير الوفا في سيرة المصطفى**) وألفت فيه رسائل ومقدمات تزيد على عشرة من المختصرات، ثم إني عزمت على جمع كتاب في أحوال الآخرة، بعد أن تتبعت الكتب المؤلفات في هذا الباب، واطلعت على ما فيها من العجب العجاب، فاجتهدت في جمعه وترتيبه، وتفصيله وتبويبه، فصار للمحزون سلوة، وللمشتاق جلوة، محرك للقلوب إلى أجل مطلوب، وباعث النفوس إلى مجاورة الملك القدوس، لا يسأمه الجليس

(١) من هنا بداية نسخة (أ).

ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد وفرائد القلائد على ما يعسر تحصيله على الطلاب في سوى هذا الكتاب، إذا نظر فيه المؤمن زاده إيماناً، وجلّا عليه الآخرة حتى كأنه يشاهدها عياناً، فهو مشير النفوس إلى مجاورة الملك القدوس، وزاجر الهمم الدنيات عن اقتراف المعاصي والشبهات وسميته (**بالبحور الزاخرة في علوم الآخرة**) فإنه اسم يوافق مسماه، ولفظ يوافق معناه، والله يعلم ما به قصدت، وما بجمعه وتأليفه أردت، فهو عند لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه وعليه هفوه، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤاً كريماً لن تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان وعليه التكلان، ولا شك أن الحسود لا ينصف، والعدو في نظره متعسف. (شعر):

عين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله ورسوله وخلفائه العلماء، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه ورسوله، ويأبى الله العصمة لغير كتابه، والسعيد من عدت هفواته في جنب صوابه.

* * *

فصل

وقد خطر لي أن أذكر في صدر كتابي هذا بعض مثالب الحسد.

أخرج القاسم بن أصبغ وأبو بكر ابن أبي شيبة عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: **«دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، البغضاء هي الحالقة، لا أقول أنها تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بما يثبت ذلك أفشوا السلام بينكم»**[1]. ورواه الترمذي والإمام أحمد وهو صحيح.

وفي الحديث: **«إن الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب»**[2].

وصح عنه ﷺ: **«لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تناجشوا وكونوا عباد اللّه إخواناً»**[3].

---

(١) أخرجه الترمذي باختلاف يسير في بعض ألفاظه (٤/ ٦٦٤) رقم ٢٥١٠ وقال: هذا حديث صحيح.
وأخرج ابن أبي شيبه آخره (٥/ ٢٤٨) رقم ٢٥٧٤٢ وأصله في مسلم ٥٤ .
وأحمد في المسند (١/ ١٦٧) رقم ١٤٣٠ رقم ١٤٣٨ كلهم عن الزبير بن العوام.

(٢) أخرجه أبو داود بلفظ «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب» عن أبي هريرة (٢/ ٦٩٣) رقم ٤٩٠٣ وابن ماجه عن أنس (٢/ ١٤٠٨) رقم ٤٢١٠ وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٤٧) في ترجمة عيسى بن أبي عيسى الحناط رقم ١٣٩١ قال عنه أحمد عيسى ليس بشيء، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء ولا يكتب حديثه، وقال ابن عدي في آخره: وأحاديثه لا يتابع عليها متنا ولا إسناداً.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٦٥ ومسلم ٢٥٥٩ بلفظ «ولا تدابروا» بدلا من لفظ «ولا تناجشوا» عن أنس.

وفي الخبر إن لنعم اللَّه أعداء قيل: من أعداء نعم اللَّه يا رسول الله؟ قال: «**الذين يحسدون الناس على ما آتاهم اللَّه من فضله**»(١).

وقال معاوية: يا بني إياك والحسد فإنه يبين فيك قبل أن يبين في محسودك.

وقال ابن عبد الملك:

وأظلم من في الأرض من بات حاسداً — لمن كان في نعمائه يتقلب

وقال بعض الحكماء: وإياكم والحسد، فإن الحسد أول ذنب عصي اللَّه به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، يشير إلى إبليس وقابيل.

وقال الأحنف بن قيس: لا راحة لحسود، ولا وفاء لبخيل، ولا صديق لملول، ولا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لسيئ الخلق.

وقال محمد بن سيرين: ما حسدت أحداً على شيء من الدنيا، فإن كان من أهل الجنة فكيف أحسده وهو صائر إلى الجنة؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده وهو صائر إلى النار؟

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه اللَّه إياه لكرامته فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك فلا ينبغي لك أن تحسد من مصيره إلى النار. وقال بعضهم: ليس شيء أضر من الحسد يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود، غم لا

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٠٤) رقم ٧٢٧٧ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «إن لأهل النعم حسادا فاحذروهم»، وذكره الهيثمي (٨/ ٣٥٧) رقم ١٣٧٣٨ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف وقد وثقه ابن حبان.

ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يحمد بها، ويسخط عليه الرب، ويغلق عنه أبواب التوفيق.

ومما ينسب للإمام الشافعي في ذم الحسد. شعر:

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على اللّه في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك منه بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

ولا ريب أن اشد الناس تحاسدا العلماء، سيما في هذه الأزمان، ومن ثم ورد عن ابن عباسٌ: استعملوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغاوراً من التيوس في زربها، وفي رواية عنه خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا[1] أقوال الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون تغاير التيوس في الزريبة، وهذا الداء قد فشا في الناس سيما في أهل العلم، فنسأل اللّه العافية والموازين الوافية، واعلم أن النصح من الحسود مفقود، كما أن الوفاء من النساء ليس بموجود، وقد قلت في ذلك نظماً وهو:

اسمع مقالة ناصح لك منصف يغنيك عن سؤال من لم يعرف
طلب الوفاء من النساء متعذر والنصح من شخص حسود منتف
والهيبة العظمى من ذي فاقة والحرمة اعدد من جهول مسرف
واحذر تسأل يوماً عدوك حاجة فلقد علمنا أنه لم يسعف

وقد رتبت هذا الكتاب على خمسة كتب وخاتمة.

المقدمة: في ذكر الموت وما يتعلق به والروح وتشتمل على ثمان فصول:

---

(١) في حاشية الأصل قوله: ولا تقبلوا . . . إلخ أقول: ونظيره قول العلامة الشامي رحمه اللّه تعالى في كتابه «عقود الجمان في الذب عن أبي حنيفة النعمان» كلام المعاصرين مردود

الفصل الأول

في النهي عن تمني الموت وحكمته

أخرج الإمام أحمد في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف عن الحسن قال: لما خلق اللّه آدم وذريته قالت الملائكة: إن الأرض لا تسعهم، قال إني جاعل موتاً، قالوا: إذاً لا يهنئهم عيش، قال: إني جاعل أملاً[(١)].

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال: لما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض قال له ربه: ابن للخراب ولد للفناء[(٢)].

واعلم أن الموت ليس بعدم[(٣)] محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سماه اللّه مصيبة بقوله فإن: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: ١٠٦] فهو المصيبة العظمى والرزية الكبرى، وأعظم منه الغفلة عنه والإعراض عن ذكره وقلة التفكر فيه، وترك العمل له، مع أنه فيه عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن افتكر.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: « **لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً**»[(٤)].

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (٧/ ١٩٠) رقم ٣٥٢٢٢ .

(٢) أبو نعيم - حلية الأولياء (٣/ ٢٨٦).
وابن المبارك- الزهد (٨٧).

(٣) في حاشية الأصل/ شعر من بحر الوافر:

قليل عمرنا في دار دنيا　　وخرجنا إلى تحت التراب
... نادى كل يوم　　لدوا للموت وابنوا للخراب

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧: ٣٥٣) رقم ١٠٥٥٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٩٢)، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٠٩٣) رقم ٢٠٩٧ وعزاه للبيهقي والقضاعي والديلمي.

وقد نهى ﷺ عن تمني الموت والدعاء به لضر نزل به. فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، إن كان لابد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**»(١) متفق عليه وفي رواية: «**لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدْعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً**»(٢)، وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد، أو مسيئاً فلعله أن يستعتب**»(٣) أي يرجع، قال في الصحاح: أعتبني فلان إذا عاد إلى مسرتي راجعاً عن الإساءة، واستعتب وأعتب بمعنى. وقال القرطبي في «التذكرة»: الاستعتاب طلب العُتْبى وهو الرضى وذاك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب.

وأخرج الإمام أحمد والبزار عن جابر بن عبد اللّه رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه اللّه الإنابة**»(٤).

قال في النهاية: المطلع بالتشديد مكان الاطلاع من موضع عال، والمراد به هنا ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقب الموت، تشبيهاً له بالمطلع الذي يشرف عليه من موضع عال.

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه «لولا أن رسول اللّه ﷺ نهانا أن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٥١ ومسلم ٢٦٨٠ .
(٢) مسلم ٢٦٨٢ عن أبي هريرة.
(٣) البخاري ٥٦٧٣ بزيادة «خيرا» بعد يزداد.
(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٣٢) رقم ١٤٦٠٤ بلفظ «ويرزقه الله» بدلا من «حتى يرزقه الله»، وعبد بن حميد في مسنده (٣٤٩) رقم ١١٥٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٣٦) رقم ١٧٥٤٣ وقال: رواه أحمد والبزار وإسناده حسن.

نتمنى الموت لتمنيناه»[١]، وتمنى سعد ابن أبي وقاص ﷺ الموت والنبي ﷺ يسمع فقال ﷺ: «**لا تتمن الموت فإن كنت من أهل الجنة فالبقاء خير لك، وإن كنت من أهل النار فما يعجلك إليها**»[٢].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يتمنَّ أحدكم الموت فإنه لا يدري ماذا قدم لنفسه**»[٣].

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم عن أم الفضل ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ دخل عليهم وعمه العباس ﷺ يشتكي، فتمنى الموت فقال له: «**يا عم لا تتمن الموت، فإنك إن كنت محسناً كنت تؤخر تزداد حسناً إلى إحسانك خيرا لك، وإن كنت مسيئاً فإن تؤخر تستعتب من إساءتك خيرا لك فلا تتمن الموت**»[٤].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به قبل أن يأتيه إلا أن يكون قد وثق بعمله**»[٥].

---

(١) البخاري ٧٢٣٣ بلفظ «قال أنس ﷺ: لولا أني سمعت رسول الله يقول «لا تتمنوا الموت «لتمنيت».
ومسلم ٢٦٨٠ بلفظ قال أنس «لولا أن رسول الله قال «لا يتمنين أحدكم الموت لتمنيته».

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٢٣٦) رقم ٤٢١٤٨ وعزاه للمروزي في الجنائز عن القاسم مولى معاوية مرسلًا.

(٣) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ١٢٥) وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٥٥) رقم ٤٢١٥٤.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٣٣٩) رقم ٢٦٩١٦، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٨٩) رقم ١٢٥٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
والطبراني - المعجم الكبير (٢٥/ ٢٨) رقم ٤٤ وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٣٥) رقم ١٧٥٤١، وما بعده وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٠) رقم ٨٥٩٢ بلفظ «لا يتمنى» وفي آخره «فإنه إن مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٨٥) رقم ٣٠١٥ وله شواهد في الصحيح.

واعلم أن خير الناس من طال عمره وحسن عمله. كما أخرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه والحاكم عن أبي بكرة رضي الله عنه **«أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه أي الناس خير؟ قال: من طال عمره[(١)] وحسن عمله قال: فأي الناس شر؟ قال: من طال عمره وساء عمله»**[(٢)].

وأخرج الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: **«خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالًا»**[(٣)].

والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **«خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالًا»**[(٤)].

والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً: **«ألا أنبئكم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول اللَّه قال: أطولكم أعماراً في الإسلام إذا سَدِدُوا»**[(٥)].

---

(١) في حاشية الأصل العمر بضم الميم وإسكانها. انتهى

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٠) رقم ٢٠٤٣١ والترمذي (٤/ ٥٦٦) رقم ٢٣٣٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح. والحاكم (١/ ٤٨٩) رقم ١٢٥٦ وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٣٧) رقم ١٧٥٤٨ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وسنده جيد..

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٤٨٩) رقم ١٢٥٥ بلفظ «أحسنكم عملا» وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأحمد (٢/ ٢٣٥) رقم ٧٢١١ عن أبي هريرة. والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧١) رقم ٦٣١٩، وابن أبي شيبة (٧/ ٩٠) رقم ٣٤٤٢٢.

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ٤٨٩) رقم ١٢٥٥ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم.
وأحمد (٢/ ٢٣٥) رقم ٧٢١١ عن أبي هريرة رضي الله عنه والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧١) رقم ٦٣١٩ وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٩٠) رقم ٣٤٤٢٢ وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٣٧) رقم ١٧٥٤٩ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة وقد وثق.

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أنس (٦/ ٢١٤) رقم ٣٤٩٦.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٤) رقم ١٧٥٥٠ عن عبادة وقال: رواه الطبراني وفيه أبو أمية بن يعلى وهو ضعيف.

وأخرج عن عوف مرفوعاً: «**كلما طال عمر المسلم كان له خيراً**»(١).

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رجلان من بلي - حي من قضاعة - أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: فرأيت الجنة فأريت الرجل المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد، فعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة**»(٢).

وأحمد والبزار عن طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله**»(٣).

وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال: بقاء المسلم كل يوم غنيمة، لأداء الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من ذكره.

وابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن أبي عيلة قال: بلغني أن المؤمن إذا مات تمنى الرجعة إلى الدنيا، ليس ذلك إلا ليكبر تكبيرة، أو يهلل تهليلة، أو يسبح تسبيحة.

واعلم أنه يجوز تمني الموت والدعاء به لخوف الفتنة في الدنيا.

فقد أخرج الإمام مالك عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لا تقوم الساعة حتى**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٥٧) رقم ١٠٤ وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٣٠) رقم ٣٧٧٤٦ وروى نحوه أحمد (٦/ ٢٣) رقم ٢٤٠١٩ وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٣٨) رقم ١٧٥٥٢ وقال: رواه الطبراني وفيه النهاس بن قهم وهو ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد باختلاف يسير في بعض الألفاظ (٢/ ٣٣٣) رقم ٨٣٨٠، وذكره والهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٣٩) رقم ١٧٥٥٣ وقال: رواه أحمد وإسناده حسن.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٦٣) رقم ١٤٠١ بتقديم لفظة تكبيره على لفظة تهليله.

وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٦٥) بزيادة لفظة وتسبيحه، وذكره والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٩) رقم ١٧٥٥٤ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجالهم رجال الصحيح.

يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكانه»[١].

والبزار عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «**اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بالناس**[٢] **فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**»[٣].

ومالك عن عمر رضي الله عنه قال: اللهم قد ضعفت قوتي وكبرت سني وانتشرت رعيتي فاقبضني غير مضيع ولا مقصر، فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وابن عبد البر في التمهيد والمروزي في الجنائز والطبراني في الكبير عن عليم الكندي قال: كنت مع عيسى الغفاري على سطح، فرأى قوماً يتحملون من الطاعون فقال: يا طاعون خذني إليك - ثلاثاً - فقال عليم: لم تقول هذا؟ ألم يقل رسول اللّه ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت، فإنه عند ذلك انقطاع عمله ولا يُرد فيستعتب**» فقال أبو عيسى: أنا سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**بادروا بالموت ستاً، إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفافاً بالدم، وقطيعة الرحم، ونشوءاً يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل ليغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقهاً**»[٤].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٤١) رقم ٥٧٢ وليس فيه كلمة (كنت) والبخاري رقم ٧١١٥ ومسلم رقم قبل ٢٩٠٨ .

(٢) في حاشية الأصل (وفي رواية بعبادك بدل الناس) انتهى.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٧٠٨) رقم ١٩٣٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري والترمذي (٥/ ٢٤٣) رقم ٣٢٣٣ عن ابن عباس، وأحمد في المسند (٥/ ٢٤٣) رقم ٢٢١٦٢ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٤) رقم ١٦٠٨٣ باختلاف في بعض الألفاظ، وابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١٤٧) وعبد الرزاق في المصنف (٢/ ٤٨٨) رقم ٤١٨٦ باختلاف يسير، وذكره الهيثمي (٣/ ٥٤) رقم ٣٨٧٦ وقال: رواه الطبراني في الكبير وأحمد بنحوه.

قوله: يتحملون: أي يرتحلون كما في الصحاح، وفي الحديث: **«فإن رأيتم في الإسلام ستة خصال فتمنوا الموت، وإن كانت نفسك في يدك فأرسلها، إضاعة الدم، وإمارة الصبيان، وكثرة الشرط، وإمارة السفهاء، وبيع الحكم، ونشوءاً يتخذون القرآن مزامير»**(١).

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود مرفوعاً: **«لا يخرج الدجال حتى لا يكون شيء أحب إلى المؤمن من خروج نفسه»**(٢) وقال سفيان: يأتي على الناس زمان يكون الموت فيه أحب إلى قراء ذلك الزمان من الذهب الأحمر.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يوشك أن يكون الموت أحب إلى المؤمن من الماء البارد يصب عليه الغسل(٣) فيشربه.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أم الدرداء قالت: كان أبو الدرداء إذا مات الرجل على الحال الصالحة قال: هنيئاً لك يا ليتني كنت مكانك، فقالت أم الدرداء له في ذلك. قال: هل تعلمين يا حمقاء أن الرجل يصبح مؤمناً ويمسي ملفتاً يسلب إيمانه وهو لا يشعر، فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصوم.

وفي فروع ابن مفلح اتجاهاً يستحب، يعني تمني الموت للخبر المشهور، **«إذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»**(٤)، إسناده جيد، رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه، وقال الإمام أحمد في رواية

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٨٠) وأخرج نحوه أبو نعيم موقوفا على ابن أبي هريرة (١/ ٣٨٤).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٢٣) باختلاف في بعض الألفاظ، وقال: تفرد به مصعب عن الثوري.
(٣) هكذا بالأصل ولعلها «العسل».
(٤) تقدم ص ٣٦.

المروزي: إنما أتمنى الموت صباحاً ومساءً أخاف أن أفتن فى الدنيا. انتهى

وسمعت أستاذى الشيخ عبد القادر التغلبي يقول: قال الشيخ أبو المواهب: تمني الموت في عصرنا هذا غير مكروه بل يجب، كذا سمعته.

وفي فنون ابن عقيل: قال عالم يوماً - يعني نفسه - لكرب دخل عليه، يا ليتني لم أعش لهذا الزمان، فقال متحذلق يدعي الزهد يريد أن يظهر اعتراضه على أهل العلم: لا تقل هذا وأنت إمام، تتمنى على اللّه تعالى؟ ما أراده اللّه بك خير مما تتمناه لنفسك، وهذا اتهام لله، فأجابه: ومن أين لك لسان ينطق بما لا يكبر على العلماء، كأنك تعلمهم ما لا يعلمون، وتوهم أنك تدرك عليهم ما يجهلون، أليس اللّه قد حكى عن مريم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ [مريم: ٢٣]. وقال أبو بكر الصديق: يا ليتني كنت مثلك يا طائر. انتهى.

والمراد غير تمني الشهادة، وأما تمنيها فلا خلاف في ذلك، فقد تمناها عمر كما في البخاري[١] وفي الحديث (من تمناها مخلصاً من قلبه أعطاه اللّه منازل الشهداء)[٢] واللّه أعلم.

* * *

(١) البخاري رقم ١٨٩٠ .

(٢) مسلم ١٩٠٩ بلفظ (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه).

الفصل الثاني

في فضل الموت وذكره

تقدم أن الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل وانتقال من دار إلى دار.

أخرج أبو نعيم عن بلال بن سعد أنه قال في وعظه: يا أهل الخلود ويا أهل البقاء إنكم لم تخلقوا للفناء، وإنما خلقتم للخلود والأبد، ولكنكم تنتقلون من دار إلى دار.

وقال عمر بن عبد العزيز: إنما خلقتم للأبد ولكنكم تنتقلون من دار إلى دار(١).

وأخرج الحاكم في مستدركه والطبراني في الكبير وابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا عن عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: **«الموت تحفة المؤمن»**(٢).

والديلمي عن الحسين بن علي رضي الله عنهما مرفوعاً: **«الموت ريحانة المؤمن»**(٣).

---

(١) في حاشية الأصل ومن هذا قول المقري في قصيدته الدالية:

خلق الناس للبقاء فضلّت ... أمة يحسبونهم للنفاد

إنما ينقلون من دار أعما ... ل إلى دار شقوة أو رشاد

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٥) رقم ٧٩٠٠ بلفظ [تحفة المؤمن الموت] عن عبد الله ابن عمرو وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه والطبراني في الكبير (٩/ ١٥٤) رقم ٨٧٧٤ وص ١٥٥ رقم ٨٧٧٥ ورقم ٨٧٧٦ موقوفاً، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٥٥٥) رقم ١٨٢١٠ وقال: رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما جيد.

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٥٠) رقم ٤٢١٣٦ وعزاه للديلمي عن الحسين. وذكره أيضاً العجلوني في كشف الخفاء في سياق تخريجه للحديث السابق (١/ ٣٥١) رقم ٩٤٨ .

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : قال رسول اللّه ﷺ : «**الموت غنيمة، والمعصية مصيبة، والفقر راحة، والغنى عقوبة**»[١].

وقال ﷺ : «**اثنتان يكرههما ابن آدم، يكره الموت والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب**»[٢].

وأخرج الشيخان عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر على النبي ﷺ بجنازة فقال: «**مستريح ومستراح منه**» قالوا: يا رسول اللّه ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: «**العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة اللّه تعالى، والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**»[٣].

وقال ﷺ : «**الدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة**»[٤]. بفتح أوله القحط والجدب. رواه ابن المبارك والطبراني من حديث عمرو بن العاص.

وأخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض وينفسح فيها.

---

(١) جزء من حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٨٨) رقم ٧٠٤٠ وقال: تفرد به النهرواني وهو مجهول وابن عساكر في تعزية المسلم (٤٩).
وذكره الهندي في كنز العمال (١٦/ ١٢٢) رقم ٤٤١٤٤ وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان وضعفه والديلمي، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٦٦٤) رقم ٢٦٦٧ .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٧) رقم ٢٣٦٧٤ عن محمود بن لبيد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٢) رقم ٣٩٠٤ وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) البخاري ٦٥١٢ ، ومسلم ٩٥٠ .

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٧) رقم ٦٨٥٥ عن عبد الله بن عمرو والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥١) رقم ٧٨٨٢ .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٥١٥) رقم ١٨٠٧٩ وقال: رواه أحمد والطبراني باختصار ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن جنادة وهو ثقة.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «**يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن، والقبر أمنه، والجنة مصيره، يا أبا ذر إن الدنيا جنة الكافر، والقبر عذابه والنار مصيره**»(١).

وقال ابن مسعود: حبذا المكروهان الفقر والموت.

وقال بعض السلف: بلغني أن أول سرور يدخل على المؤمن الموت؛ لما يرى من كرامة اللّه وثوابه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله(٢).

وعن ابن عتبة الخولاني الصحابي رضي الله عنه أنه قيل له: إن عبد الملك خرج هارباً من الطاعون، فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ما كنت أرى أن أبقى حتى أسمع بمثل هذا، أفلا أخبركم عن خلال(٣) كان عليها إخوانكم؟ أولها: لقاء اللّه كان أحب إليهم من الشهد.

والثانية: لم يكونوا يخافون عدواً قلوا أو كثروا.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٥٣).
وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٢٧٨) رقم ٣٢٧٦ وقال رواه الطبراني عن ابن عمر.

(٢) في حاشية الأصل قال الشاعر من بحر الكامل:

فقلت من مدحوا الحياة وأطنبوا ... في الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه ... وفراق كل معاند لا ينصف

(٣) في حاشية الأصل أي عن طبائع، قال الشاعر:

لنا صديق له خلال ... تعرب عن أصله الأخس
له يد مثل حيث ... يا ليتها أصبحت كأمس

قلت: البيتان لأبي المحاسن الشواء ونصهما:

لنا خليل له خلال ... تعرب عن أصله الأخس
أضحت له مثل حيث كف ... وددت لو أنها كأمس

والثالثة: لم يكونوا يخافون عوزاً من الدنيا، كانوا واثقين بالله أن يرزقهم.

والرابعة: إن نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضي الله فيهم ما قضى.

وقال أبو عبد ربه لمكحول: أتحب الجنة؟ قال: ومن لا يحب الجنة. قال: فأحب الموت، فإنك لن تر الجنة حتى تموت.

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت**»[١] وعن عمر مثله[٢].

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا في سعة إلا ضيق عليه**»[٣].

وسئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أكيس أي أعقل؟ قال: «**أكثرهم للموت تذكراً وأحسنهم لما بعده استحساناً أولئك الأكياس، أي: العقلاء**»[٤]. رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر.

وقال ﷺ: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من**

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٥٣) رقم ٢٣٠٧ وقال حسن غريب وابن ماجة (٢/ ١٤٢٢) رقم ٤٢٥٨، والنسائي (٤/ ٤) رقم ١٨٢٤.

(٢) في المعجم الأوسط للطبراني (٦/ ٥٦) رقم ٥٧٨٠ عن ابن عمر.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٦٥) موقوفاً على عمر بن عبد العزيز باختلاف يسير، وكذا ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (١٠٨) رقم ٨٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٠) وذكره الهيثمي (١٠/ ٥٥٤) رقم ١٨٢٠٥ مرفوعاً بلفظ المصنف عن أنس وقال: رواه البزار والطبراني باختصار وإسنادهما حسن.

(٤) أخرجه ابن ماجة بلفظ (أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الأكياس) (٢/ ١٤٢٣) رقم ٤٢٥٩.

وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٥٧٢) رقم ٩٦١٥ وقال روى ابن ماجة بعضه، رواه البزار ورجاله ثقات.

أتبع نفسه هواها وتمني على الله»(١) رواه الترمذي من حديث شداد بن أوس.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه قال: «أكثروا ذكر الموت، فإنه يمحص الذنوب، ويزهد في الدنيا، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم»(٢).

وأخرج أيضاً عن عطاء الخراساني قال: مر رسول اللّه ﷺ في مجلس قد استعلاه الضحك فقال: «**شوبوا مجلسكم بمكدر اللذات قالوا: وما مكدر اللذات؟ قال: الموت**»(٣).

وأخرج الطبراني عن عمار مرفوعاً: «**كفى بالموت واعظاً**»(٤) وفسر السدي قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: أكثركم للموت ذكراً.

قال الجلال السيوطي في (شرح الصدور) عن بعضهم: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة،

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٣٨) رقم ٢٤٥٩ وقال: هذا حديث حسن.
والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨٠) رقم ٧٦٣٩ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥٠) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف جداً، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٨٧) في تخريجه لحديث رقم ٥٠٠ وضعفه.

(٣) ذكره الغزالي في الإحياء (٤/ ٤٥٠) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا مرسلا ورويناه في أمالي الخلال من حديث أنس ولا يصح.

(٤) جزء من حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٥٣) رقم ١٠٥٥٦، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٣٠٢) رقم ١٤١٠، وذكره الهيثمي (١٠/ ٥٥٤) رقم ١٨٢٠٤ وقال: رواه الطبراني وفيه الربيع بن بدر وهو متروك.

ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

وقال التيمي: شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الوقوف بين يدي اللّه تعالى، ومن ذكر الموت[١] في اليوم والليلة عشرين مرة حشر مع الشهداء.

قال القرطبي في التذكرة قوله ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت**»[٢] كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من عينها[٣] في المستقبل، وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الذاهلة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزويق الألفاظ، وإلا ففي قوله عليه السلام: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات**»[٤] مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ما يكفي السامع له ويستقل الناظر فيه.

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما ينشد هذه الأبيات:

لا شيء مما يرى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودي[٥] المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها يرد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد

---

(١) في حاشية الأصل/ أي تذكره في.
(٢) سبق (ص ٤٢).
(٣) هكذا في الأصل والصواب (تمنيها) كما في التذكره.
(٤) سبق (ص ٤٢).
(٥) في حاشية الأصل: أي يهلك، قال الشاعر:
ألم تروا إرماً وعادا ... أودى بها الليل والنهار

حوض هنالك مورود بلا كذب	لابد من وروده يوماً كما وردوا

وحكى القرطبي في التذكرة وعبد الحق الإشبيلي في العاقبة: أن أعرابياً كان يسير على جمل له، فخر الجمل ميتاً، فنزل الأعرابي عنه وجعل يطوف به ويتفكر فيه ويقول: ما لك لا تقوم؟ ما لك لا تبعث؟ هذه أعضاؤك كاملة، وجوارحك سالمة، ما شأنك؟ ما الذي كان يحملك؟ ما الذي كان يبعثك؟ ما الذي صرعك؟ ما الذي عن الحركة منعك؟ ثم تركه وانصرف متفكراً في شأنه متعجباً في أمره وأنشد في ذلك:

جاءته من قبل المنون إشارة	فهوى صريعاً لليدين وللفم
ورمى بمحكم درعه وبرمحه	وامتد ملقى كالقتيل الأعظم
لا يستجيب لصارخ أن يدعه	أبداً ولا يرجى لخطب معظم
ذهبت بسالته ومر غرامه	لما رأى خيل المنية ترتمي
يا ويحه من فارس ما باله	ذهبت مروءته ولم يتكلم
هذي يداه وهذه أعضاؤه	ما منه من عضو غدا بمثلم
هيهات من خيل الردا محتاجة	للمشرفي ولا السنان اللهدم(١)
هي ويحكم أمر الإله وحكمه	واللّه يقضي بالقضاء المحكم
يا حسرة لو كان يقدر قدرها	ومصيبة عظمت ولما يعظم
خبر علمنا كلنا بمكانه	وكأننا في حالنا لم نعلم

قال في العاقبة: فكيف إذا أضاف الفكرة في الموت إلى الفكرة فيما بعد الموت؟ وفي حال الموت وما له وما يجازى به من أقواله وأفعاله؟ وفي

---

(١) جاء في لسان العرب: البعير اللَّهِيدُ الذي أصاب جنبه ضَغْطَةٌ من حِمْلٍ ثقيل فأورثه داء أفسد عليه رئته، واللهيد من الإبل: الذي لَهَدَ ظهره أو جنبه حمل ثقيل أي ضغطه أو شدخه فورم حتى صار دَبِراً، ولَهَدَه لَهْداً أي دفعه لذله - لسان العرب/ مادة: لهد.

أي متجر فاته؟ وأي بضاعة فرط فيها، وأي علق[١] نفيس من العمر ضيعه؟ هنالك تطيش العقول، وتخرس الألسن، وتنبذ الدنيا بالعراء، و تطرح بجميع ما فيها بالوراء.

قال ابن السماك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الموتى لم يبكوا من الموت ولكن يبكون من حسرة الفوت، فاتتهم واللّه دار لم يتزودوا منها، ودخلوا داراً لم يتزودوا لها، فأية ساعة مرت على من مضى؟ وأية ساعة بقيت علينا؟ واللّه إن المتفكر في هذا لجدير أن يترك الأوطان، ويهجر الخلان، ويدع له ما عز وما هان.

حكاية:

قال الإشبيلي في العاقبة: روي أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان كلما ولد له ولد فبلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما يعقل الرجال لبس مسوحه وتعلق برءوس الجبال وسلك بطون الأودية يعبد اللّه عز وجل، فلم يزل ذلك دأبه حتى ولد له مولود، فجمع رجاله وخاصته وقال: تعلمون ما كان من أمر بني وإنه ليس منهم واحد بقى معي، ولا التفت إلي وأنه ليس يصلح بكم ولا يستقيم أمركم إلا بأن يليكم واحد من ولدي، وإني أخاف إن لم يكن ذلك تهلكوا بهلاكي، فخذوا ولدي هذا فربوه وقوموا بأمره، فإذا شب وعقل فزينوا له الدنيا وعظموا قدرها عنده، ثم أمر فبني له قصر عظيم - فرسخ في فرسخ - وجمع له المراضع وأكثر له من الحواضن، ووكل به رجالًا من عقلاء أصحابه ووجوه دولته، وأمر إذا فهم وعقل أن لا يخرج من ذلك القصر، وأن لا يذكر عنده الموت، ولا يكون ميت في موضع يكون فيه مخافة أن يسمع بالموت، أو يرى ميتاً فيسأل عنه فيفسر له فتنتغص عليه

---

(١) كذا في الأصل.

لذته، وتكدر عليه حياته، ويزهد في الملك، ويسلك مسلك إخوته ويلحق بهم، فبقى الغلام على ذلك لا يذكرون له موتاً ولا يسمعونه خبر موت، ولا يطلعونه عليه، ولا يذكر عنده إلا الدنيا وتعظيمها والفرح بها والإقبال عليها، وتعظيم آبائه الملوك، وأجداده العظماء والترغيب في الاقتداء بهم، والمشي على طريقتهم، والاستنان بسنتهم، إلى أن شب الغلام وعقل ما يعقله الناس، فمشي ذات يوم في ذلك القصر وطاف في أرجائه(١) وقد أحدق به خاصته الموكلون به، فانتهى إلى سور القصر فقال: ما وراء هذا السور وما خلف هذا الحائط؟ فقالوا له: وراءه الأرض الواسعة والبلاد الكثيرة والجم الغفير من الناس، وكل ذلك لك وللملك أبيك. فقال: أخرجوني حتى أنظر وأرى، فأبوا حتى يشاوروا أباه، فشاوروه وأخبروه أنه يريد الخروج ويرى الناس وظنوا أنه يحكمهم، فأذن لهم فأخرجوه فرأى ونظر فأول من وقع عليه بصره من الناس شيخ كبير قد سال لعابه وسقط حاجباه على عينيه من الكبر. فقال: ما هذا؟ قالوا: شيخ كبير. قال: وما شيخ كبير؟ قالوا: كان شاباً فعمر وعاش حتى أصابه الهرم فعمل به ما ترى. قال: وما الهرم؟ قالوا: الكبر وطول العمر. يعيش إلى أن تقل طاقته وتضعف حركته، حتى لا يقدر أن يمسك لعابه في فيه، مع علل أخرى تعتريه من طول الحياة. قال: أويصيبكم هذا أو هو يصيب قوماً دون قوم؟ قالوا: ليس هو مختصاً بأحد دون أحد بل يصيب كل من طال عمره. قال: ويصيبني أنا مع أنا فيه من النعيم وضروب اللذات وبلوغ الشهوات؟ قالوا: ويصيبك أنت إن طال عمرك(٢) فقال: أف لعيش يكون آخره هذا، ثم رجع

(١) في حاشية الأصل/ أي في أطرافه، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ انتهى.
(٢) في حاشية الأصل/ إن طالت بك الحياة.

ورجعوا إلى قصره، وقد تكدر[١] عليه بعض نعيمه، وتنغص عليه بعض ما كان فيه، فعالجوه بكل لهو وباطل، حتى استخرجوا من قلبه ما كان وقع فيه من أمر الهرم والكبر، فأقام عاماً ثم إنه أمرهم بأن يخرجوه ثانياً؟ فأبوا عليه وخافوا من أبيه، ثم إنه عزم عليهم فأخرجوه، فأول من رأى من الناس شاباً به جذام أو غيره من الأدواء فقال: ما هذا؟ ومما يكون هذا؟ قالوا: هذا فساد في المزاج وتحريك في الأخلاط فيتولد عنه هذا وغيره. قال: وهذا وحده أصابه أو كلكم خائف معه أن يصيبه هذا الداء؟ فقالوا: ما عند أحد أمان، كل واحد خائف من هذا الداء ومن غيره، الدار دار أمراض وأسقام وبلايا ورزايا. قال: وأنا خائف؟ قالوا: وأنت خائف، قد أخبرناك أنه ليس لأحد أمان في هذه الدنيا، فأصابه من الغم أكثر مما أصابه في المرة الأولى، فرجع ورجعوا ولم يزالوا يشغلونه بضروب المحاب وأصناف الملاذ حتى أخرجوا من قلبه ما كان قد وقع فيه، فأقام كذلك حولًا ثم قال: أخرجوني فأخرجوه فنظر فإذا ميت يحمل على سرير قال: ما هذا؟ قالوا: رجل مثلنا نزل به قضاء إلٰهي وحادث سماوي فأطفأ شرارته، وأخمد حرارته، ورده حجراً من الحجارة، وجماداً من الجمادات، فقال: علي به حتى أراه، فجاءوا به فكُشف له عنه. فقال: كلموه، فقالوا: إنه لا يتكلم، وقال: أجلسوه، فقالوا له: لا يجلس، فجعل ينظر إليه ويتفكر فيه ثم قال: وهذا وحده خص بهذا الحادث أو أنتم كلكم ينزل به الحادث؟ قالوا: كلنا فيه سواء وكلنا ينزل بنا هذا الحادث. قال: وأنا؟ قالوا: وأنت. قال: ولا يدفع عني أبي؟ قالوا: لا يدفع عنك أبوك ولا يدفع عن نفسه، فقال: إن نعيماً يصير آخره إلى هذا لجدير أن يتكدر وإن قلباً يخطر به ذكر هذا لحقيق أن يتفطر. قال: وما تصنعون به؟ قالوا: نحفر له حفرة في الأرض نلقيه فيها

(١) في حاشية الأصل/ أي تضجر.

ونتركه هنالك ونرد عليه التراب إلى يوم النشور والعرض، قال: وما يوم النشور والعرض؟ قالوا له: هو يوم تبعث فيه الأموات وتظهر فيه المخبآت. قال: ويكون ولابد منه؟ قالوا: ولابد منه. فقال: وهذه أشد، فعمل الكلام في نفسه عمله وأخذ من قلبه مأخذه، فتغير وجهه، وضعف جسمه، وشحب لونه، وأقصر عما كان فيه من تلك الراحات وتلك البطالات، فأُخْبر أبوه بخبره ووُصِف له حديثه فقال: أوقد فعلها؟ قالوا: نعم. فداراه أبوه بكل شيء فلم ينفع فيه شيء، وهون عليه الأمر فلم يهن، وسلاه فلم يتسل، فقال له أبوه: لا جرم واللّه لأدعنك تلحق بإخوتك فبعث إليه شأنه من المسوح[1] فلبسها وخرج من جوف الليل، فتعلق بالجبال ولحق بإخوته فتعبد معهم.

وكان يقول في مناجاته: اللهم إني أسألك أمراً ليس إليَّ قد سبقت به المقادير، ولوددت أني لو كنت كالطير في الهواء، والسمك في الماء، ولم أكُ شيئاً مذكوراً، مخافة الحساب والعقاب.

وأنشد الإمام ابن الجوزي في تبصرته:

أتنكر أمر الموت أم أنت عارف ... بمنزلة تفنى وفيه المتالف
كأنك قد غيبت في اللحد والثرى ... كما لقي الموت القرون السوالف
أرى الموت قد أفنى القرون التي مضت ... فلم يبق مألوف ولم يبق آلف
كأن الفتى لم يصحب الناس ليلة ... إذا عصبت يوماً عليه اللفائف
وقامت عليه عصبة يدفنونه ... فمستذكر يبكي حزيناً وهاتف
وغيب في لحد كريه فناؤه ... وقد نضد من لبن عليه السقائف
وما صاحب البحر الفظيع مكانه ... إذا هاج آذى عليه وقاصف

---

(١) في حاشية الأصل/ آلة السياحة - انتهى.

أحق بطول الحزن من ضيق غربة ... تصدع عنه أهله والمعارف

ثم قال:

أين من ربح في متاجر الدنيا واكتسب ... أين من أعطى وأولى ثم والى ووهب
أما رحل عن قصره الذهب فذهب ... أما حل به في الحرب المصطلم الحَرَب
أما نازله التلف فأسره العطب ... أما نابته نائبة لا تشبه النوب
أنفعه بكاء من بكى أو ندب من ندب ... أما ندم على كل ما جرى وارتكب
أما توقنون أن طالبه لكم في الطلب ... تدبروا قول ناصحكم صدق أو كذب

انتهى

واعلم أن ذكر الموت يورث الاستشعار بالانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت سهل عليه بعض ما هو فيه، إذ لا مصيبة إلا والموت أعظم منها، وهو ذائقه ولابد، أو في حالة نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها والركون إليها، لتحقق عدم دوامها وذهابها عنه وانصرامها، وما أحسن قول من قال:

اذكر الموت هاذم اللذات ... وتجهز لمصرع سوف يأتي

وقول الآخر:

اذكر الموت تجده راحة ... في ادكار الموت تقصير الأمل

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته أما بعد: فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك بغض إليك كل فان، وحبب إليك كل باق.

وقال مجمع التيمي: ذكر الموت غنى. وقال أبو نعيم: كان الثوري

إذا ذكر الموت لا يُنتفع به أياماً، فإن سئل عن شيء قال: لا أدري. وذكر القرطبي في تذكرته: «قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل فأثنى عليه فقال ﷺ: كيف ذكره للموت؟ فلم يذكر منه - أي الموت - فقال: ما هو كما تقولون»(١) ثم قال: فتفكر يا مغرور بالموت وسكراته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، فكفى بالموت مفرحاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهاذما للذات، وقاطعاً للأمنيات، فهلا تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك؟ وانتقالك من موضعك إذا نقلت من سعة إلى ضيق، وفارقك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأخذت من فرشك وغطائك إلى غرر(٢)، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد في البنيان، ليس لك من مالك والله إلا الأكفان، بل هي للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من المال؟ فهلا أنقذك من الأهوال، كلا بل تتركه إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزار على من لا يعذرك، وقد فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] بالكفن. قال القرطبي: فهو وعظ متصل بما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٧] أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في الطين والماء والتجبر والبغي، فكأنه قال: لا تنس أن تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن، وما أحسن قول القائل:

هي القناعة لا تبغي لها بدلا فيها النعيم وفيها راحة البدن

---

(١) ذكر الغزالي في الإحياء (٤/ ٤٥١) [ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه، فقال: كيف ذكر صاحبكم للموت؟ قالوا: ما كنا نسمعه يذكر الموت، قال: فإن صاحبكم ليس هنالك] وقال عنه العراقي أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت من حديث أنس بسند ضعيف.

(٢) في حاشية الأصل الغرر - بفتحتين - الخطر الذي لا . . . لها أيكون أم لا؟.

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

واعلم أن مما يعين على تذكر الموت زيارة القبور كما في حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة**»(١).

وعند الحاكم «فإن فيها عبرة»(٢) وعنده أيضاً: عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنه يرق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجراً**»(٣)(٤).

وفي التذكرة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه مر إلى المقبرة فلما أشرف عليها قال: يا أهل القبور خبرونا عنكم أو نخبركم، أما خبر ما قبلنا فالمال قد قسم، والنساء قد تزوجن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما واللَّه لو استطاعوا لقالوا: لم نر زاداً خيراً من التقوى، وقد أحسن القائل حيث قال:

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم وأبصروا
وغيروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبر
لا فخر إلا فخر أهل التقوى(٥) غدا إذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يدخر
عجبت للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يقبر

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٩٧٧ بلفظ [نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها] وابن ماجة باللفظ الذي أورده المصنف (١/ ٥٠١) رقم ١٥٧١ .

(٢) المستدرك (١/ ٥٣٠) رقم ١٣٨٦ وقال وهذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه عن أبي سعيد، وذكره الهيمثي (٣/ ١٨٤) رقم ٤٢٩٩ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) المستدرك (١/ ٥٣٢) رقم ١٣٩٣، وأحمد (٤/ ٨٩) رقم ٢٠٣٣ باختلاف يسير

(٤) في حاشية الأصل/ أي فحش الكلام.

(٥) في حاشية الأصل/ صوابه التقى - انتهى.

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره في كل ما يقضى وما يُقْدَرُ

قال القرطبي: قال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور:

أحدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب.

الثاني: ذكر الموت، فيكثر من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات ومموت البنين والبنات.

يروى أن امرأة شكت إلى سيدتنا عائشة رضي الله عنها قساوة في قلبها، فقالت لها: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت ذلك فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة.

قال القرطبي عن العلماء: فذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا، ويهون المصائب فيها.

الثالث: مشاهدة المحتضرين، فإن في النظر إلى الميت، ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويمنع الجفون من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل والاجتهاد في عبادة الكريم الجواد.

فروي أن الحسن البصري رحمه الله دخل على مريض يعوده فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك اللّه فقال: هلاه عليكم

بطعامكم وشرابكم فواللّه لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

الرابع: زيارة القبور، فإنها تبلغ في ذلك ما لا يبلغه الأول والثاني والثالث.

وينبغي للإنسان لاسيما عند الاحتضار أن يحسن ظنه بالله، فقد قال ﷺ «**لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله**»(١) متفق عليه.

وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال له: «**كيف تجدك؟ فقال: أرجو اللّه وأخاف ذنوبي، فقال رسول اللّه ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه اللّه ما يرجوه وآمنه مما يخاف**»(٢).

وأخرج الحكيم الترمذي عن الحسن قال: بلغني عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «**قال ربكم لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمانين، فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة، ومن أمنني**(٣) **في الدنيا أخفته في الآخرة**»(٤).

وأخرجه أبو نعيم موصولًا من حديث شداد بن أوس.

وقال إبراهيم النخعي كانوا يستحبون أن يلقن العبد محاسن عمله عند الموت، حتى يحسن ظنه بربه.

---

(١) لم أجده في البخاري، وهو في مسلم ٢٨٧٧ من حديث جابر بلفظ (يحسن) بدل (حسن).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٣١١) رقم ٩٨٣ وقال هذا حديث حسن غريب وابن ماجة (٢/ ١٤٢٣) رقم ٤٢٦١ .

(٣) في حاشية الأصل/ أي أَمِنَ مكرى، فإنه لا يأمن مكر اللّه إلا القوم الفاسقون. انتهى.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٠٦) رقم ٦٤٠ عن أبي هريرة باختلاف في يسير في بعض ألفاظه.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٥٥٣) رقم ١٨٢٠٠ ولم يتكلم عليه.
والهندي في الكنز (٣/ ١٥٠) رقم ٥٩٢٠ وقال ابن المبارك والحكيم عن الحسن مرسلا.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : والذي لا إله غيره لا يحسن أحداً الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه.

وأخرج الإمام أحمد عن واثلة عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»[١].

حكاية:

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي غالب صاحب أبي أمامة قال: كنت بالشام، فنزلت على رجل من قيس من خيار الناس، وله ابن أخ مخالف له، يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه، فمرض الفتى فبعث إلى عمه فأبى أن يأتيه، فأتيته أنا به حتى أدخلته عليه، وأقبل عليه يشتمه ويقول: أي عدو الله ألم تفعل كذا؟ قال: أرأيت أي عم لو أن الله دفعني إلى والدتي ما كانت صانعة بي؟ قال: كانت والله تدخلك الجنة قال: فوالله لله أرحم بي من والدتي، فقبض الفتى ودفنه عمه، فلما سوى اللبن سقط منه لبنة فوثب عمه ليأخذها ثم تأخر، فقلت ما شأنك؟ قال: ملئ قبره نوراً وفسح له مد البصر.

وقال ناصر السنة الحافظ ابن الجوزي في تبصرته: كان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع أوصاله[٢]، فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه، وفي التبصرة أيضاً عن المزني قال: دخلت على الشافعي في مرض موته فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلًا، وللإخوان مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، وبكأس المنية شارباً، وعلى الله وارداً، فلا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها؟ ثم

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩١) رقم ١٦٠٥٩، وأخرج مسلم أوله رقم ٢٦٧٥ .

(٢) في حاشية الأصل/ أي عظامه.

أنشأ(١) يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو بابك سلما(٢)
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما

فحسن الظن بالله سبحانه وتعالى واجب، لاسيما عند الموت، فانظر كلام الإمام الشافعي رحمه الله كيف قال في حال احتضاره (تعاظمني) أي عظم في عيني وكبر ذنبي، لأن دأب المؤمن أن يرى ذنبه عظيماً كبيراً، ويرى عمله قليلًا حقيراً، فلما رأى الإمام رحمه الله أن ذنبه في عينه عظيم وكبر ذلك في مرآة قرنه بعفو الله ورحمته فرآه صغيراً بالنسبة إلى عفو تلك الحضرة الإلهية، ورحمة تلك العزة الصمدانية، فلذا قال: فلما قرنته يعني ذنبي بعفوك ربي، أي يا ربي كان عفوك عن ذنبي أعظما، بل ذنبي بالنسبة إلى عفوك لا يبلغ قطرة من بحر لجي، فهذا دأب السلف أن يخافوا ذنوبهم ويرجو، رحمة ربهم ومعبودهم.

ولهذا قال ﷺ: **«لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن»(٣)**

---

(١) في الحاشية/ قوله: ثم أنشأ يقول . . . إلخ، أقول الذي رأيته بخط قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن محمد بن قطب الدين الخيضري الشافعي تغمده الله برحمته إن الشافعي رحمه الله أنشأ يقول إليه إلاه الخلق إلخ:

إليك إلٰه الخلق أرفع رغبتي ... وإن كنت يا ذا المن والجود مجرماً
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... بجود وتعفو منة وتكرما
فإن تعف عني تعف عن متمرد ... ظلوم غشوم ما برأ ير مأثماً
وإن تنتقم مني فلست بآيس ... ولو أدخلت نفسي لجرم جهنما
فجرمي عظيم من قديم وحادث ... وعفوك ياذا العفو عني واجسما

كتبه الحقير عبد السلام الشطي الحنبلي عفا الله عنه سنة ١٢٧٨ .

(٢) في حاشية الأصل/ جعلت الرجا مني لعفوك سلما.

(٣) سبق (ص ٥٤).

الحديث. وقال ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بربه**»[١]. وكان ذلك قبل موته بثلاثة أيام، فإن أشد الشدائد عند الموت عدم حسن الظن بالله، وربما أدى ذلك إلى القنوط من رحمة اللَّه فيهلك، وربما غاب عن حواسه فخرجت روحه وهو يظن باللَّه الظنون السيئة.

ولخوف هذا قال ﷺ: «**احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا اللَّه، وبشروهم بالجنة، فإن الحكيم العليم من النساء والرجال يتحيرون عند ذلك المصرع، وإن إبليس عدو اللَّه أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الأحبة، ولا تقنطوهم فإن الكرب شديد، والأمر عظيم، والذي نفس محمد بيده لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، وما من ميت يموت إلا كل عرق منه يألم على حدته**»[٢]. فانظر كيف قال ﷺ: «**وبشروهم بالجنة ولا تقنطوهم**» فهذا كله من شفقته ﷺ، فإن أسباب الرجاء قوية عندنا، فإنا نقول لمن خفنا عليه من غلبة الخوف، علل ما عندك بالرجاء، غير أنه ينبغي أن تتوب وترجو القبول وتَبْذُر وترجو الحصاد، لكن الرجاء مع العصيان حماقة، كما نقرره في آخر الكتاب إن شاء اللَّه تعالى، وفي الصحيحين «**سددوا وقاربوا وأبشروا**»[٣]، وفي صحيح مسلم: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن باللَّه الظن**»[٤] وتقدم.

قال الحافظ ابن الجوزي في (تبصرته): إذا اشتد خوف المؤمن لذنب تقدم منه فليرج العفو وليحذر القنوط، وليعلم أن مراد الحق منه التوبة والاستغفار.

---

(١) سبق (ص ٥٤).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية) ٥/ ١٨٦(باختلاف يسير في بعض ألفاظه، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٥٦) رقم ٤٢١٥٨ .
(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٣٩ ومسلم رقم ٢٨١٨ .
(٤) سبق (ص ٥٤).

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب اللّه بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون اللّه فيغفر لهم**»(١).

وفي المسند أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن إبليس قال لربه عز وجل: بعزتك وجلالك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال اللّه عز وجل: بعزتي وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»(٢) فلا ريب أن حسن الظن بمن خلق فسوى، وقدر فهدى، وهو سبحانه وتعالى مستغن عنا وعن عملنا وعن تعذيبنا وعقابنا من أعظم ما نتقرب به إليه، ومن أجزل ما نتوجه به عليه، وأي عبادة أعظم من حسن ظننا بربنا مع خوف أن يعاملنا بعدله، فالعاقل يكون بين الرجاء والخوف، لكن يغلب الرجاء عند الاحتضار ويحسن الظن ثَمَّ بالكريم الغفار، ويستحضر أنه قدم على أكرم الأكرمين، إذ هو الكريم الستار، ولذا لما قال ذلك الفتى لعمه وهو يعنف فيه: فواللّه للّه أرحم بي من والدتي، فلما قبض الفتى ودفنه عمه، ثم نظر في قبر الفتى لإصلاح بعض شأنه فإذا بالقبر قد ملئ نوراً من كرم اللّه سبحانه وتعالى وفسح له مد البصر.

وحكي في الإحياء أن الإمام أحمد رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لولده عبد الله: الق علي أحاديث الرجاء.

واعلم أن للموت سكرات، وإن الأعضاء يسلم بعضها على بعض، قال اللّه تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٩) رقم ٨٠٦٨ ومسلم رقم ٢٧٤٩ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٩) رقم ١١٢٥٥ ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٠) رقم ٧٦٧٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] وقال: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ [القيامة: ٢٦].

وفي البخاري أن رسول اللّه ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «**لا إله إلا اللّه إن للموت سكرات**»[١].

وفي تذكرة القرطبي عن أنس مرفوعاً «أن العبد ليعالج كرب الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض، يقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة»[٢]. رواه إبراهيم بن هدبة.

وحكى المحاسبي في الرعاية: إن اللّه تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: يا خليلي كيف وجدت الموت؟ قال: كسفود[٣] محمي جعل في صوف رطب ثم جذب، قال: أما إنا قد هونا عليك، ونحوه عن موسى، وإنه قال: وجدت نفسي كالعصفور الحي يقلى على المقلى، لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير.

وروي عنه أنه قال: وجدت نفسي كشاة تسلخ بيد القصاب. وروي أن الموت أشد من الضرب بالسيوف والنشر بالمناشير والقرض بالمقاريض.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن واثلة مرفوعاً: «**والذي نفسي بيده**

---

(١) رواه البخاري رقم ٦٥١٠.

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦٣) وقال عنه العراقي: رويناه في الأربعين لأبي هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس، والهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٦٣) ٤٢١٨٣.

(٣) في حاشية الأصل/ السفود - بؤرة التنور الحديد التي يشوي بها اللحم. انتهى

لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف»[١]. وجاء أن ملك الموت إذا تولى قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول: وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن. ذكره القاضي أبو بكر بن العربي ويأتي قريباً الكلام على شدة الموت.

واعلم أن للموت نذيراً، قال القرطبي: ورد في الخبر أن بعض الأنبياء قال لملك الموت: أما لك رسول تقدمه بين يديك يكون الناس على حذر منك قال: نعم لي والله رسل كثيرة من الأعلال والأمراض والهرم وتغير السمع والبصر والشيب، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب ناديته إذا قبضته ألم أقدم لك رسولًا بعد رسول، وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير، فما من يوم تطلع شمسه إلا وملك الموت ينادي: يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد، أذهانكم حاضرة، وأعضاؤكم قوية شداد، يا أبناء الخمسين قد دنا الأخذ والحصاد، يا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب، فما لكم من نصير، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]. ذكره ناصر السنة أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه «روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق».

وفي صحيح البخاري: «**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة**»[٢] أي أعذره غاية الإعذار الذي لا إعذار بعده، وأكبر الإعذار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم لتتم الحجة عليهم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

---

(١) جزء حديث أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٦) عن واثلة وفي (٨/ ٢٠١) عن عطاء مرسلا عن النبي ﷺ قال: «معالجة الموت أشد من ألف ضربة بالسيف». وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٩٥) رقم ٦٧٧٣ موقوفاً على الثوري، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٥٦) رقم ٤٢١٥٨ وكذا العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٩٥٢) رقم ٢٩٥٢ .

(٢) رواه البخاري رقم ٦٤١٩ .

[الإسراء: ١٥] قال تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] فقيل: المراد بالنذير القرآن وقيل الرسل وقيل الشيب فإنه يأتي في سن الاكتهال، فهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب.

قال الشاعر:

رأيت الشيب من نذر المنايا ... لصاحبه وحسبك من نذير
فقلت لها الشيب نذير عمري ... ولست مسودا وجه النذير

وقال القاضي منذر ابن سعد البلوطي:

كم تصابي وقد علاك المشيب ... وتعامى عمداً وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير ... وشباك الحمام منك قريب
يا مقيماً قد حان منه رحيل ... بعد ذلك الرحيل يوم عصيب
إن للموت سكرة فارتقبها ... يداويك إن أتتك طبيب
كم تنوي حتى تصير رهيناً ... ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم ... فاعملن جاهداً لها يا أديب
وتذكر يوماً تحاسب فيه ... إن من يذكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر إلا ... للمنايا عليك فيها رقيب
كل يوم يرميك فيه بسهم ... إن تخطئ يوماً فسوف تصيب

وقال بعضهم المراد بالنذير: الحمى ومنه قوله ﷺ: «**الحمى رائد الموت**»(١) قال الزهري: معناه أن الحمى رسول الموت، فكأنها تشعر

(١) جزء حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٦٧) رقم ٩٨٧٠، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٦٩) رقم ٥٨، ٥٩ وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٧٣) رقم ٧٣، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٥٩) رقم ٨٣٤٦ عن عبد الله بن المرقع وقال رواه الطبراني وفيه المحير بن هارون ولم أعرفه وبقيه رجاله ثقات.
والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٥٠) رقم ١١٧١ وقال: قال في المقاصد وبالجملة فهو حديث حسن.

بقدومه وتنذر بمجيئه، وقيل: موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان، فإن ذلك إنذار بالرحيل في كل وقت وأوان وحين وزمان، وما أحسن قول القائل:

وأراك تحملهم وليس تردهم ... وكأني بك حملت فلم ترد

وقول الآخر:

الموت في كل حين ينشر الكفنا ... ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأساً غير صافية ... فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

وذكر القرطبي: أنه روي أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال: من أنت؟ قال: من لا يهاب الملوك ولا يمتنع من القصور ولا يقبل الرشا، قال: فإذاً أنت ملك الموت ولم أستعد بعد؟ قال: يا داود أين فلان جارك؟ أين فلان قريبك؟ قال: ماتا، قال: أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد. وقيل: النذير العقل؛ لأنه يميز بين الحسنات والسيئات والقبيح والحسن.

وذكر القرطبي حكايات في الشيب منها عن بعض المترفين[1] أنه رفض ما كان يفتنه فسئل عن السبب فقال: كانت لي أمة لا يزيدني طول الاستمتاع منها إلا غراما بها، فقلبت شَعْرها يوماً فإذا فيه شعرتان بيضاوان،

(١) في حاشية الأصل/ أي المنعمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤] انتهى.
وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] أي رؤساءها المنعمين. انتهى.

فأخبرتها فارتاعت وقالت: أرني، فأريتها فقالت: جاء الحق وزهق الباطل، اعلم أني لو لم تفترض علي طاعتك لما أويت إليك، فدع لي ليلي أو نهاري لأتزود فيه لآخرتي، فقلت: لا ولا كرامة، فغضبت وقالت: تحول بيني وبين ربي وقد آذنني بلقائه، اللهم بدل حبه بغضاً، قال: فبت وما شيء أحب إلي من بعدها عني وعرضتها للبيع، فأتاني من أعطاني فيها ما أريد، فلما عزمت على البيع بكت فقلت: أنت أردت هذا، فقالت: واللّه ما اخترت عليك شيئاً من الدنيا، هل لك إلى ما هو خير من ثمني؟ قلت: وما هو؟ قالت: تعتقني للّه عز وجل، فإنه أملك لك، وأعود عليك منك عليَّ. فقلت: قد فعلت فقالت: أمضى اللّه صفقتك وبلغك أضعاف ملكك، فتزهدت وبُغِّضَتْ إليَّ الدنيا ونعيمها.

قال القرطبي: وفي الإسرائيليات، إن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما رجع من تقريب ولده على ربه عز وجل رأت سارة في لحيته شعرة بيضاء، وكان عليه السلام أول من شاب، فأنكرتها[(١)] وأرته إياها، فجعل يتأملها وأعجبته، وكرهتها[(٢)] سارة وطالبته بإزالتها، فأبى، وأتاه ملك فقال: السلام عليك يا إبراهيم وكان اسمه إبرام فزاده في اسمه هاء، والهاء في السريانية للتفخيم والتعظيم، ففرح بذلك وقال: أشكر إلهي وإله كل شيء، فقال له الملك: إن اللّه قد صيرك معظماً في أهل السموات وأهل الأرض، وقد وسمك بسمة الوقار في اسمك وفي خلقك، أما اسمك فإنك تدعى في أهل السموات وأهل الأرض إبراهيم، وأما خلقك فقد أنزل وقاراً

(١) في حاشية الأصل/ أي استهجنتها انتهى.
(٢) في حاشية الأصل قال الشاعر:

رأين الغواني الشيب لاح بعارض فأعرضن عني بالخدود والنواظر

جمع غانية وهي التي لا تحتاج للزينة لحسنها وجمالها - الحسان الجميلة. انتهى

ونوراً على شعرك، فأخبر سارة بما قال له الملك: وقال هذا إلذي كرهتيه نور ووقار، قالت: فإني كارهة له. قال: لكني أحبه، اللهم زدني نوراً ووقاراً، فأصبح وقد أبيضت لحيته كلها.

وفي الآثار النبوية: من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ليستحيي أن يعذب ذا شيبة**»[١] ذكره القرطبي.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله: «**وعزتي وجلالي وفاقة خلقي إليَّ إني لأستحيي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام**» ثم بكى فقيل له: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «**أبكي ممن يستحيي الله منه وهو لا يستحيي من الله**»[٢] وما أحسن قول بعض العرب في الشيب:

يا بؤس من فقد الشباب وغيرت … منه مفارق رأسه بخضاب
يرجو نضارة وجهه بخضابه … ومصير كل عمارة لخراب
إني وجدت أجل كل مصيبة … فقد الشباب وفرقة الأحباب

فائدة: روى أبو نعيم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الموت كفارة لكل مسلم**»[٣] قال أبو بكر بن العربي: حديث حسن صحيح.

* * *

(١) لم أجده فيما تحت يدي من مراجع حديثية، وذكره القرطبي في التذكرة بهذه الصيغة (١٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٨٧) بزيادة يسيرة واختلاف في بعض الألفاظ. وروى نحوه أبو يعلى في مسنده (٥/١٥٣) رقم ٢٧٦٤ وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/ ٩٠) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٨٤) رقم ٨٧٧٧ وقال رواه أبو يعلى وفيه نوح بن ذكوان وغيره من الضعفاء.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢١) وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥٠ وقال عنه العراقي: قال ابن العربي إنه حسن صحيح، وضعفه ابن الجوزي.

الفصل الثالث

في علامة خاتمة الخير

ومن دنا أجله والكلام على شدة الموت

أخرج الترمذي عن أنس ﵁ مرفوعاً: «**إذا أراد اللَّه بعبده خيراً استعمله قالوا: كيف يستعمله ؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت**»[١].

وأخرج الإمام أحمد والبزار والحاكم عن عمرو بن الحمق مرفوعاً: «**إذا أحب اللَّه عبداً عسله، قالوا: وما عسله؟ قال: يوفق له عملًا صالحاً بين يدي أجله حتى يرضي جيرانه**»[٢].

وابن أبي الدنيا عن عائشة مرفوعاً: «**إذا أراد اللَّه بعبد خيراً بعث إليه قبل موته بعام ملكاً يسدده ويوفقه حتى يموت على خير أحايينه**[٣]**، فيقول الناس: مات فلان على خير أحايينه**»[٤] الحديث.

فائدة: قال بعض العلماء، الأشياء المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٥٠) رقم ٢١٤٢ وقال هذا حديث حسن صحيح.
وأحمد (٣/ ١٠٦) رقم ١٢٠٥٥ ، وفي (٣/ ٢٣٠) رقم ١٣٤٣٢ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٢٤) رقم ٢١٩٩٩ بلفظ «إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله، قيل وما استعمله؟ قال: يفتح له عمل صالح بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله» وإسناده صحيح.
والحاكم بلفظ المصنف (١/ ٤٩٠) رقم ١٢٥٨ .

(٣) في حاشية الأصل/ جمع حين أي على خير أوقات. انتهى.

(٤) مصنف عبد الرزاق (٣/ ٥٨٧) رقم ٦٧٤٩ بلفظ «إن الله إذا أراد بعبده خيرا قيض له ملكا قبل موته بعام فرده ويسره حتى يموت وهو خير ما كان».
وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٩٥) رقم ٤٢٧٨٧ وعزاه لابن أبي الدنيا في ذكر الموت.

باللّه تعالى أربعة: التهاون بالصلاة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وإيذاء المسلمين، وزاد بعضهم: النظر في الأحداث، يعني الغلمان المرد أي: بشهوة، فإن ابن القيم قال تبعاً لغيره: ما ابتلى بمحبة المردان إلا من سقط من عين الرحمن.

مطلب:

وتقدم بعض الكلام على شدة الموت ولنلحقه بتكملة.

أخرج الطبراني في الكبير وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**نفس المؤمن تخرج رشحاً، وإن نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت؛ ليُكَفَّرَ بها عنه، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه الموت ليجزى بها**»(١).

وأخرج الدينوري في المجالسة عن وهيب بن الورد يقول اللّه تعالى: «إني لا أريد أن أخرج أحداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقماً في جسده، ومصيبة في أهله وولده، وضيقاً في معاشه، وافتقاراً في رزقه، حتى أبلغ منه مثاقيل الذرة، فإن بقى عليه شددت عليه عند الموت حتى يفضي إليَّ كيوم ولدته أمه، وعزتي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة في

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٧٩) رقم ١٠٠١٥ وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٥٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٧٠) رقم ٣٩٢٩ وقال رواه الطبراني في الكبير وفيه القاسم بن مطيب وهو ضعيف، ونحوه في (٣/ ٦٥) رقم ٣٩١٥ بلفظ [لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإن نفس المؤمن تخرج رشحا، ونفس الكافر تخرج منه شرقه كما تخرج نفس الحمار] وقال رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

جسمه، وسعة في رزقه، ورغداً في عيشه، وأمناً في سربه(١)، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر، فإن بقي له شيء هونت عليه الموت حتى يفضي إلي وليس له حسنة يتقي بها النار».

قال في الصحاح فلان آمن في سربه بالكسر أي في نفسه.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال: إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكراته وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار.

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: **«المؤمن يموت بعرق الجبين»**(٢). وأخرج الحاكم والترمذي في نوادره عن سلمان رضي الله عنه مرفوعاً: **«ارقبوا الميت عند الموتة(٣) ثلاثاً إن رشحت جبينه وذرفت عيناه** أي سالت **وانتشر منخراه** أي: انتفخ **فهي رحمة الله تعالى قد نزلت به، وإن غط غطيط البكر** -أي: تردد صوته بحيث لا يجد مساغاً، والبكر من الإبل بمنزلة الفتى - من الناس - **المخنوق** صفة للبكر **وخمد لونه، وأزبد شدقاه، فهو عذاب من الله قد حل به»**(٤).

---

(١) في حاشية الأصل قال الشاعر:

شكوت إلى سرب القطا إذ مررن بي ... فقلت ومثلي بالبكاء جدير
أسرب القطا هل من يعير جناحه ... لعلي إلى من قد هويت أطير

انتهى

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٣١٠) رقم ٩٨٢ وقال هذا حديث حسن، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١٣) رقم ١٣٣٣ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولن يخرجاه. وابن ماجه (١/ ٤٦٧) رقم ١٤٥٢ .

(٣) كذا في الأصل.

(٤) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦٥) وقال عنه العراقي، أخرجه الترمذي =

وقال ابن مسعود: إن المؤمن يبقى عليه خطايا يجازى بها عند الموت فيعرق لذلك جبينه.

وقال سفيان: كانوا يستحبون العرق للموت، ومن ثم قال علقمة لبعض أصحابه: أحضرني فلقني لا إله إلا الله، فإن عرق جبيني فبشرني.

قال بعض العلماء: وإنما يعرق جبينه حياء من ربه لما اقترف من مخالفته؛ لأن ما سفل منه قد مات، وإنما بقيت منه قوة الحياة وحركاتها فيما علا، والحياء في العينين، والكافر في عمى عن هذا كله، والموحد المعذب في شغل عن هذا بالعذاب الذي قد حل به.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد وابن أبي شيبة في مسنده وابن أبي الدنيا عن جابر بن عبد اللّه أن النبي ﷺ قال: «**حدثوني عن بني إسرائيل فإنه كان فيهم أعاجيب**»(١)، ثم أنشأ يحدثنا قال: خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم، فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا اللّه يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت، ففعلوا، فطلع رجل أسود اللون، بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم إليَّ؟ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن، فادعوا اللّه أن يعيدني كما كنت.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن عمر بن حبيب أن رجلين من بني

= الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح.
والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٧) رقم ١٨٧ وضعفه، والهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٦٢) رقم ٤٢١٧٨ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣١٨) رقم ٢٦٤٨٦ بلفظ [تحدثوا]، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٣٤٩) رقم ٢٦٤٨٦، وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت (٥٢) رقم ٥٨ ، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٠٤) رقم ١١١٩، وله شواهد في الصحيح.

إسرائيل عبداً حتى سئما العبادة فقالا: لو خرجنا إلى القبور فجاورناها لعلنا أن نراجع، فجاؤا القبور، فعبدا الله، فنشر[١] لهما ميت فقال لهما: لقد مت من ثمانين سنة وإني لأجد ألم الموت بعد.

وقال كعب: لا يذهب عن الميت ألم الموت ما دام في قبره، وإنه لأشد ما يمر على المؤمن وأهون ما يصيب الكافر، رواه أبو نعيم.

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند رجاله ثقات عن الحسن أن رسول الله ﷺ **«ذكر الموت وغصته فقال قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف»**[٢].

وأخرج أيضاً عن الضحاك سئل رسول الله ﷺ عن الموت فقال: **«أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف»**[٣]. وقال عليٌّ رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش.

وأخرج أبو الشيخ في كتاب (العظمة) عن الفضيل ابن عياض أنه قيل له: ما بال الميت تنزع نفسه وهو ساكت وابن آدم يضطرب من القرصة؟ قال: إن الملائكة توثقه.

وأخرج المروزي في الجنائز، وابن أبي الدنيا عن ميسرة مرفوعاً: **«لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على أهل السماء والأرض لماتوا جميعاً، وإن في القيامة لساعة تتضاعف عن شدة الموت سبعين ضعفاً»**[٤].

---

(١) في حاشية الأصل/ أي أحيا. انتهى

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦٢) وقال عنه العراقي أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات.

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٦٩) رقم ٤٢٢٠٨ وعزاه لابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الضحاك بن حمرة مرسلًا.

(٤) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٥) رقم ١٧٧ وقال: قال في المختصر: لم يوجد.

وأخرج ابن أبي الدنيا في التاريخ عن أنس مرفوعاً: «**لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف**»(١).

وأخرج أيضاً أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال له ابنه لما احتضر: يا أبت إنك كنت تقول: ليتني ألقى رجلًا عاقلًا عند الموت حتى يصف لي ما يجد وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت، قال: يا بني واللّه لكأني أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن شوك يجر به من قدمي.

وقال في العاقبة: كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: لوددت أني لو رأيت رجلًا لبيباً حازما قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت، فلما نزل به الموت قيل له: يا أبا عبد اللّه كنت تقول أيام حياتك لوددت أني رأيت رجلًا لبيباً حازما قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت، وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه، فقال: أجد كأن السموات أطبقت على الأرض وأنا بينهما، وكأن نفسي تخرج على ثقب إبرة، وكأن غصن شوك يجذب به من هامتي(٢) إلى قدمي، ثم قال متمثلًا بقول أمية بن أبي الصلت:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

وأخرج الحاكم في المستدرك وابن سعد عن عوانة بن الحكم أن عمرو بن العاص كان يقول: عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٧٠) رقم ٤٢٢١٠ وسبق (ص٦٠) ولكن من حديث واثلة.

(٢) في حاشية الأصل/ أي رأسي، لأن هامة الشيء أعلاه، قال الشاعر:

تَزَرُ الجماجم بارزا هاماتها ... بل هل أكف كأنها لم تخلق

انتهى

يصفه، فلما نزل به قال له ابنه عبد الله: يا أبت إنك كنت تقول عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه فصف لنا الموت؛ قال: يا بني الموت أجل من أن يوصف، ولكن سأصف لك منه شيئاً، أجدني كأن على عنقي جبال رضوى، وأجدني كأن في جوفي شوك السلان، وأجدني كأن نفسي - أي أجد نفسي - تخرج من ثقب إبرة.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وأبو نعيم عن ابن أبي مليكة أن عمر رضي الله عنه قال لكعب: أخبرني عن الموت، قال: يا أمير المؤمنين هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم، فليس منه عرق ولا مفصل إلا وفيه شوكة، ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها وينزعها.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه قال: الموت أشد من ضرب السيف، ونشر بالمناشير وغلي في القدور، ولو أن ألم عرق من عروق الميت قسم على أهل الأرض لوسعهم ألماً، ثم هو أول شدة يلقاها الكافر وآخر شدة يلقاها المؤمن.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: **«احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا اللّه وبشروهم بالجنة، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع، وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع، والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله»**(١).

وقال ﷺ: **«اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب**(٢)

---

(١) سبق (ص ٥٧).

(٢) في حاشية الأصل/ العظم فيه اللب. انتهى

والأنامل فأعني على الموت وهونه علي»(١). رواه ابن أبي الدنيا.

وأخرج الحارث ابن أبي أسامة بسند جيد عن عطاء بن يسار مرفوعاً: **«معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، وما من مؤمن يموت إلا وكل عرق يألم منه على حدة، وأقرب ما يكون عدو اللّه يعني الشيطان منه تلك الساعة»**(٢).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه قال: لم يلق ابن آدم شيئاً قط منذ خلقه اللّه أشد من الموت عليه.

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر شدة يلقاها المؤمن الموت.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن يهون علي سكرات الموت لأنه آخر ما يؤجر به المسلم(٣).

وقال رجل لكعب: ما الداء الذي لا دواء له؟ قال: الموت. قال زيد ابن أسلم: دواءه رضوان الله.

وقال الحسن: أشد ما يكون من الموت على العبد إذا بلغت الروح التراقي، فعند ذلك يضطرب وتغلو نفسه.

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٢/ ٢٠٤) رقم ٣٧٦٨ وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦٢) وقال عنه العراقي أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث صعمة ابن غيلان الجعفي وهو معضل، سقط منه الصحابي والتابعي.

(٢) أخرجه الحارث في مسنده (١/ ٣٥٨) رقم ٢٥٦ بزيادة [وبشره بالجنة فإن الكرب عظيم والهول شديد - وأقرب] وذكره الهندي بهذا اللفظ الذي أورده المصنف (١٥/ ٥٦٤) رقم ٤٢١٩٠ وقال: الحارث عن عطاء بن يسار مرسلا.

(٣) في حاشية الأصل/ قف على آخر ما يؤجر عليه المسلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن كعب القرظي قال: بلغني أن آخر من يموت ملك الموت يقال له: يا ملك الموت مت، فيصرخ عند ذلك صرخة لو سمعها أهل السموات والأرض لماتوا فزعاً ثم يموت.

وأخرج زياد النميري قال: قرأت في بعض الكتب أن الموت أشد على ملك الموت منه على جميع الخلق.

وقد قال ﷺ: **«ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء، كما يشدد علينا البلاء كذلك يضاعف لنا الأجر»**(١) وقال في مرض موته: **«اللهم أعني على سكرات الموت»**(٢).

فإن قلت: ما وجه تشديد البلاء على الأكابر من الأنبياء والصالحين فهل له من حكمة؟ قلت: نعم بل له حكم، فقد قال الإمام ابن عقيل: كان له سبحانه وتعالى فيهم جواهر مودعة أحب أن يظهرها، ويجعلهم حججاً على المتخلفين عنه صبراً على بلائه ورضي بقضائه.

وقال القرطبي: لتشديد الموت على الأنبياء فائدتان:

إحداهما: تكميل فضائلهم، ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصاً ولا عذاباً، بل هو كما جاء أن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٣١٠) رقم ٢٠٦٢٦ بلفظ «وضع رجل يده على النبي ﷺ فقال: والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حمَّاك فقال النبي إنا معاشر الأنبياء يضاعف لنا . . . كما يضاعف لنا الآجر . . .» من حديث أبي سعيد الخدري.

وأخرج أحمد في مسنده (٦/ ٣٦٩) رقم ٢٧١٢٤ عن فاطمة [إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم].

(٢) أخرجه الترمذي عن عائشة (٣/ ٣٠٨) رقم ٩٧٨ وقال هذا حديث حسن غريب، والحاكم (٢/ ٥٠٥) رقم ٣٧٣١ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

والثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقا، ويرى سهولة خروج روحه فيظن بسهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على اللَّه قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقاً بأخبار الصادقين عنه ما عدا الشهداء.

أي لما أخرج الطبراني عن أبي قتادة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة**»(١).

وأخرج النسائي مثله عن أبي هريرة رضي الله عنه(٢).

فائدتان: **الأولى**: ذكر جماعة من العلماء أن السواك يسهل خروج الروح واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين في قصة سواكه ﷺ عند موته(٣).

الثانية: أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] خلق الموت في صورة كبش لا يمر على أحد إلا مات، وخلق الحياة في صورة فرس لا تمر على أحد إلا أُحيي.

وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال: خلق اللَّه

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٦٤) رقم ١٨٣٠٦ والترمذي (٤/ ١٩٠) رقم ١٦٦٨ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) النسائي في سننه (٦/ ٣٦) رقم ٣١٦١ بلفظ (مس) بدل (ألم)، وزيادة (يقرصها) في آخره.
وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٦٥) وقال ثابت مشهور، كلهم عن أبي هريرة.

(٣) لم أقف عليها في صحيح مسلم وهي في البخاري رقم ٤٤٣٨ .

الموت كبشا أملح مستتراً بسواد وبياض له أربعة أجنحة، جناح تحت العرش، وجناح في الثرى، وجناح في المشرق، وجناح في المغرب، قال له: كن فكان، ثم قال له: أبرز فبرز الموت عزرائيل.

وبهذه الآثار عرف أن الموت جسم خلق في صورة كبش لا عرض، ويؤيده ما ورد في حديث الصحيحين: «**يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يقال: هل تعرفون هذا فيقولون نعم، وكل قد رآه، هذا الموت فيذبح**»[(١)] زاد أبو يعلى في رواية غير أنس: «**كما تذبح الشاة**»[(٢)] ولا شك أن ألم الموت شديد، والحرص منه لا يفيد، فيا من غفل عن هذا الخطب العظيم، والداء الجسيم، انتبه قبل أن يحل بك الحمام، وتذوق طعم الآلام، فلا ينفع ثم عذر ولا ندامة، سوى التقوى والاستقامة، فما بالك تطلب الدنيا طلب من لا يموت، وتجهد - أي تتعب - نفسك في جمعها، مع أن حظك من ذلك القوت، انتبه يا مسكين لذلك الوقت المحتوم، واعبد مولاك الجواد الحي القيوم، فإن الدنيا لا تدوم، والندم على ذي الفعل المذموم وما أحسن قول القائل:

اذكر الموت ولا أرهبه ... إن قلبي لغليظ كالحجر
اطلب الدنيا كأني خالد ... وورای الموت يقفو بالأثر
وكفى بالموت فاعلم واعظاً ... لمن الموت عليه قد قدر
والمنايا حوله ترصده ... ليس ينجي المرء منهن مفر

فمثل لنفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل: أن فلانا قد أوصى وماله قد أحصى، ومن قائل

---

(١) البخاري رقم ٤٧٣٠ ومسلم رقم ٢٨٤٩ بزيادة بعض الألفاظ عن أبي سعيد الخدري.
(٢) مسند أبي يعلى (٥/ ٢٧٨) رقم ٢٨٩٨ عن أنس أيضاً.

يقول: إن فلاناً ثقل لسانه فلا يعقل يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، وكأني أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تحسن رد الجواب، ثم تبكي ابنتك كالأسيرة، وتتضرع وتقول من ليتمي بعدك يا حسن السيرة، وأنت تسمع ذلك ولا ترد جواباً فمالك؟ وأنشدوا:

فأقبلت الصغرى تمرغ خدها ... على وجنتي حينا وحينا على صدري
وتخمش خديها وتبكي بحرقة ... تنادى أبى إنى غلبت عن الصبر
حبيبي أبى من لليتامى تركتهم ... كأفراخ زغب في بعيد من الوكرى

*** *** ***

الفصل الرابع

فيما يقول الإنسان في مرض الموت

وما يقرأ عنده وما يقال إذا احتضر وتوابع ذلك

قال ﷺ: «**ما من ميت يقرأ على رأسه يس إلا هون الله عليه**»(١) رواه ابن أبي الدنيا والديلمي عن أبي الدرداء.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان أن النبي ﷺ قال: «**اقرءوا على موتاكم سورة يس**»(٢) قال ابن حبان: أراد به من حضره الموت.

وأخرج المروزي عن جابر بن زيد قال: كان يستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عليه سورة الرعد، فإن ذلك يخفف عن الميت، وإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه، وكان يقال قبل أن يموت الميت بساعة في حياة رسول الله ﷺ: اللهم اغفر لفلان بن فلان، وبرد عليه مضجعه، ووسع عليه في قبره، وأعطه الراحة بعد الموت، وألحقه بنبيه، وتول نفسه، وصعد روحه في أرواح الصالحين، واجمع بيننا وبينه في دار تبقى فيها الصحة ويذهب عنا فيها

---

(١) جزء من حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٨١) رقم ٢٤٦٧ موقوفاً على أبي قلابة وقال في آخره: هذا نقل إلينا بهذا الإسناد من قول أبي قلابة، وكان من كبار التابعين ولا يقوله إن صح ذلك عنه إلا بلاغاً، وذكره القرطبي في التفسير (٤/ ٢٨٨) وعزاه للآجري في كتاب النصيحة من حديث أم الدرداء، وذكره العجلوني في كشف الخفاء وهو يتحدث عن حديث «يسن لما قرئت له» (٢/ ٢٢١٥) رقم ٣٢١٣.

(٢) روى أحمد عن معقل بن يسار) ٥/ ٢٦) رقم ٢٠٣١٦ بلفظ «أقرءوها على موتاكم يعني يسن».
وأبو داود بلفظ (اقرءوا يسن على موتاكم) (٢/ ٢٠٨) رقم ٣١٢١ والحاكم (١/ ٧٥٣) رقم ٢٠٧٤، وابن حبان (٧/ ٢٦٩) رقم ٣٠٠٢.

الغضب واللغوب، ويصلي على رسول اللّه ﷺ، ويكرر ذلك حتى يقبض.

وأخرج عن الشعبي: كانت الأنصار يقرءون عند الميت سورة البقرة وقال ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»[١] أخرجه مسلم.

قال ابن حبان وغيره: أراد من حضره الموت. وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا اللّه دخل الجنة**»[٢].

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن المحاربي قال: حضرت رجل الوفاة فقيل له: قل لا إله إلا اللّه فقال: لا أقدر كنت أصحب قوماً يأمرونني أن أشتم أبا بكر وعمر.

وأخرج أبو يعلى والحاكم بسند صحيح عن طلحة وعمر سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إني أعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت إلا وجدت روحه لها راحة حتى تخرج من جسده وكانت له نوراً يوم القيامة**»[٣] وفي رواية: «**إلا نفس اللّه عنه وأشرق لونه ورأى ما يسره، لا إله إلا الله**».

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما مرفوعاً «**من قال عند موته لا إله إلا اللّه واللّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللّه**

---

(١) أخرجه مسلم ٩١٦.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٠٧) رقم ٣١١٦.
وأحمد (٥/ ٢٣٣) رقم ٢٢٠٨٧ بلفظ (وجبت له) بدل (دخل)، والحاكم (١/ ٦٧٨) رقم ١٨٤٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ١٣) رقم ٦٤٠ باختلاف في بعض الألفاظ وابن ماجه (٢/ ١٢٤٧) رقم ٣٧٩٥، وأحمد (١/ ٢٨) رقم ١٨٧.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٩٧) رقم ٣٩٢٠ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

لا تطعمه[١] النار أبداً»[٢].

وأخرج الحاكم عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«هل أدلكم على اسم اللّه الأعظم؟ دعاء يونس لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فأيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وإن برئ مغفوراً له»[٣].**

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (المرض والكفارات) وابن منيع في مسنده عن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه مرفوعاً: **«ألا أخبركم بأمر حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه اللّه من النار؟ قلت: بلى، قال: لا إله إلا اللّه يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وسبحان اللّه رب العباد والبلاد، والحمد للّه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال، اللّه أكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان، اللهم إن كنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى، وأعذني من النار كما أعذت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى، فإن مت في مرضك ذلك فإلى رضوان اللّه تعالى والجنة، وإن كنت قد اقترفت ذنوباً تاب اللّه عليك[٤].**

---

(١) في حاشية الأصل/ أي لا تأكله. انتهى

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٢١٦) رقم ٢٩٥٨، وذكره ابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٠٣) في سياق كلامه على حديث (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) رقم ٧٣٣، قال: وفيه جابر بن يحيى الحضرمي، قلت: وثقه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٤٥٠) حيث قال عنه (معروف عزيز الحديث).

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٦٨٥) رقم ١٨٦٥ باختلاف يسير وزيادة في بعض الألفاظ عن سعد ابن مالك.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (١٢٩) رقم ١٥٦ .
وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ٢١٠) وقال أخرجه ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات وسكت عنه.

وأخرج ابن عساكر عن الإمام علي ﷺ سمعت من رسول اللّه ﷺ كلمات من قالها عند وفاته دخل الجنة: «لا إله إلا اللّه الحليم الكريم - ثلاث مرات - الحمد للّه رب العالمين - ثلاث مرات - تبارك الذي بيده الملك يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير»[(١)].

والمروزي قالت أم سلمة: إذا رأيته احتضر فقل السلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين.

وأخرج البزار والطبراني في الأوسط عن أبي بكرة قال: دخل رسول اللّه ﷺ على أبي سلمة وهو في الموت، فلما شق بصره مد رسول اللّه ﷺ يده فأغمضه، فلما أغمض صاح أهل البيت فسكتهم رسول اللّه ﷺ وقال: إن النفس إذا خرجت تبعها البصر، وإن الملائكة تحضر الميت فتؤمن على ما يقول أهل الميت، ثم قال ﷺ: **«اللهم ارفع درجة أبي سلمة في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يوم الدين»**[(٢)] وقال ﷺ: **«إذا حضرتم الميت فاغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيراً فإن الملائكة تؤمن على دعاء أهل الميت»**[(٣)] رواه الحاكم.

وقال ابن عباس لمجاهد: لا تنامن إلا على وضوء فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه، وقال ﷺ: **«من أتاه ملك الموت وهو على وضوء**

---

(١) أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/ ٣٢٥) عن على (أن النبي ﷺ علمه كلمات إذا نزل به كرب دعا بهن، لا إله إلا اللّه الحليم الكريم سبحان اللّه رب العرش العظيم الحمد للّه رب العالمين).

(٢) أخرجه مسلم باختلاف يسير في بعض الألفاظ رقم ٩٢٠ والطبراني في الأوسط (٨/ ٢٠٥) رقم ٨٤١١ .

(٣) أخرجه الحاكم بلفظ أهل البيت بدلا من أهل الميت (١/ ٥٠٣) رقم ١٣٠١ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أعطي الشهادة»[١].

وأخرج المروزي عن بكر بن عبد اللّه المزني قال: إذا أغمضت ميتاً فقل بسم اللّه وعلى ملة رسول اللّه، زاد في التذكرة وسبح.

***

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٢٤) رقم ٥٩٩١ عن أنس، وفي الصغير (٢/ ١٠٠) رقم ٨٥٦ .
وذكره الهندي في كنز العمال (٩/ ٢٩٣) رقم ٢٦٠٦٦ .

الفصل الخامس

فيما جاء في ملك الموت وأعوانه

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١].

أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿توفته رسلنا﴾ قال: أعوان ملك الموت من الملائكة، زاد إبراهيم النخعي فيما رواه أبو الشيخ ثم يقبضها ملك الموت.

وأخرج أبو الشيخ وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أراد اللّه أن يخلق آدم بعث ملكاً من حملة العرش يأتي بتراب من الأرض، فلما هوى ليأخذ قالت الأرض: أسألك بالذي أرسلك لا تأخذ مني اليوم شيئاً يكون منه للنار نصيب غداً، فتركها، فلما رجع إلى ربه قال: ما منعك أن تأتي بما أمرتك؟ قال: سألتني بك فعظمت أن أرد شيئاً سألتني بك، فأرسل آخر فقال مثل ذلك، حتى أرسلهم كلهم، فأرسل ملك الموت، فقالت له مثل ذلك، فقال: إن الذي أرسلني أحق بطاعتك منك، فأخذ من وجه الأرض كلها من طيبها وخبيثها، فجاء به إلى ربه فصب عليه من ماء الجنة فصار حمأً مسنوناً، فخلق منه آدم عليه السلام، زاد ابن عساكر عن يحيى بن خالد فسماه ملك الموت ووكله بالموت.

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي في (شعب الإيمان) عن ابن سابط قال: يدبر أمر الدنيا أربعة، جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فأما جبرائيل فصاحب الجنود والريح، وأما ميكائيل فصاحب القطر

والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فينزل بالأمر عليهم بما يؤمرون.

وأخرج أبو الشيخ في (العظمة) عن الربيع بن أنس أنه سئل عن ملك الموت هل هو الذي وحده يقبض الأرواح؟ قال: هو الذي يلي أمر الأرواح وله أعوان على ذلك، غير أن ملك الموت هو الرئيس، وكل خطوة منه من المشرق إلى المغرب، قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال عند السدرة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ [النازعات: ٥] ملائكة تكون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم، فمنهم من يعرج بالروح، ومنهم من يؤمن على الدعاء، ومنهم من يستغفر للميت حتى يصلي عليه ويدلى[١] في حفرته.

وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾ [المدثر: ٢٧] أعوان ملك الموت، يقول بعضهم لبعض من يَرْقَىٰ بروحه من أسفل قدمه إلى موضع خروج نفسه.

وأخرج الطبراني في الكبير وأبو نعيم وابن منده عن الحارث ابن الخزرج عن أبيه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ونظر[٢] إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: طب نفساً وقر عيناً، واعلم أني بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أني لا أقبض روح ابن آدم، فإذا صرخ صارخ من أهل بيته قمت في الدار ومعي روحه، فقلت: ما هذا الصارخ؟ واللَّه ما ظلمناه، ولا سبقنا أجله، ولا استعجلنا قدره، وما لنا في قبضه من ذنب، فإن ترضوا**

---

(١) في حاشية الأصل/ أي ينزل. انتهى

(٢) في الأصل (وانظر) والمثبت هو الموافق للحديث.

بما صنع اللّه تؤجروا، وإن تسخطوا تأثموا وتؤزروا، وإن لنا عندكم عودة بعد عودة فالحذر الحذر، وما من أهل بيت شعر ولا مدر، بر ولا فاجر، سهل ولا جبل، إلا أنا أتصفحهم في كل يوم وليلة، أنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم، واللّه لو أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون اللّه هو يأذن بقبضها»[١].

قال جعفر بن محمد: بلغني أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة، فإذا نظره عند الموت فإن كان يحافظ على الصلاة دنا منه ملك الموت وطرد الشيطان عنه ويلقنه الملك: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه في ذلك الحال العظيم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن: ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح في كل بيت ثلاث مرات، فمن وجده منهم قد استوفي رزقه وانقضى أجله قبض روحه، وإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء، فأخذ ملك الموت بعضادتي[٢] الباب فيقول: ما لي إليكم من ذنب وإني لمأمور، واللّه ما أكلت له رزقاً، وما أفنيت له عمراً ولا انتقصت له أجلًا، وإن لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا أبقي منكم أحداً.

قال الحسن: واللّه لو رأوا مقامه وسمعوا كلامه لذهلوا عن ميتهم

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٢٠) رقم ٤١٨٨ بزيادة لفظة [مالكم عندنا من عتبى] بعد يؤزروا.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٩) رقم ٣٩٢٨ وقال رواه الطبراني في الكبير، وفيه عمر بن شمر الجعفي والحارث بن الخزرج ولم أجد من ترجمها وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) عِضَادتا الباب ناحيتاه، والعِضادتان الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله. لسان العرب/ مادة: عضد.

ولبكوا على أنفسهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبيد بن عمير قال: بينما إبراهيم عليه السلام يوماً في داره إذ دخل عليه رجل حسن الشارة - أي بالشين المعجمة والراء المخففة الهيئة - فقال: يا عبد اللّه من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها، قال ربها أحق بها. فمن أنت؟ قال: ملك الموت، قال: لقد نعت لي منك أشياء ما أراها فيك. قال: أدبر فأدبر فإذا عيون مقبلة وإذا عيون مدبرة، وإذا كل شعرة منه كأنها إنسان قائم، فتعوذ إبراهيم عليه السلام من ذلك وقال: عد إلى الصورة الأولى، قال: يا إبراهيم إن اللّه إذا بعثني إلى من يحب لقاءه بعثني في الصورة التي رأيت أولًا.

وأخرج نحوه الإمام ابن الإمام عبد اللّه في زوائد الزهد، وابن أبي الدنيا عن كعب، غير أنهما قالا: قال إبراهيم إن كنت صادقاً فأرني منك آية أعرف أنك ملك الموت، قال له ملك الموت: اعرض بوجهك، فأعرض ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض المؤمنين، قال: فرأى من النور والبهاء شيئاً لا يعلمه إلا اللّه، ثم قال: اعرض بوجهك، فأعرض ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض فيها الكفار والفجار، فرعب إبراهيم رعباً حتى ارتعدت فرائصه وألصق بطنه بالأرض وكادت نفسه تخرج.

وفي «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور» للسيوطي عن ابن مسعود وابن عباس معاً قالا: لما اتخذ اللّه إبراهيم خليلًا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشره بذلك، فأذن له في إبراهيم فبشره، فقال الحمد للّه، ثم قال: يا ملك الموت أرني كيف تقبض أنفاس الكفار؟ قال: يا إبراهيم لا تطيق، قال: بلى، فأعرض ثم نظر فإذا برجل أسود ينال رأسه السماء، يخرج من فيه لهب النار، ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل

يخرج من مسامعه لهب النار، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الأولى، فقال: يا ملك الموت لو لم ير الكافر من النار والخزي إلا صورتك لكفاه، فأرني كيف تقبض أرواح المؤمنين؟ قال: أعرض، ثم التفت فإذا هو برجل شاب أحسن الناس وجهاً وأطيبه ريحاً في ثياب بيض فقال: يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك لكان يكفيه.

أخرج الإمام أحمد وأبو الشيخ وأبو نعيم عن مجاهد قال: جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء وجعل له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا قيل لملك الموت: ما من نفس منفوسة إلا وأنت تقبض روحها؟ قال: نعم، قيل: كيف وأنت هاهنا، والأنفس في أطراف الأرض؟ قال: إن اللَّه سخر لي الدنيا فهي كالطست يوضع قدام أحدكم فيتناول من أي أطرافها شاء كذلك الدنيا عندي.

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ وأبو نعيم عن شهر بن حوشب قال: ملك الموت جالس والدنيا بين ركبتيه، واللوح الذي فيه أجال بني آدم في يده، وبين يديه ملائكة قيام، وهو يعرض اللوح لا يطرف فإذا أتى على أجل عبد قال اقبضوا هذا.

وأخرج ابن أبي الدنيا أن الدنيا سهلها وجبلها بين فخذي ملك الموت ومعه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فيقبض الأرواح فيعطي هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء - يعني ملائكة الرحمة وملائكة العذاب - قيل: فإذا كانت ملحمة وكان السيف مثل البرق؟ قال: يدعوها فتأتيه الأنفس.

وقال سيدنا سليمان بن داود عليه السلام لملك الموت - وكان له صديقاً -

ما لك تأتي أهل البيت فتقبضهم جميعاً وتدع أهل البيت إلى جنبهم لا تقبض منهم أحداً؟ قال: لا أعلم بما أقبض منها إنما أكون تحت العرش فتلقى إلي صكاك فيها أسماء من يموت. رواه ابن أبي شيبة عن خيثمة.

وأخرج أيضاً عنه قال: دخل ملك الموت إلى سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت. قال: رأيته ينظر إلي كأنه يريدني. قال: فما تريد؟ قال: أريد أن تحملني على الريح حتى تلقيني بالهند، فدعا الريح فحمله عليها فألقته في الهند، ثم أتى ملكُ الموت سليمان فقال: إنك كنت تديم النظر إلى رجل من جلسائي؟ قال: كنت أعجب منه، أمرت أن أقبضه بالهند وهو عندك.

وذكر الجلال السيوطي في أحوال الموتى والقبور عن ابن عساكر من خبر خيثمة: قال سليمان بن داود لملك الموت: إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني فقال: ما أنا بأعلم بذلك منك إنما، هو كتب تلقى إليَّ فيها تسمية من يموت.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ملكاً استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس، فأتاه فسلم عليه فقال له إدريس: هل بينك وبين ملك الموت شيء؟ قال ذلك أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفعني عنده بشيء؟ قال: إما أن تؤخر شيئاً أو تقدمه فلا، ولكن سأكلمه فيرفق بك عند الموت، قال اركب بين جناحي فركب إدريس فصعد به إلى السماء العليا فلقي ملك الموت وإدريس بين جناحه، فقال له: يا ملك الموت إن لي إليك حاجة قال: علمت حاجتك، تكلمني في إدريس وقد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجله إلا نصف طرفة، فمات إدريس بين جناحي ذلك الملك.

وأخرج المروزي وابن أبي الدنيا عن جابر بن زيد أن ملك الموت كان يقبض الأرواح بغير وجع، فسبه الناس ولعنوه فشكى إلى ربه، فوضع الله الأوجاع ونسي ملك الموت، يقال مات فلان بوجع كذا وكذا.

وأخرج الإمام أحمد والبزار عن النبي ﷺ قال: **«كان ملك الموت يأتي الناس عياناً، فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه، فأتى ربه فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه، قال له: اذهب إلى عبدي فقل له: فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة، فأتاه فقال له، فقال: ما بعد هذا؟ قال الموت، قال: فالآن، فشمه شمة فقبض روحه ورد الله عليه عينه، فكان يأتي الناس خفية»**(١).

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، فخرج ذات يوم ورجع، وإذا في الدار رجل قائم، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب، قال داود: أنت إذاً والله ملك الموت، مرحباً بأمر الله، فرمل داود مكانه، فقبضت نفسه»**(٢).

وأخرج الطبراني عن الحسين أن جبرائيل هبط على النبي ﷺ يوم موته فقال: كيف تجدك؟ قال **«أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني مكروباً، فاستأذن**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥٣٣) رقم ١٠٩١٧ .
والحاكم (٢/ ٦٣٢) رقم ٤١٠٧ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد في البخاري رقم ٣٤٠٧ ومسلم ٢٣٧٢ .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤١٩) رقم ٩٤٢٢ باختلاف في بعض ألفاظه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٧٩) رقم ١٣٧٩٦ وقال - رواه أحمد وفيه المطلب بن عبدالله بن حنطب وثقة أبو زرعة وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

ملك الموت على الباب، فقال جبريل: يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك، ما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك، قال: ائذن له، فأقبل حتى وقف بين يديه، فقال: إن اللَّه أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن كرهت تركتها، قال: وتفعل يا ملك الموت؟ قال: نعم بذلك أمرت، فقال له جبريل: إن اللَّه اشتاق إلى لقائك، فقال رسول اللَّه ﷺ: امض ما أمرت به»[(١)].

وأخرج أبو نعيم عن ثابت البناني قال: الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة تأتي على ذي روح إلا وملك الموت قائم عليها فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب.

وأخرج الإمام أحمد في (الزهد) وأبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: **«أن ملك الموت ينظر في وجوه العباد في كل يوم سبعين نظرة، فإذا ضحك العبد الذي بعث إليه يقول: عجباً بعثت إليه لأقبض روحه وهو يضحك»**[(٢)].

تنبيه: أخرج أبو الشيخ الفضلي في الضعفاء والديلمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«آجال البهائم وحشاش الأرض كلها في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض اللَّه أرواحها، وليس لملك الموت من ذلك شيء»**[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٢٩) رقم ٢٨٩٠ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦١٠) رقم ١٤٢٦١ وقال رواه الطبراني وفيه عبدالله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث.

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٦٣) رقم ٤٢١٨٥ وعزاه لابن النجار عن أبي هدبة عن أنس.

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (١/ ٤٤٥) رقم ١٩٢١ باختلاف في بعض الألفاظ، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٧١) رقم ٢٠٣ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هو موضوع.

قال السيوطي: وله طريق آخر أخرجه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر مثله.

قال ابن عطية والقرطبي: وكأن معنى ذلك أن اللّه يعدم حياتها بلا مباشرة ملك، فالآدمي شرف بأن خلق له ملكاً وأعوانه، وجعل قبض روحه وإسلالها[١] من جسده على يده، وقد قال عزرائيل للنبي ﷺ لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون اللّه هو الآمر بقبضها كما تقدم.

قال السيوطي: ولكن أخرج الخطيب في الرواة عن مالك عن سليمان بن مهير الكلابي قال: حضرت مالك بن أنس وسأله رجل عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق طويلًا ثم قال: ألها نفس؟ قال: نعم، قال: فإن ملك الموت يقبض أرواحها، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

قال السيوطي: ثم رأيت جويبر أخرج في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس قال: وكل ملك الموت بقبض أرواح الآدميين فهو الذي يلي قبض أرواحهم، وملكاً في الجن، وملكاً في الشياطين، وملكاً في الطير والوحش والسباع والحيتان والنمل، فهم أربعة أملاك، والملائكة يموتون في الصعقة الأولى، وأن ملك الموت يلي قبض أرواحهم ثم يموت، فأما الشهداء في البحر فإن اللّه يلي قبض أرواحهم لا يكل ذلك إلى ملك الموت لكرامتهم عليه، حيث ركبوا لجج البحر في سبيله قال: وجويبر ضعيف جداً، والضحاك عن ابن عباس منقطع قال: ولآخره شاهد مرفوع.

(١) كذا بالأصل، وفي التذكره (وانسلالها).

فأخرج ابن ماجه عن أبي أمامة سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن اللَّه وكل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهداء البحر فإنه يتولى قبض أرواحهم**»[١].

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد اللَّه بن عيسى قال: كان فيمن كان قبلكم رجل عبد اللَّه أربعين سنة في البر ثم قال: يا رب قد اشتقت أن أعبدك في البحر، فأتى قوماً، فاستحملهم فحملوه، وجرت بهم سفينتهم ما شاء اللَّه أن تجري، ثم قامت فإذا شجرة في ناحية الماء، قال ضعوني على هذه الشجرة، فوضعوه، وجرت بهم سفينتهم، فأراد ملك أن يعرج إلى السماء، فتكلم بكلامه الذي كان يعرج به فلم يقدر على ذلك فعلم أن ذلك لخطيئة كانت منه[٢]، فأتى صاحب الشجرة فسأله أن يشفع له إلى ربه، فصلى ودعا للملك، فعرج وطلب من ربه أن يكون هو يقبض نفسه ليكون أهون عليه من ملك الموت، فأتاه حين حضر أجله فقال: إني طلبت إلى ربي أن يشفعني فيك كما شفعك في، وأن أكون أنا أقبض نفسك من حيث شئت قبضتها، فسجد سجدة فخرجت من عينه دمعة فمات.

فائدة: أخرج ابن عساكر في تاريخه عن أبي زرعة قال: قال لي نجيب بن أبي عبيد رأيت ملك الموت في النوم وهو يقول قل لأبيك يصلى على حتى أرفق به عند قبض روحه، فحدثت أبي بما رأيت فقال: يا بني

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٢/ ٩٢٨) رقم ٢٧٧٨ بزيادة بعض الألفاظ وإفراد (شهداء) والطبراني في الكبير (٨/ ١٧٠) رقم ٧٧١٦ وذكره المناوي في فيض القدير (٤/ ١٦٦) رقم ٤٩٠٦ وضعفه تبعاً لابن حجر، وذكره الهندي في كنز العمال (٤/ ٤٠٠) رقم ١١١١٣ .

(٢) يقول اللَّه تعالى عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، ويقول أيضاً: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ويقول: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

لأنا بملك الموت آنس مني بأمك.

وأخرج ابن عساكر من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال ذكرت حديثاً رواه ابن عمر عن النبي ﷺ: **«ما حق امرء مسلم يبيت ثلاث ليال إلا وصيته مكتوبة عند رأسه»**(١) فدعوت بدواة وقرطاس لأكتب وصيتي، فغلبني النوم فنمت ولم أكتبها، فبينما أنا نائم إذ دخل داخل أبيض الثياب حسن الوجه طيب الرائحة، فقلت: يا هذا من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها. قلت: من أنت؟ قال: ملك الموت، فرعبت منه، فقال: لا ترع إني لم أومر بقبض روحك؟ قلت: فاكتب لي إذا براءة من النار. قال: هات لي دواة وقرطاساً، فمددت يدي إلى الدواة والقرطاس الذي نمت عنه وهو عند رأسي فناولته، فكتب لي بسم اللّه الرحمن الرحيم، أستغفر اللّه أستغفر اللّه حتى ملأ ظهر الكاغد وبطنه ثم ناولنيه، وقال: هذا براءتك رحمك الله، وانتبهت فزعاً ودعوت بالسراج ونظرت فإذا القرطاس الذي نمت وهو عند رأسي مكتوب ظهره وبطنه أستغفر الله».

تتمة: قال القرطبي: لا تنافي بين قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ(٢) ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨، ٣٢] وقوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] لأن إضافة التوفي إلى ملك الموت لأنه المباشر للقبض وللملائكة الذين هم أعوانه، لأنهم يأخذون في جذبها من البدن فهو قابض

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٧٣٨ بلفظ «ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» ومسلم رقم ١٦٢٧ بلفظ «ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته عنده مكتوبة».

(٢) في الأصل «تتوفاكم» والمثبت هو الصواب.

وهم معالجون، وإلى اللَّه لأنه الفاعل الحقيقي.

وقال الكلبي: يقبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

وأما اختلاف صفة ملك الموت بالنسبة إلى المؤمن والكافر فواضح، كما تقرر أن الملائكة لهم قوة التشكل بأي شكل أرادوا.

تنبيه: قبض الأرواح على قسمين، فمنهم من يطعنه الملك بحربة مسمومة قد سقيت سماً من نار، فتفر الروح خارجة فيأخذها في يده وهي ترعد أشبه شيء بالزئبق على قدر الجرادة شخصاً إنسانياً ثم يناولها الزبانية، ومن الموتى من يجذب نفسه رويداً حتى تنحصر في الحنجرة إلا[(١)] شعبة متصلة بالقلب فحينئذ يطعنها بتلك الحربة الموصوفة.

قال في (التذكرة) لم أجد لهذه الحربة في الأخبار ذكر إلا ما ذكره أبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: إن لملك الموت عليه السلام حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، فإذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال الآن يزاد بك عسكر الأموات. واللَّه أعلم.

واعلم أنه تقطع الآجال كل سنة، فقد أخرج الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**تقطع الآجال من شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى**»[(٢)].

---

(١) كذا في الأصل ولعلها (إلى).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٨٦) رقم ٣٨٣٩ بزيادة لفظ «إلى شعبان» والطبري في التفسير (١١/ ٢٢٢) والبغوي في التفسير (١/ ٢٢٧) وذكره ابن رجب في لطائف المعارف (١٣٨) وقال: إنه مرسل.

وابن أبي الدنيا مثله عن عثمان بن المغيرة ابن الأخنس، وأخرج أبو يعلى بسند حسنه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يصوم شعبان كله فسألته قال: «**إن الله يكتب فيه كل نفس ميتة تلك السنة فأحب أن يأتني أجلي وأنا صائم**»[(١)].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عطاء بن يسار قال: إذا كانت ليلة النصف من شعبان رفع إلي ملك الموت صحيفة فيقال: اقبض ما في هذه الصحيفة، فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه قد نسخ في الموتى.

وأخرج ابن أبي الدنيا والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر الصحابي رضي الله عنه قال: أول من يعلم بموت العبد[(٢)] الحافظ، لأنه يعرج بعمله وينزل برزقه، فإذا لم يخرج له رزق علم أنه ميت.

وأخرج أبو الشيخ في تفسيره عن محمد بن جحادة قال: إن شجرة تحت العرش ليس مخلوق إلا له فيها ورقة، فإذا سقطت ورقة عبد خرجت روحه من جسده، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[(٣)] [الأنعام: ٥٩].

* * *

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/ ٣١١) رقم ٤٩١١ والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٤٠) رقم ٥١٥٦ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وقال رواه أبو يعلى وفيه مسلم بن خالد الزنجي وفيه كلام وقد وثق.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على أول من يعلم بموت العبد.

(٣) في حاشية الأصل/ قوله: «من ورقة إلا يعلمها» أي سواء كانت الورقة الساقطة من الشجرة التي تحت العرش أو غيرها من الأشجار؛ لأن النكرة إذا جاءت بسياق النفي تفيد العموم، كقولك: «ما جاءني من أحد» انتهى.

الفصل السادس

فيما يحضر الميت من الملائكة وغيرهم وما يراه المحتضر وما يقال له وما يبشر به المؤمن وينذر به الكافر

أخرج الإمام أحمد وأبو داود في سننه والحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في كتاب (عذاب القبر) وغيرهم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب ﷺ قال: خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، فجلس رسول اللّه ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكث به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا باللّه من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه الملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من كفن الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من اللّه ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء وإن كنتم ترون غير ذلك، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول اللّه: اكتبوا**

كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي اللَّه، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول اللَّه، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب اللَّه تعالى فآمنت به وصدقت، فنادى مناد من السماء صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من رَوْحِها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي جاء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر إذا كان بانقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من اللَّه وغضب، فَتُفَرَّقُ في جسده، فينتزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فيقول اللَّه عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول:

هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي جاء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة(١).

وأخرج أبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس عن تميم الداري عن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله لملك الموت: انطلق إلى وليي فأتني به، فإني قد خبرته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، فأتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها، فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم أكفان وحنوط من حنوط الجنة، ومعهم ضبائر الريحان** - وَالضبائر بالضاد المعجمة وبعدها موحدة آخره راء كعماير: هي الجماعات كما في نهاية ابن الأثير، وواحدتها ضبارة كعمارة، أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لوناً، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه - **ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر، فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحوشه الملائكة، ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه، ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر**»(٢) الحديث بطوله.

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان والحاكم واللفظ له والبيهقي عن أبي

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧) رقم ١٨٥٥٧ وفيه اختلاف يسير في العبارة قبل الأخيرة، وأبو داود (٢/ ٦٥٢) رقم ٤٧٥٣)، والحاكم (١/ ٩٣) رقم ١٠٧ وفي نفس العبارة بلفظ (فوجهك الوجه يبشر بالشر) وابن أبي شيبة في مصنفه، (٣/ ٥٤) رقم ١٢٠٥٩، وهو صحيح كما ذكر المصنف.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٥٥) ولم أقف عليه عند أبي يعلى.

هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح اللّه وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناول بعضهم بعضاً، فيشمونه حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءت من قبل الأرض، كلما أتوا به سماء قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين، فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم عليه، يسألونه ما فعل فلان؟ فيقولون دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال لهم ما آتاكم؟ فإنه قد مات يقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية. وأما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب اللّه وسخطه، فتخرج كأنتن ريح جيفة، فينطلقون به إلى باب الأرض، فيقولون ما أنتن هذه الريح، كلما أتوا على أرض قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح الكفار»(١).

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللّه ﷺ قال: «تحضر الملائكة فإن كان الرجل صالحاً قال: اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يُعرج بها إلى السماء فيفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان، فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة، فإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة وأبشري بجحيم وغساق وآخر من شكله

---

(١) أخرجه ابن حبان) ٧/ ٢٨٤) رقم ٣٠١٤ باختلاف بسيط وزيادة يسيرة.
والحاكم) ١/ ٥٠٤) رقم ١٣٠٢ .

أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يُعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان بن فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم يصير إلى القبر»[(١)].

وأخرج البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر[(٢)] وريحان، فتستل روحه كما تسل الشعرة من العجين، ويقال: أيتها النفس الطيبة اخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح اللّه وكرامته، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان، وطويت عليه الحريرة، وذهب به إلى عليين، وإن الكافر إذا حضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعاً شديداً، ويقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى هوان اللّه وعذابه، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ويطوى عليها المسح ويذهب به إلى سجين»[(٣)].

* * *

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٣) رقم ٤٢٦٢ وأحمد (٦/ ١٣٩) رقم ٢٥١٣٣ .
وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٢٩) رقم ٤٢٤٩٦ وقال أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه وإسناده صحيح.

(٢) في حاشية الأصل/ الضِّبْرُ: الجوز البري شجر، وشجر الجوز ولا يحمل جوزاً، وقيل الضبر الرمان الجبلي. انتهى

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٢٥) رقم ٧٤٢ وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥٠٠) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف، والبزار بلفظ المصنف.

الفصل السابع

في الكلام على الروح وما يتعلق بذلك

اعلم رحمني اللَّه وإياك أن الناس اختلفوا في حقيقة الروح، ومنهم من سكت عن الخوض في ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] وأما الذين خاضوا في الكلام عليها تباينت مذاهبهم واختلفت آراؤهم، والصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار فى الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح، اختار هذا القول الإمام المحقق ابن القيم في كتابه (الروح) من أقوال عديدة. وقال إنه الصواب في هذه المسألة وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة، وذكر لهذا القول مائة دليل وخمسة عشر دليلًا، وأجاد وفاد، وزيف قول ابن سينا وابن حزم وأمثالهما، وكتابه هذا من أجل ما رأينا في هذا الفن، بل هو أجلها وأعظمها، ولا ينبغي لمن له رغبة في العلوم أن يجهله ولا شيئاً منه، فعليك به فإنه مفيد جداً.

فائدة: نقل بعض المتكلمين أن محل الروح القلب واستدل له

بحديث ابن عساكر أن النبي ﷺ قال: «**وأما النفس ففي القلب والقلب بالنياط والنياط يسقي العروق فإذا هلك القلب انقطع العرق**»[(١)(٢)] وهذا الحديث مرسل وقال ابن حجر في الإصابة الحديث فيه غريب كثير وأسانيد ضعيفة جداً والله أعلم.

فإن قلت: هل تموت الروح أم الموت على البدن وحده؟

قلت: أجاب عن هذا الإمام المحقق في (الروح) فقال: قد اختلف الناس في هذا، فقالت طائفة: تموت وتذوق الموت؛ لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، قالوا: وقد دلت الآية على أنه لا يبقى إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] الآية وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى، قالوا: وقد أخبر الله عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] فالموتة الأولى هذه المشهورة وهي للبدن، والأخرى للروح.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية، هذا مع القطع بأن أرواحهم فارقت أجسادهم، وقد ذاقت أجسادهم الموت.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٣٧٤) في سياق حديث طويل وذكره الهندي في كنز العمال (١٣/ ٣٨٤) رقم ٣٧٠٤٣، وعزاه لابن عساكر وابن شاهين.

(٢) في حاشية الأصل/ . . . عرق في الصلب، والنياط أيضاً وريد القلب الذي اتصله من الوتين، وفي الضياء: عرق في الصلب منوط بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. انتهى لغة.

قال: والصواب أن يقال موت النفس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل أو تصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، قال: وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله:

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شحب[١] والخلق في شحب
فقيل تَخْلُصُ نفس المرء سالمةً وقيل تشرك جسم المرء في العطب

فإن قلت: فعند النفخ في الصور هل تبقى الأرواح حية كما هي أو تموت ثم تحيا؟ فالجواب ما ذكره المحقق أنها مستثناة من قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فقد استثنى اللَّه بعض من في السموات ومن في الأرض من هذا الصعق فقيل: هم الشهداء وهو قول أبي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير، وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل: هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها، وهذا قول أبي إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا، وقد نص إمامنا رضي الله عنه على أن الحور العين لا يمتن عند النفخ في الصور، وقد أخبر اللَّه تعالى أن أهل الجنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة الأولى، فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان.

وأما قول أهل النار ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]

---

(١) في حاشية الأصل/ الشحوب بالضم أن يتغير لون البشرة، وبابه دخل، وشحب شُحوبة من باب ظَرُف. لغة.

فتفسير هذه الآية والتي في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:٢٨] فكانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات، وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها.

ففي الصحيح «**أن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور**»[(١)] فهذا صعق في موقف يوم القيامة إذا جاء اللّه سبحانه لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنور ربها، فحينئذ تصعق الخلائق كلهم، قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥] ولو كان هذا الصعق موتاً لكانت موتة أخرى.

قال: وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء، فقال القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غَشْيٍ تكون يوم القيامة، لا صعقة الموت الحادثة عند نفخ الصور.

وحاصل الجواب أن الروح لا تموت ولا تفنى، واللّه الموفق.

فإن قلت: فأين مستقر الأرواح بعد مفارقتها الأجساد إلى يوم القيامة هل في السماء أم في الأرض؟ وهل هي في الجنة أم في النار أم لا؟ وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها فتنعم وتعذب فيها أم تكون مجردة؟

(١) أخرجه البخاري ٣٣٩٨ وأخرج نحوه مسلم ٢٣٧٣ .

قلت: قد أجاب عن هذه المسألة الإمام المحقق في (الروح)، وهي مسألة عظيمة قد تكلم فيها الناس واختلفوا، وهي إنما تتلقى من السمع فقط، وحاصل ما اعتمده من الجواب بعد أن ذكر مذاهب الناس في ذلك وأطال نحو كراسين أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلى عليين، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ في ليلة الإسراء.

ومنها في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم كما قد يتوهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في المسند عن محمد بن جحش أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: «**يا رسول الله ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: الجنة، فلما ولى قال: إلا الدين، سارني به جبرائيل آنفاً**»[1] ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر «**رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة**»[2].

ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى، فإنها كانت روحاً سفلية أرضية، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه، بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العلوية التي كانت في

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٠) رقم ١٩١٠٠ وأخرج نحوه الترمذي (٤/ ٢١٢) رقم ١٧١٢ وقال: وفي الباب عن أنس ومحمد بن جحش وأبي هريرة وهذا الحديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١١) رقم ٢٠١٣٦ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٣٠) رقم ٦٦٣٢ وقال: حيان بن علي وقد وثقه قوم وضعفه قوم.

الدنيا عاكفة على محبة اللَّه وذكره والتقرب إليه والأنس به تكون بعد المفارقة في الأرواح المناسبة لها، فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم المعاد، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وإخوانها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك، وفي الحديث «**وتجعل روحه** - يعني المؤمن - **مع النسيم الطيب**»(١) أي الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه.

قال: ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية، وإذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب وكان لك فضل اعتناء عرفت حجة ذلك، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تناقضاً، فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضاً، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأناً غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بالقبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً، وصعوداً وهبوطاً، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض، ولذة ونعيم. وألم أعظم مما كان لها في حال اتصالها بالبدن بكثير، فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق، وما أشبه حالها في هذا البدن بحال الجنين في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار، قال: فلهذه الأنفس أربع دور، وكل دار أعظم من التي قبلها.

الدار الأولى: بطن الأم وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث(٢).

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٦٧) رقم ٦٧٠٣ عن أبي هريرة.

(٢) في حاشية الأصل/ ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. انتهى تفسير

الدار الثانية: هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتست فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة.

الدار الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى.

الدار الرابعة: دار القرار هي الجنة أو النار، فلا دار بعدها، واللَّه سبحانه وتعالى ينقلها في هذه الدار طبقاً بعد طبق حتى ينقلها إلى الدار التي لا يصلح لها غيرها، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى، فتبارك اللَّه فاطرها ومنشيها، ومميتها ومحييها، ومسعدها ومشقيها، فهو الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها، كما فاوت بينها في مراتب علوها وأعمالها، وقواها وأخلاقها، فمن عرفها كما ينبغي شهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، الذي له الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، وله القوة والقدرة كلها، والعزة والكمال المطلق من جميع الوجوه، وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله، وأن الذي جاءوا به هو الحق الذي تشهد به العقول وتقر به الفطر، وما خالفه هو الباطل، وباللَّه التوفيق.

وسيأتي الكلام على مستقر الأرواح أوفى من ذلك.

فإن قلت: هل الروح قديمة أم مخلوقة؟ وإن قلتم أنها محدثة فما الجواب عن قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] وكيف يكون أمر اللَّه مخلوقاً وقد أخبر اللَّه سبحانه أنه نفخ في آدم من روحه؟

قلت: قد أجاب عنها الإمام المحقق، وهي مسألة عظيمة كم زل فيها عالم، وضل فيها طوائف من بني آدم، وهدى اللَّه أتباع رسله فيها للحق

المبين والصواب المستبين، فأجمعت الرسل صلوات اللّه وسلامه عليهم على أنها محدثة مصنوعة، وهذا معلوم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن اللّه وحده هو الخالق وكل ما سواه مخلوق له، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون الفضيلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة، حتى نبعت نابعة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة، فزعم أنها قديمة غير مخلوقة، واحتج على أنها من أمر اللّه وأمره قديم، وبأن اللّه تعالى أضافها إليه كما أضاف إليه علمه وكتابه وقدرته وسمعه وبصره ويده، وتوقف آخرون وقالوا لا نقول شيئاً.

وسئل عن ذلك حافظ أصبهان أبو عبد اللّه بن منده من أصحابنا فقال: أما بعد فإن سائلًا سألني عن الروح التي جعلها اللّه قوام أنفس الخلق وأبدانهم، وذكر أن أقواماً تكلموا في الروح زعموا أنها غير مخلوقة، وخص بعضهم منها روح القدس وأنها من ذات الله، قال: وأنا أذكر اختلاف أقاويل الناس وأبين ما يخالف أقاويلهم من الكتب والأثر، وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم، وأذكر بعد ذلك وجوه كلام الذين تكلموا على الروح بغير علم، وأن كلامهم يوافق قول جهم وأصحابه.

فنقول وباللّه التوفيق: إن الناس اختلفوا في معرفة الأرواح ومحلها من النفس، فقالت طائفة: الأرواح كلها مخلوقة، وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر، واحتجت بقول النبي ﷺ: **«الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**(١) والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

وقالت طائفة: الأرواح من أمر اللّه أخفى اللّه حقيقتها وعلمها عن

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٣٣٦ عن عائشة، ومسلم رقم ٢٦٣٨ عن أبي هريرة.

الخلق، واحتجت بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقالت طائفة: الأرواح نور من نور اللَّه تعالى وحياة من حياته واحتجت بقول النبي ﷺ: «**إن اللَّه خلق خلقه من ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره**»(١) ثم ذكر الخلاف في الأرواح هل تموت أم لا؟ وهل تعذب مع الأجساد في البرزخ وفي مستقرها بعد الموت؟ وهل هي النفس أو غيرها؟

وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه: تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح آدم ما تأوله النصراني في روح عيسى، وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات اللَّه فصار في المؤمن، فعند صنف من النصارى أن عيسى ومريم جميعاً غير مخلوقين؛ لأن عيسى عندهم صار في مريم فهو غير مخلوق على زعمهم، وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض: إن روح آدم مثل ذلك أنه غير مخلوق، قالوا: ثم صار بعد آدم في الوصي بعده، ثم هي في كل نبي ووصي إلى أن صار في علي، ثم في الحسن والحسين، ثم في كل وصي وإمام، فيه يعلم الإمام كل شيء لا يحتاج أن يعلم من أحد، ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله، خلقها وأنشأها وكونها وأخبر عنها، ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللَّه روحه الزكية: روح الآدمي مخلوقة مبتدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع الأمة على أنها مخلوقة غير واحد من المسلمين مثل محمد بن نصر

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد (٢/ ١٧٦) رقم ٦٦٤٤ عن عبد الله بن عمرو، والترمذي (٥/ ٢٦) رقم ٢٦٤٢ وقال هذا حديث حسن.

المروزي الإمام المشهور الذي هو من أعلم زمانه بالإجماع والاختلاف، وكذلك أجاب أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا بلفظ: سألت رحمك اللَّه عن الروح مخلوقة هي أم غير مخلوقة؟ قال: وهذا لا يشك فيه من وفق للصواب أن الروح من الأشياء المخلوقة، وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة، وصنف الحافظ أبو عبد اللَّه بن مندة في ذلك كتاباً، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي وغيره، والشيخ أبو سعيد الخراز وأبو يعقوب النهرجوري، والقاضي أبو يعلى، وقد نص على ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم على من يقول في ذلك في روح عيسى بن مريم فكيف بروح غيره كما ذكره سيدنا الإمام أحمد رضي الله عنه فيما كتبه في محتسبه في الرد على الزنادقة والجهمية؟

قال ثم إن الجهمي ادعى أمراً فقال أنا أجد آية في كتاب اللَّه على أن القرآن مخلوق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وعيسى مخلوق؟ قلنا له: إن اللَّه منعك الفهم للقرآن، إن عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأنا نسميه مولوداً وطفلاً وغلاماً يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، ويجري عليه الخطاب الوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم، فلا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، فهل سمعتم اللَّه يقول في القرآن ما قال في عيسى؟ ولكن المعنى في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن، ولكن كان بكن، فكن من اللَّه قول وليس كن مخلوقاً، وكذبت النصارى والجهمية على اللَّه في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: روح اللَّه وكلمته، إلا أن كلمته مخلوقة، وقالت النصارى: عيسى روح اللَّه وكلمته في ذاته، كما

يقال هذه الخرقة من هذا الثوب. قلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان وليس هو الكلمة، وإنما الكلمة قول الله كن، وقوله (وروح منه) نقول: من أمره كان الروح فيه، كقوله ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ [الجاثية: ١٣] يقول من أمره، وتفسير روح الله إنما معناه بكلمة الله خلقها، كما يقال عبد الله وسماء الله وأرض الله، فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف سائر الأرواح؟ وقد أضاف الله إليه الروح الذي أرسله إلى مريم، وهو عبده ورسوله، ولم يدل ذلك أنه قديم غير مخلوق، فقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ[1] لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٧-١٩]. فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله، ثم استدل على خلقها الإمام المحقق في كتابه باثني عشر وجهاً وأطنب فراجعه.

ثم قال: وأما ما احتجت به هذه الطائفة فإن الذي أتوا به من متشابه القرآن، والعدول عن محله وهذا شأن كل ضال ومبتدع، فحكم القرآن من أوله إلى آخره يدل على أن الله خالق الأرواح ومبتدعها وأما قوله تعالى ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] فمعلوم قطعاً أنه ليس المراد هاهنا بالأمر الطلب الذي هو أحد الأنواع للكلام، فيكون المراد أن الروح كلامه الذي يأمر به، وإنما المراد بالأمر هاهنا المأمور، وهو عرف مستعمل في عرف العرب وفي القرآن منه كثير، كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]. أي مأموره الذي قدره وقضاؤه[2]، وقال له كن وكذلك قوله: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾

---

(١) كذا في بالأصل وهي قراءة صحيحة رواها ورش وقالون وأبو عمرو، وقراءة حفص (لأهب)، انظر: عبد الفتاح القاضي/ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (٢٤٦).

(٢) كذا بالأصل، والأصح (قضاه) كما في الروح لابن القيم.

[هود: ١٠١]. أي مأموره الذي أمر به من هلاكهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧] وكذلك لفظ الخلق يستعمل بمعنى المخلوق كقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]. أي مخلوقه، وقوله للجنة: «**أنت رحمتي أسكنك من شئت من خلقي**»[(١)] أو كما ورد، فليس في قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]. ما يدل على أنها قديمة غير مخلوقة بوجه ما.

وقد قال بعض السلف في تفسيره: المراد بالروح في الآية أنه جرى بأمر اللَّه في أجساد الخلق وبقدرته استقر، [وهذا بناء على روح الإنسان][(٢)]، وفي ذلك خلاف بين السلف والخلف، وأكثر السلف بل كلهم على أن الروح المسئول عنها في الآية ليست أرواح بني آدم، بل هو الروح الذي أخبر اللَّه عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة، وهو ملك عظيم.

وقد ثبت في الصحيح من حديث عبد اللَّه قال: بينا أنا أمشي مع رسول اللَّه ﷺ إلى أن قال: فمررنا على نفر من يهود، فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه عسى أن يجيء فيه بشيء تكرهونه، وقال بعضهم: نسأله؟ فقال رجل: يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت عنه ﷺ فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت فلما تجلى عنه قال: «﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] »[(٣)] قال المحقق: ومعلوم أنهم إنما يسألونه من أمر لا يعرف

---

(١) جزء من حديث قدسي أخرجه البخاري رقم ٤٨٥٠ بلفظ «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي» عن أبي هريرة، ومسلم رقم ٢٨٤٦ بنفس اللفظ.
(٢) كذا بالأصل، ولعل فيه نقصاً، والسياق الصحيح كما ورد في (الروح) هكذا [وهذا بناء على أن المراد بالروح في الآية روح الإنسان] إلخ.
(٣) أخرجه البخاري رقم ٤٧٢١ باختلاف في بعض الألفاظ، ومسلم رقم ٢٧٩٤ .

إلا بالوحي، وذلك هو الروح الذي عند اللَّه لا يعلمها الناس وأما أرواح بني آدم فليس من الغيب، وأطال فراجعه.

وأما استدلالهم بإضافتها إلى اللَّه سبحانه وتعالى وبقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]. فينبغي أن تعلم أن المضاف إلى اللَّه سبحانه نوعان، صفات لا تقوم بنفسها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقة، وكذلك وجهه ويده سبحانه، والثاني: إضافة أعيان منفصلة كالبيت والعبد والناقة والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، ولكن إضافته تقتضي تخصيصاً أو تشريفاً يتميز به المضاف إليه من غيره، كبيت اللَّه وإن كانت البيوت كلها ملكاً له، وكذلك ناقة الله، فالإضافة الخاصة تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة فإنها تقتضي الخلق والإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة، ولا من باب إضافة الصفات، فتأمل هذا الموضع فإنه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها ما يشاء اللَّه من الناس.

قال المحقق: فإن قيل: فما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فأضاف النفخ إلى نفسه وهذا يقتضي المباشرة من اللَّه تعالى كما في قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. ولهذا قرن بينهما في الذكر في الحديث الصحيح في قوله ﷺ: «**فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر، خلقك اللَّه بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء**»(١) فذكروا لآدم أربع خصائص اختص بها عن غيره، ولو

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٤٤٧٦ بلفظ «أبو الناس» بدل «أبو البشر» عن أنس.

كان الروح التي فيه إنما هي من نفخة الملك لم يكن له خصوصية بذلك وكان بمنزلة المسيح بل وسائر أولاده، فإن الروح حصلت فيهم من نفخة الملك، وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] فهو الذي سواه بيده وهو الذي نفخ فيه من روحه؟

فالجواب: ما ذكر المحقق من أن هذا الموضع هو الذي أوجب لهذه الطائفة أن قالت بقدم الروح وتوقف فيه آخرون ولم يفهموا مراد القرآن، فأما الروح المضافة إلى الرب فهي روح مخلوقة أضافها إلى نفسه إضافة تخصيص وتشريف كما بيناه، وأما النفخ فقد قال تعالى في مريم: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا[1] مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]

وقد أخبر في موضع آخر أنه أرسل إليها الملك فنفخ في فرجها، فكان النفخ مضافاً إلى اللّه أمراً وإذناً وإلى الرسول مباشرة.

يبقى هاهنا سؤالان: أحدهما: أن يقال إذا كان النفخ حصل في مريم من الملك وهو الذي ينفخ الأرواح في سائر البشر فما وجه تسمية المسيح روح الله؟ وإذا كان سائر الناس تحدث أرواحهم من هذه الروح فما خاصية المسيح؟

الثاني: أن يقال فهل تعلق الروح بآدم كانت بواسطة نفخ الملك أم الرب هو الذي نفخها بنفسه كما خلقه بيده؟

قيل: لعمر اللّه إنهما سؤالان مهمان، فأما الأول: فالجواب عنه ما ذكره المحقق أن الروح الذي نفخ في مريم هو الروح المضاف إلى اللّه الذي اختصه لنفسه وأضافه إليه، وهو روح خاص من بين سائر الأرواح،

---

(١) في الأصل (فيه) والمثبت هو الصواب.

وليس هو الروح الذي ينفخه الملك بالنفخ في بطون الحوامل من المؤمنين والكفار، فإن الله سبحانه وكل بالرحم ملكاً ينفخ الروح في الجنين، فيكتب رزق المولود وأجله وعلمه وشقاوته وسعادته، وأما هذا الروح المرسل إلى مريم فهو روح الله الذي هو من الأرواح النفسية[1] فكان لمريم بمنزلة الأب لسائر النوع الإنساني، فإن نفخته لما دخلت في فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للأنثى من غير أن يكون هناك وطء، وأما ما اختص به آدم فهو أنه لم يخلق كخلقه من أب ولا أم كخلقة سائر النوع من أب وأم، ولا كان الروح الذي نفخ الله فيه منه هو الملك الذي ينفخ الروح في سائر أولاده، ولو كان كذلك لم يكن لآدم به اختصاص، وإنما ذكر في الحديث ما اختص به على غيره وهو أربعة أشياء، خلق الله له بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاد ملائكته له، وتعليمه أسماء كل شيء، فنفخه فيه من روحه يستلزم نافخاً ونفخاً ومنفوخاً منه، فالمنفوخ منه هو الروح المضافة إلى الله، فمنها سرت النفخة في طينة آدم فأتته الروح من قبل رأسه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، فالله تعالى هو الذي نفخ في طينته من تلك الروح، هذا هو الذي دل عليه النص، وأما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها حصلت بأمره كما حصلت في مريم، فهذا يحتاج إلى دليل، والفرق بين خلق الله تعالى له بيده ونفخه فيه من روحه أن اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة، والخلق فعل من أفعال الرب، وأما النفخ فهل هو فعل من أفعال الرب القائمة به أو هو مفعول من مفعولاته القائمة بعبده المنفصلة عنه، مما يحتاج إلى دليل، وهذا بخلاف النفخ في فرج مريم، فإنه مفعول من مفعولاته وأضافه إليه لأنه بإذنه وأمره، فنفخه في آدم هل هو فعل له أو مفعول؟ وعلى كل تقدير فالروح التي نفخ

---

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب (لنفسه) حيث إن ابن القيم جاء سياقه هكذا [وأما هذا الروح المرسل إلى مريم فهو روح الله الذي اصطفاه من الأرواح لنفسه فكان لمريم] إلخ.

فيها من آدم روح مخلوقة غير قديمة وهي مادة روح آدم، فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة وهو المراد، والله الموفق.

فإن قلت: هل تقدم خلق الأرواح على الأجساد أم تأخر؟ قلت: ذكر المحقق أن في هذه المسألة قولين معروفين حكاهما شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، وممن ذهب إلى تقدم خلقها محمد بن نصر المروزي وأبو محمد بن حزم الظاهري وحكاه إجماعاً، وذكر المحقق أدلة القولين في كتابه (الروح)، وظاهر كلامه بل صريحه أن الجسد خلق قبل الروح، ومن أدلة هذا القول قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً دماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح**»[(١)] فالملك وحده يرسل إليه فينفخ فيه، فإذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه، ولم يقل يرسل الملك إليه بالروح فيدخلها في بدنه، فإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخه فيه، لا أنه سبحانه أرسل الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك، ففرق بين أن يرسل إليه الملك فينفخ فيه وبين أن يرسل إليه روحاً مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك.

وقال في موضع آخر وأما حديث «خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»[(٢)] فلا يصح إسناده وذكر علته، وقال الإمام المحقق في كتابه «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» أن القول بأن الأرواح خلقت قبل الأجساد قول فاسد وخطأ صريح، بل القول الصحيح الذي دل عليه الشرع والعقل أن

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٣٣٠٨، ٣٣٣٢ ومسلم ٢٦٤٣ باختلاف في بعض الألفاظ من حديث ابن مسعود.

(٢) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٨٢) رقم ٩٤ وقال: في إسناده عبد الله بن أيوب أبي علاج عن أبيه وهما كذابان، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

الأرواح مخلوقة مع الأجساد، وأن الملك ينفخ الروح في الجسد إذا مضى على النطفة أربعة أشهر ودخلت في الخامس، وذلك أول حدوث الروح فيه، ومن قال إنها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط، وأقبح منه قول من قال إنها قديمة، انتهى.

وبعضهم رد عليه وصحح القول بأن الأرواح خلقت قبل، واستدل بما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[١] قال ناصر السنة ابن الجوزي رحمه الله في (تبصرته): قال أبو سليمان الخطابي معنى هذا الحديث الإخبار عن مبدأ كون الأرواح خلقت قبل الأجساد وتقدمت على الأجساد في التكون على ما روي أن اللّه تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بكذا وكذا، قال ابن الجوزي وفي هذا الحديث دليل على أن الأرواح ليست بأعراض وأنها كانت موجودة قبل الأجساد، وأنها تبقى بعد الأجساد، يؤيد هذا المعنى قوله ﷺ: «**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة**»[٢] انتهى ملخصاً، وقد حكينا القولين فاختر لنفسك ما يحلو.

فإن قلت: إذا فارقت الأرواح الأبدان وتجردت بأي شيء يتميز بعضها من بعض حتى تتعارف وتتلاقى؟ وهل تتشكل إذا تجردت بشكل بدنها التي كانت فيه أم لا؟

فالجواب: أن المحقق أجاب عن هذا بعد أن قال إن هذه المسألة لا أكاد أجد من تكلم فيها، وإنما يمكن الجواب عنها على أصول أهل السنة

---

(١) سبق ص ١٠٧.
(٢) رواه مسلم رقم ١٨٨٧ باختلاف في بعض الألفاظ عن عبد الله بن مسعود.
والترمذي (٤/ ١٧٦) رقم ١٦٤١ عن كعب بن مالك وقال: هذا حديث حسن صحيح.

التي تظافرت عليه أدلة القرآن والسنة والاعتبارات وهو، أن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل، قال: وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها في كتابنا الكبير في معرفة الأرواح والنفس وبينا بطلان ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة، وأن من قال غيره لم يعرف نفسه، وأما على أصول من يقول إنها مجردة عن المادة وعلائقها، وليست بداخل العالم ولا خارجه، ولا لها شكل ولا قدر ولا شخص، وكذا على أصول من يقول إنها عرض من أعراض البدن، فلا جواب لهذا على أصولهم، بل ولا وجود لها على زعمهم، بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن كما تبطل سائر صفات الحي، قال: وقد وصفها اللّٰه سبحانه وتعالى بالدخول والخروج، والقبض والتوفي والرجوع، وصعودها[1] إلى السماء وفتح أبوابها لها وغلقها عنها، فقال: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام:٩٣]. وقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ الآية [الفجر:٢٧]. وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨] فأخبر أنه سوى النفس كما سوى البدن في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ [الانفطار:٧]. فتسوية البدن تابع لتسوية النفس، والبدن موضع لها كالقالب قال: ومن هنا يعلم أنها تؤخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها، فيتميز الروح عن الروح وصفاتها أعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته، وحاصل الجواب أنها تؤخذ من بدنها صورة متميزة عن غيرها تميزاً بيناً لا خفاء معه ولا اشتباه، واللّٰه الموفق.

فإن قيل: النفس واحدة أم ثلاثة[2]؟ فقد وقع في كلام كثير أن لابن آدم ثلاثة[2] أنفس، مطمئنة ولوامة وأمارة، وأن منهم من يغلب عليه هذه ومنهم من يغلب عليه الأخرى، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا

(١) في الأصل (وصعدوها) والمثبت هو الصواب كما في (الروح).

(٢) كذا بالأصل في الموضعين والصواب (ثلاث).

ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]. وبقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١-٢] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

فالجواب كما قال المحقق: أنها نفس واحدة ولكن لها صفات، تسمى باعتبار كل صفة باسم، فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضى به والسكون إليه، فالطمأنينة إلى اللّه سبحانه خفية تَرِدُ منه سبحانه على قلب عبده المؤمن تجمعه عليه ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا باللّه وبذكره، وهو كلامه المنزل على نبيه المرسل، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. فإن طمأنينته سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه، وهذا لا يتأتى بشيء سوى اللّه وذكره البتة، وأطال فراجعه.

وأما اللوامة: التي أقسم بها سبحانه فاختلف فيها، فقالت طائفة: هي التي لا تثبت على حالة واحدة، أخذوه من لفظة التلوم، وهو التردد، فهي كثيرة التقلب والتلون، وهي من أعظم آيات الله، فإنها مخلوقة من مخلوقاته، تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلًا عن اليوم والشهر والعام والعمر ألواناً متلونة، فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتلطف وتكثف، وتحب وتبغض، إلى غير ذلك من الأوصاف.

وقالت طائفة: اللفظة مأخوذة من اللوم، ثم اختلفوا فقالت فرقة: هي نفس المؤمن وهذا من صفاتها المجردة.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائماً يقول: ما أردت بهذا؟ لم فعلت هذا؟ كان غير هذا أولى أو نحوا من هذا

الكلام، وقال غيره: هي نفس المؤمن توقعه في الذنب ثم تلومه عليه، فهذا اللوم من الإيمان بخلاف الشقي فإنه لا يلوم نفسه على ذنب، بل يلومها وتلومه على فوات الذنب، كأنه من جهله بنفسه وربه يرى أنه إذا فاته الذنب فاته ما يوجب التأسف على فواته والندم واللوم لنفسه، وهذا من سفهه غفلته.

وقالت طائفة: بل هذا اللوم لنوعين، فإن كل أحد يلوم نفسه براً كان أو فاجراً، فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية اللّه وترك طاعته، والشقي لا يلومها إلا على فوات حظها وهواها.

وقالت فرقة: هذا اللوم يوم القيامة، فإن كل أحد يلوم نفسه، إن كان مسيئاً فعلى إساءته، وإن كان محسناً فعلى تقصيره وعدم زيادته، قال المحقق: وهذه الأقوال كلها حق ولا تنافي بينها.

واعلم أن اللوامة نوعان: لوامة ملومة، وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها اللّه وملائكته، ولوامة غير ملومة، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة اللّه مع بذل جهده، فهذه لوامة غير ملومة، بخلاف الأولى فإنها تلوم صاحبها واللّه يلومها.

قال المحقق: وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة اللّه، واحتملت ملام اللائمين في مرضاته، فلا يأخذها في اللّه لومة لائم.

وأما النفس الأمارة: فهي المذمومة، فإنها التي تأمر بكل سوء، وهذا من طمعها إلا ما وفقها اللّه وثبتها وأعانها، ومن يخلص من شر نفسه غير من وفقه الله، كما قال تعالى حاكياً عن زليخا: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣]. وقال: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [النور: ٢١]. فالنفس

المطمئنة قرينها الملك، والنفس الأمارة قرينها الشيطان، فنسأل اللَّه العافية والتوفيق، فإنه ولي التحقيق.

فإن قلت: هل تتلاقى أرواح الموتى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟ قلت: أجاب عن هذه المسألة الإمام المحقق وقال: إنها مسألة شريفة كبيرة القدر، وملخص ما أجاب به أن الأرواح قسمان، أرواح معذبة وأرواح منعمة، والمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، والأرواح المنعمة مرسلة غير محبوسة، تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها، وروح نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ[١] فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية [النساء: ٦٩]. وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة[٢].

وروى جرير عن مسروق قال: قال أصحاب محمد ﷺ: ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإذا مت رفعت فوقنا فلم نرك، فأنزل الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية [النساء: ٦٩][٣].

قال الشعبي: جاء رجل من الأنصار وهو يبكي إلى النبي ﷺ فقال: ما يبكيك يا فلان، فقال: يا نبي اللَّه والذي لا إله إلا هو لأنت أحب إلي من نفسي، وأنا نذكرك أنا وأهلي فيأخذني كذا حتى أراك، فذكرت موتك

---

(١) في الأصل (رسوله) والمثبت هو الصواب، وفي الحاشية/ قوله: ورسوله... الآية هذه والرسول، وهو سهو منه رَحِمَهُ اللَّهُ جل من لا يسهو. فقه.

(٢) هكذا في الأصل، والصواب (الثلاث) قال الجوهري: الدار مؤنثة. انظر لسان العرب/ مادة: دور.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ١٦٥).

وموتي فعرفت أني لن أجامعك إلا في الدنيا، وأنك ترفع مع النبيين وعرفت أني إن دخلت الجنة كنت في منزل أدنى من منزلك، فلم يرد النبي ﷺ شيئاً فأنزل اللّه ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية[(١)].

وفي قصة الإسراء من حديث عبد اللّه بن مسعود قال: لما أسري بالنبي ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى صلوات اللّه وسلامه عليهم، فتذاكروا الساعة، فبدءوا بإبراهيم فسألوه عنها، فلم يكن عنده علم منها حتى أجمعوا الحديث إلى عيسى، فقال عيسى: عهد اللّه إلي فيما دون وجبتها فذكر خروج الدجال قال: فأهبط فأقتله، وترجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب[(٢)] ينسلون، فلا يمرون بماء إلا شربوه، ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه، فيجأرون[(٣)] إلى اللّه تعالى فأدعوا اللّه فيميتهم، فتجأر الأرض إلى اللّه من ريحهم، ويجأرون إلي فأدعو الله، ويرسل اللّه السماء بالماء فتحمل أجسامهم فتقذفها في البحر، ثم تنشق الجبال وتمد الأرض مد الأديم، فعهد اللّه إليَّ إذا كان كذلك فإن الساعة من الناس كالحامل المتم[(٤)] لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلًا أو نهاراً»[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٥٢) رقم ٤٧٧ وفي الصغير (١/ ٥٣) رقم ٥٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٣) رقم ١٠٩٣٧ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد اللّه بن عمران العابدي وهو ثقة.

(٢) في حاشية الأصل/ الحدب هو الربوة، وهو ما ارتفع من الأرض. لغة.

(٣) في حاشية الأصل/ الجؤر: صوت البقر، والتضرع بالدعاء. لغة.

(٤) في حاشية الأصل/ قوله: كالحامل المتم، يقال امرأة حامل وحاملة إذا كانت حبلى، قال الشاعر:

تمخضت المنون له بيوم ... أتى ولكل حاملة تمام

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٦) رقم ٣٤٤٨ وفيه زيادات على ما ذكر المصنف، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وكذا ابن ماجه (٢/ ١٣٦٥) رقم ٤٠٨١ وقال: في الزوائد هذا إسناده صحيح رجاله ثقات.
وأحمد (١/ ٣٧٥) رقم ٣٥٥٦ بزيادات كذلك.

قال المحقق: ذكره الحاكم والبيهقي وغيرهما، وهذا نص في تذاكر الأرواح، وقد أخبر اللّه سبحانه عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وأنهم يستبشرون بنعمة من اللّه وفضل، وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم أحياء عند اللّه وإذا كانوا أحياء فهم يتلاقون.

الثاني: أنهم يستبشرون بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم.

الثالث: أن لفظ يستبشرون يفيد في اللغة أنه يبشر بعضهم بعضاً مثل ما يتباشرون في الدنيا، وقد تواترت الأخبار بذلك.

فمنها ما ذكر صالح بن بشر قال: رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته فقلت: يرحمك اللّه لقد كنت طويل الحزن في الدنيا؟ فقال: أما واللّه لقد أعقبني ذلك فرحاً طويلًا وسروراً دائماً، فقلت: في أي الدرجات أنت؟ قال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ الآية [النساء: ٦٩].

وقال عبد اللّه بن المبارك: رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت له ما فعل اللّه بك؟ قال: لقيت محمداً وحزبه.

وقال صخر بن راشد: رأيت عبد اللّه بن المبارك في النوم بعد موته فقلت: أليس قد مت ؟ قال: بلى، قلت: ما صنع اللّه بك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب، فقلت: فسفيان الثوري فقال: بخ بخ ذلك ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية [النساء: ٦٩].

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن حفصة بنت راشد قالت: كان مروان المحكى لي جاراً، وكان رياضياً مجتهداً، فمات فوجدت عليه وجداً شديداً. قالت: فرأيته فيما يرى النائم

فقلت: أبا عبد اللَّه ما صنع اللَّه بك؟ قال: أدخلني الجنة. قلت: ثم ماذا؟ قال: رفعت إلى أصحاب اليمين، قلت: ثم ماذا؟ قال: رفعت إلى المقربين، قلت: فمن رأيت من إخوانك؟ قال: رأيت الحسن وابن سيرين وميمون بن شياه.

قال المحقق: وقد جاءت سنة صريحة بتلاقي الأرواح وتعارفها. أخرج ابن أبي الدنيا قال: لما مات بشر بن البراء بن معرور ﵁ وجدت عليه أم بشر وجداً شديداً، فقالت: يا رسول اللَّه إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل تتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلام فقال رسول اللَّه ﷺ: «**نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر، إنهم يتعارفون كما يتعارف الطير في رؤوس الشجر**»[1] وكان لا يهلك هالك من بني سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت: يا فلان عليك السلام، فيقول: وعليك. فتقول: اقرأ على بشر السلام.

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن عبيد بن عمير قال: أهل القبور يتوكفون[2] الأخبار فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: صالح ما فعل فلان؟ فيقول صالح، ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم؟ أما قدم عليكم؟ فيقولون: إنا للَّه وإنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا.

قال صالح المزني: بلغني أن الأرواح تتلاقى عند الموت، فتقول أرواح الأموات للتي تخرج إليهم: كيف كان مأواك؟ وفي أي الجسدين

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (١٨) رقم ١٤ وذكره أحمد بن علي العسقلاني في الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع (٨٧) وعزاه لابن أبي الدنيا في القبور وقال محققه إنه ضعيف.

(٢) جاء في لسان العرب «توكف الأثر تتبعه، والتوكف: التوقع والانتظار، وفي حديث ابن عمير: أهل القبور يتوكفون الأخبار- أي يتوقعونها - لسان العرب مادة وكف.

كنت؟ في طيب أم في خبيث؟ ثم بكى حتى بلغه البكاء.

وقال عبيد بن عمير: إذا مات الميت تلقته الأرواح يستخبرونه كما يستخبر الركب ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فإن قال: توفي ولم يأتهم قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية، وقال أيضاً لو أني آيس من لقاء من مات من أهل لألقاني مت كمداً[١].

وفي كتاب (الروح) للمحقق أن أبا أيوب الأنصاري حدث أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند اللَّه كما يتلقى المبشر في الدنيا، فيقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد، فيسألونه ماذا فعل فلان؟ وماذا فعلت فلانة؟ وهل تزوجت فلانة؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال قد مات قبلي، قالوا: إن للَّه وإنا إليه راجعون ذهب إلى أمه الهاوية بئست الأم بئست المهية**»[٢].

وفي (الهَدْي) للمحقق أيضاً عن بعض أهل عاصم الجحدري قال: رأيت عاصماً الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: فأين أنت؟ قال: أنا واللَّه في روضة من رياض الجنة ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبحتها إلى أبي بكر بن عبد اللَّه المزني فنتلاقى أخباركم، قال: قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجسام إنما تتلاقى الأرواح، قال: فقلت: فهل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال: نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله، وليلة السبت

---

(١) في حاشية الأصل/ الكمد: الحزن المكتوم. لغة

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٢٩) رقم ٣٨٨٧، باختلاف يسير عن أبي أيوب الأنصاري وفي آخره (وبئست المربية) وفي الأوسط (١/ ٥٣) رقم ١٤٨ .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٧١) رقم ٣٩٣١ وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه مسلمة بن علي وهو ضعيف.

إلى طلوع الشمس، قال: قلت: وكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمته.

فإن قيل: فهل تتلاقى أرواح الأحياء والأموات؟

فالجواب: نعم تتلاقى قال المحقق في الروح وشواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا اللّه تعالى، فتلتقى أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي أرواح الأحياء، وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

وذكر أبو عبد اللّه بن منده من الأصحاب عن ابن عباس في هذه الآية قال: بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم، فيمسك اللّه أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

وذكر ابن أبي حاتم نحوه عن السدي، قال المحقق: وهذا أحد القولين في الآية وهو أن الممسكة من توفيت وفاة الموت أولًا، والمرسلة من توفيت وفاة النوم، والمعنى على هذا أنه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى.

والقول الثاني: أن الممسكة والمرسلة كلاهما توفي وفاة النوم، فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها إلى جسدها، ومن لم تستكمل أجلها ردها إلى جسدها، واختار هذا شيخ الإسلام قدس اللّه روحه، قال: وعليه يدل القرآن والسنة، فإنه سبحانه ذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاها وفاة النوم، وأما التي توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا إرسال بل هي قسم ثالث، والذي يترجح هو القول

الأول؛ لأنه سبحانه أخبر بوفاتين، وفاة كبرى وهي وفاة الموت، ووفاة صغرى وهي وفاة النوم، وقسم الأرواح قسمين، قسماً قضى عليه الموت فأمسكها عنده وهي التي توفاها وفاة الموت، وقسماً لها بقية أجل فردها إلى جسدها، ذكره المحقق ثم قال: والتحقيق أن الآية تتناول النوعين، فإنه سبحانه ذكر وفاتين، وفاة نوم ووفاة موت، وذكر إمساك المتوفاة وإرسال الأخرى، ومعلوم أنه يمسك كل نفس ميت سواء مات في النوم أو اليقظة، ويرسل كل نفس من لم يمت، فقوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يتناول من مات في اليقظة ومن مات في المنام، وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلمه الحي فيصادف خبره ما أخبر في الماضي والمستقبل، وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه.

وقد حكى غير واحد من أهل العلم أن رجلًا غنياً حج فأودع آخر موسوماً بالأمانة والصلاح ألف دينار حتى يعود من عرفة، فلما عاد وجده قد مات، فسأل ورثته عن المال فلم يكن لهم به علم، فسأل علماء مكة عن قصته، فقالوا له: إذا كان نصف الليل فائت زمزم وانظر فيها وناد، يا فلان باسمه فإن كان من أهل الخير فسيجيبك من أول مرة، فذهب ونادى فيها فلم يجبه أحد، فأخبرهم، فقالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار، اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر تسمى برهوت، يقال إنها على فم جهنم فانظر فيها بالليل وناد فيها يا فلان فيجيبك منها، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها فذهب ليلًا ونادى فيها يا فلان، فأجابه، فقال له: أين ذهبي؟ فقال: دفنته في الموضع الفلاني من داري فلم آمن عليه ولدي فائتهم واحفر هناك تجده، فقال: ما الذي أنزلك هاهنا وقد كنت يظن بك الخير؟ قال: كانت لي أخت

فقيرة هجرتها وكنت لا أحن عليها، فعاقبني اللّه تعالى بسببها وأنزلني هذا المنزل، فاللّه عليك إذا رجعت إلى أولادي وأخذت حقك تذهب إلى أختي وتعمل معها جميلًا وتسألها بأن ترضي عني، فذكر ذلك إلى أولاده وذكر لهم أمانته فأجابوه إلى ذلك، فأخذها وأمرهم بأن يتوجهوا إلى عمتهم ويأخذوا بخاطرها، وتجعل أخاها في حل، فذهبوا إليها وسألوا عنها فأخبروا بأنها تسأل الناس، فعاد الأولاد وأخبروا الرجل بذلك، فذهب الرجل إليها فاجتمع بها وسألها ما كان حالها مع أخيها، فأبت وقالت لا تذكره لي، واغتمت لذلك، فأخذ الرجل بخاطرها وأعطاها صلة فعفت عن أخيها ودعت له بالرحمة، فعاد الرجل بعد ذلك إلى زمزم ونادى يا فلان فأجابه وقال جزاك اللّه خيراً، قد رضي اللّه عني برضاها وأعادني إلي هنا[1]. ذكر هذه الحكاية الحافظ بن رجب في (أهوال القبور) وابن حجر في (أسنى المطالب) وفي (الزواجر) والبقاعي في (مختصر أهوال القبور) وغيرهم من العلماء رحمهم اللّه تعالى، واللّه أعلم.

قصة الصعب:

قال المحقق في (الروح) وصح عن حماد بن سلمة عن ثبات عن شمر ابن حوشب أن الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين قال صعب

---

(١) وردت بعض الآثار بوجود بئر برهوت، وهو بئر باليمن منتن ماؤه، أما أن أرواح الكفار تحبس فيه، وأرواح المؤمنين تكون في زمزم فهذا قول فاسد لا دليل عليه من كتاب أو سنة، وفي رد هذا القول يقول ابن حزم «ذهب قوم من الروافض إلى أن أرواح الكفار ببرهوت وهو بئر بحضر موت، وأن أرواح المؤمنين بموضع آخر أظنه الجابية، وهذا قول فاسد، لأنه لا دليل عليه أصلا، وما لا دليل عليه فهو ساقط، ولا يعجز أحد عن أن يدعى للأرواح مكانا آخر غير ما ادعاه هؤلاء، وما كان هكذا فلا يدين به إلا مخذول وبالله التوفيق» ابن حزم- الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٥٧).

لعوف: أي أخي أينا مات قبل صاحبه فَلْيَتْراءْ[١] له، قال: أو يكونْ ذلك؟ قال: نعم، فمات صعب، فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه قال: قلت: ما فعل اللّه بك؟ قال: غفر لي بعد المنادب[٢] ورأيت لمعة سوء في عنقه قلت: أخي ما هذه؟ قال: عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودي فهن في قرني، فأعطوه إياها، واعلم أي أخي أنه ما يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بي خبره، حتى هرة لنا ماتت منذ أيام، واعلم أن بنتي تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفاً، فلما أصبحت قلت: إن في هذا لَمُعَلِّماً، فأتيت أهله فقالوا: مرحباً بعوف، أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم، لم تقربنا منذ مات صعب، فاعتللت بما يعتل به الناس فنظرت إلى القرن فأنزلته فانتشلت ما فيه فوجدت الصرة التي فيها الدنانير، فبعثت إلى اليهودي فقلت: هل كان لك على صعب شيء؟ قال: رحم اللّه صعباً كان من أخيار أصحاب رسول اللّه ﷺ هي له، قلت: لتخبرني قال: نعم، أسلفته عشرة دنانير، قال: فمددتها إليه، قال: هي واللّه بأعيانها قال: قلت: هذه واحدة، فقلت: هل حدث فيكم حدث بعد موته. قالوا: نعم حدث فينا كذا. قلت: اذكروه قالوا: نعم هرة ماتت منذ أيام، فقلت: هاتان اثنتان قلت: أين ابنة أخي قالوا: تلعب فأتيت بها فمسكتها فإذا هي محمومة، فقلت: استوصوا بها معروفاً فماتت لستة أيام.

قال المحقق: وهذا من فقه عوف رضي الله عنه وكان من الصحابة، حيث أنفذ وصية الصعب بن جثامة بعد موته، وعلم صحة قوله بالقرائن التي أخبر بها من أن الدنانير عشرة وهي في القرن، ثم سأل اليهودي فطابق قوله لما في الرؤيا فجزم عوف بصحة الأمر، فأعطى اليهودي الدنانير، وهذا فقه إنما

(١) في حاشية الأصل/ واترت الخبر أي أتبعت بعضه بعضا. انتهى - لغة.

(٢) في حاشية الأصل/ المنادب: القبائح، يقال: ندب فعل زيد قبحه. انتهى - لغة.

يليق بأفقه الناس وأعلمهم وهم الصحابة ﷺ، ولعل أكثر المتأخرين ينكر ذلك ويقول: كيف جاز لعوف أن ينقل الدنانير من تركة صعب وهي لأيتامه وورثته إلى اليهودي بمنام؟

قصة ثابت:

قال المحقق: ونظير هذا من الفقه الذي خصهم اللّه به دون الناس قصة ثابت بن قيس بن شماس، وقد ذكرها أبو عمرو ابن عبد البر وأخرجها مالك عن محمد بن مالك الأنصاري عن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال له: «**يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة**»(١) قال الإمام مالك فقتل ثابت يوم اليمامة شهيداً.

وقال أبو عمرو عن ابنة ثابت قالت: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] دخل أبوها بيته وأغلق عليه الباب، ففقده رسول اللّه ﷺ وأرسل يسأله ما خبره؟ قال: أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملي، قال: «**لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير**» قال: ثم أنزل اللّه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [لقمان: ١٨] فأغلق عليه بيته وطفق يبكي ففقده رسول اللّه ﷺ فأرسل إليه فأخبره فقال: يا رسول اللّه إني أحب الجمال وأحب أن أسود قومي، فقال: «**لست منهم بل تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة**» فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى مسيلمة، فلما التقوا انكشفوا، فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول اللّه ﷺ، ثم حفر كل واحد له حفيرة، فثبتا وقاتلا حتى قتلا، وعلى ثابت

---

(١) أخرجه مالك (٣) رقم ٩٤٥ وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٦٠) في ترجمة ثابت ابن قيس.

يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له: أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالداً فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول اللّه ﷺ - يعني الصديق رضي الله عنه - فقل له إن عليَّ من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان، فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى به وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته)[١].

قال المحقق: عن أبي عمرو ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله ورضي عنه.

قال المحقق: فقد اتفق أبو بكر وخالد والصحابة رضي الله عنهم على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها وانتزاع الدرع ممن هي في يده بها، وهذا محض الفقه[٢]، واللّه أعلم.

---

(١) أخرج هذه القصة الطبراني في الكبير (٢/ ٧٠) رقم ١٣٢٠ باختلاف في بعض ألفاظها وتقديم وتأخير في سياقها.
وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٥٣٥) رقم ١٥٧٨٤ وقال رواه الطبراني وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح، والظاهر أنها صحابية فإنها قالت: سمعت أبي، والله أعلم.

(٢) لابد من التفريق هنا بين رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورؤيا غيرهم، فرؤيا الأنبياء حق لأنها من الوحي، ومن هذا رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده، ولذا فهي حجة شرعية، أما رؤى غيرهم وخصوصاً بعد إكمال الدين وختم الرسالة فلا تعتبر دليلًا شرعياً ولا يجوز الاحتجاج بها على فعل أو ترك أو منع أو استحباب، نعم هي تؤخذ على أنها بشارة، على حد ما جاء في الحديث «لم يبق من النبوة إلى المبشرات» البخاري رقم ٦٩٩٠، أما في مجال الأحكام الشرعية فلا يجوز التعويل عليها لعدة أمور منها:
١- أن الشرع قد حدد أدلة الأحكام فلا يجوز التزيد عليها. =

والمقصود أن الأرواح تجتمع مع بعضها، سواء كانت موتى أو لا، وقد أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمر قال: الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس، تنشر في كل عام مرة، وأرواح المؤمنين في طير الزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة.

وأخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط**»(١).

= ٢- أن الرؤى متعددة في منابعها، فمنها ما هو نفساني ومنها ما هو شيطاني ومنها ما هو روحاني، فمن أين لنا بأن رؤيا فلان روحانية ورؤيا فلان شيطانية، والدليل على ذلك ما جاء في الحديث «الرؤيا ثلاثة» وذكرها - مسلم رقم ٢٢٦٣ .

٣- أن النائم ليس من أهل التكليف وغير قادر على ضبط ما رآه، ولذلك رفع الشارع عنه التكليف، قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة» وذكر منهم النائم - رواه أبو داود رقم ٤٣٩٨ .

ولا يعكر على ذلك ما رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٤٥) وغيره عن عمر رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ في المنام فرأيته لا ينظر إليّ، فقلت: يا رسول الله ما شأني؟ قال: ألست الذي تقبل وأنت صائم؟ فقلت: والذي بعثك بالحق لا أقبل وأنا صائم» وقد رد ابن حزم هذا الكلام بقوله [الشرائع لا تؤخذ بالمنامات، لاسيما وقد أفتى رسول الله ﷺ عمر في اليقظة حياً بإباحة القبلة للصائم، فمن الباطل أن ينسخ ذلك في المنام ميتاً]. المحلى (٦/ ٢٠٨).

وما ذكره المصنف رحمه الله عن ابن القيم من قصة ثابت بن قيس فقد قال فيها الشاطبي: «وما روى من أن أبا بكر رضي الله عنه أنفذ وصية رجل بعد موته برؤيا رؤيت فهي قضية عين لا تقدح في القواعد الكلية لاحتمالها، فلعل الورثة رضوا بذلك فلا يلزم منها خرم أصل» الموافقات (٢/ ٢٦٧).

للاستزادة في هذا الموضوع انظر الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٦٠).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٥) رقم ٦٦٣٦ بلفظ «إن أرواح المؤمنين تلتقي على مسيرة يوم ما رأى أحدهم صاحبه قط».

وفي (٢٢٠) رقم ٧٠٤٨ بلفظ «إن أرواح المؤمنين لتلتقيان على مسيرة يوم وليلة وما رأى واحد منهما صاحبه».

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٨٥) رقم ١٧٩٧٩ و١٧٩٨٠ وقال رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم، ورواه الطبراني.

وأخرج البزار بسند صحيح عن أبي هريرة رفعه: «**أن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين يود لو خرجت نفسه، والله يحب لقاءه، وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الدنيا، فإذا قال تركت فلاناً في الدنيا أعجبهم ذلك، وإذا قال إن فلاناً قد مات قالوا: ما جيء به إلينا**»[١] وسيأتي بقية الكلام على ذلك في باب مفرد، والله أعلم.

فإن قيل: هل النفس والروح شيء واحد أم هما شيئان؟

قلت: هذا فيه خلاف مشهور بين الناس، وظاهر حديث أبي هريرة المتقدم آنفاً أنهما شيء واحد، وأنا أذكر تفصيل ذلك وما قيل فيه مبيناً للصواب إن شاء الله تعالى.

حكى ابن زيد عن أكثر العلماء أن الروح والنفس اسمان لمسمى واحد، يعني كالبرُ والقمح اسم للحنطة، والإنسان والبشر اسم للحيوان الناطق، ويسمى هذا عند أهل الأصول مترادفاً.

وقال ابن حبيب: هما شيئان، فالروح هو النَّفسُ المتردد في الإنسان، والنَّفْس هي التي يقال لها جسد مجسد لها يدان ورجلان وعينان ورأس، وأنها هي التي تلذ وتفرح وتألم وتحزن، وأنها هي التي تتوفي في المنام وتخرج وتسرح، وترى الرؤيا فتسر بما ترى أو تحزن به، ويبقى الجسم دونها بالروح لا يلذ ولا يفرح ولا يعقل حتى تعود إليه النفس، فإن أمسكها الله ولم يرجعها إلى جسدها تبعتها الروح فصارت معها شيئاً واحداً ومات الجسم، وإن أرسلها إلى أجل مسمى وهو أجل الوفاة حيى الجسم، واحتج

---

(١) ذكره الهيثيمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٥) رقم ٤٢٧١ باختلاف يسير في بعض الكلمات، وقال رواه البزار ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فإني لم أعرفه.

بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] .

وذكر بعض الصوفية: أن النفس هي الأصل في الإنسان، فإذا أصقلت بالرياضة والمشاهدة وأنواع الذكر والتأله والفكر صارت روحاً، ثم قد تترقي إلى أن تصير سراً من أسرار اللّٰه تعالى.

وقال ابن منده: من أصحابنا اختلفوا في معرفة الروح والنفس فقال بعضهم: النفس طينية نارية، والروح نورية روحانية، وقال بعضهم: الروح لاهوتية والنفس ناسوتية، وأن الخلق بها ابتلي، وقالت طائفة وهم أهل الأثر إن الروح غير النفس والنفس غير الروح، وقوام النفس بالروح، والنفس صورة العبد والهوى والشهوة، والبلاء معجون فيها، ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه لا تريد إلا الدنيا ولا تحب إلا هي، والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها، وجعل الهوى تبعاً للنفس والشيطان، والشيطان تبعا لها وللهوى والملك مع العقل والروح، واللّٰه تعالى يمدهما بإلهامه وتوفيقه، ذكر ذلك ابن القيم في (الروح) ثم اعتمد أن الروح والنفس واحدة وإنما يختلفان بالصفات لا بالذات.

والصواب قول الأكثر: أنها شيء واحد لما تظافرت به الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة من إطلاق كل واحد منهما عليها، فتارة يقول الروح، وتارة يقول النفس. واللّٰه أعلم.

تتمة: مما ينبغي أن يعلم أن الميت يعرف من غسله وجهزه ويسمع ما يقال فيه وما يقال له والجنازة مارة، وأن الملائكة تمشي في الجنازة، وأن السماء والأرض والملائكة تبكي على المؤمن إذا مات، وأن الميت يلقن ونحن نذكر أدلة ذلك كله.

أخرج الإمام أحمد والطبراني في الأوسط وابن أبي الدنيا والمروزي

عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**إن الميت يعرف من يغسله ويحمله ومن يكفنه ومن يدليه في حفرته**»[١].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن مجاهد قال: إذا مات الميت فملك قابض نفسه فما من شيء إلا وهو يراه عند غسله وعند حمله، حتى يوصله إلى قبره.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: الروح بيد ملك يمشي بها، فإذا أدخل قبره جعلها فيه.

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك، ينظر إلى جسده كيف يغسل، وكيف يكفن، وكيف يمشي به، ويقال له وهو على سريره: اسمع كيف ثناء الناس عليك.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك الموت، فهم يغسلونه وهو يرى ما يصنع أهله، فلو يقدر على الكلام لنهاهم عن الرنة والعويل.

وأخرج عن سفيان قال: الميت يعرف كل شيء، حتى إنه ليناشد غاسله بالله إلا أحسنت غسلي، قال: ويقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك.

وفي «التذكرة»: أن الروح ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٢) رقم ١١٦١٨ بلفظ «الميت يعرف من يغسله ويحمله ويدليه».
والطبراني في الأوسط (٧/ ٢٥٧) رقم ٧٤٣٨ وابن أبي الدنيا في المنامات (١١) رقم ٦ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٥) رقم ٤٠٧١ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه رجل لم أجد من ترجمه.

تعالى، فيسلها[١]، فإن كانت من أهل السعادة قال لهم سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة، فيسيرون بها في الجنة قدر ما يغسل الميت، فإذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده، فإذا حمل على النعش فإنها تسمع كلام الناس، من متكلم بخير ومن متكلم بشر، فإذا وصل إلى قبره وصُلي عليه ردت فيه الروح وأقعد ودخل عليه الملكان، كما سيأتي.

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ وقف على قتلى بدر فقال: «**يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً**» فقال عمر: يا رسول اللَّه كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً**»[٢].

وأخرج أبو الشيخ من مرسل عبيد بن مرزوق قال: كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد - أي تكنسه - فماتت فلم يعلم بها النبي ﷺ، فمر على قبرها فقال: «**ما هذا القبر؟**» فقالوا: أم محجن، قال: «**التي كانت تقم المسجد؟**» قالوا: نعم. فصف الناس فصلى عليها، فقال: «**أي العمل وجدت أفضل**» قالوا يا رسول اللَّه أتسمعُ؟ قال: «**ما أنتم بأسمع منها فذكر أنها أجابته قم المسجد**»[٣].

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت**

---

(١) هكذا في الأصل والصواب (فيسألها) كما في التذكرة.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٩٧٦ باختلاف في بعض الألفاظ، ومسلم رقم ٢٨٧٤ باختلاف يسير أيضاً.

(٣) الحديث أصله في البخاري رقم ٤٦٠ ، ١٣٣٧ ومسلم ٩٥٦ وابن ماجه (١/ ٤٨٩) رقم ١٥٢٧ .

قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو يسمعه الإنسان لصعق»(١).

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن أم الدرداء قالت: إن الميت إذا وضع على سريره فإنه ينادي يا أهلاه يا جيراناه ويا حملة سريراه، لا تغرنكم الدنيا كما غرتني، ولا تلعبن بكم كما لعبت بي، فإن أهلي لم يحملوا من وأري شيئاً.

وأخرج سعيد بن منصور: أن الملائكة لتمشي أمام الجنازة ويقولون: ما قدم فلان؟ ويقول الناس ما ترك فلان؟

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الجلد قال: قرأت في مسألةِ داودَ ربَّه قال: إلهي ما جزاء من شيع الجنازة ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيعه الملائكة يوم يموت، وأصلي على روحه في الأرواح، وأخرجه ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعاً ولفظه أن داود قال: إلهي ما جزاء من شيع ميتاً إلى قبره ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيعه ملائكتي فتصلي على روحه في الأرواح»(٢).

وأخرج أبو نعيم وأبو يعلى وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«ما من إنسان إلا وله بابان في السماء، باب يصعد عمله فيه، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات العبد المؤمن بكيا عليه»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣١٤ ولم أقف عليه في مسلم.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٢) رقم ٩٢٨٠ وآخره «وأن أصلي على روحه في الأرواح» وأخرج نحوه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٥٦) وأحمد في الزهد (٧٠)، وفي مختصر تاريخ دمشق (١/ ١٠٨١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٣، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ١٦٠) رقم ٤١٣٣ والترمذي (٥/ ٣٨٠) رقم ٣٢٥٥ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]. هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم، إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه فقد بكى، وإذا فقده مصلاه من الأرض الذي كان يصلي فيها ويذكر اللّه فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى اللّه منهم خير، فلم تبك عليهم السماء والأرض.

وأخرج ابن جرير وابن أبي الدنيا عن عبيد الحضرمي قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض**» ثم قرأ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] قال: «**إنهما لا يبكيان على كافر**»(١).

وقال مجاهد: ما من مؤمن يموت إلا تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً. وقال محمد بن كعب: أن الأرض تبكي من رجل وتبكي على رجل، تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله، وتبكي من رجل يعمل ظهرها بمعصية الله.

وقال علي كرم الله: وجهه إذا بلغت الجنازة القبر فجلس الناس فلا تجلس، ولكن قم على شفير قبره، فإذا دلِّيَ في قبره فقل: بسم اللّه وفي سبيل اللّه وعلى ملة رسول الله، اللهم إنه عبدك نزل بك وأنت خير منزول به، خلَّف الدنيا خلْف ظهره، فاجعل ما قدم عليه خيراً مما خلف، فإنك

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٢٣٧)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٣٢) رقم ٨٨٧ في سياق كلامه على حديث (بدأ الإسلام غريبا).

قلت ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة في قبره**»(١).

وكان أنس رضي الله عنه يقول إذا وَضَع الميتَ في قبره: اللهم جاف القبر عن جنبيه، وصَعِّد روحه، وتقبله وتلقاه منك بروح، وقال عمرو بن مرة: كانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان الرجيم.

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي أمامة عن رسول اللّه ﷺ قال: «**إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب عليه فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل، يا فلان بن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيبه، ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعداً، ثم يقول يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول أرشدنا أرشدك اللّه ولكن لا تشعرون، فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا، ما نقعد عند من لقن حجته فيكون اللّه حجيجه دونهما، قال رجل يا رسول اللّه فإن لم يعرف أمه؟ قال: ينسبه إلى حواء يا فلان ابن حواء**»(٢) واللّه أعلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٤٤) رقم ١٣٦١٣ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٩) رقم ٧٩٧٩ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٦) رقم ٣٩١٨ وقال رواه الطبراني في الكبير وفيه من لم أعرفه.

خاتمة: أخرج البزار والحاكم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ مر بالمدينة فرأى جماعة يحفرون قبراً، فسأل عنه، فقالوا: حبشي قدم فمات، فقال رسول الله ﷺ: «**لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التي خلق منها**»(١).

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**ما من مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرته**»(٢) وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن عبد الله رضي الله عنه قال: إن الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم فيصعد بها على كفه فيقول: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال مخلقة قال: رب ما الرزق ما الأثر ما الأجل؟ فيقول انظر في أم الكتاب، فيظهر في اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه وأجله وعمله، ويأخذ التراب الذي يدفن في بقعته، فذلك قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥].

وذكر في (المجالسة) عن هلال بن يسار قال: ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تربته التي يموت فيها.

وأخرج الترمذي عن مطر ابن عكاس مرفوعاً: «**إذا قضي لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة**»(٣). قال الترمذي: حسن غريب.

وروى السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٧٣) رقم ٩٨٩١ والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢١) رقم ١٣٥٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولهذا الحديث شواهد وأكثرها صحيحة وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٥٧) رقم ٤٢٢٦ وقال: رواه البزار وفيه عبد الله والد علي بن المديني وهو ضعيف.

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٢٨٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ١٢٢) وذكر نحوه الهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٩٢) رقم ٤٢٧٦٧ .

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٥٣) رقم ٢١٤٦ وقال هذا حديث حسن غريب، والحديث الذي بعده رقم ٢١٤٧ عن أبي عزة وفي آخره «أو قال بها حاجة» وقال: هذا حديث صحيح.

الهمداني عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦] قال إذا وقعت النطفة في الأرحام طارت في الجسد أربعين يوماً ثم تكون علقة أربعين يوماً ثم تكون مضغة أربعين يوماً، فإذا بلغ أن تخلق بعث اللَّه ملكاً يصورها، فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلطه في المضغة، ثم يعجنه بها ثم يصورها كما يؤمر الحديث، وفيه فإذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب، خرجه ابن جرير الطبري في تفسيره.

قال الحافظ بن رجب قدس اللَّه روحه: والسدي مختلف في أمره، وكان الإمام احمد رضي الله عنه ينكر عليه جمعه الأسانيد المتعددة للتفسير الواحد.

وأخرج الترمذي عن أبي عزة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا قضى اللَّه لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة أو قال بها حاجة**»[١] قال: هذا حديث حسن صحيح وأبو عزة له صحبة واسمه يسار بن عبيد وأنشدوا:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة ... دعته إليها حاجة فيطير

وأخرج ابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعاً: «**إذا كان أجل العبد بأرض أتته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله، فتقول الأرض يوم القيامة رب هذا ما استودعتني**»[٢].

قال القرطبي في (التذكرة): قال علماؤنا رحمة اللَّه عليهم: فائدة هذا

---

(١) سبق (ص ١٣٩).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٢/ ١٤٢٤) رقم ٤٢٦٣ بلفظ «إذا كان أجل أحدكم بأرض أوثبته الحاجة إليها فإذا أبلغ أقصى أثره قبضه الله سبحانه به فتقول الأرض يوم القيامة: رب هذا ما استودعتني» وبنحوه أخرجه الحاكم (١/ ١٠١) رقم ١٢٣ ، ١٢٤ وقال لهذا الحديث شواهد على شرط الشيخين وذكرها ووافقه الذهبي فيها.

الباب تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة، والخروج من المظلمة، وقضاء الدين، وإثبات الوصية بما له وعليه في الحضر فضلًا عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر، فإنه لا يدري أين كتبت منيته من بقاع الأرض، وأنشدوا:

مشينا في خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطا مشاها
وأرزاق لنا متفرقات ... فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

وقلت: والقلب ملذوع[١] بنار الفراق، واللب في طماطيم[٢][٣] البلابل والاحتراق، أذكر غربتي وبعدي عن الأحبة، وأتسلي بالقضاء والجسم قد قضى نحبه.

شعراً:

بكت عيني وأرقني سهادي ... وذاب القلب من طول البعاد
ولم أر عترتي وسواد عيني ... فوا أسفا ويا حر الفؤاد
فلا أدري إذا دنت المنايا ... أموت بغربتي أم في بلادي
وهذي غربة كتبت علينا ... وآثار بتقدير الجواد
قضى الرحمن آثاري ورزقي ... وأجلي مذ خلقت كذا معادي
فما أبغي وحكم الله فينا ... يقيناً غير ممنوع النفاد

---

(١) اللذع: حُرقَة النار، وقيل هو مس النار، واحدها لذعة - لسان العرب: مادة لذع.
(٢) طم الماء يطم طما وطُموما: علا وغمر، وكل ما كثر وعلا حتى غلب فقد طم، والطامة الداهية تغلب ما سواها، وطمطام البحر وسطه: لسان العرب: مادة طمم.
(٣) في حاشية الأصل/ الطِّمُ بالكسر البحر، والطمطم: الأعجم وهو معتقل اللسان، وكل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم، يقال: حزب بيده بسيف فأطمها يراد بذلك صوت القطع، والطميم العدو واللين. انتهى. لغة.

فائدتان: الأولى: ينبغي لأولياء الميت أن يتحروا له الجار الصالح، فقد أخرج أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ادفنوا أمواتكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء**»(١).

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «إذا مات لأحدكم الميت فأحسنوا كفنه، وعجلوا إنجاز وصيته، وأعمقوا له في قبره، وجنبوه جار السوء، قيل: يا رسول الله، وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال: ينفع في الدنيا؟ قالوا: نعم، قال: كذلك في الآخرة»(٢).

وأخرج الديلمي من حديث أم سلمة مرفوعاً «أحسنوا الكفن، ولا تؤذوا أمواتكم بعويل ولا بتأخير وصية ولا بقطيعة، وعجلوا قضاء دينه، وأعدوا به غير جيران السوء»(٣).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن نافع المزني قال: مات رجل بالمدينة فدفن بها، فرآه رجل كأنه من أهل النار، فاغتم لذلك، ثم رآه بعد سابعة أو ثامنة كأنه من أهل الجنة، فسأله قال: دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في أربعين من جيرانه فكنت فيهم.

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٥٤) وقال أبو نعيم: غريب من حديث مالك لم نكتبه إلا من حديث شعيب.
وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٧٣) رقم ١٦٩ وقال: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال في المقاصد: رواه أبو نعيم والخليلي من حديث سليمان بن عيسى عن أبي هريرة مرفوعا، وسلميان متروك بل اتهم بالوضع، ولكن لم يزل عمل السلف والخلف على هذا.

(٢) ذكره القرطبي في التذكرة (١٥٠).

(٣) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٩١) في ترجمة داود بن الحصين رقم ٣٢٥ وقال: هذا خبر باطل لا أصل له من كلام رسول الله ﷺ ومسلم، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٥٨٧) رقم ٤٢٢٥٤ وعزاه للديلمي عن أم سلمة.

الثانية: قال الآجري: يستحب الوقوف بعد الدفن قليلًا والدعاء للميت - مستقبل وجهه - بالثبات، فيقال: اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا، ولا نعلم منه إلا خيراً، وقد أجلسته لتسأله، اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الدنيا، اللهم ارحمه وألحقه بنبيه ولا تضلنا بعده ولاتحرمنا أجره.

قلت: فإن كان يعلم من عمله غير الخير فلا ينبغي أن يقول ولا نعلم إلا خيراً لأنه كذب، وهو لا يجوز، ثم رأيت علماءنا أعزهم اللّه صرحوا بذلك، منهم صاحب (الإقناع) واللّه أعلم بالصواب.

* * *

الكتاب الأول

في أحوال البرزخ

وهو الحاجز بين شيئين ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]. أي حاجز يمنعهما من أن يختلط أحدهما بالآخر، ووجه تسمية ما هنا برزخاً لأنه يحجز بين الدنيا والآخرة كما هو ظاهر، وفيه أربعة أبواب:

* * *

الباب الأول

في ذكر حال الميت عند نزوله قبره وسؤال الملكين له وما يفسح له في قبره أو يضيق عليه وما يرى من منزله في الجنة والنار وكلام القبر للميت عند نزوله إليه

قال اللَّه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وأخرج الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت نزلت في عذاب القبر**»[١]. زاد مسلم: «**يقال له من ربك؟ فيقول: اللَّه ربي ومحمد نبيي فذلك قوله يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت**»[٢].

وفي رواية للبخاري: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أُتِيَ ثم شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه فذلك قوله يثبت اللَّه الذين آمنوا**» الآية[٣].

أخرج الطبراني عن البراء مرفوعاً: «**يقال للكافر: من ربك؟ فيقول: لا أدري، فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم، فيضرب بمرزبة لو ضرب بها جبل لصار تراباً، فيسمعها كل شيء غير الثقلين وقرأ ﷺ** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾» الآية[٤].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣٦٩ ومسلم رقم ٢٨٧١ .

(٢) مسلم) رقم ٢٨٧١ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٣) البخاري) رقم ١٣٦٩ .

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ٨٠) رقم ٣٦٦٤ وفي الصغير (١ / ٢٩٨) رقم ٤٩٥ وأخرج نحوه أحمد (٣/ ٣) رقم ١١٠١٣ عن أبي سعيد.

وفي رواية لأبي داود: «يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك؟ فيقول ربي اللَّه، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول اللَّه ﷺ، فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب اللَّه تعالى فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة وألبسوه من الجنة، ويفسح له فيه مد بصره، وذكر الكافر إلى أن قال: ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، قال: فيأتيه من حرها وسمومها، قال: فيضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه»(١).

وفي رواية: « ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب به(٢) جبلًا لصار تراباً قال: فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير تراباً قال: ثم تعاد الروح»(٣). وأخرجه النسائي وابن ماجه مختصراً وخرجه الإمام أحمد رضي الله عنه بسياق مطول.

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار وقد أبدلك اللَّه مقعداً من الجنة قال فيراهما جميعاً**»(٤) يعني المقعدين.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٦٥٢) رقم ٤٧٥٣ وأحمد (٤/ ٢٦٧) رقم ١٨٥٥٧ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) في حاشية الأصل/ وصوابه بها وهو سهو منه رحمه الله جل من لا يسهو.

(٣) انظر تخريج الحديث السابق.

(٤) أخرجه البخاري رقم ١٣٣٨ بلفظ (ذهب) بدل (تولى) ومسلم رقم ٢٨٧٠ .

قال قتادة: ذكر لنا أنه يفسح له في قبره، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، فيضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين»[(١)] زاد أبو داود: «إن المؤمن يقال له ما كنت تعبد؟ فإن هداه اللّه تعالى قال: كنت أعبد اللّه، فيقال: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد اللّه ورسوله، قال: فما يسأل عن شيء غير هذا»، وزاد أيضاً فيقول: دعوني حتى أبشر أهلي فيقال له: اسكن»[(٢)] وذكر الكافر أنه يسأل عما كان يعبد ثم عن هذا الرجل.

وفي الصحيحين عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال في خطبته يوم كسفت الشمس: «**ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريب من فتنة الدجال، يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أوالموقن فيقول محمد رسول اللّه جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحاً فلقد علمنا إن كنت لموقناً، وأما المنافق المرتاب فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته**»[(٣)].

وخرجه الإمام أحمد بلفظ: «**ولقد رأيتكم تفتنون في قبوركم، يسأل الرجل ما كنت تقول وما كنت تعبد؟ فإن قال: لا أدري رأيت الناس يقولون شيئاً فقلته ويصنعون شيئاً فصنعته، قيل له: أجل - أي نعم - على الشك عشت وعليه مت، هذا مقعدك من النار، وإن قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول الله، قيل له: على اليقين عشت وعليه مت، هذا مقعدك من الجنة**»[(٤)].

---

(١) انظر تخريج الحديث السابق.

(٢) أبو داود (٢/ ٦٥٢) رقم ٤٧٥١ .

(٣) أخرجه البخاري رقم ١٨٤ ومسلم رقم ٩٠٥ .

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٤) رقم ٢٧٠٣٧ .

وأخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا قبر الميت أو قال أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول، هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين[(١)] ذراعاً، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي وأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه**»[(٢)].

وخرج أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشغوف[(٣)] ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى من عند الله فصدقنا وآمنا، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله -أي في الدنيا- فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر لما وقاك الله ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً**

(١) في حاشية الأصل/ فهم حينئذ عدتهم ٤٩٠٠ .

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٨٣) رقم ١٠٧١ بزيادة لفظة (ذلك) في آخره وقال حديث أبي هريرة حسن غريب وابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٦) رقم ٣١١٧ .

(٣) كذا بالأصل، ولعل الصواب مشعوف موافقة للحديث والشعف بالعين غير معجمة أن يقع في القلب شيء فلا يذهب، والمشعوف: الذاهب القلب/ لسان العرب/ مادة: شعف.

مشغوفاً[١] **فيقال له: فيم كنت فيقول: لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجل فيقول: سمعت الناس يقولون قولًا فقلته، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة إلى النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى»**[٢].

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال نبي الله ﷺ: «**إنه الآن يسمع خفق نعالكم، أتاه منكر ونكير، أعينهما مثل قدور النحاس، وأنيابهما مثل صياصي البقر** - أي قرونها - **وأصواتهما مثل الرعد القاصف، فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن كان نبيه؟ فإن كان ممن يعبد الله قال: كنت أعبد الله ونبيي محمد ﷺ، جاء بالبينات والهدى فآمنا واتبعنا، فذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الآية** [إبراهيم: ٢٧] **فيقال له: على اليقين حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى، ثم يُفتح له باب إلى الجنة ويوسع له في حفرته، وإن كان من أهل الشك قال: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقال له: على الشك حييت وعليه مت وعليه تبعث، ثم يُفتح له باب إلى النار ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ أحدها في الدنيا ما أنبتت شيئاً تنهشه، وتؤمر الأرض فتضم عليه حتى تختلف أضلاعه»**[٣].

---

(١) كذا بالأصل والصواب (مشعوفا).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٣٩) رقم ٢٥١٣٣ وليس فيه سؤال (هل رأيت الله) وإجابته واختلاف يسير في بعض الألفاظ عن عائشة، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٦) رقم ٤٢٦٨ باختلاف يسير عن أبي هريرة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٩) رقم ٤٢٦٥ وقال: رواه أحمد، والهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٢٩) رقم ٤٢٤٩٦ وقال أخرجه أحمد وابن ماجه وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٤٤) رقم ٤٦٢٩ وفيه لفظة (ثعابين) بدل (تنانين). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٧) رقم ٤٢٧٦ وقال رواه الطبراني في الأوسط وقال تفرد به ابن لهيعة قلت وفيه كلام.

وأخرج الإمام أحمد عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا دخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه، جاءه ملك شديد الانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: أشهد أنه رسول الله، فيقول الملك انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك اللّه منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة، فيراهما كلاهما**(١)**، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي، فيقال له: اسكن، وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: لا أدري أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة قد أبدلك اللّه به مقعدك من النار**»(٢).

قال جابر: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه**»(٣).

وأخرج أيضاً عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول اللّه ﷺ جنازة فقال ﷺ: «**يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده، قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: صدقت، ثم يُفتح له باب إلى النار فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذا آمنت**(٤) **فهذا منزلك، فيفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول**

(١) كذا بالأصل، والصواب (كليهما).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٦) رقم ١٤٧٦٤ بزيادة يسيرة واختلاف في بعض الألفاظ.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٨) رقم ٤٢٦٤ وقال رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه كلام وبقية رجاله ثقات.

(٣) انظر تخريج الحديث السابق.

(٤) في حاشية الأصل/ قوله (إذا آمنت) وصوابه (إذ آمنت) كما يدل عليه السياق بعده. فتأمل

في هذا الرجل فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقال له: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت به فإن اللّه تعالى أبدلك هذا ويفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه مقمعة بمطراق يسمعها خلق اللّه كلهم غير الثقلين، فقال بعض القوم يا رسول اللّه ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هبل - أي فزع وخاف عند ذلك - فقال ﷺ: يثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت»[(١)].

وأخرج أبو بكر الخلال في كتاب (السنة) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كيف أنت يا عمر إذا كنت من الأرض في أربعة أذرع في ذراعين ورأيت منكراً ونكيراً؟ قلت يا رسول الله: وما منكر ونكير، قال: فتانا القبر، يبحثان[(٢)] الأرض بأنيابهما، ويطآن في أشعارهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، ومعهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها، هي أيسر عليهم من عصاي هذه، قلت: يا رسول اللّه وأنا على حالي هذه؟ قال: نعم، فقلت: إذاً لأكفيكهما»[(٣)].

زاد في رواية: «فامتحناك فإن التويت ضرباك بها ضربة صرت رماداً».

قال الحافظ ابن رجب في إسناده ضعف وخرجه الاسماعيلي من وجه آخر وفيه ضعف بنحوه وزاد فيه «يأتيان الرجل في صورة قبيحة يطآن على

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣) رقم ١١٠١٣.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٨) رقم ٤٢٦٣ وقال رواه أحمد والبزار وزاد (في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) ورجاله رجال الصحيح.

(٢) في حاشية الأصل/ يبحثان: ينبشان، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ينبش. انتهى

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٥٨٢) رقم ٦٧٣٨ وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥٠٣) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلاً ورجاله ثقات، قال البيهقي في الاعتقاد رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا، قلت ووصله ابن بطة في الإبانة من حديث عبد الله بن عمر.

شعورهما ويحفران بأنيابهما».

وخرج أحمد وابن حبان في صحيحه عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول اللّه ﷺ ذكر فتاني القبر فقال عمر: أترد علينا عقولنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: **«نعم كهيئاتكم اليوم»**. فقال عمر: بفيه الحجر[(١)].

وأخرج الإمام أحمد عن بعض حفدة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن أبا موسى أوصاهم قال: إذا حفرتم فأعمقوا قعره، أما إني واللّه لا أقول ذلك وإني لأعلم إن كنت من أهل طاعة اللّه ليفسحن لي في قبري ولينور لي فيه، ثم ليفتحن لي باب مساكنى في الجنة، فما أنا بمساكني من داري هذه بأعلم بمساكني منها، وليأتيني من روحها وريحها وريحانها، ولئن كنت من أهل المنزلة الأخرى ليضيق على قبري، ولتهدمن على الأرض، وليفتحن باب مساكني من النار، فما أنا بمساكني من داري هذه بأعلم منى بمساكني منها ثم ليأتيني من شررها ودخانها.

وقد روي عن مجاهد: أن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً، فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام، وسنذكر الكلام على هذا بعد إن شاء اللّه تعالى.

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن بجير حدثنا بعض أصحابنا قال: مات أخ لي فرأيته في النوم فقلت له: ما كان حالك حين وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار، فلولا أن داع دعا لي لرأيت أنه سيضربني به.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٢) رقم ٦٦٠٣ بلفظ كهيئتكم وابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٤) رقم ٣١١٥ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٧) رقم ٤٢٦٢ وقال رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

فصل

في كلام القبر للميت عند نزوله

أخرج الترمذي عن أبي سعيد ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناساً كأنهم يكشرون، أي يضحكون فقال: **«أما إنكم لوأكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى- الموت- فأكثروا ذكر هاذم اللذات، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا يتكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من مشى على ظهري، فإذا وُلِّيتُكَ اليوم وصرت إلي فسترى صنعي بك، فيتسع مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة، وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر قال القبر: لا مرحباً بك ولا أهلًا، أما إن كنت لأبغض من مشى على ظهري، فإذا وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنعي بك، قال فيلتئم عليه حتى يلتقي، وتختلف أضلاعه، وقال ﷺ في أصابعه فأدخل بعضها في بعض، ويقيض له تسعون تنيناً[(١)] لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا، فتنهشه وتخدشه حتى يفضي به إلى الحساب»** قال: وقال رسول الله ﷺ: **«القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»[(٢)]** . قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال الحافظ ابن رجب: لكن روي معناه من وجوه أخر فذكر منها عن

---

(١) في حاشيتا لأصل/ بتقديم التاء على الموحدة، وهو الحنش. انتهى.
وفيها كذلك/ التنين بوزن سكين، أعظم من الحيات يوجد بأرض الحبشة. انتهى

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٩) رقم ٢٤٦٠ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ابن الحجاج السماقي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ويحك يا ابن آدم، ما غرك بي؟ ألم تعلم أني بيت الفتنة، وبيت الظلمة، وبيت الوحدة، وبيت الدود، ما غرك بي إذ كنت تمر بي فداداً؟**[(١)] **قال: فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: فيقول القبر: إني إذاً أتحول عليه خضراً ويعود حره نوراً وتصعد روحه إلى اللَّه تعالى**»[(٢)]. خرجه ابن أبي الدنيا والحاكم، واسم الحجاج عبد اللَّه بن عمر ويقال عبد اللَّه بن أبي عبد قال الحاكم: أرى له صحبة.

وخرج ابن منده عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ نحوه وفيه: «**إذا وضع الميت في لحده تقول الأرض: إن كنت لحبيباً إلي وأنت على ظهري، فكيف إذا صرت اليوم إلى بطني، سأريك ما أصنع بك فيفسح له قبره مد بصره**»[(٣)]. وقال عبيد بن عمير: يجعل اللَّه للقبر لساناً ينطق به فيقول: ابن آدم كيف نسيتني؟ أما علمت أني بيت الأكلة؟ وبيت الدود؟ وبيت الوحدة؟ وبيت الوحشة؟ وقال محمد بن السماك الواعظ: بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى: أيها المخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه، أما كان لك فينا معتبر؟ أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت

---

(١) يقال: رجل فَدَّاد: شديد الصوت جافي الكلام، وفدَّ يفدُّ فَدًّا وفَديداً وفَدْفَدَا اشتد وطؤه فوق الأرض مرحاً ونشاطاً، وفدَّد الرجل: إذا مشى على الأرض كبرا وبطراً، لسان العرب/ مادة: فدد.

(٢) أخرجه الطبراني في: الكبير (٢٢/ ٣٧٧) رقم ٩٤٢ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٤) رقم ٤٢٥١ وقال رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير وفيه أبو بكر بن مريم وفيه ضعف لاختلاطه.

(٣) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (٤٢) وعزاه لابن منده.

في المهلة؟ فهلا استدركت ما فات إخوانك؟ قال: فتناديه بقاع القبر: أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب عنك من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك؟ ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولًا تهاديه أحبته إلى المنزل الذي لابد منه؟

*** * ***

فصل

قال الحافظ ابن رجب في (أهوال القبور) وقد أطلع اللّه تعالى من شاء من خلقه وعباده على كثير مما ورد في هذه الأحاديث حتى سمعوه وشاهدوه عياناً، ونحن نذكر طرفاً من ذلك.

خرج ابن أبي الدنيا من طريق يزيد بن طريف قال: مات أخي فلما ألحد وانصرف الناس وضعت رأسي على قبره، فسمعت صوتاً ضعيفاً أعرف أنه صوت أخي وهو يقول: الله، فقال الآخر: فما دينك؟ قال: الإسلام.

ومن طريق العلاء بن عبد الكريم قال: مات رجل وكان له أخ ضعيف البصر قال أخوه: فدفناه، فلما انصرف الناس وضعت رأسي على القبر فإذا أنا بصوت من داخل القبر يقول: من ربك؟ ومن نبيك؟ فسمعت صوت أخي وهو يقول: الله. قال الآخر: فما دينك؟ قال: الإسلام.

وخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب (القبور) بلفظ آخر: وهو قال: فإذا أنا بصوت من داخل القبر يقول من ربك؟ ومن نبيك؟ فسمعت أخي يقول وعرفته وعرفت صوته، قال: اللّه ربي، ومحمد نبيي، ثم ارتفع شبه سهم من داخل القبر إلى أذني فاقشعر جلدي وانصرفت.

وقال الضحاك: توفي أخ لي فدفن قبل أن ألحق جنازته، فأتيت قبره فاستمعت عليه فإذا هو يقول: ربي اللّه الإسلام ديني.

حكاية:

خرج ابن أبي الدنيا في كتاب (القبور) عن يزيد بن حوشب قال: كنت جالساً عند يوسف بن عمر وإلى جنبه رجل كأن شق وجهه صفحة من حديد

فقال له يوسف: حدث يزيد بما رأيت قال: كنت شاباً قد أتيت هذه الفواحش فلما وقع الطاعون قلت: أخرج إلى ثغر من هذه الثغور، ثم رأيت أن أحفر القبور، فإني لليلة بين المغرب والعشاء قد حفرت قبراً وأنا متكئ على تراب آخر، إذ أقبل بجنازة رجل حتى دفن في ذلك القبر فسوين عليه، فأقبل طائران أبيضان من المغرب مثل البعيرين، حتى سقط أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، ثم أثاراه ثم تدلى أحدهما في القبر والآخر على شفيره، قال: فجئت حتى جلست على شفير القبر وكنت رجلًا لا يملأ جوفي شيء قال: فضرب بيده إلى حقوه فسمعته يقول: ألست الزائر لأصهارك في ثوبين ومصرين تسحبهما كبراً تمشي الخيلاء؟ فقال: أنا أضعف من ذلك، قال: فضربه ضربة امتلأ القبر منها ماء أودهناً، قال: ثم عاد، فعاد عليه القول مثل الأول حتى ضربه حتى فاض ثلاث ضربات كل ذلك يقول له ويذكر أن القبر يفيض ماء أودهناً، قال: ثم رفع رأسه فنظر إليَّ فقال: انظر أين هو جالس بلسه[1] اللَّه قال: ثم ضرب جانب وجهي، فسقطت فمكثت ليلتي حتى أصبحت قال: ثم أخذت أنظر إلى القبر على حاله وأذكر جلوسي وذكر نحو هذا وشبهه.

وكذلك شوهد اتساع اللحد وانفراجه، روى ابن أبي الدنيا في كتاب (ذكر الموت) عن أبي بكر ابن أبي مريم عن الأشياخ قال: كان شيخ من بني الجرمي بالبصرة، وكان صالحاً، وكان له ابن أخ يصحب الفساق، فكان يعظه، فمات الفتى فلما أنزله عمه في قبره وسوى عليه اللبن شك في بعض أمره، فنزع بعض اللبن فنظر في قبره، فإذا قبة أوسع من جبانة البصرة، وإذا هو في وسط منها، فرد عليه اللبن وسأل امرأته عن عمله فقالت: كان إذا

---

(١) يقال: أَبْلَسَ الرجل قُطِعَ به، وأَبْلَسَ من رحمة اللَّه أي يئس وندم، والإبلاس الحيرة، وأَبْلَسَ الرجل إذا انقطع فلم تكن له حجة - لسان العرب/ مادة: بلس.

سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه يقول: وأنا أشهد بما شهدت وأكفيها من تولى عنها.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن حول مريض لنا إذ هدأ وسكن حتى ما يتحرك منه عرق، فسجيناه وأغمضناه وأرسلنا إلى ثيابه وسدره وسريره، فلما ذهبنا لنحمله لنغسله تحرك فقلنا: سبحان اللّه ما كنا نراك إلا قد مت قال: فإني قد مت وذهب بي إلى قبري، فإذا إنسان حسن الوجه طيب الريح قد وضعني في لحدي فطواه بالقراطيس، إذ جاءت إنسانة سوداء منتنة الريح فقالت: هذا صاحب كذا وهذا صاحب كذا، أشياء واللّه أستحي منها كأنما أقلعت عنها ساعته، قال: قلت أنشدك اللّه أن تدعني وهذه فقالت: انطلق نخاصمك فانطلقت إلى دار فيحاء واسعة، فيها مصطبة كأنها من فضة، وفي ناحية منها مسجد ورجل قائم يصلي، فقرأ سورة النحل فتردد في مكان منها ففتحت عليه فانفتل فقال: السورة معك؟ قلت: نعم فقال: أما إنها سورة النعم، ورفع وسادة قريبة منه فأخرج منها صحيفة، فنظر فيها فبدرته السوداء فقالت: فعل كذا وفعل كذا، قال: وجعل الحسن الوجه يقول وفعل كذا وفعل كذا وفعل كذا - يذكر محاسني - فقال الرجل: عبد ظالم لنفسه ولكن اللّه تجاوز عنه لم يجئ أجل هذا بعد، أجل هذا يوم الاثنين قال: فقال: انظروا فإن أنا مت يوم الاثنين فارجو لي ما رأيت، وإن لم أمت يوم الاثنين فإنما هو هذيان الوجع قال: فلما كان يوم الاثنين صح حتى بعد العصر ثم أتى أجله، وفي لفظ: فلما خرجنا من عند الرجل قلت للرجل الحسن الوجه الطيب الريح ما أنت ؟ قال: أنا عملك الصالح قلت: فما الإنسانة السوداء المنتنة الريح قال: عملك الخبيث، وكلام يشبه هذا ذكره الحافظ ابن رجب في (أهوال القبور).

وقال فيه عن عمر بن مسلم عن رجل حفار القبور قال: حفرت قبرين وكنت في الثالث فاشتد علي الحر، فألقيت كسائي على ما حفرت واستظللت فيه، فبينا أنا كذلك إذ رأيت شخصين على فرسين أشهبين فوقفا على القبر الأول، فقال أحدهما لصاحبه اكتب، قال: ما أكتب؟ قال فرسخ في فرسخ، ثم تحولا إلى الآخر قال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: مد البصر، ثم تحولا إلى الآخر الذي أنا فيه قال: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: فتر في فتر[١] فقعدت انظر الجنائز، فجيء برجل معه نفر يسير، فوقفوا على القبر الأول، قلت ما هذا الرجل؟ قالوا إنسان قراب، -يعني سقاء- ذو عيال ولم يكن له شيء فجمعنا له، فقلت: ردوا الدراهم على عياله، ودفنته معهم، ثم أتي بجنازة ليس معها أحد إلا من يحملها فسألوا عن القبر، فجاءوا إلى القبر الذي قالا مد البصر، قلت: من ذا الرجل؟ قالوا: إنسان غريب مات على مزبلة ولم يكن معه شيء، فلم آخذ منهم شيئاً وصليت عليه معهم، وقعدت أنظر الثالث، فلم أزل أنتظره إلى العشاء فأتي بجنازة امرأة لبعض القواد فسألتهم الثمن فضربوا برأسي ودفنوها فيه، فسبحان اللطيف الخبير.

حكاية:

قلت: وقد أخبرني بعض إخواني وهو عندي غير متهم أن رجلًا من بلدهم ماتت زوجته قال: وكانت تتعاطى الربا -بالباء الموحدة- فلما كان وقت العشاء سمع زوجها صريخهاً من داخل القبر، وكان جالساً في باب داره، فلما سمعها أخذته الحشومة[٢] من أجلها وكان ذا شدة وبأس، فأخذ

---

(١) الفتر ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة، وقيل ما بين الإبهام والسبابة، الجوهري: الفتر ما بين طرف السبابة والإبهام إذا فتحتهما، وفتر الشيء قدره، وكاله بفترة، كشبره. لسان العرب/ مادة: فتر.

(٢) الحشمة: الحياء والانقباض. لسان العرب/ مادة: حشم.

سلاحه وذهب إلى عند قبرها، فوقف عليه وقال لها: لا تخافي فإني عندك، زعماً منه أنه سينقذها مما هي فيه لشدة عتوه وجهله، وتناول حجراً عن القبر قال: فما رفع رأسه حتى ضرب ضربة أبطلت حركته وأرخت مفاصله وأدلع لسانه، فرجع على حالة قبيحة وهيئة فضيحة، قال: فواللّه لقد رأيته وهو مرخي حنكه وبصاقه ينزل على صدره، قال: وهذا خبر استفاض عند أهل البلد كلها. واللّه أعلم.

حكاية في التتن:

وأخبرني الشيخ التقي المتعبد، وهو غير متهم بل ثقة صدوق، أعني الشيخ صالح ابن الشيخ محمد جراح سنة سبع وثلاثين بعد المائة في شهر رجب في خلوتي بدمشق الشام في مدرسة الشيخ مراد في رحلتي في طلب العلم، كان الشيخ صالح يتردد عليَّ يقرأ في علم العروض قال: أخبرني والدي الشيخ الصالح محمد جراح العجلوني قال: ذكر لي جماعة من أهل بلدة وسماها قالوا: كان عندنا هنا رجل يظن به الخير غير أنه يشرب التتن، فتوفي في يوم شديد الشتاء والبرد فلم يستطيعوا أن يحفروا له قبراً من شدة الثلج، فقالوا: نضعه في خشخاشة[1] ففعلوا، فنزل عليه رجل فسواه ثم خرج، فلما كان بعد العشاء الآخرة وأراد أن ينام، تذكر أنه كان معه صرة دراهم، وظن أنها إنما وقعت في الخشخاشة، فقال لأولاده وكانوا ثلاثة أو قال اثنين: قوموا بنا إلى الخشخاشة، وذكر لهم الخبر فقالوا: غداً، نذهب إليها، فقال: بل الليلة لئلا تكون الدراهم فيها فننفضح غداً وأما الآن فإن لقينا الدراهم فبها ونعمت وإلا فلا أحد يعلم خبرنا. قال: فأخذوا ضوءاً

(١) الخَشَاء بالفتح: الأرض التي فيها رمل، وقيل طين، والخشاء أيضاً أرض فيها طين وجص، وقيل هي الأرض الخشنة الصلبة، وقيل الخَشيُّ: أرض غليظة فيها طين وحصباء. لسان العرب/ مادة: خشش.

وذهبوا إلى المحل، ففتح الرجل على الميت فلقي القبر ملآن ناراً عليه، وإذا بالميت جالس وإذا بذكره ممدود، وإذا هو واضع رأس ذكره في فمه، ويخرج من فمه دخان منتن والقبر يضرم عليه ناراً، قال: فذهل الرجل وأولاده وصرخ بأهل بلده فأتوا إليه ونظروا حالته ولم يقدر الرجل أن يهجم على القبر لينظر الدراهم لشدة النار قال: وهذه قصة معلومة قد أخبرني والدي أنه ذكر هذا له جماعة من أهل تلك البلدة، ومن جملتهم الرجل الذي ضاعت دراهمه أو كلاماً هذا معناه. واللّه أعلم بحقيقة ذلك(١).

حكاية:

وقد سمعت أذناي ووعى قلبي وعمري إذ ذاك نحو تسع سنين صراخ ميت من خشخاشة، وذلك أني كنت مع أجير لنا يدعى حمداً ناحية الجبانة، وكان قد دُفن رجل يقال له شحادة الهمشري في خشخاشة في طرف الجبانة، فلما دنوت من الجبانة سمعته يتضجر ويصيح، تضجر الذي

---

(١) في حاشية الأصل/ ورأيت بخط سيدي العارف باللّه الشيخ عبد الباقي الحنبلي ما نصه: قال الوفائي عن الدخان: ما للب أهل الفجور على تعاطيه، لا يقول بحله من يخشى اللّه ويتقيه، وقال الشيخ محمد البيرتي رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً:

إياك من بدع تلقيك في عطب ... لاسيما ما فشى في الناس من تتن
مفتر الجسم لا نفع به أبدا ... بل يورث الضر والأسقام في البدن
تبا لشاربه كيف المقام على ... ما ريحه يشبه السرجين في عطن
ولا يغرنك في الناس من يشربه ... الناس في غفلة عن واضح السنن
يقضى على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

انتهى

وذكر الشيخ عبد الباقي أيضاً ما نصه: ذكر شيخنا اللقاني أن رجلًا كان لا ينفك عن شربه فحضرته الوفاة وأخذ في النزع وعرضت عليه الشهادتان، فقال: هذا دخان جيد فزدني منه إلى أن فارق الحياة، نعوذ باللّه من سوء الخاتمة. انتهى كاتبه عبد السلام الشطي الحنبلي عفى اللّه عنه آمين.

يضرب بالسياط وأبلغ، وسمع ذلك أجيرنا، ففزعت لذلك فزعاً شديداً، وسمع ذلك من تلك الخشخاشة جماعة في مرات متعددة، ومضى عليَّ مدة طويلة لا أستطيع أن أهجم على الجبانة بسبب ذلك حتى منَّ اللَّه علي بقراءة القرآن، وذلك سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف وعمري إذ ذاك نحو سبعة عشر، وللَّه الحمد.

وذكر لي رجل من أهل القرآن أنه سأل حفاراً عن أعجب ما رأى من أهوال القبور، قال: كشفت يوماً عن قبر فرأيت فيه جثة إنسان وفي وسط تلك الجثة عقرب عظيم، وإذا زباناه مثل المرود، وإذا به يضرب تلك الجثة فتنضم وتنطوي، فإذا أقلع زبانه[١] منها امتدت كما كانت، وهكذا والرجل الذي أخبرني اسمه محمد، والحفار اسمه عطاء الله، وهذا سمعته من سنة اثنين وثلاثين على جبانة، ولما رجعت من رحلتي من طلب العلم سنة تسعة وثلاثين سألت ولد عطاء اللَّه عن ذلك فقال وأنا واللَّه سمعت ذلك من والدي، وهذا عندي غير متهم، وهذا شيء قد عاينه الناس وتواتر وكثرت الحكايات فيه، وهو مما يجب الإيمان به ولا ينكره إلا ضال، ونعوذ باللَّه، واللَّه سبحانه أعلم.

تتمة: أخرج ابن أبي الدنيا في (التهجد) وابن الضرير في (فضائل القرآن) وغيرهما عن عبادة ابن الصامت قال: إذا قام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته فإنه يطرد بجهره الشياطين وفساق الجن، وإن الملائكة الذين هم في الهواء وسكان الدار يستمعون لقراءته ويصلون بصلاته، فإذا مضت هذه الليلة أوصت تلك الليلة المستأنفة فتقول، نبهيه لساعته، وكوني عليه خفيفة، فإذا حضرته الوفاة جاء القرآن فوقف عند رأسه وهم يغسلونه، فإذا

(١) زباني العقرب: قرناها، وقيل طرف قرنها/ لسان العرب مادة: زبن.

فرغ منه دخل القرآن حتى صار بين صدره وكفنه، فإذا وضع في حفرته وجاءه منكر ونكير خرج القرآن فصار بينه وبينهما، فيقولان له: إليك عنا فإنا نريد أن نسأله فيقول: واللّه ما أنا بمفارقه حتى أدخله الجنة، فإن كنتما أمرتما فيه بشيء فشأنكما، ثم ينظر إليه فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا القرآن أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك وأمنعك شهوتك وسمعك وبصرك، فستجدني من بين الأخلاء خليل صدق، ومن الإخوان أخا صدق فأبشر، فما عليك بعد مسألة منكر ونكير من هم ولا حزن، ثم يخرجان عنه، فيصعد القرآن إلى ربه تعالى فيسأله له فرشاً ودثاراً، فيؤمر له بفراش ودثار وقنديل من نور الجنة، وياسمين من ياسمين الجنة، فيحمله ألف ملك من مقربي السماء الدنيا، فيسبقهم القرآن إليه فيقول هل استوحشت بعدي؟ مازلت منذ فارقتك على أن كلمت اللّه في فراش ودثار ومصباح، فهذا قد جئتك به فتدخل عليه الملائكة، فيحملونه ويفرشونه ذلك، ويضعون الدثار تحت رجليه، والياسمين عند صدره، ثم يحملونه حتى يضعونه على شقه الأيمن، ثم يصعدون عنه فيستلقي عليه، فلا يزال ينظر إلى الملائكة حتى يلجوا إلى السماء، ثم يدفع القرآن في قبلة القبر فيوسع عليه ما شاء اللّه من ذلك.

قال الجلال السيوطي في (شرح الصدور) والحافظ ابن رجب في (أهوال القبور) قال أبو عبد الرحمن المقري -وكان في كتاب أبي معاوية- فيوسع له أربعمائة عام، ثم يحمل الياسمين من عند صدره فيجعله عند أنفه فيشمه غضاً إلى يوم ينفخ في الصور، ثم يأتي أهله كل يوم مرة أو مرتين، فيأتيه بخبرهم ويدعو لهم بالخير والإقبال، فإن تعلم أحد من ولده القرآن بشره بذلك، وإن كان عقبه عقب سوء أتى الدار بكرة وعشياً فبكى عليه، إلى أن ينفخ في الصور.

قال الحافظ أبو عيسى المديني: هذا خبر حسن وقد رواه الإمام أحمد رضي الله عنه، وأبو خيثمة وطبقتهما من المتقدمين عن أبي عبد الرحمن المقري، هذا كلام الحافظ ابن رجب في (أهوال القبور) وقد رواه العقيلي في (الضعفاء).

قلت: ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من وجه آخر عن عبادة مرفوعاً قالا -أعني العقيلي وابن الجوزي- ولا يصح.

وأخرج جويبر في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت مع رسول اللّه ﷺ جنازة رجل من الأنصار، فانتهى إلى القبر ولم يلحد له، فجلس وجلس الناس وكأن على رؤوسهم الطير، فضرب رسول اللّه ﷺ بصره في الأرض ينكت بمخصرة معه، ثم رفع بصره إلى السماء فقال «أعوذ باللّه من عذاب القبر - ثلاث مرات - ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وإدبار من الدنيا أتاه ملك الموت فجلس عند رأسه، وتهبط إليه ملائكة معهم تحفة من تحف الجنة، وحنوط من حنوط الجنة ومن كسوتها، فيجلسون منه مد البصر، سماطين فيبدأ ملك الموت فيبشره، ثم تبشره الملائكة، فتسيل نفسه كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء، فرحاً بما بشره ملك الموت، حتى إذا أخذ نفسه لم تدعها الملائكة طرفة عين حتى يأخذوها ويحتضنوها إليهم بتلك التحف التي هبطوا بها، فإذا ريحها قد ملأ ما بين السماء والأرض، فتقول الملائكة: ما أطيب هذه الرائحة، فتقول الملائكة هذه رائحة نفس فلان، قبض اليوم، وتصلي عليه، فإذا انتهوا به إلى السماء فتحت أبواب السماء، فليس من باب إلا وهو مشتاق إليه أن يهبط منه، حتى إذا دخلوا بها من باب عمله بكى عليه الباب، فلا يمرون بها على أهل سماء إلا قالوا مرحباً بهذه النفس المطمئنة، التي قبلت وصية ربها، حتى انتهوا إلى سدرة المنتهى، فيقول ملك الموت

والملائكة الذين هبطوا إليها، يا رب قبضنا روح فلان بن فلان المؤمن، وهو أعلم منهم بذلك، فيقول الله ردوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فإنه يسمع خفق نعالكم ونفض أيديكم إذا وليتم عنه مدبرين، فتأتيه أملاك ثلاثة، ملكان من ملائكة الرحمة، وملك من ملائكة العذاب، وقد اكتنفه عمله الصالح، والصلاة عند رجليه، والصيام عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصدقة عن يساره، والبر وحسن الخلق على صدره، فكل ما أتاه ملك العذاب من ناحية ذب عنه عمله الصالح، فيقوم بمرزبة لو اجتمع أهل منى لم يقلوها فيقول: أيها العبد الصالح لولا ما اكتنفك من الصلاة والصوم والزكاة والصدقة لضربتك بهذه المرزبة ضربة يشتعل قبرك منها ناراً، فهو لكما وأنتما له، ثم يصعد ملك العذاب، فيقول أحدهما لصاحبه: ارفق بولي الله فإنه جاء من هول شديد، فيقول: من ربك؟ فيقول: الله، فيقول: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام، فيقول: من نبيك؟ قال: محمد، فيقولان وما يدريك؟ قال: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، وينتهرانه عندها، وهي أشد فتنة تعرض على المؤمن، فينادي من السماء قد صدق عبدي فافرشوه من الجنة واكسوه من كسوتها وطيبوه من طيبها، وافسحوا له في قبره مد البصر، وافتحوا له باباً من الجنة عند رأسه، وباباً عند رجليه - أي من الجنة -، ثم يقولان له: نم نومة العروس في حجلتها[١] لم يذق عذاب القبر، فهو يقول: رب أقم الساعة لكي أرجع إلى أهلي ومالي وما أعددت لي فيبعث من قبره مبيض الوجه»[٢].

قوله في الحديث ينكت بمثناة آخره أي يبحث، والمخصرة ما

---

(١) حجلة العروس: بيت يزين بالثياب والأسرة والستور. لسان العرب مادة حجل.
(٢) ذكره السيوطي في شرح الصدور (٥١) وجويبر هذا ضعيف كما ذكر السيوطي.

اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوه والحجلة بفتح المهملة والجيم البشخانه ذكره السيوطي.

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن مسعود قال: إن أحدكم إذا مات ليجلس في قبره إجلاساً فيقال: ما أنت؟ فإن كان مؤمناً قال: أنا عبد اللّه حياً وميتاً، أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيفسح له في قبره ما شاء الله، فيرى مكانه من الجنة، وينزل عليه كسوة يلبسها من الجنة وأما الكافر فيقال له: ما أنت؟ فيقول: لا أدري فيقال: لا دريت، ثلاثاً، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويرسل عليه حيات من جوانب قبره تنهشه وتأكله، فإذا جزع فصاح قمع بمقمع من نار أو حديد، ويفتح له باب إلى النار.

وأخرج الآجري في الشريعة عن ابن مسعود أيضاً ﵁ قال: إذا توفي العبد بعث اللّه إليه ملائكة فيقبضون روحه في أثوابه، فإذا وضع في قبره بعث اللّه إليه ملكين ينتهرانه، فيقولان له من ربك؟ قال: ربي اللّه قالا: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام قالا: من نبيك؟ قال: نبيي محمد. قالا: صدقت كذلك كنت، أفرشوه من الجنة وألبسوه منها وأروه مقعده منها، وأما الكافر فيضرب ضربة يلتهب قبره منها ناراً، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وتبعث عليه حيات من حيات القبر كأعناق الإبل.

وأخرج هناد في (الزهد) وابن أبي شيبة وجرير وابن المنذر وابن حبان في صحيحه والطبراني في الأوسط وابن مردويه والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإذا كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعل الخيرات**

والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ليس قبلي مدخل، فيؤتى من قبل يمينه فتقول الزكاة ليس قبلي مدخل، ويؤتى من شماله فيقول الصوم ليس قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس ليس قبلي مدخل، فيقال له: اجلس، فيجلس وقد مثلت له الشمس قد قربت للغروب فيقال له: أخبرنا عما نسألك، فيقول دعني حتى أصلي فيقال: إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: عما تسألوني؟ فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم؟ يعني النبي ﷺ فيقول: أشهد أنه رسول اللّه ﷺ جاءنا بالبينات من عند ربنا فصدقنا واتبعنا، فيقال له: صدقت على هذا حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، ويفسح له في قبره مد بصره، وذلك قول اللّه ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾، ويقال: افتحوا له باباً إلى النار، فيفتح له باب إلى النار فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، فيزداد غبطة وسروراً، ويقال افتحوا له باباً إلى الجنة، فيفتح له فيقال: هذا منزلك وما أعد اللّه لك، فيزداد غبطة وسروراً، فيعاد الجسد إلى ما بدا منه التراب، وتجعل روحه في النسم الطيب، وهي طير خضر تعلق في شجر الجنة.

وأما الكافر فيؤتى في قبره من قبل رأسه فلا يوجد شيء، فيؤتى من قبل رجليه فلا يوجد شيء، فيجلس خائفاً مرعوباً، فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به؟ فلا يهتدي لاسمه - بهمزه الوصل. انتهى - فيقال: محمد ﷺ فيقول: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت كما قالوا، فيقال له: كذبت، على هذا حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء اللّه تعالى، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]. فيقال: افتحوا

له باب إلى الجنة، فيفتح له باباً إلى الجنة فيقال: هذا كان منزلك وما أعد الله لك لو كنت أطعته، فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يقال افتحوا له باباً إلى النار، فيفتح له باب إليها، فيقال هذا منزلك وما أعد الله لك، فيزداد حسرة وثبوراً»(١).

قال أبو عمرو الضرير، قلت لحماد بن سلمة كان هذا من أهل القبلة؟ قال: نعم، قال أبو عمرو: وكأنه يشهد بهذه الشهادة على غير يقين يرجع إلى قلبه، كان يسمع الناس يقولون شيئاً فيقول.

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءت يهودية فاستطعمت(٢) على بابي فقالت: أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، فلم أزل أحبسها حتى أتى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما تقول في هذه اليهودية؟ قال: ما تقول؟ قلت: تقول أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت عائشة: فقال رسول الله ﷺ: «**فرفع يديه مداً، يستعيذ بالله من فتنة الدجال، ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا حذر أمته وسأحذركموه بحديث لم يحذره نبي أمته، إنه أعور والله ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أُجلس في قبره غير فزع ولا مشغوف(٣) ثم**

---

(١) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٢٠٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٥٦) رقم ١٢٠٦٢، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٠) رقم ٣١١٣ والطبراني في الأوسط (٣/ ١٠٥) رقم ٢٦٣٠، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٤) رقم ٤٢٦٩ وقال رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(٢) في حاشية الأصل/ أي طلبت طعاما. انتهى

(٣) كذا بالأصل وفي الحديث (مشعوف).

يقال له: فيم كنت؟ فيقول في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول اللّه جاءنا بالبينات من عند اللّه فصدقناه، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر إلى ما وقاك اللّه، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك، ويقال على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعاً مشغوفاً[(١)] فيقال له فيم كنت فيقول لا أدري، فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولًا فقلت كما قالوا، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف اللّه عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ويقال له: هذا مقعدك منها، على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء اللّه تعالى ثم يعذب»[(٢)].

وأخرج الحكيم في نوادره عن سفيان الثوري قال: إذا سئل الميت من ربك؟ تراءى له الشيطان في صورة فيشير إلى نفسه إني أنا ربك، قال الحكيم: ويؤيده قوله ﷺ عند دفن الميت: «**اللهم أجره من الشيطان**» كما تقدم، فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما دعا ﷺ بذلك.

وأخرج ابن شاهين في (السنة) عن راشد قال: كان النبي ﷺ يقول: **«تعلموا حجتكم فإنكم مسؤولون، حتى إن كان أهل البيت من الأنصار يحضر الرجل الموت فيوصونه والغلام إذا عقل فيقولون له: إذا سألوك من ربك فقل: اللّه ربي، وما دينك؟ فقل: الإسلام ديني، ومن**

---

(١) كذا بالأصل وفي الحديث (مشعوف).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٣٩) رقم ٢٥١٣٣ وذكره الهيثمي (٣/ ١٦٩) رقم ٤٢٦٥ وقال: رواه أحمد.

نبيك؟ فقل: محمد ﷺ»[١].

حكاية لطيفة:

وأخرج السلفي في (الطيوريات) عن سهل بن عمار قال: رأيت يزيد ابن هارون في المنام بعد موته فقلت: ما فعل اللّه بك؟ قال: أتاني في قبري ملكان فظان غليظان فقالا: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فأخذت بلحيتي البيضاء وقلت لمثلي يقال له هذا، وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة؟ وقالا: أكتبت عن حريز بن عثمان قلت: نعم قالا: إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله، وأخرجه اللالكائي بدون زيادة «أكتبت» إلخ. وبدل ثمانين سنة ستين سنة. وزاد: فقال أحدهما صدق نم نومة العروس، فلا روعة عليك بعد اليوم.

حكاية لطيفة

وأخرج اللالكائي في (السنة) عن محمد بن نصر الصايغ قال: كان أبي مولعاً في الصلاة على الجنائز، من عرف ومن لم يعرف، فقال: يا بني حضرت يوماً جنازة فلما دفنوها نزل إلى القبر نفسان، ثم خرج واحد وبقي الآخر وحثا الناس التراب، فقلت: يا قوم يُدفن حي مع ميت؟ فقالوا: ما ثم أحد، فقلت: لعله شبه لي، ثم رجعت فقلت ما رأيت إلا اثنين خرج واحد وبقي الآخر، لا أبرح حتى يكشف اللّه لي ما رأيت، فجئت إلى القبر فقرأت عشر مرات يس وتبارك وبكيت، فقلت: يا رب اكشف لي عما رأيت فإني خائف على عقلي وديني، فانشق القبر وخرج منه شخص فولى مبادراً، فقلت: يا هذا بمعبودك إلا وقفت حتى أسألك، فلم يلتفت إليَّ،

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٨) وعزاه لابن شاهين في السنة.

فقلت له الثانية والثالثة فالتفت وقال: أنت نصر الصائغ؟ قلت: نعم قال: هل تعرفني؟ قلت: لا، قال: نحن ملكان من ملائكة الرحمة وكلنا بأهل السنة إذا وضعوا في قبورهم نزلنا حتى نلقنهم الحجة وغاب عني.

***

فصل

واعلم أن القبر أو منازل الآخرة كما أخرجه ابن ماجه عن سيدنا عثمان ﷺ أنه كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا ذكر القبر؟ قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منها فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»**(١).

وقال ﷺ: **«ما رأيت قط منظراً إلا والقبر أفظع منه»**(٢). وأخرجه الترمذي وزاد رزين وسمعت عثمان ينشد على قبر:

فإن ينج منها ينج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجيا

قلت: وأنكر الحافظ هذه الزيادة، وقال بعضهم ليست هذه الزيادة في الترمذي، واللَّه أعلم.

قال القرطبي: القبر واحد القبور في الكثرة، وأقبر في القلة، ويقال للمدفن مقبر. قال الشاعر:

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٢/ ١٤٢٦) رقم ٤٢٦٧ والترمذي (٤/ ٥٥٣) رقم ٢٣٠٨ وقال هذا حديث حسن غريب.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

مطلب

أول من سن القبر

قال: واختلف في أول من سن القبر فقيل: الغراب لما قتل قابيل هابيل، وقيل: بنو إسرائيل، وليس بشيء، وقد قيل إن قابيل كان يعلم الدفن ولكن ترك أخاه استخفافاً به فبعث الله غراباً يبحث في الأرض، يعني يبحث التراب على هابيل ليدفنه، كذا في (التذكرة) فقال عند ذلك ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] حيث رأى كرامة الله لهابيل بأن قيض الغراب حتى واراه، ولم يكن ذلك ندم توبة، وقيل ندمه إنما كان على فقده لا على قتله، وقيل على عدم معرفته الدفن، فقد قال ابن عباس: رضي الله عنهما لو كان ندمه على قتله لكان ندمه توبة، ويقال إنه لما قتله قعد يبكي عند رأسه إذ أقبل غرابان فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه، ففعل قابيل بأخيه كذلك، فكان ندمه لعدم هدايته أن يفعل كما فعل الغراب، فكان الدفن سنة في بني آدم، وفي التنزيل ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١] أي جعل له قبراً يوارى فيه إكراماً له، ولم يجعل مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطير والعوافي، قاله الفراء.

فائدة: الأفضل في القبر أن يكون مسنماً، وأن يرفع قدر شبر إلا بدار حرب فالأولى تسويته بالأرض وإخفاؤه، ولا يجصص القبر ولا يزوق ولا يُخلَّق - أي يبخر - ولا يُقبَّل، فقد روى مسلم عن جابر قال: «**نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٩٧٠ .

وأخرج الترمذي عنه «**نهى رسول اللّه ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ**»[١] وقال: حديث حسن صحيح.

قلت: وجزم الإقناع بكراهة تجصيص القبور وأما شيخ الإسلام وتلميذه المحقق فشنا الغارة على فاعل ذلك، قال في (التذكرة): لأن ذلك من المباهاة فيه، وزينة الحياة الدنيا وهو من منازل الآخرة وليس بموضع المباهاة، وإنما يزين الميت في قبره عمله (وقد قلت في ذلك نظماً):

ولرب قبر في القبور منقشاً ... سطحاً وجوف القبر شعلة نار
ما النقش يغني ظالماً عن ظلمه ... كلا ولا التزويق يرضي الباري
ما زينة الأموات في جدث سوى ... فعل الجميل وصحبة الأخيار

وفي صحيح مسلم عن علي كرم اللّه وجهه «**لا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**»[٢].

وإنما قالت العلماء يسنم القبر ليعرف فيحترم، لا أنه يتخذ معبداً، فيمنع من الارتفاع الكثير الذي كانت الجاهلية تفعله، فإنها كانت تعلي عليها وتبني فوقها تفخيماً وتعظيماً، ومن ثم شدد النكير على فعل ذلك الإمام المحقق غاية التشديد، وقال: إن فاعل ذلك من إخوان الكفار عبدة الأحجار، ذكره في المجلد الثاني من (الهَدْي) وما أحسن قول القائل:

أرى أهل القصور إذا أميتوا ... يبنوا في المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخراً ... على الفقراء حتى في القبور
لعمرك لو كشفت الترب عنهم ... لما تدري الغني من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف ... من الجلد المباشر للحرير

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٦٨) رقم ١٠٥٢ عن جابر وقال هذا حديث حسن صحيح.
(٢) أخرجه مسلم رقم ٩٦٩ .

إذا أكل الثرى هذا وهذا فما فضل الغني على الفقير

يا هذا أين الذي جمعته من المال؟ وأعددته للشدائد والأهوال؟ لقد أصبحت كفك منه صفراً، وبدلت من بعد غناك فقرا، فكيف أصبحت يا رهين أوزاره؟ ويا من سلب من ماله وداره، ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد، وأقل اهتمامك بحمل الزاد، فيا من غره طول الأمل، أما تفكرت فيمن قبلك عن أهله قد ارتحل؟ ويا من غره طول العمر، أفلا يتفكر في حاله وهو في القبر، ويا من أعجبته شرفات قصره، أما يتأمل في ظلمات قبره، ويا من اغتر بإخوانه ونجدته، ألا يتذكر حاله في وحدته، أنسي ما صار إليه إخوانه، أم لم يعتبر فيما سار إليه أقرانه.

أما سمع قول الرسول لمن في فعل الخير جدوا، وقد جلس على قبر: يا إخواني لمثل هذا فأعدوا، أوما سمع قول ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وما أحسن قول القائل:

تزود من معاشك للمعاد وقم لله واعمل خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

وقول الآخر:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وإنك لم ترصد كما كان أرصدا

وقول الآخر:

الموت بحر طافح موجه تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إني قائل فاسمعي مقالة من مشفق ناصح

لا ينفع الإنسان في قبره غير التقى والعمل الصالح[1]

وقلت:

تزود في حياتك للمآل وقم بالذل في غسق الليالي
ولا تركن لدنيانا وسافر لدار الخلد واقصد ذا الجلال
ولا تدع الدعاء سراً وجهراً وتقوى اللّه تظفر بالنوال
وإن لم تجتن الخيرات فيها فترحل من وبال إلى وبال

فوائد: الأولى قال القرطبي: جاء في رواية سؤال ملكين وفي أخرى سؤال ملك واحد، ولا تعارض، بل ذلك بالنسبة إلى الأشخاص، فرب شخص يأتيه اثنان معاً فيسألانه معاً عند انصراف الناس، ليكون أهول في حقه وأشد بحسب ما اقترف من الآثام، وآخر يأتيه قبل انصراف الناس عنه تخفيفاً عليه لحصول أنسه بهم، وآخر يأتيه ملك واحد، فيكون أخف عليه

(١) في حاشية الأصل/ أقول: ذكر سيدي الشيخ محي الدين بن العربي في كتابه (الفتوحات المكية) في آخر المجلد الرابع ما نصه: ورأيت مكتوبا على قبر أم ابن السبكي وكان ابنها من أصدقائي وقد علاه وشيده، وأنفق على بنائه مالًا كثيراً، فكتب شخص من أصحابنا أبياتاً عليه لبعضهم يخبر عن صورة الحال وهي:

أرى أهل القبور إذا توفوا بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخرا على الفقراء حتى في القبور
فإن يكن التفاضل في ذراها فإن العدل فيها في الثبور
لعمر أبيهم لو أبرزوهم لما علموا الغني من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالي ولا عرفوا الإناث من الذكور
ولا البدن الملبس ثوب صوف ولا البدن المنعم في الحرير
إذا مات هذا ثم هذا فما فضل الغنى على الفقير

كتبه الحقير عبد السلام الشطي الحنبلي عفى اللّه عنه.

قلت: كتاب الفتوحات المكية لابن عربي فيه الكثير من الأخطاء العقدية، وينبغي التفريق بين ابن عربي صاحب الفتوحات، وابن العربي الفقيه المالكي المعروف وصاحب كتاب أحكام القرآن وغيره من الكتب.

وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح، قال: ويحتمل أن يأتي اثنان ويكون السائل أحدهما وإن اشتركا في الإتيان، فتحمل رواية الواحد على هذا، قال السيوطي في (أهوال القبور)، قلت: وهذا الثاني هو الصواب، فإن ذكر الملكين هو الموجود في غالب الأحاديث.

الثانية: قال القرطبي اختلفت الأحاديث في كيفية السؤال والجواب، وذلك بحسب الأشخاص أيضاً، فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته، ومنهم من يسأل عن كلها، ويحتمل أن يكون الاقتصار على البعض من بعض الرواة وأتى به غيره تاماً، قال السيوطي قلت: والثاني هو الصواب لاتفاق أكثر الأحاديث عليه، نعم يؤخذ منها خصوصاً من رواية أبي داود عن أنس «فما يسأل عن شيء بعدها» ولفظ ابن مردويه «فما يسأل عن شيء غيرها» أنه لا يسأل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة، وصرح به في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم، قيل لعكرمة ما هو؟ قال: يسألون عن الإيمان بمحمد وأمر التوحيد.

الثالثة: قال السيوطي: ورد في رواية أنس أنه يسأل في المجلس الواحد ثلاث مرات، وباقي الروايات ساكتة عن ذلك، فتحمل على ذلك، أو يختلف الحال بالنسبة إلى الأشخاص، وعن طاوس أن الموتى يسألون سبعة أيام، قلت وقد قدمنا عن مجاهد أن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً، وأنهم كانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

قلت: قد أشار إلى هذا الحافظ جلال الدين السيوطي في منظومته الموسومة «بالتثبيت عند التبييت» حيث قال:

يكرر السؤال للأنام ... فيما رووا في سبعة أيام
كذا رواه أحمد بن حنبل ... في الزهد عن طاوس الحبر العلي

وبعده أبو نعيم خرجه في حليته فيا لها من درجه
إسناده قد صح وهو مرسل وقد يرى من جهة يتصل
وحكمه الرفع كما قد قالوا أوليس للرأى به مجال
فليس للقياس في ذى الباب من مدخل عند أولى الألباب
وإنما التسليم فيه اللائق والانقياد حيث أنبأ الصادق
وفيه أن قد كانت الصحابا يرون إطعاماً له استحباباً
في طول تلك السبعة الأيام معونة في ذلك المقام
ومل هذا جاء عن مجاهد فيا له من عاضد وشاهد
وعنه أيضاً تمكث الأرواح في قبورها سبعاً بلا متصرف
روى الجميع في القبور ابن رجب وهو إمام حافظ ومنتخب
وعن عبيد ابن عمير وردا وذاك فيما ابن جريج أسندا
بأنه يفتن سبعاً مؤمن وأربعين ذا النفاق يفتن

فأفادنا أن المؤمن يفتن سبعة أيام، وأن المنافق يفتن أربعين يوماً، فنسأل اللَّه أن يثبتنا عند السؤال بسر لا إله إلا اللَّه الواحد المتعال.

الرابعة: قال القاضي الباقلاني: إن من لم يدفن ممن بقي على وجه الأرض يقع لهم السؤال والعذاب، ويحجب اللَّه أبصار المكلفين عن رؤية ذلك كما حجبها عن رؤية الملائكة والشياطين، قال بعضهم: وترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به، كما أنا نحسب المغمي عليه ميتاً، وكذلك يضيق عليه الجو كضمة القبر، ولا يستكثر شيئاً من ذلك من خالط الإيمان قلبه، وكذلك من تفرقت أجزاؤه، يخلق اللَّه في بعضها أو كلها ويوجه السؤال عليه، قاله بعضهم.

قلت: وفي (الروح) للإمام المحقق، ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيب منه

قبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً، ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل من القبر، انتهى.

قال بعضهم: وليس هذا بأبعد من الذر الذي أخرجه اللّه تعالى من صلب آدم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قلت: لا شيء من هذا ببعيد إذ هو الفعال لما يريد، والخلق خلقه والملك ملكه، وأين الفرار من يدي الاقتدار واللّه الفاعل المختار.

الخامسة: قال ابن عبد البر: لا يكون السؤال إلا لمؤمن أو منافق كان منسوباً إلى دين الإسلام بظاهر الشهادة، بخلاف الكافر فلا يسأل، وخالفه الإمام المحقق في (الروح) فقال: القرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول، وإن السؤال للكافر والمسلم، قال اللّه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧]. وقد ثبت في الصحيح أنها نزلت في عذاب القبر[١] حين يسأل من ربك وما دينك ومن نبيك؟.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره**» وذكر الحديث الذي ذكرناه سابقاً وفيه: «**وأما المنافق والكافر[٢] فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**»[٣].

(١) سبق ص ١٤٥ .

(٢) في حاشية الأصل/ كذا في الصحيحين بالواو: وأما المنافق والكافر، فجمع بين المنافق والكافر، وأما قوله: واسم الفاجر هذا في حديث آخر، أما المنافق والفاجر، فاحفظ ولا تخلط واللّه الموفق.

(٣) سبق ص ١٤٦ .

هكذا في البخاري واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعاً لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] هذا كلامه، ونحوه في (العاقبه) للحافظ عبد الحق الإشبيلي، وصوب هذا القول القرطبي في (التذكرة)، وأنكر ذلك الجلال السيوطي وقال: ما قالاه يعني المحقق والقرطبي ممنوع، فإنه لم يجمع بينهما يعني الكفر والمنافق في شيء من الأحاديث، وإنما ورد في بعضها ذكر المنافق وفي بعضها بدله الكافر، وهو محمول على أن المراد به المنافق، بدليل قوله في حديث أسماء «وأما المنافق أو المرتاب» ولم يذكر الكافر كذا قال، ولا يخفى أن حديث أنس مصرح بالجمع بين الكافر والمنافق كما قدمناه، وقد أشار الجلال السيوطي إلى هذا الخلاف في أرجوزته بقوله:

قال ابن عبد البر فيما نقلوا ... الكافر الصريح ليس يسأل
وإنما السؤال للمنافق ... منهم كما دل حديث الصادق
والقرطبي خالف وابن القيم ... والأول الأرجح عندي فافهم

قلت: وأنا أقول الثاني أرجح تبعاً للأعلام والله ولي الإنعام.

السادسة: اختلف العلماء هل السؤال خاص بهذه الأمة المعظمة أم هو عام؟ على ثلاثة أقوال، خاص وعليه الحكيم الترمذي، وعام وعليه المحقق والإشبيلي في (العاقبة) والقرطبي في (التذكرة)، الوقف وعليه ابن عبد البر، وأشار السيوطي لهذا الخلاف في الأرجوزة مرجحاً للخصوص في قوله:

خص نبي الله فيما قد ذكر ... بأنه يسأل عنه من قبر
ولم يكن ذا لنبي قبله ... أبان رب العرش فيه فضله
ولم يكن لأمة من الأمم ... من قبلنا قط سؤال لملتزم
نص على ذاك كبيراً القدر ... الترمذي وابن عبد البر
وآخرون عمموه في الأمم ... وبعض أهل العلم نحو الوقف أم

قال إمام المحققين في كتاب (الروح) بعد أن ذكر الأقوال: والظاهر والله أعلم أن كل نبي مع أمته كذلك، أي كنبينا مع أمته وأنهم معذبون في قبورهم بعد السؤال وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة، واستدل الحكيم الترمذي على عدم السؤال أن الأمم قبل هذه الأمة كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمداً بالرحمة أمسك عنهم العذاب، وأعطي السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ الإيمان في قلبه، فمن هنا ظهر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان، وكانوا بين المؤمنين في ستر، فلما ماتوا قيض الله لهم فتانى القبر ليستخرج أمرهم بالسؤال، وليميز الخبيث من الطيب.

قلت: وما ذكره مردود من وجهين:

الأول: أن دعوى أن الرسل لم يكونوا يقاتلون، وأنهم كانوا يأتون قومهم بالرسالة فإن أبوا كفوا عنهم غير مسلم، إذ من المعلوم أن الرسل كانت تقاتل على إعلاء كلمة الله، وقد أخبر الله بذلك في كتاب في قصة طالوت، أخبر النبي أنه أحلت له الغنائم ولم تحل للأنبياء قبله[1] وإنما كانت تأكلها النار، فهل الغنائم إلا من قتال الكفار؟ وأخبر الله في سورة المائدة أن سيدنا موسى غزا العمالقة، وفي الخبر أنه غزاهم وكان فيهم بلعام ابن باعوراء الذي أنزل فيه سبحانه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] وقصته مشهورة، وهذه أخبار الإسكندر طافحة وقتاله الملوك والقبائل، فعلى القول بنبوته ففيه دليل لما ادعيناه، وفي التواريخ أن أول من قاتل لإعلاء

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٣٥ ومسلم رقم ٥٢١ .

كلمة اللّه سيدنا شيث عليه السلام قاتل أخاه قابيل وذريته لكفرهم والحاصل أن القول بأن الرسل لم تكن تقاتل لإعلاء كلمة اللّه مردود، وهذا من فضل رب العالمين على هذا العبد المسكين في الاستدلال لهذه المسألة، ولم أر من استدل بذلك لها، فالحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الوجه الثاني: قد مر في حديث عائشة الصحيح في قصة اليهودية(١) ما يرد دعوى الترمذي وأيضاً في حديث أنس الصحيح قال «**مر النبي ﷺ بحائط لبني النجار فسمع صوتاً من قبر فقال: متى مات صاحب هذا القبر؟ قالوا: مات في الجاهلية قال: لولا أن لا تدافنوا لدعوت اللّه أن يسمعكم عذاب القبر**»(٢) والذي يظهر أن عذاب القبر إنما يكون بعد السؤال، واللّه الموفق.

السابعة: قال الحكيم إنما سميا فتاني القبر لأن في سؤالهما انتهاراً، وفي خلقهما صعوبة، وسميا منكراً ونكيرا لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع، وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما، جعلهما اللّه تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصرة، وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث، قال السيوطي: وهذا يدل على أن الاسم منكر بفتح الكاف وهو المجزوم به في القاموس.

قال: وذكر ابن يونس من أصحابنا الشافعية أن اسم ملكي المؤمن

(١) سبق ص ١٦٨ .

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٣) رقم ١٢٠٢٦ واللفظ له والنسائي في سننه (٤/ ١٠٢) رقم ٢٠٥٨ وأخرجه مسلم في حديث طويل رقم ٢٨٦٧ .

مبشر وبشير. قلت: وهذا يحتاج إلى دليل مأثور، وإلا فالأحاديث ليس فيها سوى منكر ونكير، وقد أشار السيوطي لهذا في قوله:

وضبط منكر بفتح الكاف ... فلست أدري فيه من خلاف
وذكر ابن يونس من صحبنا ... أن الذين يأتيان المؤمنا
اسمهما البشير والمبشر ... ولم أقف في ذا على ما يؤثر

قلت: وحيث لم يوجد له دليل فلا له إلا الرد يا نبيل[(١)]:

الثامنة: قال القرطبي: إن قيل: كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد؟

فالجواب: أن عظم خلقهما يقتضي ذلك، فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة، بحيث يخيل لكل واحد من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه، ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتى.

وقال السيوطي: ويحتمل تعدد الملائكة لذلك كما في الحفظة ونحوهم، وذهب إليه الحليمي من الشافعية وألم به الجلال السيوطي في الأرجوزة حيث قال:

ويسألان كل أهل الأرض ... كحال عزرائيل عند القبض
هذا الذي نص عليه القرطبي ... وهو الذي اختاره واجتبي

---

(١) في حاشية الأصل/ يقول الفقير عبد السلام بن عبد الرحمن الشطي الحنبلي: قد قرأت هذا الكتاب العذب المستطاب من أوله إلى هنا قراءة إتقان، بتأمل وإمعان، على شيخنا العالم العامل، والمرشد الكامل، سيدي الشيخ عبد الرحمن الشهير بالحفار، عليه رحمة الرحيم الغفار، وذلك في مجالس عديدة في جامع بني أمية، في سنة ست وسبعين ومائتين وألف من هجرة خير البرية، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه في كل بكرة وعشية، آمين آمين آمين.

واختار في منهاجه الحليمي   تعداد هذا الملك الكريم
وقال بل ملائك السؤال   جماعة ككاتبي الأعمال
فبعضهم بمنكر يسمى   وبعضهم له النكير وسما
فيرسل الله لكل ميت   اثنين منهم بعثا للفتنة

التاسعة: اختلفت الأحاديث في قدر سعة القبر للمؤمن، ولا تعارض، فإن ذلك يتفاوت بحسب الأشخاص لتفاضل الأعمال.

العاشرة: في أسئلة تتعلق بهذا الباب، سئلها الحافظ العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سئل عن الميت إذا سئل هل يسأل قاعداً أو يسأل وهو راقد؟ فأجاب: يقعد ويسأل، وسئل عن الروح هل تلبس حينئذ الجثة كما كانت؟ فأجاب: نعم، لكن ظاهر الخبر أنها تحل في نصفه الأعلى، وسئل هل يكشف له حتى يرى النبي ﷺ؟ فأجاب: إنه لم يرد في حديث وإنما ادعاه من لا يحتج به لغير مستند سوى قوله في هذا الرجل، ولا حجة فيه، لأن الإشارة إلى الحاضر في الذهن، وقد ألم بهذا السيوطي في الأرجوزة فقال:

ومن يقل بتمثل النبي   قال عياض ما هو المرضي
وهكذا أجاب فيه ابن حجر   وقال لا أصل لهذا في الأثر

وسئل أعني الحافظ ابن حجر عن الأطفال هل يسألون؟ فأجاب بأن الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفاً.

قلت: وذكر المحقق في (الروح) قولين وذكر أدلتهما ولم يرجح منهما شيئاً، غير أنه قدم قول من قال إنهم يسألون، وهو مقتضى ما ذهب إليه أصحابنا أعزهم الله.

قال في (الإقناع) وهل يلقن غير المكلف؟ مبني على نزول الملكين إليه، والمرجح النزول، وصححه الشيخ يعني شيخ الإسلام ابن تيمية قدس

اللَّه روحه، قال ابن عبدوس من أصحابنا يسأل الأطفال عن الإقرار الأول حين الذرية، والكبار يسألون عن معتقدهم في الدنيا وإقرارهم الأول، وقد حكى السيوطي الخلاف في ذلك بقوله في الأرجوزة:

الخامس الأطفال دون الحنث في ... أرجح قوليهم وجزم النسفي
وذاك مقتضى كلام النووي ... وابن الصلاح لا يلقن الصبي
فالزركشي أضحى له معللا ... بأنه في قبره لا يسألا
وقيل إن كل طفل يسأل ... ويحصل العقل لهم ويكمل
واللَّه يلهم الجواب عما ... قد عوهدوا الذر عليه قدما
قد قاله الضحاك ذو الأحراز ... وهو الذي أفتى به البزازي
والقرطبي والفاكهاني جزما ... به وجمع من كبار العلما
وصرح ابن يونس من صحبنا ... بأنه يندب أن يلقنا
قال وفي تتمة قديما ... قد لقن النبي إبراهيما
كذاك في تعليقه القاضي حكى ... وفي النظامي وهو لابن فورك
واستغرب السبكي هذا الأثرا ... فما له في كتبه أصل يرى

وصوب السيوطي في (شرح الصدور) عدم السؤال، واللَّه أعلم.

الحادية عشر: في روض الرياحين لليافعي عن شقيق البلخي أنه قال: طلبنا خمساً فوجدناها في خمس: طلبنا ترك الذنوب فوجدناها في صلاة الضحى، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل، وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة.

الثانية عشر: أخرج الأصبهاني في (الترغيب) من طريق ابن هدبة عن

أنس مرفوعاً: «**من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران**»(١) وأخرجه أبو الفضل الطوسي في عيون الأخبار من طريق ابن هدبة عن أنس وفيه فإنه يعاين ملك الموت سكران ويعاني منكراً ونكيراً سكران.

الثالثة عشر: ذكر السيوطي أنه وقع في فتاوى شيخه علم الدين البلقيني أن الميت يجيب السؤال بالسريانية قال: ولم أقف لذلك على مستند، هذا كلامه في شرح الصدور وقال في أرجوزته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن غريب ما ترى العينان   أن سؤال القبر بالسرياني
أفتى بهذا شيخنا البلقيني   ولم أره لغيره بعيني

قال بعضهم: وعلى تقدير صحة ذلك فكيفية السؤال، هذا أثره أي قم يا عبد الله أَتِرح أي فيم كنت كاره؟ أي من ربك وما دينك وما الذي مت عليه؟ سالحين(٢)، أي ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم وفي الخلائق أجمعين؟ والله أعلم.

الرابعة عشر: زعم بعض العلماء أن الملائكة الذين ينزلون على الميت في قبره أربعة، وأن اسم أحدهم ناكور والآخر رومان وقد أشار السيوطي إلى ذلك في أرجوزته بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أتى في مرسل مضعف   أن السؤال من ثلاثة لفى
أو أربع أولئك الاثنان   وألحقوا ناكور مع روماني

فقد أخبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن الخبر فيه علتان: إحداهما: الإرسال، والثانية: أنه ضعيف والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) لم أقف عليه إلا عند ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٢٠٨) ترجمة رقم ٥٥ وهو يتكلم عن ابراهيم ابن هدبة حيث قال عن إبراهيم هذا: حدث عن أنس وغيره بالبواطيل.
(٢) المسالح: مواضع المخافة/ لسان العرب/ مادة: سلح.

تنبيه: قال أبو القاسم السعدي في كتاب (الروح): ورد في الأخبار الصحاح أن بعض الموتى لا تنالهم فتنة القبر، ولا يأتيهم الفتانان، وذلك على ثلاثة أوجه، مضاف إلى عمل، ومضاف إلى حال بلاء نزل بالموت، ومضاف إلى زمان.

أخرج النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلًا قال: **«يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهداء؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»**[(١)].

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يفتن في قبره»**[(٢)].

وأخرج مسلم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان»**[(٣)].

وأخرج الترمذي وصححه عن فضالة بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: **«كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو عليه إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر»**[(٤)]. وأبو داود بلفظ: «ويؤمن من

---

(١) أخرجه النسائي في سننه (٤/ ٩٩) رقم ٢٠٥٣ وفي السنن الكبرى (١/ ٦٦٠) رقم ٢١٨٠ وذكره الهندي في كنز العمال (٤/ ٥٩٥) رقم ١١٧٤١ وقال وسنده صحيح.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ٢٥٢) رقم ٤١١٨، وفي الكبير (٤/ ١٨٧) رقم ٤٠٩٤، وذكره الهيثمي (٥/ ٥٩١) رقم ٩٦٧٦ وقال: رواه الطبراني وفيه مصفى بن بهلول والد محمد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٣) أخرجه مسلم رقم ١٩١٣ .

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ١٦٥) رقم ١٦٢١ وفيه (ويأمن من) وقال حديث فضالة حديث حسن صحيح.

فتاني القبر»(١).

وأخرج ابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله آمناً من الفزع»**(٢) وأخرج نحوه الإمام أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر، وزاد ويبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر.

قال القرطبي: في هذا الحديث والذي قبله وهو الموت حالة الرباط، والرباط ملازمة ثغور المسلمين مدة على نية الجهاد، فارساً كان أو راجلًا.

قلت: وأقل الرباط ساعة، وتمامه أربعون يوماً، قال القرطبي: وأما سكان الثغور دائماً بأهليهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك فليسوا بمرابطين، كذا قال، ولعله حيث لم ينووا المرابطة وإلا فلا يظهر كلامه، فليتأمل.

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **«من مات مريضاً مات شهيداً ووقي فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة»**(٣).

قال القرطبي: هذا عام بجميع الأمراض، لكن يقيد بالحديث الآخر

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٢) رقم ٢٥٠٠ بإفراد (فتان)، وأحمد (٤/ ١٥٠) رقم ١٧٣٩٦، ١٧٣٩٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٥٢٦) رقم ٩٤٩٥، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٢٤) رقم ٢٧٦٧ وأحمد (٥/ ٤٤٠) رقم ٢٣٧٧٨ باختلاف يسير وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٥٢٦) رقم ٩٤٩٨ وقال رواه البزار وفيه عبد الله بن صالح وثقة عبد الملك بن شعيب فقال: ثقة مأمون وضعفه آخرون وبقية رجاله ثقات.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥١٥) رقم ١٦١٥، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٥) رقم ٦١٤٥. وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين بلفظ (من مات غريبا) (٤/ ٤٩٦) وقال عنه العراقي أخرجه ابن ماجة بسند ضعيف.

«من قتله بطنه لم يعذب في قبره»[1] أخرجه النسائي وغيره، والمراد به الاستسقاء، وقيل الإسهال، والحكمة في ذلك أنه يموت حاضر العقل عارفاً بالله، فلم يحتج إلى إعادة السؤال عليه بخلاف من يموت بسائر الأمراض، فإنهم تغيب عقولهم.

قال السيوطي: ولا حاجة لشيء من هذا التقييد، فإن الحديث غلط فيه الراوي باتفاق الحفاظ، وإنما هو من مات مرابطاً لا من مات مريضاً. وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات لأجل ذلك، والله أعلم.

* * *

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٩٨) رقم ٢٠٥٢ . وأحمد (٤/ ٢٦٢) رقم ١٨٣٣٦ ومواضع أخرى عن عبد الله بن يسار والترمذي (٣/ ٣٧٧) رقم ١٠٦٤ وقال هذا حديث حسن غريب.

مطلب
قراءة تبارك الملك أمان من عذاب القبر

وروي أن سورة تبارك الملك من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان.

أخرج جويبر في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه من قرأ سورة الملك كل ليلة عصم من فتنة القبر.

وأخرج أيضاً عن البراء مرفوعاً: «**من قرأ ألم السجدة وتبارك قبل النوم نجا من عذاب القبر ووقي فتاني القبر**»[١] لكنه ضعيف.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن أبي الدنيا والبيهقي عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه اللّه فتنة القبر**»[٢].

قال القرطبي: هذه أحاديث لا تعارض أحاديث السؤال السابقة، بل تخصها وتبين من لا يسأل في قبره ولا يفتن فيه، ممن يجرى عليه السؤال ويقاسي تلك الأهوال، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس، ولا مجال للنظر فيه، وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المصدوق.

وعزاه لأبي الشيخ والديلمي قال: وقوله في الشهيد «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[٣] معناه أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق كان

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١/ ٥٨٩) رقم ٢٦٨٤ وعزاه لأبي الشيخ والديلمي وقال: فيه سوار بن مصعب متروك.
(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩) رقم ٦٥٨٢ والترمذي (٣/ ٣٨٦) رقم ١٠٧٤ وقال هذا حديث غريب.
(٣) سبق ص ١٨٧ .

إذا التقى الجمعان وبرقت السيوف على رؤوسهم فروا، لأن من شأن المنافق الفرار والروغان عند ذلك، ومن شأن المؤمن البذل والتسليم والتفويض للعزيز الحكيم، وقد ظهر صدق ما في ضميره حيث برز للحرب والقتل، فلماذا يعاد عليه السؤال في القبر؟ قاله الحكيم الترمذي.

قال القرطبي: وإذا كان الشهيد لا يسأل فالصديق أجل قدراً وأعظم خطراً، فهو حري أن لا يفتن، لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء، وقد جاء في المرابط الذي هو أقل رتبة من الشهيد أنه لا يفتن، فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد؟ انتهى.

قال السيوطي وقد صرح الحكيم بأن الصديقين لا يسألون وعبارته قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧] وتأويله عندنا والله أعلم أن من مشيئته أن يرفع رتبة أقوام عن السؤال وهم الصديقون والشهداء، وما نقله عن الحكيم الترمذي في توجيه حديث الشهيد يقتضي اختصاص ذلك بشهد المعركة، لكن قضية أحاديث الرباط التعميم في كل شهيد، هذا كلام السيوطي.

قلت: لا يلزم من كون المرابط لا يسأل أن يكون كل شهيد كذلك، نعم جزم الحافظ ابن حجر في بذل الماعون في فضل الطاعون بأن الميت بالطعن لا يسأل، لأنه نظير المقتول في المعركة، وبأن الصابر في الطاعون يعلم محتسباً أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إذا مات فيه بغير الطعن لا يفتن أيضاً، لأنه نظير المرابط، كذا قال.

قال السيوطي: وهو متجه جداً، قال الحكيم في توجيه حديث المرابط أنه قد ربط نفسه وسجنها وصيرها حبيساً لله تعالى وفي سبيله، لمحاربة أعدائه، فإذا مات على هذا فقد ظهر صدق ما في ضميره، فوقي فتنة القبر.

قلت: قد ظهر لي من هذا التعليل مع ضم تعليل حديث المريض الذي تقدم أن كل شهيد كذلك، لأن المبطون والغريق والشريق والحريق وصاحب الهدم وذات الجنب والسل وصاحب اللقوة[١] والمتردي من رؤوس الجبال، واللديغ ومن قتل دون ماله أو أهله أو دينه أو دمه أو مظلمته، وفريس السبع، ومن خر عن دابته، كلهم متجه فيهم تعليل القرطبي، للذي[٢] مات بالاستسقاء، لأن هؤلاء يموتون وكل منهم حاضر العقل عارف بالله تعالى، ولكني لا أسلم لهذا التعليل أبداً، لأن موت الفجأة كذلك، ولأن المقصود من سؤال القبر الاختبار عن صحة العقيدة وإخلاص الشهادة، ولا شيء من ذلك يدل على ذلك كما لا يخفى على من تأمل.

بقي من الشهداء العاشق إذا عف وكتم ومات والتعليل فيه كما في المرابط، ولأن صبره عن معشوقه مع القدرة عليه وكتمان ما في قلبه من نار العشق، والتعفف عن المعصية يظهر صدق ما في ضميره من الإيمان بالله ورسوله، ولولا ذلك لهجم على محبوبه ومطلوبه، وهذا ما فتح الله به على هذا الفقير، ولم أر من تعرض لذلك.

يبقى موت الغريب فلا أعلم له تعليلًا غير الذل والانكسار، نعم إن كان متغرباً لنحو طلب العلم يتأتى فيه التعليل في حق المرابط، وأما أمناء الله في الأرض فيلحقوا[٣] بالصديقين، فيبقى المجنون والنفساء، فأما المجنون فهو كالطفل، وأما النفساء فإما لموتها عاقلة عارفة بالله، وإما لشدة ما تلقى من النصب ومقاساة صعوبة النفاس، وهذا ما ظهر لي والله أعلم.

(١) اللقوة: مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه. لسان العرب/ مادة: لقا.

(٢) كذا في الأصل: ولعلها (والذي).

(٣) في حاشية الأصل/ قوله: فيلحقوا ولعله فيلحقون بإثبات النون. انتهى.

قال الحكيم الترمذي: ومن مات يوم الجمعة فقد انكشف الغطاء عما له عند الله، لأن يوم الجمعة لا تسجر فيه جهنم، وتغلق أبوابها ولا يعمل سلطان النار ما يعمل في سائر الأيام، فإذا قبض اللَّه عبداً من عبيده فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلًا لسعادته وحسن ما به، لأنه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده، فلذلك يقيه فتنة القبر، لأن سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن، انتهى.

قلت: والمراد إن كان من أهل الإيمان والتقوى، وإلا فكم من منافق يموت يوم الجمعة، وكم من فاسق بل وكافر، ولا ينفعه ذلك والأولى السكوت عن التعليل، بل كل من أخبر النبي ﷺ أنه لا يسأل فليتلق بالقبول والتبجيل من غير تأويل ولا تعليل.

قال السيوطي: ومن مات يوم الجمعة فله أجر شهيد، فكان على قاعدة الشهداء في عدم السؤال، كما أخرج أبو نعيم في الحلية عن جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء**»(١) وأخرج حميد في (ترغيبه) عن عطاء قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقي عذاب القبر، وفتنة القبر ولقي اللَّه ولا حساب عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له أو طابع**»(٢).

قال السيوطي: وهذا الحديث لطيف، صرح بنفي الفتنة والعذاب معاً، قلت وهذا من خصائص الجمعة، وقد أنهيت الكلام على ذلك في

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٥٥) وقال: غريب من حديث جابر ومحمد تفرد به عمر بن موسى وهو مدني فيه لين. وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٦٢٢) رقم ٢٦٢٥ والقرطبي في التذكرة (١٦٧).

(٢) ذكره المباركفوري في تحفة الأحوذي (٤/ ١٦٠) وعزاه للحميدي في ترغيبه.

رسالة لي سميتها (اللمعة في فضل الجمعة).

وممن لا يفتن في قبره من قرأ في مرض موته: قل هو اللَّه أحد.

لما أخرج أبو نعيم في الحلية أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ قل هو اللَّه أحد في مرضه الذي مات فيه لم يفتن في قبره، وأمن ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة**»[1].

ومن جملة الذين لا يسألون الذي تمنى الشهادة بقلب صادق لكنه ملحق بالشهداء، واستثنى جمع فوق ما ذكرنا الملائكة والأنبياء ونبه السيوطي على ذلك بقوله:

ومن هنا يقطع بانتفائه　　عن رسل اللَّه وأنبيائه
فكم إمام قاله وكم أمم　　والنسفي في بحره به جزم
والشيخ سعد الدين فيهم نقلا　　خلفاً وهذا الخلف مما أشكلا
والنيكساري قال إن المسألة　　عن النبي جل من قد أرسله
يسأل عنه غيره في رمسه　　فكيف يسأل النبي عن نفسه
والفاكهاني قال في الملائك　　الظاهر انتفاؤه في أولئك
قلت وأما الجن فالأدلة　　تعمهم فيسألون جملة

وقد اجتمع مما ذكرنا جماعة لا يسألون سيما إن عممنا في ذلك كل شهيد، فإن الشهداء يزيدون على ثلاثين كما ذكره السيوطي، واللَّه أعلم.

* * *

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٣).

فصل
في فظاعة القبر وسعته على المؤمن وضيقه على الكافر وفي ضمة القبر

وأخرج الحاكم وابن ماجه والبيهقي خبر عثمان، وتقدم قول النبي ﷺ (ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه)[١].

أخرج ابن ماجه عن البراء قال: كنا مع رسول اللّٰه ﷺ في جنازة فجلس على شفير قبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال: «**يا إخواني لمثل هذا فاعملوا**»[٢].

وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر وقال: توفي رجل بالمدينة فصلى عليه رسول اللّٰه ﷺ فقال: «**يا ليته مات في غير مولده**» فقال رجل من الناس لم يا رسول الله؟ قال: «**إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة**»[٣].

وأخرج ابن منده عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**يفسح للغريب في قبره كبعده عن أهله**»[٤].

---

(١) تقدم ص ١٧٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٣) رقم ٤١٩٥ بلفظ «فأعدوا» بدل «فاعملوا»، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف، وأحمد في المسند (٤/ ٢٩٤) رقم ١٨٦٢٤ والطبراني في الأوسط (٣/ ٩٢) رقم ٢٥٨٨ .

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧) رقم ٦٦٥٦ والنسائي في سننه (٤/ ٧) رقم ١٨٣٢ وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٦٦٢) في تعليقه على حديث رقم ٢٦٦٥ .

(٤) ذكره السيوطي في شرح الصدور (٩٣) وعزاه لابن منده.

وأخرج عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً: «**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»(١). وأخرج البيهقي عن ابن عمر نحوه.

وأخرج علي بن سعيد عن معاذ ﷺ قال: قلت لعائشة ﷺ ألا تخبرينا عن مقبورنا وما يلقى وما يصنع به؟ فقالت: إن كان مؤمناً فسح له في قبره أربعون ذراعاً.

قال القرطبي: وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر والسؤال، وأما الكافر فلا يزال قبره ضيقاً عليه، قال وقوله ﷺ في القبر: «**أنه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»(٢) محمول عندنا على الحقيقة لا المجاز، وأن القبر يملأ على المؤمن خضراً، وهو العشب من النبات، وقد بينه ابن عمر في حديثه أنه الريحان، ويملأ على الكافر ناراً، قال: وذهب بعض العلماء إلى حمله على المجاز، وأن المراد خفة السؤال على المؤمن وسهولته عليه وأمنه وطيب عيشه وراحته وسعته عليه، بحيث يرى مد بصره، كما يقال فلان في الجنة، إذا كان في رغد من العيش وسلامة، وكذا في ضده، قال: والأول أصح.

وأخرج الإمام أحمد والحكيم الترمذي والبيهقي في كتاب (عذاب القبر) عن حذيفة ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة فلما انتهينا إلى القبر قعدنا على شفته فجعل يردد بصره فيه، ثم قال: «**يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله، ويملأ على الكافر نارا**»(٣). قال في النهاية:

---

(١) سبق ص ١٥٣.

(٢) سبق ص ١٥٣.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤٠٧) رقم ٢٣٥٠٤ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٥) رقم ٤٢٥٣ وقال رواه أحمد وفيه محمد بن جابر وهو ضعيف.

الحمائل هنا عروق الأنثيين، ويحتمل أن يراد موضع حمائل السيف، أي عواتقه وصدره وأضلاعه.

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي عن عائشة رضي اللَّه تعالى عنها عن النبي ﷺ قال: «**إن للقبر ضغطة لو كان أحد منها ناج لنجا منها سعد بن معاذ**»[١].

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي والحكيم عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال لما دفن سعد بن معاذ سبح النبي ﷺ وسبح الناس معه طويلًا ثم كبر وكبروا الناس ثم قالوا: يا رسول اللَّه لم سبحت؟ قال: «**لقد تضايق على هذا الرجل قبره حتى فرج اللَّه عنه**»[٢].

وأخرج النسائي والبيهقي عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**هذا الذي تحرك العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه** »[٣]. قال الحسن: تحرك العرش فرحا بروحه.

وأخرج الطبراني عن أبي أيوب بسند صحيح أن صبياً دفن فقال ﷺ: «**لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي**»[٤]. قال ابن أبي مليكة: ما

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٥٥) رقم ٢٤٣٢٨ والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٥٨) رقم ٣٩٦ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٥) رقم ٤٢٥٥ وقال: رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن إنسان عن عائشة وكلا الطريقين رجالهما رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٠) رقم ١٤٩١٦ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وذكره العسقلاني في القول المسدد (٨١) بإسنادين وقال: رجال الإسنادين ثقات.

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٤/ ١٠٠) رقم ٢٠٥٥ وذكره العسقلاني في القول والمسدد (٨١) وقال: رجاله ثقات محتج بهم في الصحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٢١) رقم (٣٨٥٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٧) رقم ٤٢٥٩ وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

أجير من ضغطة القبر أحد، ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله - أي في الجنة - خير من الدنيا وما فيها.

وقال مجاهد أشد [١]حديثاً سمعناه عن النبي ﷺ قوله في سعد بن معاذ وقوله في أمر القبر وقد روي عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «**ما عفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد، فقيل يا رسول اللّه ولا القاسم ابنك؟ قال ولا إبراهيم**»[٢] وكان أصغرهما، قال أبو القاسم السعدي في كتاب (الروح) له: لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح، والمراد إلا من استثناه النبي ﷺ وهو فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف، والدة علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما إن ثبت الحديث، فقيل الحكمة في ذلك لأنها ضمت المصطفى، وقيل: لأنه سكب عليها الماء الذي فيه الكافور، توفيت في المدينة ودفنت شمال قبة عثمان في موضع يقال له الحمام، وعليها قبة صغيرة، كذا في (زبدة الأعمال)، واللّه أعلم[٣].

(١) في حاشية الأصل/ قف على أشد حديثاً في السنة قلت: وهي كذلك بالأصل.

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة (٥/ ٥١٥).

(٣) في حاشية الأصل/ وفي بعض الكتب التي لا أعرف حالها: أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها دخل عليها رسول اللّه ﷺ فجلس عند رأسها وقال: رحمك اللّه كنت تجوعي وتشبعيني، وتمنعي نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريد بذلك وجه اللّه والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول اللّه ﷺ بيده، ثم خلع قميصه وألبسها إياه وكفنها فوقه، ثم دعا بأسامة بن زيد وأبي أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلام أسود يحفرون القبر، فلما بلغوا اللحد حفر رسول اللّه ﷺ بيده، فلما فرغ منه اضطجع فيه وقال: الحمد للّه الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء من قبلي إنك أرحم الراحمين، وكبر عليها أربع تكبيرات وأدخلها اللحد هو والعباس والصديق رضي الله عنهم.
قلت - أي المصنف - وألفاظ الحديث في غاية الركاكة فالظاهر عدم ثبوته.

قال أبو القاسم السعدي: والفرق بين المسلم والكافر دوام الضغط للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الانفساح له فيه، قال والمراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت، قال الحكيم الترمذي: سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلا وقد ألم بخطيئة ما - وإن كان صالحاً - فجعلت هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة، وكذلك ضغط سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: وأما الأنبياء فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤالًا لعصمتهم.

قلت: قد قدمنا أن السؤال إنما هو عن الأنبياء وأخبروا به فكيف يسألون عن أنفسهم؟ فهم أكرم على اللّه وأجل وأعظم عند اللّه من أن يسألوا.

وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله في مناقب سيدنا أحمد: أنه رآه المروزي رحمه الله فقال له: ما فعل اللّه بك؟ فذكر أن الملكين سألاه وقالا له: من ربك؟ فقال: سبحان الله، ومثلي يسأل عن ربه؟ فقالا له: لا تؤاخذنا بهذا أمرنا، ثم انصرفا، فكيف بأنبياء اللّه الكرام وهم المخبرون عنه الدالون عليه المجتهدون في إنقاذ عباده من غضبه إلى مرضاته بإذنه؟.

قال محمد التميمي: كان يقال: ضمة القبر إنما أصلها أنها أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما ردوا إليها وهم أولادها ضمتهم ضمة الوالدة إذا غاب عنها ولدها ثمّ قدم، فمن كان للّه مطيعاً ضمته برأفة ورفق ومن كان عاصياً ضمته بعنف سخطاً منها عليه لربها.

وأخرج البيهقي وابن منده والديلمي وابن النجار عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول اللّه إنك منذ يوم حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شئ قال: « **يا عائشة إن أصوات منكر ونكير في سماع المؤمنين**

كاثمد في العين، وإن في ضغطة القبر على المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداع فتغمر رأسه غمراً رفيقاً، ولكن يا عائشة ويل للشاكين في الله، كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة»[١].

فائدتان: الأولى: قال بعضهم من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بعشرة أسباب، أن يتوب فيتاب عليه، أو يستغفر فيغفر له، أو يعمل حسنات فتمحوها، فإن الحسنات يذهبن السيئات، أو يبتلى في الدنيا بمصائب فيكفر عنه، أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فيكفر عنه، أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفرون له، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه، أو يبتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه، أو تدركه شفاعة نبيه ﷺ أورحمة ربه. انتهى.

الثانية: ذكر في الفردوس للديلمي ولم يسنده ولده من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً: «**أول عدل الآخرة القبور، ولا يعرف شريف من وضيع**»[٢] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن اللّه أرحم ما يكون لعبده إذا دخل قبره، وتفرق عنه الناس وأهله.

وأخرج الديلمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أرحم ما يكون اللّه بالعبد إذا وضع في حفرته**»[٣]. وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عاصم الحبطي يرفعه قال: إن أول ما يتحف به المؤمن في قبره يقال له: أبشر فقد غفر لمن تبع جنازتك.

وأخرج البزار وعبيد في مسنديهما والبيهقي في الشعب عن ابن عباس

---

(١) أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر (٨٥) رقم ١١٦ .
(٢) لم أقف عليه.
(٣) ذكره ابن حجر في زهرة الفردوس (١/ ٣٨٥).

رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أول ما يجازى به المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من تبعه**»[1] . وفي الباب عن جابر بن عبد اللَّه أخرجه ابن أبي الدنيا، وسلمان الفارسي أخرجه أبو الشيخ في الثواب، وأبي هريرة أخرجه الحاكم في التاريخ، والبيهقي في الشعب، والديلمي، وأنس أخرجه الحكيم الترمذي.

***

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٧) رقم ٩٢٥٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٢٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٣٢) رقم ٤١٣٤ وقال: رواه البزار وفيه مروان بن سالم الشامي وهو ضعيف.

الباب الثاني
في عذاب القبر ونعيمه

نسأل اللَّه سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل النعيم بمنه وكرمه العميم قال السيوطي: وقع ذكره - أي عذاب القبر - في القرآن في عدة أماكن كما بينته في (الإكليل في استنباط التنزيل) انتهى.

قال الحافظ ابن رجب: في قول اللَّه عز وجل: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] إلى قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]. عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: تلا رسول اللَّه ﷺ هذه الآيات: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ إلى قوله: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ قال: «**إذا كان عند الموت قيل له هذا، فإن كان من أصحاب اليمين أحب لقاء اللَّه وأحب اللَّه لقاءه، وإن كان من أصحاب الشمال كره لقاء اللَّه وكره اللَّه لقاءه**»[١].

وأخرج الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «**من أحب لقاء اللَّه أحب اللَّه لقاءه، ومن كره لقاء اللَّه كره اللَّه لقاءه**» فأكب القوم يبكون، قال: ما يبكيكم؟ قالوا: إنا نكره الموت قال: «**ليس ذلك ولكنه إذا حضر، فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم، فإذا بشر بذلك أحب لقاء اللَّه واللَّه للقائه أحب، وإما أن يكون من المكذبين الضالين فنزل من حميم، فإذا بشر بذلك كره لقاء اللَّه واللَّه للقائه أكره**»[٢]. وظاهر كلام المحقق في

---

(١) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٩).
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٩) رقم ١٨٣٠٩ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦١) رقم ٣٩٠٠ وقال: رواه أحمد وعطاء بن السائب فيه كلام.
قلت: أوله في البخاري رقم ٦٥٠٧ ومسلم رقم ٢٦٨٣ .

كتاب (الروح) أن عذاب القبر ذكر في القرآن لأنه قال قول السائل: ما الحكمة في أن عذاب القبر لم يذكر في القرآن، مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذر ويتقى؟

فالجواب من وجهين: مجمل ومفصل.

أما المجمل فهو: أن اللَّه سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين، فأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما، وهما الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٤] والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر به الرسول عن اللَّه فهو في وجوب تصديقه والإيمان به، كما أخبر به الرب على لسان رسوله، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم وقد قال النبي ﷺ: «**إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»(١).

قال: وأما الجواب المفصل فهو، أن نعيم الروح وعذابه مذكور في القرآن في مواضع، فمنها قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ الآية [الأنعام: ٩٣] وهذا خطاب لهم عند الموت قطعاً وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ: ﴿تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]. ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تجزون عذاب الهون، وقوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ الآية [غافر: ٤٥]. فذكر عذاب الدار ذكراً صريحاً لا يحتمل غيره، ومنها قوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٦١٠) رقم ٤٦٠٤ وأحمد (٤/ ١٣٠) رقم ١٧٢١٣، والترمذي باختلاف يسير (٥/ ٣٨) رقم ٢٦٦٤ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور: ٤٥-٤٦] انتهى كلامه.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر**»[1]. قلت: وذكر الحافظ ابن رجب في (أهوال القبور) إن عذاب القبر ذكر في القرآن في عدة مواضع.

أخرج الترمذي عن علي ﷺ قال: ما زلنا في شك من عذاب القبر حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢].

وأخرج آدم ابن أبي إياس عن ابن مسعود ﷺ قال: إذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيضيق عليه قبره، ثم قرأ ابن مسعود ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] المعيشة الضنك: هي عذاب القبر.

وروى شريك عن أبي إسحاق عن البراء ﷺ في قوله عز وجل: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] قال عذاب القبر.

وكذا روى عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]. وكذا قال قتادة والربيع ابن أنس في قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١] إحداهما في الدنيا، والأخرى هي عذاب القبر، قال الحافظ ابن رجب وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر.

ففي الصحيحين عن عائشة ﷺ أنها سألت رسول الله ﷺ عن

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣٧٧ .

عذاب القبر فقال: «**نعم عذاب القبر حق**» قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فما رأيت النبي ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر»[١].

وفيهما عنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**إني رأيتكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال**» قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فكنت أسمع رسول اللَّه ﷺ بعد ذلك يتعوذ من عذاب القبر»[٢].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**»[٣].

وأخرج مسلم وابن أبي شيبة عن زيد بن ثابت قال: بينما النبي ﷺ في حائط أي بستان لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت أن تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا، فقال: متى مات هؤلاء؟ فقال: ماتوا في الإشراك، فقال النبي ﷺ: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا باللَّه من عذاب النار، فقالوا نعوذ باللَّه من عذاب النار، فقال: تعوذوا باللَّه من عذاب القبر، فقالوا: نعوذ باللَّه من عذاب القبر، فقال: تعوذوا باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فقالوا: نعوذ باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فقال: تعوذوا باللَّه من فتنة الدجال، فقالوا: نعوذ باللَّه**

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣٧٢ وأخرج مسلم نحوه رقم ٥٨٥ .

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) أخرجه مسلم باختلاف يسير وتأخير وتقديم رقم ٥٩٠ .

من فتنة الدجال»(١).

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إن أهل القبور يعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائم»**(٢).

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والآجري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يسلط على الكافر تسعة وتسعون تنيناً تلدغه حتى تقوم الساعة»**(٣).

وأخرج أبو يعلى والآجري وابن مندة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**المؤمن في قبره روضة، ويرحب له قبره - أي يوسع - سبعون ذراعاً، وينور له كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيم نزلت هذه الآية: فإن له معيشة ضنكاً؟ قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال في عذاب الكافر والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة»**(٤).

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول اللّه ﷺ قال: «**يرسل على الكافر حَيَّتان، واحدة قبل رأسه والأخرى من قبل رجليه يقرضانه قرضاً**

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٨٦٧ وابن أبي شيبة (٣/ ٥٠) رقم ١٢٠٢٨ إلى قوله «نعوذ بالله من عذاب القبر» .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٦٣٦٦ ومسلم رقم ٥٨٦ .

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨) رقم ١١٣٥٢ وأبو يعلى موقوفاً على أبي سعيد (٢/ ٤٩١) رقم ١٣٢٩ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٠) رقم ٤٢٨٥ وقال رواه أحمد وأبو يعلى موقوفاً وفيه دراج وقد وثق.
قلت يعني بالموقوف رواية أبي يعلى فقط.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٥٢١) رقم ٦٦٤٤ باختلاف يسير في بعض الألفاظ. وابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٩٢) رقم ٣١٢٢ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٠) رقم ٤٢٨٦ وقال: رواه أبو يعلى وفيه دراج وحديثه حسن.

كلما فرغنا عادتا إلى يوم القيامة»(١).

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**»(٢). قوله ﷺ: «**لولا أن لاتدافنوا**» هو بحذف أحد التاءين تخفيفاً، أي لولا خوف ترك دفنكم الأموات بل تتركونهم بلا دفن من خوف أن يصيبهم من العذاب ما أصاب الميت، وقيل لولا أن تموتوا من سماعه لفظاعته وعظيم أمره فتصعقون لوقتكم، وقيل غير ذلك.

فإن قلت ما معنى قوله لولا أن لا تدافنوا إلخ؟ ومن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم مؤمنون بعذاب القبر مصدقون به، فهو عندهم كالمحسوس، وكيف لا وهم خير هذه الأمة؟

فالجواب عن ذلك من وجوه: فقيل محمول على ما ذكرنا من أنهم يموتون ولا إشكال حينئذ(٣)، وقد تقدم في الأحاديث ما يدل لذلك، وقيل إن الذي حمله ﷺ على ذلك أنهم إذا سمعوا تركوا دفن الميت استهانه به، أو لعجزهم عنه، أو لدهشتهم وحيرتهم، أو لفزعهم وعدم قدرتهم على دفنه، أو لئلا يحكموا على كل من اطلعوا على تعذيبه في قبره أنه من أهل النار فيتركون الترحم عليه وترجى العفو عنه، ذكر ملخص هذه الأوجه المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير، وأكثرها لا يخلو من مناقشة، والله أعلم.

وأخرج الشيخان عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٥٢) رقم ٢٥٢٣٠ باختلاف يسير.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٨٦٨ .

(٣) في الأصل/ (ح) بدل (حينئذ).

وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال: «**يهود تعذب في قبرها**»[١]. وأخرجا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين، ثم غرز على كل قبر منهما واحدة، قالوا: لم فعلت هذا يا رسول الله؟ قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[٢].

وقد روي هذا الحديث عنه ﷺ من وجوه متعددة وخرجه ابن ماجه عن أبي بكرة[٣] وفي حديثه «وأما الآخر يعذب في الغيبة»[٤] وخرجه الخلال وغيره عن أبي هريرة مرفوعاً وفي بعض رواياته «وأما الآخر فكان يهمز الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة»[٥] وخرجه الطبراني عن عائشة وأنس وابن عمر، وخرجه أبو يعلى الموصلي وغيره عن أبي أمامة وفي حديثه قالوا: يا نبي الله وحتى متى يعذبان؟ قال: «**غيب لا يعلمه إلا الله، ولولا تمريج في قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع**»[٦]. وروى من وجوه أخر.

وأخرج النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على امرأة من اليهود فقالت: إن عذاب القبر من البول قلت: كذبت قالت: بلى إنه ليقرض منه الجلد والثوب. قالت: فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة وقد ارتفعت

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣٧٥ ومسلم رقم ٢٨٦٩ بلفظ بعدما غربت الشمس.
(٢) البخاري رقم ٢١٦ ومسلم ٢٩٢ .
(٣) في الأصل/ أبي بكر.
(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ١٢٥) رقم ٣٤٩ .
(٥) روى عبد الرزاق في مصنفه أوله فقط (٣/ ٥٨٩) رقم ٦٧٥٤، وذكره ابن رجب في أهوال القبور (٨٥).
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢١٦) رقم ٧٨٦٩، وأحمد (٥ / ٢٦٦) رقم ٢٢٣٤٦ .

أصواتنا، فقال: «**ما هذه؟**» فأخبرته بما قالت، فقال: «**صدقت**»[(١)].

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عبد الرحمن ابن حسنة سمع النبي ﷺ يقول: «**ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل، كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول فنهاهم فعذب في قبره**»[(٢)].

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أكثر عذاب القبر من البول**»[(٣)]. وروي موقوفاً عن أبي هريرة.

وأخرج البزار والحاكم عن ابن عباس عنه ﷺ قال: «**إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا منه**»[(٤)]. وخرجه الطبراني والدارقطني عن أنس بنحوه.

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اتقوا البول فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر**»[(٥)]. وأخرج ابن عدي عن أنس «أن رسول اللّه ﷺ مر برجل يعذب في قبره من البول»[(٦)].

---

(١) أخرجه النسائي في سننه (٣/ ٧٢) رقم ١٣٤٥ وأحمد (٦/ ٦١) رقم ٢٤٣٦٩، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١١٥) رقم ١٣٠٧ .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٦) رقم ١٧٧٩٣ بلفظ (أما علمت ما أصاب صاحب بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم شيء من البول قرضوة بالمقاريض فنهاهم فعذب في قبره) والنسائي (١/ ٢٦) رقم ٣٠ وابن ماجه (١/ ١٢٤) رقم ٣٤٦ وأبـو داود (١/ ٥٣) رقم ٢٢ .

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٩) رقم ٩٠٤٧ ، وابن ماجه (١/ ١٢٥) رقم ٣٤٨ وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٠٠) رقم ٥٢٦ وقال رواه الأمام أحمد وابن ماجه وسنده حسن والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٩٣) رقم ٦٥٤ وليس فيه (فتنزهوا منه) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٤٨٩) رقم ١٠٢٦ وفيه [فاستنزهوا من البول] وقال رواه البزار والطبراني في الكبير وفيه أبو يحى القتات وثقه يحيى بن معين في رواية وضعفه الباقون.

(٥) وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٣٣) رقم ٧٦٠٥ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٩٢) رقم ١٠٣٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣/ ٤٨)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٨) رقم ١٠٥٤ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٧٥) رقم ١٣١٣٦ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه خليد بن دعلج وهو متروك.

وأخرج أيضاً بإسناد ضعيف عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**فتنة القبر من ثلاث، من الغيبة، والنميمة، والبول**»[(١)]. قال الحافظ ابن رجب: لكن روى عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال: كان يقال: عذاب القبر ثلاثة أثلاث، ثلث من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول، خرجه الخلال موقوفاً على قتادة قال الحافظ: وهو أصح.

وأخرج الخلال عن ميمونة مولاة رسول اللَّه ﷺ، قال لها النبي ﷺ: «**يا ميمونة إن من أشد عذاب القبر الغيبة والبول**»[(٢)]. قال الحافظ ابن رجب: وقد ذكر بعضهم السر في تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر، وهو أنه أول منازل الآخرة، وفيه أنموذج ما يقع يوم القيامة من العقاب والثواب، والمعاصي التي يعاقب عليها يوم القيامة نوعان، حق الله، وحق لعباده، وأول ما يقضي فيه يوم القيامة من حقوق اللَّه الصلاة، ومن حقوق العباد الدماء، فأما البرزخ فيقضي فيه مقدمات هذين الحقين ووسائلهما، فمقدمة الصلاة الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمة الدماء النميمة والوقيعة في الأعراض، وهما أيسر أنواع الأذى، فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما.

وقد أخرج عبد الرزاق عن معمر ابن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عمرو ابن شرحبيل قال: مات رجل فلما دخل قبره أتته الملائكة، فقالوا: إنا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله، فذكر صلاته وصيامه وجهاده فخففوا عنه، حتى انتهى إلى عشرة، ثم سألهم فخففوا عنه حتى انتهى إلى واحدة،

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٣٣) في ترجمة عبد اللَّه بن محرر رقم ٩٧٣، قال عنه يحيى ليس بثقة وقال البخاري: منكر الحديث.

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة (٨/ ١٢٩) ترجمة رقم ١١٧٨٠، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٣٠٥)، والهندي في كنز العمال (١٥/ ٧٣٨) رقم ٤٢٩٣٥ .

فجلدوه جلدة اضطرم قبره ناراً وغشي عليه، فلما أفاق قال: فيم جلدتموني هذه الجلدة قالوا: إنك بلت يوماً ثم صليت ولم تتوضأ، وسمعت رجلًا يستغيث مظلوماً فلم تغثه، ورواه أبو سنان عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة بنحوه.

قال الحافظ ابن رجب: ورويناه من طريق حفص بن سليمان القاري وهو ضعيف جداً عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي ﷺ به، فعذاب القبر حصل هنا بشيئين، ترك طهارة الحدث، وترك نصرة المظلوم مع القدرة عليه، كما أنه في الأحاديث المتقدمة حصل بترك طهارة الخبث، والظلم بالقول، وهي متقاربة في المعنى.

فإن قلت: عدم التنزه من البول والغيبة والنميمة من الكبائر أمر من الصغائر؟

قلت: بل هي من الكبائر كما جزم به صاحب (الإقناع) وغيره.

فإن قلت: فكيف ذا مع قوله ﷺ: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**»[(١)] وقوله ﷺ في حديث يعلى بن مرة قال: مررت مع رسول اللّه ﷺ على مقابر فسمعت ضغطة في قبر قال: «**سمعت**». قلت: نعم. قال: «**فإنه يعذب في يسير من الأمر**» قلت: وما هو؟ قال: «**كان يمشي بين الناس بالنميمة وكان لا يتنزه من البول**»[(٢)]. وذكر قصة الجريدة. رواه البيهقي في (دلائل النبوة) ويعلى بن مرة هذا هو يعلى بن سيابة وسيابة أمه.

قلت: قد أجاب عن هذا علماؤنا أعزهم اللّه تعالى بأن معناه، لم

---

(١) البخاري رقم ٢١٦ .

(٢) ذكره السيوطي في شرح الصدور (٦٧) وعزاه للبيهقي في دلائل النبوة.

يعذبا في أمر كان يكبر عليهما أو يشق فعله لو أرادا أن يفعلاه، وهو التنزه من البول وترك النميمة، وقوله كان يعذب في يسير من الأمر، أي في زعمه، أو يسير تركه، ولم يرد ﷺ أن المعصية في هاتين الخصلتين ليستا من الكبائر في حق الدين، وأن الذنب فيهما هين سهل، ومن ثم قال الحافظ المنذرى ولخوف توهم مثل هذا استدرك ﷺ فقال: « **بلى إنه كبير** » كما في رواية صحيحة أخرجها البخاري وغيره، فالمعتمد عندنا أن هذه الخصال من الكبائر كما بينت ذلك موضحاً في كتاب «الذخائر لشرح منظومة الكبائر» الواقعة في (الإقناع)، فراجعه تظفر بمرادك، واللَّه الموفق.

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن أبي الدنيا في (القبور) واللالكائي في (السنة) وابن منده عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينا أنا أسير بجنبات بدر إذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة، فناداني يا عبد اللَّه اسقني، فلا أدري أعرف اسمي أم دعاني بدعاية العرب، قال: وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني يا عبد اللَّه لا تسقه فإنه كافر، ثم ضربه بالسوط حتى عاد في حفرته قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «**أوقد رأيته قلت: نعم. قال: ذلك عدو اللَّه أبو جهل، وذلك عذابه إلى يوم القيامة**»[١]. قال الحافظ ابن رجب: ضعيف.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) والخلال في (السنة) وابن البراء[٢] في (الروضة) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خرجت بسفر فمررت بقبر من قبور الجاهلية، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج ناراً،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣٣٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٣) رقم ٤٢٩٤ وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن محمد بن المغيرة وهو ضعيف.

(٢) كذا في الأصل.

في عنقه سلسلة من نار، ومعي إداوة من ماء، فلما رآني قال: يا عبد اللّه اسقني، إذ خرج على إثره رجل من القبر فقال: يا عبد اللّه لا تسقه فإنه كافر، ثم أخذ بالسلسلة واجتذبه فأدخله القبر، ثم أضافني الليل إلى بيت عجوز إلى جانب بيتها قبر، فسمعت من القبر صوتاً يقول: بول وما بول، شن وما شن؟ قلت للعجوز: ما هذا؟ قالت: كان هذا رجلا لي وكان إذا بال لم ينق البول وكنت أقول له ويحك إن الجمل إذا بال تفاج[(١)] فكان يأبى، فهو ينادى منذ يوم مات يقول بول وما بول قلت: فما الشن؟ قالت: جاءه رجل عطشان فقال: اسقني فقال: دونك الشن وإذا ليس فيه شيء، فخر الرجل ميتاً، فهو ينادى منذ يوم مات بقول شن وما شن. فلما قدمت على رسول اللّه ﷺ فأخبرته «فنهي أن يسافر الرجل وحده»[(٢)]. وذكره الحافظ ابن رجب بلفظ: إن الرجل قال اسقني فإني عطشان قال: عندك الشن، وشن لنا معلق - أي ليس فيه ماء - فقال: يا هذا اسقني فإن عطشان، الساعة أموت قال: عندك الشن. قالت: ووقع الرجل ميتاً. قال الحافظ ابن رجب: وفيه يحيى المدني غير معروف.

وقال عروة: بينما راكب يسير بين مكة والمدينة إذ مر بمقبرة فإذا رجل قد خرج من قبر يلتهب ناراً مصفد في الحديد فقال: يا عبد اللّه أنضح أنضح، وخرج آخر يتلوه فقال: يا عبد اللّه لا تنضح قال: وغشى على الراكب وعدلت به راحلته، فأصبح وقد ابيض شعره حتى صار كأنه ثغامة[(٣)] قال: فأخبر بذلك

---

(١) الفجج في القدمين تباعد ما بينهما، وفج رجليه وما بين رجليه يفجهما فجا: فتحه وباعد ما بينهما. لسان العرب/ مادة: فجج.

(٢) روى البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده» رقم ٢٩٩٨ .

(٣) الثغام بالفتح نبت يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس، وفي حديث النبي ﷺ أنه أتى بأبي قحافة يوم الفتح وكأن رأسه ثغامة فأمرهم أن يغيروه - لسان العرب: مادة/ ثغم.

عثمان فنهى أن يسافر الرجل وحده. أخرجه ابن أبي الدنيا.

وأخرج أيضاً عن الحويرث الرباب قال: بينما أنا بالإثابة إذ خرج علينا إنسان من قبر يلتهب وجهه ورأسه ناراً في جامعة من حديد قال: اسقني اسقني، وخرج في إثره إنسان يقول: لا تسقه لكافر، فأدركه وأخذ بطرف السلسلة فسلبه ثم جره حتى دخلا القبر جميعاً. قال الحويرث: فصارت الناقة لا أقدر منها على شيء حتى التوت بعرق الطيبة، فبركت، فصليت المغرب والعشاء، ثم ركبت حتى أصبحت بالمدينة، فأتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبرته قال: يا حويرث واللّه ما اتهمك ولقد أخبرتني خبراً شديداً، فأرسل عمر إلى مشيخة من كتفي الصفراء وقد أدركوا الجاهلية ثم دعا الحويرث فقال: إن هذا أخبرني ولست أتهمه، حدثهم يا حويرث بما حدثتني، فحدثتهم فقالوا: قد عرفنا هذا يا أمير المؤمنين، هذا رجل من بني غفار مات في الجاهلية ولم يكن يرى للضيف حقاً، فحمد اللّه عمر وسر بذلك حين أخبروه أنه مات في الجاهلية.

وروى هشام بن عمار في كتاب (البعث)، عن يحيى بن حمزة، حدثني النعمان عن مكحول، أن رجلًا أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ابيض نصف رأسه ونصف لحيته فقال له عمر رضي الله عنه: ما بالك؟ فقال: مررت بمقبرة بني فلان ليلًا، فإذا رجل يطلب رجلا بسوط من نار، كلما لحقه ضربة فاشتعل ما بين قرنه إلى قدمه ناراً، فلاذ بي الرجل وقال: يا عبد اللّه أغثني فقال: الطالب يا عبد اللّه لا تغثه، فبئس عبد اللّه هو، فقال عمر: لذلك كره لكم نبيكم ﷺ أن يسافر أحدكم وحده.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) عن مجاهد قال: أردت حاجة فبينما أنا في الطريق إذ فجأني حمار وقد أخرج عنقه من

الأرض فنهق في وجهي ثلاثاً، ثم دخل، فأتيت القوم الذين أردتهم فقالوا: ما لنا نرى لونك قد حال؟ فأخبرتهم الخبر، فقالوا: ذلك غلام من الحي وتلك أمه في ذلك الخباء، وكانت إذا أمرته بشيء شتمها وقال: ما أنت إلا حمار ثم نهق في وجهها، فمات يوم مات دفناه في تلك الحفيرة، فما من يوم إلا وهو يخرج رأسه في الوقت الذي دفناه فيه فينهق إلى ناحية الخباء ثلاث مرات ثم يدخل.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو بن دينار قال: كان رجل من أهل المدينة له أخت فماتت، فجهزها وحملها إلى قبرها، فلما دفنت ورجع إلى أهله ذكر أنه نسي كيساً كان معه في القبر، فاستعان برجل من أصحابه، فأتيا القبر فنبشاه، فوجد الكيس فقال للرجل تنح حتى أنظر على حال أختي، فدفع بعض ما على اللحد فإذا القبر يشتعل ناراً فرده، وسوى القبر ورجع إلى أمه فسألها عن حال أخته فقالت: كانت تؤخر الصلاة، ولا تصلي فيما أظن بوضوء، وتأتي أبواب الجيران إذا ناموا فتلقم أذنها أبوابهم فتخرج حديثهم.

حكايات:

وحكى الحافظ ابن رجب وغيره أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سنان، فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال: قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه، قال محمد بن يوسف الفريابي: فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه، فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لا يقبل تسلية ولا عزاء، فقلنا له: أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه؟ قال: بلى، ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب، فقلنا له: قد أطلعك الله على الغيب؟ قال: لا، ولكن لما دفنته وسويت عليه

التراب وانصرف الناس جلست عند قبره، وإذا صوت من قبره يقول: أوه أفردوني وحيداً أقاسي العذاب، قد كنت أصلي قد كنت أصوم، فأبكاني كلامه وقلت: صوت أخي واللّه أعرفه، فقلت: لعله خيل إليك، قال: ثم سكت. فإذا أنا بصوته يقول: أوه ولا أدري في الثانية أو الثالثة فنبشته حتى بلغت قريباً من اللبن فإذا بطوق من نار في كفنه، وفي (الزواجر) في عنقه، انتهى، وفي وسطه، فأدخلت يدي رجاء أن أقطع ذلك الطوق فاحترقت أصابعي فبادرت إخراجها فإذا يده قد احترقت أصابعها، قال: فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه؟ فقلنا: فما كان أخوك يعمل في الدنيا؟ قال: كان لا يؤدي الزكاة من ماله، فقلنا: هذا تصديق قول الله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وأخوك عجل له العذاب في قبره، ثم خرجنا من عنده. قال محمد بن يوسف الفريابي، فقلت للأوزاعي: وزعم في (الزواجر) أنه إنما قال لأبي ذر صاحب رسول اللّه ﷺ هؤلاء اليهود والنصارى يموت الميت منهم ولا نرى فيهم ذلك أو لا نسمع هذا منهم؟ فقال: أولئك لا شك أنهم في النار، وإنما يريكم اللّه في أهل الإيمان لتعتبروا أو نحو هذا.

وذكر الحافظ ابن رجب أيضاً في (أهوال القبور) له: أن ابن أبي الدنيا أخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان جالساً فأتاه قوم فقالوا: إنا خرجنا حجاجاً ومعنا صاحب لنا حتى أتينا ذات الصفاح، فمات فيها، فهيئناه، ثم انطلقنا فحفرنا له قبراً ولحدنا اللحد، فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد، فحفرنا غيره، فلما فرغنا من لحده فإذا نحن بالأسود قد ملأ اللحد، فتركناه وحفرنا له مكاناً آخر، فلما فرغا من لحده إذا نحن بالأسود قد ملأ اللحد، فتركناه وأتيناك، قال ابن عباس: ذلك عمله الذي يعمل به

انطلقوا فادفنوه في بعضها فوالذي نفسي بيده لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيه، فانطلقنا فدفناه في بعضها، فلما رجعنا قلنا لامرأته ما كان عمله ويحك؟ قالت: كان يبيع الطعام فيأخذ كل يوم منه قوت أهله ثم يُقَرِّضُ القصب مثله فيلقيه فيه.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «أهوال القبور»: وروى الهيثم بن عدي حدثنا أبان بن عبد اللّه البجلي قال: هلك جار لنا فشهدنا غسله وكفنه وحمله إلى قبره، وإذا في قبره شيء شبيه بالهر، فزجرناه فلم ينزجر، فضرب الحفار جبهته ببرمة فلم يبرح، فتحولوا إلى قبر آخر، فلما لحدوا فإذا هو فيه، فصنعوا به مثل ما صنعوا أولًا فلم يلتفت، فرجعوا إلى قبر ثالث، فلما لحدوا فإذا ذلك الهر فيه، فصنعوا به مثل ما صنعوا أولًا، فلم يلتفت، فقال القوم: يا هؤلاء إن هذا لأمر ما رأينا مثله، فادفنوا صاحبكم، فدفنوه فلما سوي عليه اللبن سمعنا قعقعة عظيمة، فذهبوا إلى امرأته فقالوا: يا هذه ما كان عمل زوجك؟ وحدثوها بما رأوا، فقالت: كان لا يغتسل من الجنابة.

وذكر أيضاً عن بعض مشايخ أهل دمشق قال: حججنا فهلك صاحب لنا في بعض الطريق على ماء من تلك المياه، فأتينا أهل الماء نطلب شيء نحفر له فأخرجوا لنا فأساً ومجرفة فلما وارينا صاحبنا نسينا الفأس في القبر، فنبشناه فوجدناه قد جمع عنقه ويداه ورجلاه في حلقة الفأس، فسوينا عليه التراب وأرضينا أصحابه - أي الفأس - من الثمن، فلما انصرفنا جئنا إلى امرأته فسألناها عنه قالت: ما رأيتم من حاله يحج ويغزو؟ فلما أخبرناها الخبر قالت: صحبه رجل معه مال، فقتل الرجل وأخذ المال فبه كان يحج ويغزو.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت فيمن دلى الوليد بن عبد الملك في قبره، فنظرت إلى ركبتيه قد جمعت إلى عنقه فقال ابنه: عاش واللّه أبي ورب الكعبة، فقلت: عوجل أبوك ورب الكعبة،

فاتعظ بها عمر بعد.

وقال الحافظ في (أهوال القبور): وروينا من طريق أبي إسحاق الفزاري أنه سأل نباشاً قد تاب، فقلت: أخبرني عمن مات على الإسلام ترك وجهه على ما كان أم ماذا؟ قال: أكثر ذلك حول وجهه عن القبلة، قال: فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكتب: إنا للّه وإنا إليه راجعون - ثلاث مرات - أما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة، وخرجه ابن أبي الدنيا. وقال: حدثنا عبد المؤمن بن عبد اللّه القيسي قال: قيل لنباش قد كان تاب ما أعجب ما رأيت؟ قال: نبشت رجلًا فإذا هو مسمر بالمسامير في سائر جسده، ومسمار كبير في رأسه، وآخر في رجليه، قال: وقيل لنباش آخر ما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت جمجمة إنسان مصبوب فيها رصاص.

قال: وقيل لنباش آخر: ما كان سبب توبتك قال: عامة ما كنت أنبش أراه محول الوجه عن القبلة.

وذكر ابن الفارسي الليثي صاحب ناصر السنة ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سنة تسعين وخمسمائة وجد ميت ببغداد بظاهر باب البصرة وقد بلى ولم يبق غير عظامه وفي يديه ورجليه ضباب من حديد، وقد ضرب فيها مسامير في قصب يديه ورجليه، وقد وضعت ضبة حديد على بطنه، وضرب فيها مسماران، أحدهما في سرته، والآخر في جبهته، وكان هائل الخلقة غليظ العظام، وكان سبب ظهوره زيادة الماء، فكشف جانب تل كان يعرف بالتل الأحمر على ميلين من سور باب البصرة القديم[١].

* * *

(١) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة حسب الطاقة.

فصل

واعلم رحمك اللَّه أن الملاحدة والزنادقة أنكروا عذاب القبر، وسعته وصفته، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وأنكروا جلوس الميت في قبره، قالوا: فإنا نكشف القبرولا نجد فيه الملائكة يضربون الموتى بمطارق الحديد، ولا نجد ثم حيات وثعابين ونيران، قالوا: وكيف يفسح له مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله ومساحته على حالها؟ وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له ولمن يؤنسه أو يوحشه؟ وقال إخوانهم من أهل البدع والضلال: كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئة ناقله، قالوا: ونحن نرى المصلوب على الخشبة مدة طويلة لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه ناراً، ومن افترسته السباع ونهشته الطير وتفرقت أجزاؤه في حواصل الطيور وأجواف السباع وبطون الحيات ومدارج الرياح، كيف يسئل وكيف يصير القبر على هذا روضة أو حفرة؟ وكيف يتسع قبره أو يضيق؟ هكذا زعم أعداء اللَّه ورسله.

وأجاب عن ذلك الإمام المحقق في [الروح] كغيره بأمور يعلم بها الجواب.

الأمر الأول: أن يعلم أن الرسل عليهم السلام لم يخبرونا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته، بل أخبار هم قسمان، أحدهما ما شهد به العقل والفطرة، والثاني ما لا تدركه العقول بمجردها، كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخروالثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالًا في العقول أصلًا، وكل خبر يظن أن العقل يحيله لا يخلو من أحد أمرين، أن يكون كذباً عليهم، أو فسادا في ذلك العقل، وهو شبهة خيالية ظن صاحبها أنها معقول صريح.

قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]. إلى غير ذلك من الآيات، فالمؤمن المصدق للّه ولرسوله ينشرح صدره لما يتلقاه عنهما كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨] والمحال لا يشفى ولا يحصل به هدى ولا رحمة ولا يفرح به، وأما الذين في قلوبهم مرض فلا يزدادون إلا رجساً على رجسهم.

الأمر الثاني: أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، ولا يحمل كلامه على ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده، وعما قصده من الهدى والبيان، وبإهمال ذلك حصل الضلال والعدول عن الصواب، بل سؤالهم عن اللّه ورسوله ﷺ أصل لكل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وما أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والروافض، وسائر طوائف أهل البدع في الضلال إلا سؤالهم عن اللّه ورسوله، فلهذا تراهم حيارى لا يهتدون لرب يعبدونه، أو أنهم يعترفون أن لهم رباً ولكنهم بين الراضي والساخط، كما أنك ترى الجبرية يزعمون أن الذنب منه سبحانه وتعالى، فينسبون القبيح له، تعالى اللّه عن ذلك، وطائفة من الرافضة تراهم سخاطاً لكون النبوة ما هي في علي كرم اللّه وجهه.

الأمر الثالث: أن اللّه سبحانه جعل الدور ثلاثة[١]: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها، ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على ما يظهر من حركات الإنسان

(١) كذا بالأصل.

والجوارح، وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها، والتذت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، فإذا كان يوم محشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهر بادياً أصلًا، وأن ما أخبره الرسول ﷺ من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وكونه حفرة أو روضة مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه.

الأمر الرابع: أن اللَّه سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلًا بها غيباً، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريباً منه، ويشاهدهم عياناً ويتحدثون عنده، ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة أو من النار، ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير أو الشر، وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم السلام، تارة بلفظة، وتارة بإشارة، وتارة بقلبه إذا لم يتمكن من نطق وإشارة، وقد سمع بعض المحتضرين يقول: أهلًا وسهلًا ومرحباً بهذه الوجوه.

قال المحقق: أخبرنا شيخنا -يعني شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللَّه روحه- عن بعض المحتضرين - فلا أدري أشاهده أو أخبر عنه - أنه سُمع وهو يقول: وعليك السلام، ههنا فاجلس، وعليك السلام، ههنا فاجلس.

وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لما كان في يومه الذي مات فيه قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت - ثلاث مرات - ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع

رأسه فأحد النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين، قال: إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن، ثم قبض ﷺ.

وقال مسلم ابن عبد الملك: لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده في قبة، فأومأ إلينا أن اخرجوا، فخرجنا فقعدنا حول القبة وبقى عنده ضيف، فسمعناه يقرأ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] ما أنتم بإنس ولا جان، ثم خرج الوصيف فأومأ إلينا أن ادخلوا، فإذا هو قد قبض، ويكفي في ذلك كله قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ الآية [الواقعة: ٨٣].

وأما عصرة القبرة حتى تختلف أضلاع بعض الموتى، فلا يرده حس ولا عقل ولا فطرة، ولو قدر أن أحداً نبش عن ميت فوجد أضلاعه كما هي لم يمتنع أن تكون قد عادت.

الأمر الخامس: أن النار التي في القبر ليست من نار الدنيا فيشاهدها من شاهد نار الدنيا، وإنما هي من نار الآخرة، وهي أشد من نار الدنيا ولا يحس بها أهل الدنيا، فإن اللّه سبحانه يحمى عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى تكون أعظم حراً من حر نار الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب من ذلك أن الرجلين يدفنان فيكون أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من حفر النار، لا يصل حرها إلى جاره، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل نعيمها إلى جاره، وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك، ويفرش للكافر لوحان من نار يشعل عليه قبره بهما كما يشعل التنور.

قال المحقق رحمه الله ورضي عنه: حدثني صاحبنا أبو عبد اللّه محمد ابن الرزين الحراني: أنه خرج من داره بعد العصر قاصداً إلى بستان، قال:

لما كان قبل غروب الشمس توسطتُ القبور، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كور الحداد، والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني وأقول أنا نائم أم يقظان؟ ثم التفت إلى سور المدينة وقلت: واللّٰه ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش، فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل، ثم دخلت البلد فدخلت عند صاحب لي فسألت عن صاحب ذلك القبر فإذا هو مكاس(١) قد توفي من ذلك اليوم، قال: فرؤية هذه النار في هذا القبر كرؤية الملائكة والجن، تقع أحياناً لمن شاء اللّٰه أن يريه ذلك.

قال: وحدثني صاحبنا أبو عبد اللّٰه محمد بن مثنا السلامي التاجر، وكان من خيار عباد الله، وكان يتحرى الصدق ويتجر، قال: جاء رجل إلى سوق الحدادين ببغداد، فباع مسامير صغارا، المسمار برأسين، فأخذها الحداد وجعل يحمي عليها فلا تلين معه، حتى عجز عن ضربها، فطلب البائع فوجده فقال: من أين لك هذه المسامير؟ قال: لقيتها فلم يزل به حتى أخبره بأنه وجد قبراً مفتوحاً وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير، قال: فعالجتها على أن أخرجها فلم أقدر، فأخذت حجراً فكسرت عظامه وجمعتها، قال أبو محمد التاجر(٢) المذكور: وأنا رأيت تلك المسامير، قال المحقق: فقلت له كيف صفتها؟ قال: المسمار صغير برأسين.

وقال ثابت البناني: بينا أنا أمشي في المقابر وإذا صوت خفي وهو يقول: يا ثابت لا يغرنك سكوتها، فكم من مغموم فيها، فالتفت فلم أر أحداً.

---

(١) المَكْسُ: الجباية، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية، والمَكْسُ درهم كان يأخذه المُصَدِّق بعد فراغه.
لسان العرب/ مادة: مكس.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: قال أبو محمد إلخ، وصوابه أبو عبد اللّٰه محمد التاجر المذكور، وهو سهو منه رَحِمَهُ اللَّهُ كما قدمه هو قريباً، فجل من لا يسهو فتأمل - كاتبه/ سعيد اللّٰه حفيده.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي إسحاق قال: دعيت إلى مَيت لأغسله، فلما كشفت الثوب عن وجهه إذ بحية قد تطوقت على حلقه، فذكر من غلظها، قال: فخرجت فلم أغسله، ولم يرها غيره، فذكروا أنه كان يسب الصحابة ﷺ، وذكر ابن أبي الدنيا عن سعيد بن خالد بن يزيد الأنصاري عن رجل من أهل البصرة كان يحفر القبور، قال: حفرت قبراً ذات يوم ووضعت رأسي قريباً منه، فأتتني امرأتان في منامي، فقالت إحداهما: يا عبد اللَّه أنشدتك اللَّه إلا صرفت عنا هذه المرأة فلا تجاورنا بها، فاستيقظت فزعاً فإذا بجناة امرأة قد جيء بها، فقلت: القبر وراءكم فصرفتهم عن ذلك القبر، فلما كان بالليل إذ أتتني المرأتان في منامي تقول إحداهما: جزاك اللَّه عنا خيراً قد صرفت عنا شراً طويلًا، فقلت: ما لصاحبتك لا تكلمني؟ قالت: إن هذه ماتت من غير وصية، وحق لمن مات عن غير وصية أن لا يتكلم إلى يوم القيامة، وقد ذكرنا فيما تقدم شيئاً من هذا، وسنذكر شيئاً منه فيما يأتي إن شاء اللَّه تعالى، وليس عند الملاحدة والزنادقة إلا التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه.

الأمر السادس: أن اللَّه سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك، فهذا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي ﷺ ويتمثل له رجلًا، فيكلمه بكلام يسمعه ومن إلى جانب النبي ﷺ لا يراه، وكذلك غيره من الأنبياء، وأحياناً يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس، ولا يسمعه غيره من الحاضرين، وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا، ونحن لا نسمعهم، وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط، وتضرب رقابهم وتصيح بهم، والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم، واللَّه سبحانه قد حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث في الأرض وهو بينهم، وقد كان جبريل يقرئ النبي ﷺ ويدارسه القرآن والحاضرون لا يسمعونه،

وكيف يستنكر من يعرف اللّه سبحانه ويقر بقدرته، أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه حكمة منه ورحمة بهم، لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبد أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وكثير ممن أشهده اللّه ذلك ضعف وغشي ولم ينتفع بالعيش زمناً، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات، فكيف ينكر في الحكمة الإلهية مثل هذا؟ أليس هو الفاعل المختار؟ وإذا كان أحدنا يمكنه توسيع القبر عشرة أذرع ومائة ذراع وأكثر طولًا وعرضاً وعمقاً، ويستر توسعته عن الناس ويطلع عليه من شاء، فكيف يعجز رب العالمين أن يوسعه ما يشاء ويستر ذلك عن أعين الناس من بني آدم؟ فيروه ضيقاً وهو أوسع شيء، وأطيبه ريحاً وأعظمه إضاءة ونوراً وهم لا يرون ذلك، وسر المسألة أن هذه التوسعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار ليس من جنس المعهود في هذا العالم، واللّه سبحانه وتعالى إنما أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها، أما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الإقرار به والإيمان سبباً لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء صار عياناً مشاهداً، فلو كان الميت بين الناس موضوعاً لم يمتنع أن يأتيه الملكان فيسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك، ويجيبهما من غير أن يسمعوا كلامه، ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه، وهذا الواحد منا ينام إلى جنب صاحبه فيعذب في النوم ويضرب ويألم، وليس عند المستيقظ خبر من ذلك البتة.

وقد قال لي يوماً بعض ضعفاء اليقين: أتمني أن ينشر لنا ميت فيخبرنا عن عذاب القبر ونعيمه هل هو حق أم لا؟ فقلت له: أوكنت تصدقه؟ قال: نعم، فقلت له: أليس تعلم أن محمداً رسول اللّه ﷺ؟ قال: بلى قلت: فهل هو صادق في كل ما أخبر أم لا؟ قال: بلى، فقلت له: ويا سبحان اللّه إذا كنت في شك من خبر المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، فكيف تصدق إنساناً يجوز عليه الكذب والصدق؟ واللّه يا رجل أنت جاهل باللّه

ورسوله، ففحم ولم يحسن أن يتكلم، فنسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يزيح عن قلوبنا حجاب الغفلة بمنه وكرمه.

الأمر السابع: أنه غير ممتنع أن ترد الأرواح إلى المصلوب والغريق ونحوهما ونحن لا نشعر بها، إذ ذلك الرد نوع آخر غير المعهود، فهذا المغمى عليه والمسكوت والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم ولا نشعر بحالتهم، ومن تفرقت أجزاؤهم لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالًا بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع الألم واللذة.

الأمر الثامن: أنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ، وهو ما بين الدنيا والآخرة، فالحريق والغريق وأكيل السبع والطير، له من العذاب واللذة قسطة الذي تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما، وقد ظن بعض هؤلاء، إذا حرق جسده في النار، وصار رماداً وذري بعضه في البر وبعضه في البحر في يوم شديد الريح، أنه ينجوا من ذلك، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر اللّه البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم، فإذا هو قائم بين يدي اللّه، فسأله ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يا رب، وأنت أعلم، فما تلاقاه أن رحمه[1] فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه.

الأمر التاسع: الموت معاد وبعث أول، فإن اللّه سبحانه جعل لابن آدم معادين وبعثين، يجزي فيهما الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذي

(١) لعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم ٦٤٨١ عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ذكر رجلًا فيمن كان سلف أو قبلكم آتاه اللّه مالًا وولدا فلما حضر قال لبنيه: أي أب كنت؟ قالوا: خيراً، قال: فإنه لم يبتئر عند اللّه خيراً. . . الحديث.

أحسنوا بالحسنى، فالبعث الأول مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار المحشر الأول، والبعث الثاني يوم يرد اللّه الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار، وهو الحشر الثاني، ولهذا قال: وتؤمن بالبعث الآخر، فإن البعث الأول لا ينكره أحد، وقد ذكر اللّه سبحانه هاتين القيامتين، وهما الصغرى والكبرى في سورة المؤمنين وسورة الواقعة وسورة المطففين، وقد اقتضى عدله وحكمته أن تنعيم الأبدان لأوليائه، فلابد وأن يذيق بدن المطيع وروحه من النعيم واللذة ما يليق به، ويذيق بدن الفاجر العاصي وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقه، هذا موجب عدله وحكمته وكرمه وقدرته، ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان، لا دار جزاء لم يظهر فيها هذا، وأما البرزخ فهو أول دار الجزاء، فظهر فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار واقتضت الحكمة إظهاره، فإذا كان يوم القيامة الكبرى وفِّيَ أهل الطاعة وأهل المعصية ما يليق بهم من نعيم الأبدان والأرواح وعذابها، فعذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها، وهو مشتق منه واصل إلى أهل البرزخ من هناك، كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة في غير موضع، كقوله «**فيفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها**»(١) وفي الفاجر «**فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها**»(٢) ومعلوما قطعاً أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها، فإذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب إلى مقعده الذي هو داخله وهذان البابان يصل منهما إلى العبد في هذه الدار أثر خفي محجوب بالشواغل والعوارض، لكن يحس به كثير من الناس وإن لم يعرف سببه .

هذا كله ملخص كلام الإمام المحقق من الجواب عن شبه الملاحدة

---

(١) سبق ص ٩٦، ١٤٦ .

(٢) سبق ص ٩٦، ١٤٦ .

والزنادقة ومن نحا نحوهم، وهو كلام سديد مفيد، لا يعيبه إلا كل كافر عنيد، فجزاه اللّه عن الإسلام والسنة خيراً.

ومن عجيب ما ذكر الحافظ الدمياطي في معجمه: سمعت محمد بن إسماعيل بن عبد اللّه الدمياطي يقول، سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن عبد اللّه الثعلبي صاحب السلفي يقول، كان عندنا رجل نباش يتكفف الناس أعمى وكان يقول: من يعطني شيئاً فأخبره بالعجب، ثم يقول: من يزيدني فأره العجب، قال: فأعطي شيئاً وأنا إلى جنبه أنظر، فكشف عن عينيه فإذا بها قد نفدتا إلى قفاه كالأنبوبتين النافذتين يرى من قبل وجهه ما وراء قفاه، ثم قال أخبركم أني كنت في بلد نباشاً حتى شاع أمري، فأخفت الناس حتى ما أبالهم، وأن قاضي البلد مرض مرضاً خاف منه الموت، فأرسل إلي وقال: أنا أشتري هتكي في قبري منك، وهذه مائة دينار فأخذتها فعوفي من ذلك المرض، ثم مرض بعد ذلك فمات، وتوهمت أن العطية للمرض الأول فجئت فنبشته فإذا في القبر حس عقوبة، والقاضي جالس ثائر الرأس محمرة عيناه كالسكرجتين[١] فوجدت زمعا[٢] في ركبتي وإذا بضربة في عيني من أصبعين، وقائل يقول: يا عدو اللّه تطلع على أسرار اللّه عز وجل.

وذكر البيهقي في كتاب (عذاب القبر) عن يزيد بن عبد اللّه بن الشخير

---

(١) السكُرُجَة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأُدْم، وهي فارسية. لسان العرب مادة: سكرج.

(٢) الزَمَع بفتحتين الدهش، وقد زَمِعَ: أي خرف من خوف. مختار الصحاح - مادة: زمع.

وفي لسان العرب: الزمع الدهش، والزمع رعدة تعترى الإنسان إذا هم بأمر، وزمع الرجل - بالكسر زمعاً خرف من خوف وجزع، والزمع القلق.

لسان العرب: مادة: زمع.

قال: بينما رجل يسير في أرض إذ أتى إلى قبر، فسمع صاحبه يقول آه آه، فقام على قبره فقال: فضحك عملك وافتضحت.

وذكر السيوطي عن المقريزي أنه قدم في سنة سبع وتسعين وستمائة البريد بأن رجلًا من الساحل ماتت امرأته فدفنها وعاد، فذكر أنه نسي في القبر منديلًا فيه مبلغ دراهم، فأخذ فقيه القرية ونبش القبر ليأخذ المال، والفقيه على شفيرالقبر، فإذا المرأة جالسة مكتوفة بشعرها، ورجلاها قد ربطتا بشعرها، فحاول حل كتافها فلم يقدر، فأخذ يجهد نفسه في ذلك فخسف به وبالمرأة حيث لم يعلم لهما خبر، فغشي على فقيه القرية مدة يوم وليلة فبعث السلطان بخبر هذه الحادثة إلى الناس ليعتبروا بذلك.

وحكى عبد الكافي: أنه شهد جنازة فإذا عبد أسود معنا، فلما صلى الناس لم يصل، فلما حضرنا الدفن نظر إليَّ ثم قال أنا عمله، ثم ألقى نفسه في القبر فنظرت فلم أر شيئاً.

وأخرج ناصر السنة ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ عن عبد اللّه بن محمد الديني عن صديق له، أنه خرج إلى ضيعة له، قال: فأدركتني صلاة المغرب إلى جنب مقبرة، فصليت المغرب قريباً منها، فبينما أنا جالس إذ سمعت من ناحية القبور صوت أنين، فدنوت إلى القبر الذي سمعت منه الأنين وهو يقول: أوه قد كنت أصلي، قد كنت أصوم، فأصابتني قشعريرة فدنا من حضرني فسمع مثل ما سمعت، ومضيت إلى ضيعتي ورجعت في اليوم الثاني، فصليت في موضعي الأول وصبرت حتى غابت الشمس، وصليت المغرب ثم استمعت على ذلك القبر فإذا هو يئن ويقول: أوه قد كنت أصلي قد كنت أصوم، فرجعت إلى منزلي وحميت فمكثت شهرين .

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) من طريق

عبد اللَّه بن دينار عن أبي أيوب اليماني عن رجل من قومه يقال له عبد الله، إنه ونفر من قومه ركبوا البحر، وأن البحر أظلم عليهم أياماً، ثم انجلت عنهم تلك الظلمة وهم قرب قرية، قال عبد اللَّه فخرجت ألتمس الماء، فإذا الأبواب مغلقة تجأجأ فيها الريح، فهتفت فيها فلم يجبني أحد، فبينما أنا على ذلك إذ طلع عليَّ فارسان، تحت كل واحد منهما قطيفة بيضاء فقالا لي: يا عبد اللَّه اسلك هذه السكة فإنك تنتهي إلى بركة فيها ماء، فاستق منها ولا يهولك ما ترى، فسألتهما عن تلك البيوت المغلقة التي تجأتجأ فيها الريح، فقالا: هذه بيوت فيها أرواح الموتى، فخرجت حتى انتهيت إلى البركة فإذا فيها رجل معلق مصوب[1] على رأسه يريد أن يتناول الماء بيده وهو لا يناله، فلما رآني هتف بي وقال: يا عبد اللَّه اسقني، فغرفت بالقدح لأناوله إياه فقبضت يدي، فقال لي: بل العمامه ثم ارم بها إليَّ، فبللت العمامة لأرمي بها إليه فقبضت يدي، فقلت يا عبد اللَّه قد رأيت ما صنعت فقبضت يدي فأخبرني من أنت؟ قال: أنا ابن آدم، أنا أول من سفك دما في أرض.

وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: بينما رجل في مركب في البحر، إذ انكسرت بهم مركبهم، فتعلق بخشبة فطرحته إلى جزيرة من الجزائر، فخرج يمشي فإذا هو بماء فاتبعه فدخل في شعب، فإذا برجل في رجليه سلسلة مربوط فيها، بينه وبين الماء شبر، فقال: اسقني رحمك الله، قلت: ما لك؟ قال: ابن آدم الذي قتل أخاه، واللَّه ما قُتِلَتْ نَفْسٌ منذ قَتَلْتُ أخي إلا عذبني اللَّه بها، لأني أول من سن القتل.

وروى تمام بن محمد الرازي في كتاب (الرهبان) له، حدثنا عصمة العباداني قال: كنت أجول في بعض الفلوات إذ نظرت ديرا وفيه صومعة

(١) هكذا في الأصل ولعلها (مصلوب).

وفيها راهب، فناديته فأشرف عليَّ، فقلت: من أين تأتيك الميرة؟ قال: مسيرة شهر، قلت: حدثني بأعجب ما رأيت في هذا الموضع، قال: بينا أنا ذات يوم أدير بصري في هذه البرية القفراء وأتفكر في عظمة اللّه وقدرته، إذ رأيت طائرا أبيض مثل النعامة كبيرا قد وقع على تلك الصخرة - وأمأ بيده إلى صخرة بيضاء - فتقايأ رأساً ثم رجلا ثم ساقا، وإذا هو كلما تقايأ عضواً من تلك الأعضاء التأمت بعضها إلى بعض أسرع من البرق، فإذا هو رجل جالس، فإذا هم بالنهوض نقره الطائر نقرة قطع أعظامه، ثم يرجع فيبتلعه، فلم يزل على ذلك أياماً، فكثر تعجبى منه وازددت يقيناً لعظمة اللّه تعالى، وعلمت أن لهذه الأجساد حياة بعد الموت فالتفت إليه يوماً فقلت: يا أيها الطائر سألتك بحق الذي خلقك وبرأك إلا أمسكت عنه حتى أسأله بقصته، فاجأبني الطائر بصوت عربي طلق: لربي الملك وله البقاء الذي يفنى كل شيء ويبقى، أنا ملك من ملائكة الله، موكل بهذا الجسد لما اجترم، فالتفت إليه وقلت: يا هذا الرجل المسئ إلى نفسه ما قصتك ومن أنت؟ قال: أنا عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي رضي الله عنه، وإني لما قتلته وصارت روحي بين يدي الله، ناولني صحيفة مكتوب فيها ما عملته من الخير والشر منذ ولدتني أمي إلى أن قتلت علياً كرم اللّه وجهه، فأمر اللّه هذا الملك بعذابي إلى يوم القيامة فهو يفعل بي ما تراه، ثم سكت فنقره الطائر نقرة نشر أعضاءه بها، ثم جعل يبتلعه عضواً عضواً، ثم مضى، قال ابن رجب: وقال الراهب وقال لي الملك: قد أتى النبي ﷺ فأمرني أن أمضي بهذا الجسد إلى جزيرة في البحر الأسود، الذي يخرج منه هوام أهل النار، فأعذبه إلى يوم القيامة.

قال السيوطي: وهذا الإسناد - يعني إسناد هذه الحكاية- ليس فيه من تكلم فيه سوى أبي علي شيخ تمام، قال الذهبي: كان متهماً، وقال الحافظ ابن رجب: قد رويت هذه الحكاية من أوجه أخر، أخرجها ابن النجار في تاريخه من طريق السلفي بإسناد له إلى الحسن بن محمد بن عبيد اليشكري،

حدثنا إسماعيل بن أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن المنجم، سنة مائة وثلاثة عشر أنه حضر مع يوسف بن أبي التياح فأحضر راهباً، فحدث فذكر شبيها بها، وفيها أنه قال: أن ملكاً نفاه إلى جزيرة على البحر منفردة قال: فرأيت يوماً طائراً إلخ، ورويت من وجه آخر من طريق أبي عبيد اللّه محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، صاحب السداسيات المشهورة، عن علي بن بقار بن محمد الوراق، حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر البزار، سمعت أبا بكر بن أحمد ابن أبي الأصبغ قال: قدم علينا شيخ غريب، فذكر أنه كان نصرانياً سنين، وأنه تعبد في صومعته قال: فبينما هو ذات يوم جالس إذ طائر كالنسر أو كالكركي، فذكر شبيهاً بالحكاية مختصرا، انتهى كلام الحافظ ابن رجب.

قلت: ومن هذه الأخبار ما هو كثير جداً، ولا ينكر عذاب القبر من خالطت بشاشة الإيمان قلبه، إذ قد صحت به الأخبار، وتواترت الآثار، فيالها من حفرة بعد أن كان مسكنه القصور العلى، ووحدة في ظلمة بعد أن كان يضاجع غيدة كالطلاء، والشمع مضوء به قصره مستعظماً في عيشة المبتلى.

قال الإشبيلي في (العاقبة) قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لبعض جلسائه: يا فلان لقد أرقت البارحة تفكراً في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث ليال في قبره لاستوحشت منه بعد طول الأنس به، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام، ويجرى فيه الصديد، ويخترقه الديدان، مع تغير الريح، وتقطع الأكفان، وكان ذلك بعد حسن الهيئة، وطيب الريح، ونقاء الثوب، ثم شهق شهقة خر مغشياً عليه.

وفي بعض الخطب: يا ابن آدم لا يغرنك ارتفاع ذكرك، ونفاذ أمرك وتشييد قصرك، مع ما جمعت فيه من الظباء الشرد، والأوانس النهد،

والمتاع المزخرف المنجد، فإنك تخرج منه بالرغم، والأمر الجزم، إلى الحجارة والرجم، فتغتسل فيها بصديدك، وتأنس فيها بحشراتك ودودك، إلى أن تبلغك هذه الرجفة لهلاك هذا المعمور، ثم الصيحة ليوم النشور وبعثرة القبور، فتخرج بالأمر الكبار إلى دارك دار القرار، إما إلى الجنة وإما إلى النار، وأنشد بعضهم في ذلك:

من كان مسكنه قصرا يشيده ... فإن مسكنه من بعد ذا جدث
ومن تكن فرشه فيها مرقشة ... ففرشه في ضريح بعدها الرثث
ومن غدا وسط ناد شعره رجلا ... فإن آخره التمزيق والشعث

قال الإشبيلي مر داود الطائي بامرأة تبكي على قبر وهي تقول:

عدمت الحياة فلا نلتها ... إذا أنت في القبر قد وسدوكا
وكيف الذي بطعم الكرى ... وها أنت في القبر أفردوكا

ثم قالت: يا أبتاه بأي خديك بدأ الدود أولًا؟ فخر داود مغشياً عليه.

واعلم وفقني اللَّه وإياك أنه من أقام خيال حالة كونه في تلك الحفرة الفظيعة والرؤية البشيعة، وتفكر فيما يؤول إليه حاله فقصرت همته وآماله، وعلم أن بدنه سيطرح في حفرة تقطع أوصاله، وتغير أحواله، وتبين إلى أين يصير مآله، وأنه يطلب بكل ما عمله أو قاله، ولم يشغل بميت باله، ولم يبك إلا لنفسه لا له، وما أحسن قول القائل:

لمن جدث أبصرته فشجاني ... وأرسل في شأو الهموم عناني
سفكت عليه أدمعي فسقيته ... كما هو من كأس الهموم سقاني
وقفت به حيران وقفت هائم ... أعالج قلباً دائم الخفقان
وما بي من في البر لكن رأيته ... على حالة فيها وسوف تراني

وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: أتيت القبور مرة فقلت فيها: أتيت القبور

فناديتها، أين المعظم المحتقر.

وأين المدل بسلطانه، وأين العزيز إذا ما افتخر.

قال: فنوديت من بينهم: أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول: تفانوا جميعاً فلا مخبر، وماتوا جميعاًومات الخبر.

تروح وتغدو بنات الثرى، وتمحوا محاسن تلك الصور.

وصاروا إلى ملك قاهر، عزيز مطاع إذا ما أمر.

فيا سائلي عن أناس مضوا، أما لك فيما ترى معتبر.

قال مالك فرجعت وأنا أبكي، وأنشد بعضهم وأحسن:

قف بالقبور بأكباد مصدعة ... ودمعة من سويد القلب تنبعث
وسل بها عن رجال طال مارشفوا ... ثغرا لنعيم وما في ظله مكثوا
ماذا لقوا في خباياها وما قدموا ... عليه فيها وما من أجله ارتبثوا[(١)]
وعن محاسنهم إن كان غيرها ... طول المقام ببطن الأرض واللبث
وما لهم حشرات الأرض تنهشهم ... نهشاً تزول به الأعضاء والجثث
فإن يجبك بما لاقىٰ مجيبهم ... ولن يجيب وأنى ينطق الجدث
فانظر مكانك في أفناء ساحتهم ... فإنه الجد لا هزل ولا عبث
واعمل لمصرع يوم هال أوله ... ومن أمامك فيه الروع والجاث[(٢)]

فإن قلت: هل عذا القبر دائم أو منقطع؟ فالجواب كما قال المحقق:

---

(١) الرَّبْثُ: حَبْسُكَ الإنسان عن حاجته وأمره بعلل، رَبثه عن أمره وحاجته يَرْبُثُه ربْثاً ورَبَّثه: حبسه وصرفه، والرَّبيثَة: الأمر يحبسك. لسان العرب/ مادة: ربث.

(٢) الجَوَثُ: استرخاء أسفل البطن، ورجل أَجْوَث، والجَوْثَاء بالجيم: العظيمة البطن عند السرة. لسان العرب/ مادة: جوث.

أن **عذاب القبر نوعان**، نوع دائم وهو عذاب الكافر سوى ما روي في بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين[١] فإذا قاموا من قبورهم قالوا: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] ويدل على دوامه قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ﴾ [غافر: ٤٦] وحديث سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النبي ﷺ وفيه «**فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة**»[٢] وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الجريدتين «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[٣] فجعل التخفيف مقيداً بمدة رطوبتهما فقط، وفي حديث البراء ابن عازب في قصة الكافر «**ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة**»[٤] رواه أحمد وتقدم، وفي بعض طرقه «**ثم يخرق له خرقاً إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة**»[٥] فهذا كله يدل على دوام العذاب على الكافر في قبره.

النوع الثاني: إلى مدة ثم يزول وينقطع عنه العذاب، بدعاء أو صدقة أو استغفار أوثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم، وحكى القرطبي في (التذكرة): أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري رحمه الله

---

(١) ما وقفت عليه في هذا هو ما جاء في تفسير الطبري عن أبي ابن كعب في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] قال: ينامون نومة قبل البعث.

وعن قتادة (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) هذا قول أهل الضلالة والرقدة ما بين النفختين. جامع البيان (١٠/ ٤٥٠).

وفي تفسير القرطبي: قال أبو صالح: إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور، وهجعوا هجعة إلى النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة، فذلك قولهم [من بعثنا من مرقدنا] وقاله ابن عباس وقتاده. الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٩).

(٢) البخاري رقم ٧٠٤٧ .

(٣) رواه البخاري رقم ٧٠٤٧ .

(٤) تقدم ص ٩٣، ١٤٦ .

(٥) ذكره العسقلاني في الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع (٧٥).

تعالى فقالت: إن ابنتي ماتت وقد أحببت أن أراها في المنام فعلمني صلاة أصليها لعلي أراها، فعلمها صلاة، فرأت ابنتها وعليها لباس القطران والغل في عنقها والقيد في رجليها، فارتاعت لذلك وأخبرت الحسن، فاغتم عليها، فلم تمض مدة حتى رأها الحسن في المنام وهي في الجنة على سرير، وعلى رأسها تاج، فقالت له: يا شيخ أما تعرفني قال: لا، قالت: أنا بنت تلك المرأة التي علمت أمي الصلاة فرأتني في المنام، قال: فما سبب أمرك؟ قالت: مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبي ﷺ وكان في المقبرة خمسمائة وستون إنساناً في العذاب، فنودي ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبي ﷺ.

حكاية عجيبة:

قال القرطبي: وقد ذكر أبو محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة رحمه الله في كتاب «عيون الأخبار» عن الحارث بن نبهان أنه قال: كنت أخرج إلى الجبانات فأرحم على القبور، وأتفكر وأعتبر وأنظر إليهم سكوتا لا يتكلمون، وجيراناً لا يتزاورون، وقد صار لهم من بطن الأرض وطاء ومن ظهرها غطاء، وأنادي: يا أهل القبور، محيت من الدنيا آثاركم، وما محيت عنكم أوزاركم، وسكنتم دار البلى فتورمت أقدامكم، ثم يبكي بكاء شديداً ثم يميل إلى قبة فيها قبر فينام في ظلها، قال: فبينما أنا نائم إلى جنب القبر إذ أنا بحس مقمعة، يضرب بها صاحب القبر وأنا أنظر إليه والسلسلة في عنقه، وقد ازرقت عيناه، واسود وجهه، وهويقول: يا ويلى ماذا حل بي؟ لو رآني أهل الدنيا ما ركبوا معاصي اللّه أبداً، طولبت واللّه باللذات فأوبقتنى وبالخطايا فأغرقتني، فهل من شافع لي أو مخبر أهلي بأمري؟ قال الحارث: فاستيقظت مرعوباً وكاد أن يخرج قلبي من هول ما رأيت، فمضيت إلى داري، وبت ليلي وأنا متفكر فيما رأيت، فلما أصبحت قلت

دعني أعود إلى الموضع لعلي أجد به أحداً من زوار القبور فأعلمه بالذي رأيت، قال: فمضيت على المكان الذي كنت فيه بالأمس فلم أر أحداً، فأخذني النوم فنمت، فإذا أنا بصاحب القبر وهو يسحب على وجهه ويقول: يا ويلتاه ماذا حل بي، ساء في الدنيا عملي، وطال فيها أجلي، حتى غضب عليَّ رب الأرباب، فالويل لي إن لم يرحمني ربي، قال: فاستيقظت وقد تَوَلَّه عقلي مما رأيت وسمعت، فمشيت إلى داري وبت ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر لعلي أجد أحداً من زوار القبور فأعلمه بما رأيت فلم أر أحداً، ثم نمت فإذا أنا بصاحب القبر قد قرن بشيطان وهو يقول: ما أغفل أهل الدنيا عني ضوعف علي العذاب، وتقطعت عني الحيل والأسباب، وغضب عليَّ رب الأرباب، وغلق في وجهي كل باب، فالويل لي إن لم يرحمني ربي العزيز الوهاب، قال: فاستيقظت من منامي مرعوباً وهممت بالانصراف، فإذا بثلاث جوار قد أقبلن، فتباعدت لهن عن القبر وتواريت لكي أسمع كلامهن، فتقدمت الصغرى ووقفت على القبر وقالت: السلام عليك يا أبتاه، كيف هدؤوك في مضجعك؟ وكيف قلبوك في موضعك؟ ذهبت عنا بودك، وانقطع عنا سؤالك، فلما أشد حسرتنا عليك، ثم بكت بكاء شديداً، ثم تقدمت الابنتان فسلمن على القبر ثم قالتا: هذا قبر أبينا الشفيق علينا، الرحيم بنا، آنسك اللّه بملائكة رحمته، وصرف عنك ملائكة عذابه ونقمته، يا أبتاه جرت بعدك أمور لو عاينتها لأوهنتك، ولو اطلعت عليها لأحزنتك، كشف الرجال وجوهنا، وقد كنت أنت تسترها، قال: فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قمت مسرعاً إليهن فسلمت عليهن وقلت لهن: أيها الجوار إن الأعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها، فما كان عمل أبيكن المخلد في هذا القبر، الذي عاينت من أمره ما أحزنني واطلعت من حاله على ما آلمني، فلما سمعن كلامي كشفن وجوههن وقلن: أيها العبد الصالح وما الذي رأيت؟ قلت لهن: ثلاثة أيام

اختلف إلى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه، قال: فلما سمعن ذلك مني قلن لي يا لها من بشارة ما أضرها، ومصيبة ما أحزنها، نحن نقضي الأوطار ونعمر الديار وأبونا يحرق بالنار، فواللّه لا أقر بنا قرار، ولا ضمتنا للذة العيش دار، أو نتضرع للجبار فلعله يعتق أبانا وينقذه من النار، ثم مضين يعثرن في أذيالهن قال: فمضيت إلى دارى فبت ليلتي فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده فغلبني النوم فإذا أنا بصاحب القبر له حسن وجمال، وفي رجليه نعل من ذهب ومعه حور وغلمان، قال الحارث فسلمت عليه وقلت له رحمك اللّه من أنت؟ فقال: أنا الرجل الذي عاينت من أمره ما أحزنك، واطلعت منه على ما أفجعك، فجزاك اللّه خيراً فما أيمن طلعتك عليَّ، فقلت له: وكيف حالك؟ فقال لي: لما اطلعت عليَّ وأخبرت بناتي بالأمس بحالي أعرين أبدانهن وأسبلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن في التراب، وأهملن دموعهن بالانسكاب، واستوهبنني من العزيز الوهاب، فغفر لي الذنوب والأوزار، واستنقذني من النار، وأسكنني دار القرار جوار محمد المختار، فإذا رأيت بناتي فأعلمهن بأمري وما كان من قصتي ليزول عنهن روعهن، ويفارقن حزنهن، وتعلمهن أني قد صرت إلى جنات وحورومسك وكافور، وعندي غلمان وسرور، وقد عفي عني العزيز الغفور، فاستيقظت فرحاً مسروراً لما رأيت وسمعت، ثم مضيت إلى داري وبت ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر فوجدتهن حافيات الأقدام، فسلمت عليهن وقلت لهن: أبشرن فقد رأيت أباكن في خير عظيم، وملك مقيم، وقد أعلمني أن اللّه أجاب دعاءكن ولم يخيب مسعاكن، وقد وهب لكن أباكن، فاشكرنه على ما أولاكن، قال: فقالت الصغرى: اللهم يا مؤنس القلوب، ويا ساتر العيوب، ويا كاشف الكروب، ويا غافر الذنوب، ويا عالم الغيوب، ويا مبلغ الأمل المطلوب، قد علمت مكان مسألتي، ورغبتي واعتذاري في خلوتي، واستقامي من زلتي،

وتنصلي من خطيئتي، وأنت اللهم تعلم همتي، والمطلع على نيتي، والعالم بطوبتي، ومالك رقبتي، والآخذ بناصيتي، وغايتي في طلبتي، ورجائي عند شدتي، ومؤنسي في وحدتي، وراحم عبرتي، ومقيل عثرتي، ومجيب دعوتي، فإن كنت قصرت عما أمرتني، وركنت إلى ما عنه نهيتني، فبحلمك حملتني، وبسترك سترتني، فبأي لسان أذكرك؟ وعلى أي نعمة أشكرك؟ ضاق بكثرتها ضرعي، فيا أكرم الأكرمين، ومنتهى غاية الطالبين، ومالك يوم الدين، الذي يعلم ما أخفي في الضمير، وتدبر أمر الصغير والكبير، فإن كنت قضيت الحاجة بفضلك، وشفعتني في عبدك، فاقبضني إليك وأنت على كل شيء قدير، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا، رحمة اللّه عليها، ثم قامت الثانية فنادت بأعلى صوتها: يا رب يا رب، فرج كربى، وخلص من الشك قلبي، يا من أقامني من صرعتي، وأقالني من عثرتي، ودلني من حيرتي، وأعانني في شدتي، إن كنت قبلت دعوتي، وقضيت حاجتي، وأنجحت طلبتى، فألحقني بأختي، ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا، رحمة اللّه عليها قال: ثم قامت الثالثة فنادت بأعلى صوتها: يا أيها الجبار الأعظم، والملك الأكرم، والعالم بمن سكت وتكلم، لك الفضل العظيم، والملك القديم، والوجه الكريم، العزيز من أعززته، والذليل من أذللته، والشريف من شرفته، والسعيد من أسعدته، والشقي من أشقيته، والقريب من أدنيته، والبعيد من أبعدته، والمحروم من أحرمته، والرابح من أوهبته، والخاسر من عذبته، أسألك باسمك العظيم، ووجهك الكريم، وعلمك المكنون، الذي بعد عن إدراك الأفهام، وغمض عن مناولة الأوهام، باسمك الذي جعلته على الليل فدجى، وعلى النهار فأضاء، وعلى البحار فزخرت، وعلى الجبال فدكدكت، وعلى الرياح فتناشرت[1]، وعلى السموات فارتفعت، وعلى الأصوات فخشعت، وعلى

(١) كذا في الأصل.

الملائكة فسجدت، اللهم إني أسألك إن كنت قضيت حاجتي، وأنجحت طلبتي، فألحقني بصويحباتي، ثم صاحت صحية فارقت الدنيا، رحمة اللَّه عليها، انتهى ما ذكره القرطبي.

قال المحقق وهذا يعني كون الدعاء ونحوه يكون سبب انقطاع عذاب القبر، كما يشفع الشافع في المتعذب في الدنيا فيخلص من العذاب بشفاعته، لكن هذه شفاعة قد تكون بدون إذن المشفع عنده، واللَّه سبحانه وتعالى لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له، ولا يعتبر بغير هذا، فإنه شرك وباطل تعالى اللَّه عنه، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ﴿مَا[1] مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣] ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤].

وقد ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد اللَّه بن نافع قال: مات رجل من أهل المدينة فرآه رجل كأنه من أهل النار، فاغتم لذلك، ثم إنه بعد ساعة أو ليلة ثانية رآه من أهل الجنة، فقال: ألم تكن من؟ قلت: إنك من أهل النار؟ قال: قد كان ذلك، إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في أربعين من جيرانه فكنت أنا منهم، وتقدمت.

وفي كتاب «الروح» للمحقق عن بشار بن غالب قال: رأيت رابعة العدوية في منامي، وكنت كثير الدعاء لها، فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور، مخمرة بالمناديل الحرير، فقلت: وكيف

(١) في الأصل (فما) والمثبت هو الصواب.

ذلك؟ فقالت هذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم، جعل ذلك الدعاء على أطباق من نور، وخُمِّر بمناديل الحرير، ثم إن الذي دعى له من الموتى يقال له: هذه هدية فلان إليك، قال ابن أبي الدنيا: وحدثني عبد اللّه بن بجير قال: حدثني بعض أصحابنا قال: رأيت أخاً لي في النوم بعد موته فقلت: أيصل إليكم دعاء الأحياء؟ قال: إي واللّه مثل النور نلبسه، واللّه الموفق.

فإن قلت: ما الأسباب[1] الموجبة لعذاب القبر؟

فالجواب من وجهين كما ذكره المحقق مجمل ومفصل.

أما المجمل فإنهم يعذبون على جهلهم بالله، ومخالفتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب اللّه روحاً عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه، ولا بَدَناً كانت فيه أبداً، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب اللّه وسخطه على عبده، فمن أغضب اللّه وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب اللّه وسخطه عليه.

وأما الجواب المفصل فقد أخبر ﷺ عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما، يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، وبعدم التنزه من البول[2] فهذا ترك الطهارة، وذاك ارتكب سبباً موقعاً للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقاً، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور أعظم عذاباً، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهاً على أن من ترك

---

(١) في حاشية الأصل/ قف على الأسباب الموجبة لعذاب القبر.

(٢) تقدم ص ٢٠٨ .

الصلاة التي هي المقصودة من الطهارة والاستبراء من البول أشد عذاباً، فعذاب القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله، فالكذاب والمغتاب وشاهد الزور، وقاذف المحصن، والوقيعة في الفتنة، والداعي إلى البدعة، والقائل على اللَّه ورسوله ما لا علم له به، والمجازف في كلامه، وآكل الربا وكاتبه وشاهداه، وكذا معطيه، وآكل أموال اليتامى، وآكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق، كذا مال الذمي والمستأمن وشارب المسكر، وأكلة لقمة الشجرة الملعونة(١)، والزاني واللوطي والخائن والغادر والمخادع والماكر، والمحلل والمحلل له، والمحتال على إسقاط فرائض الله، وارتكاب محارمه، ومؤذي المسلمين، ومتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتي بخلاف ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرم الله، والمقدم رأيه وذوقه على سنة رسول اللَّه ﷺ، والنائحة والمستمع إليها، ونوابح جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرم اللَّه ورسوله، والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه ونقصهم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمراءون والمتكبرون والهمازون والطعانون على السلف، والذين يأتون

---

(١) ذكر أبو شامة في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) (٢٦) في معرض حديثه عن البدع التي يظنها بعض العامة قربات مثل بعض المواضع التي يعتقدون بفضلها أو حلول بعض الصالحين من الأموات فيها فقد قال: «وفي مدينة دمشق صانها اللَّه تعالى من ذلك مواضع متعددة، كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهل اللَّه قطعها واجتثاثها من أصلها فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث».
قلت: لعل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ يقصد هذه الشجرة أو أي شجرة أخرى يعتقد الناس فيها هذا المعتقد.

الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذي إذا خوفته باللَّه وذكرته به لم ينزجر، وإذا خوفته بمخلوق خاف وانزجر، والذي يهذي بكلام اللَّه ورسوله فلا يهدي ولا يرفع به رأساً، فإذا بلغه عمن يحسن الظن به ممن يصيب ويخطئ عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه، والذي يعظم غير الله عليه، والمفتخر بالمعصية، والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك، وفاحش اللسان، والمؤخر الصلاة وناقرها نقراً، ومانع الزكاة، والذي لا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع في لحظه ولا في لفظه، ولا يبالي مما حصل المال من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسلمين، ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الجيران والحيوان، بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، ويرائي العالمين، ويمنع الماعون، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها، وكبرها وصغرها، إن لم يعف عنهم أرحم الراحمين.

قال المحقق: ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين، والفائز منهم قليل، فظاهر القبور تراب، وباطنها حسرة وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي باطنها الدواهي والبليات، تغلي بالحشرات كما تغلي القدور بما فيها، فكم جدث يزوق بالنقوش، وباطنه أَرَثُّ من الحشوش.

فإن قلت: ما الأسباب المنجية من عذاب القبر(١)؟

فالجواب: كما قال المحقق من وجهين أيضاً، مجمل ومفصل.

---

(١) في الأصل/ قف على الأسباب المنجية من عذاب القبر.

فالمجمل: تجنب تلك الأسباب التي تقتضي ذلك العذاب، ومن أنفعها أن يجلس عندما يريد النوم للَّه تعالى ساعة، يحاسب فيها نفسه على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله، ثم ينام على تلك التوبة، ويعزم على أن لا يعود إلى ذنب، فإذا استيقظ استيقظ مستقبلًا للعمل مسروراً بتأخير أجله حين يستقبل ربه.

قال المحقق: وليس للعبد أنفع من هذه التوبة، ولاسيما إذا أعقب ذلك بذكر اللَّه واستعمال السنن التي وردت على النبي ﷺ عند النوم، حتى يغلبه النوم، فمن أراد اللَّه به خيرا وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله.

وأما الجواب المفصل: فما روي عنه ﷺ من الأحاديث الثابتة، فمنها ما رواه مسلم في صحيحه عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه صلى عليه وسلم يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان**»[١]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فسمع إنساناً يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هي المانعة هي المنجية تنجية من عذاب القبر**»[٢]. رواه الترمذي وقال حديث غريب.

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: «**إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلًا من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت**

---

(١) سبق ص ١٨٧ .

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٤) رقم ٢٨٩٠ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٤) رقم ١٢٨٠١ .

عنه، ورأيت رجلًا من أمتي قد تسلط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشه الشيطان فجاءه ذكر الله فطرد الشيطان عنه، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم»(١) الحديث. رواه أبو موسى المديني قال: حسن جداً وسيأتي إن شاء الله تعالى فيما بعد.

قال الحافظ ابن رجب: روى بإسناد ضعيف عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عذاب القبر يرفع عن الموتى في شهر رمضان.

وحكى اليافعي في (روض الرياحين) عن بعض الأولياء قال: سألت الله سبحانه أن يريني مقامات أهل المقابر فرأيت في ليلة من الليالي القبور قد انشقت، وإذا منهم النائم على السندس، ومنهم النائم على الحرير والديباج، ومنهم النائم على الريحان، ومنهم النائم على السرر، ومنهم الباكي، ومنهم الضاحك، فقلت يا رب، لو شئت ساويت بينهم في الكرامة، فنادى مناد من أهل القبور: يا فلان هذه منازل الأعمال، أما أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن، وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء، وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون، وأما أصحاب المراتب - يعني السرر - فهم المتحابون في الله، وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون، وأما أصحاب الضحك فهم أهل التوبة.

---

(١) أخرج نحوه الطبراني في الأحاديث الطوال (٢٨١) رقم ٣٩ وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٦٩٩) من طريقين عن عبد الرحمن بن سمرة وقال: هذا حديث لا يصح، أما الطريق الأول ففيه هلال أبو جبلة وهو مجهول، وفيه الفرج بن فضالة، قال ابن حبان: يقلب الأسانيد ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة لا يحل الاحتجاج به، فأما الطريق الثاني ففيه علي بن زيد، قال أحمد ويحيى: ليس بشيء، وقال أبو زرعة: يهم ويخطئ فاستحق الترك، وفيه مخلد بن عبد الواحد قال ابن حبان: منكر الحديث جدا، ينفرد بمناكير لا تشبه أحاديث الثقات.

وذكر اليافعي فيه أيضاً قال: بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشريفاً لهذا الوقت، قال: ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار، وعمم النسفي في (بحر الكلام) فقال: إن الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان، وأما المسلم العاصي فإنه يعذب في قبره لكن ينقطع عنه يوم الجمعة وليلتها ثم لا يعود إليه إلى يوم القيامة، قال: وإن مات ليلة الجمعة أو يومها يكون له العذاب ساعة واحدة، وضغطة القبر كذلك ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إليه، انتهى.

قلت: وهذا إنما هو مجرد زعم لا دليل عليه، فيجب أن يطرح ولا يصغي له من ذاق شيئاً من حديث الصادق المصدوق ﷺ، فإنه جزم بأن عذاب القبر يرفع في جميع شهر رمضان، وقد علمت أن الحديث ضعيف، والضعيف لا ينبني عليه مثل هذا الأصل العظيم، ثم إنه تجازف فزعم أن الكافر يرفع عنه العذاب أيضاً. وقد علمت ما فيه مما ذكرنا آنفاً في كلام المحقق، ثم إنه على ما زعم لا تعذب عصاة المسلمين إلا جمعة واحدة، هذا على ما زعم أكثرهم عذاباً، لأنهم إذا أتت عليهم ليلة الجمعة انقطع عنهم ذلك ثم لا يعود، وما أحسن هذا لو كان له دليل يعول عليه، أو مستند يستند إليه، لكن مجرد الزعم والحدس لا يثبت به مثل هذا، والله أعلم.

فائدتان: الأولى ذكر المحقق في «بدائع الفوائد» ما نصه: نقلت من خط القاضي أبي يعلى في تعاليقه: ولابد من انقطاع عذاب القبر، لأنه من عذاب الدنيا، والدنيا وما فيها منقطع، فلابد أن يلحقهم العناء والبلاء، ولا يعرف مقدار مدة ذلك.

قال السيوطي: ويؤيد ذلك ما أخرجه هناد في (الزهد) عن مجاهد: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم يوم القيامة، فإذا صيح بأهل القبور

يقول الكافر «يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ فيقول المؤمن: إلى جنبه (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون).

الثانية: قال المحقق في «البدائع» أيضاً: قال جماعة من الناس: إذا ماتت نصرانية في بطنها جنين مسلم نزل ذلك القبر نعيم وعذاب، فالنعيم للابن، والعذاب للأم، قال: ولا بعد في ذلك، كما لو دفن في قبر واحد مؤمن وكافر، فإنه يجتمع في القبر النعيم والعذاب، واللّه الموفق للصواب.

* * *

فصل

وأما ما شوهد من نعيم القبر وكرامة أهله فكثير جداً، وقد تقدم بعض ذلك، وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (الرقة والبكاء)، أن وراد العجلي لما مات وحمل إلى حفرته نزلوا ليدلوه في حفرته، فإذا اللحد مفروش بالريحان، فأخذ بعضهم من ذلك الريحان فمكث سبعين يوماً طرياً لا يتغير، يفد الناس ويروحون وينظرون إليه، فأَكْثَرَ الناسُ في ذلك، فأخذه الأمير وفرق الناس خشية الفتنة، ثم فقده الأمير من منزله فلم يدر أين ذهب؟

وروى أبو بكر الخطيب بإسناده عن محمد بن مخلد الدراوردي قال: ماتت أمي فنزلت ألحدها، فانفرجت لي فرجة عن قبر بلزقها، فإذا رجل عليه أكفان جدد، وعلى صدره طاقة ياسمين طرية، فأخذتها فشممتها فإذا هي أزكى من المسك، وشمتها جماعة كانوا معي، ثم رددتها إلى موضعها وسددت الفرجة.

وذكر ناصر السنة أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طريق جعفر السراج عن بعض شيوخه قال: كشف قبر قرب قبر الإمام أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وإذا على بدن الميت ريحانة تهتز.

وذكر ابن الجوزي أيضاً في تاريخه أن في سنة ست وسبعين ومائتين انفرج تل في أرض البصرة يعرف بتل شقيق عن سبعة أقبر في مثل الحوض، فيها سبعة أنفس، أبدانهم صحيحة، وأكفانهم يفوح منها رائحة المسك، أحدهم شاب له جمة[1] وعلى شفته بلل كأنه شرب ماء، وكأن

(١) الجمة: هو الشعر يسقط على المنكبين. غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ١٧٣).

عينيه مكتحلتان، وبه ضربة في خاصرته، وأراد بعض من حضر أن يأخذ من شعره شيئاً فإذا هو قوي كشعر الحي.

وذكر ابن سعد في طبقاته بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت ممن حفر لسعد بن معاذ قبره بالبقيع، وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا من قبره تراباً، حتى انتهينا إلى اللحد، وبإسناده عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال: أخذ إنسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن يونس بن أبي الفرات قال: حفر رجل قبراً، فقعد يستظل فيه من الشمس، فجاءت ريح باردة فأصابت ظهره، فإذا نقب صغير فوسعه بأصبعه، فإذا هو ينظر مد البصر، وإذا شيخ مخضوب كأنما رفعت المواشط يديها عنه، وقد بقي من أكفانه على صدره شيء.

وأما من شوهد بدنه طرياً صحيحاً وأكفانه عليه صحيحة بعد تطاول المدة من غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكثير جداً، منها ما ذكره بن أبي شيبة عن عروة بن الزبير قال: لما سقط جدار بيت النبي ﷺ وعمر بن عبد العزيز رحمه الله على المدينة، انكشف قدم من القبور التي في البيت، فأصابها شيء. فدميت، ففزع من ذلك عمر بن عبد العزيز فزعاً شديداً، فدخل عروة البيت، فإذا القدم قدم عمر بن الخطاب، فقال لعمر: لا تفزع، هي قدم عمر بن الخطاب فأمر بالجدار فبني ورد على حاله.

ومنها ما ذكره أبو القاسم البغوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجري عيناً إلى أُحد، فكتب إليه عامله أنها لا تجري إلا على قبور الشهداء، فكتب إليه أن أنفذها، قال: سمعت

جابراً يقول: فرأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم نُوَّمٌ، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعثت دماً.

وروى الإمام مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد اللّه بن عمرو الأنصاري كانا في قبر واحد، وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفر السيل قبرهما، فحفر عليهما ليغيرا من مكانهما، فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهم قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو هكذا، فأشيلت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين أحد وبين ما حفر عليهما ست وأربعون سنة.

وفي حديث الترمذي الذي خرجه عن صهيب المرفوع في قصة أصحاب الأخدود، أن ذلك الغلام الذي قتله الملك وآمن الناس كلهم وقالوا آمنا برب الغلام، وجد في زمان عمر بن الخطاب ويده على جرحه كهيئته حين مات[(١)].

وقال ناصر السنة أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: أن الشريف أبا جعفر بن أبي موسى قدس اللّه روحه لما دفن إلى جانب قبر الإمام أحمد رضي الله عنه بعد وفاة الإمام بمائتين[(٢)] سنة رؤى كفن الإمام أحمد رضي الله عنه وهو يتقعقع، قال: ولما كشف قبر البربهاري فاحت ببغداد رائحة طيبة حتى ملأت المدينة.

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٧) رقم ٣٣٤٠ وقال: هذا حديث حسن غريب، والحديث أصله في مسلم رقم ٣٠٠٥ .
(٢) كذا بالأصل.

الباب الثالث

فيما ورد من سماع الموتى كلام الأحياء وتلاقيهم، ومعرفتهم بحالهم بعد الموت وحال أقاربهم في الدنيا ومحل الأرواح في البرزخ

قد تقدم شيء من الكلام على هذا الباب فليتفطن له ونقول الآن:

أما سماع الموتى كلام الأحياء ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر وظهر عليهم يعني مشركي قريش رسول الله ﷺ أمر ببضعة وعشرين رجلًا، وفي رواية أربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش فألقوا في طوى - أي في بئر من أطواء بدر - وأن رسول الله ﷺ ناداهم: «**يا أبا جهل ابن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة ابن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها فقال: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»(١). زاد في رواية لمسلم عن أنس: «**ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**»(٢) وأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت: ما قال رسول الله ﷺ: «**إنهم يسمعون الآن أما أقول إنما قال: ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم إنه حق، قد قرأت قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]**»(٣).

قال الحافظ ابن رجب: وقد وافق عائشة على نفي سماع الموتى كلام

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٩٧٦ .

(٢) رواه مسلم ٢٨٧٤ .

(٣) رواه البخاري رقم ٣٩٧٩ .

الأحياء طائفة من العلماء، ورجحه القاضي أبو يعلى من أكابر أصحابنا في كتابه «الجامع الكبير» واحتجوا بما احتجت به، وأجابوا عن حديث قليب بدر بما أجابت به عائشة، وبأنه يجوز أن يكون ذلك معجزة مختصة بالنبي ﷺ دون غيره، وفي صحيح البخاري قال قتادة: أحياهم اللَّه تعالى - يعني أهل القليب حتى أسمعهم قوله ﷺ توبيخاً وتصغيراً، ونقمة وحيرة وندماً[(١)].

وذهب طوائف من أهل العلم إلى سماع الموتى كلام الأحياء في الجملة، قال ابن عبد البر: ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم وهم الأكثرون، وهو اختيار الطبري - يعني ابن جرير - وغيره، وكذا ذكره ابن قتيبة وغيره، وهؤلاء يحتجون بحدث القليب كما سبق، وليس هو وهم ممن رواه، فإن عمر وأبا طلحة وغيرهما ممن شهد القصة حكاه عن النبي ﷺ، وعائشة رضي الله عنها لم تشهد ذلك، وروايتها عن النبي ﷺ «**أنه قال إنهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم حق**»[(٢)] تؤيده رواية من روى «**إنهم ليسمعون**» ولا تنافيها، فإن الميت إذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع، لأن الموت ينافي العلم، كما ينافي السمع والبصر، فلو كان مانعاً من البعض لكان مانعاً من الجميع، وتقدم حديث أم محجن.

وأما قول من قال: إن ذلك خاص بكلام النبي ﷺ فليس كذلك، فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع قبره وتولى عنه أصحابه إنه يسمع قرع نعالهم**»[(٣)] وتقدم، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ[(٤)] لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] فإن السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه، ويراد به

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٩٧٦ .
(٢) رواه البخاري رقم ٣٩٧٩ بتقديم وتأخير بسيط، ومسلم رقم ٩٣٢ .
(٣) رواه البخاري رقم ١٣٧٤، ومسلم ٢٨٧٠ .
(٤) في الأصل (فإنك) والمثبت هو الصحيح.

الانتفاع به والاستجابة له، والمراد بهذه الآيات نفي الثاني دون الأول، فإنها في سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدى والإيمان إذا دعوا إليه، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا**﴾ الآية [الأعراف: ١٧٩] فَنَفَىٰ السماع والإبصار عنهم، لأن الشيء قد ينفى لانتفاء فائدته وثمرته، فإذا لم ينتفع المرء بما سمعه وأبصره فكأنه لم يسمع ولم يبصر، وسماع الموتى بهذه المثابة، وكذلك سماع الكفار لمن دعاهم إلى الإيمان والهدى، وقول قتادة في أهل القليب: أحياهم اللَّه حتى أسمعهم، يدل على أن الميت لا يسمع القول إلا بعد إعادة الروح إلى جسده، كما جاء ذلك مصرحاً في حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ الطويل وتقدم وفيه: «**وتعاد روحه إلى جسده**»(١) وقد رجح جماعة أن السؤال والعذاب والثواب أعني النعيم للروح خاصة، وعليه الإمام ابن عقيل، وأبو الفرج ابن الجوزي في بعض تصانيفهما، واستدل الإمام ابن عقيل بأن أرواح المؤمنين تتنعم في حواصل طيور خضر، وأرواح الكفار في حواصل طيور(٢) سود، وهذه الأجساد تبلى، فدل ذلك على أن الأرواح تعذب وتنعم في أجساد أخرى كذا زعم، وهذا لا حجة فيه، لأنه لا ينافي اتصال الروح ببدنها أحياناً مع بقائه واستحالته، واستدل بعض من ذهب إلى هذا القول بما روي أن ابن عمر دخل المسجد وابن الزبير قد قتل وصلب فقيل له: هذه أسماء بنت أبي بكر في المسجد، فقال لها: اصبري فإن هذه الجثة ليست شيء، وإن الأرواح عند اللَّه، فقالت: وما يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل؟.

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد (٤/ ٢٨٧) رقم ١٨٥٥٧، وأبو داود (٢/ ٦٥٢) رقم ٤٧٥٣، وتقدم.

(٢) في حاشية الأصل/ وفي لفظه: طير في الموضعين.

وبما روى ابن أبي الدنيا: نزل ابن عمر إلى جانب قبور قد درست، فنظر إلى قبر منها فإذا جمجمة بادية، فأمر رجلًا فواراها، ثم قال: إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئاً، وإنما الأرواح التي تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة.

وروى محمد بن سعد عن خالد بن معدان قال: لما انهزمت الروم يوم أجنادين انتهوا إلى موضع لا يعبره إلا إنسان، فجعلت الروم تقاتل عليه، فتقدم هشام بن العاص فقاتلهم حتى قتل ووقع على تلك التلة فسدها، فلما انتهى المسلمون إليها هابوا أن يوطئوه الخيل، فقال عمرو بن العاص: إن اللَّه قد استشهده ورفع روحه، وإنما هو جثة فأوطئوه الخيل، ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه.

فأجاب ابن رجب كغيره أن هذه الآثار لا تدل على أن الأرواح لا تتصل بالأبدان بعد الموت، وإنما تدل على أن الأجساد لا تتضرر بما ينالها من عذاب الناس لها، أو من أكل التراب لها، وهذا حق، فإن عذاب القبر ليس من جنس عذاب الدنيا، وإنما هو نوع آخر يصل إلى الميت بمشيئة اللَّه عز وجل وقدرته، وقولهم إن الأرواح عند اللَّه تعاقب وتثاب، لا ينافي أن تتصل بالبدن أحياناً فيتصل[1] بذلك إلى الجسد نعيم أو عذاب، قال: وقد تستقل الروح أحياناً بالنعيم والعذاب، إما عند استحالة الجسد أوقبل ذلك.

وأثبتت طائفة النعيم والعذاب للجسد من غير اتصال الروح به، وممن ذكر ذلك من أصحابنا الإمام ابن عقيل في كتاب (الإرشاد)، وابن الزاغوني، وحكي عن ابن جرير الطبري، وذكر القاضي أبو يعلى أنه ظاهر كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنه قال في رواية حنبل: أرواح المؤمنين في

(١) كذا بالأصل ولعلها (فَيَصِلُ).

الجنة، وأرواح الكفار في النار، والأبدان في الدنيا يعذب اللّه من يشاء ويرحم من يشاء بعفوه.

قال القاضي: دل هذا على أن الأرواح تعذب وتنعم على الانفراد، وكذلك الأبدان إن كانت باقية، أو الأجزاء التي استحالت، قال: ولا مانع أن يُخْلَقَ في الأبدان إدراك تحس به النعيم والعذاب كما خلق في الجبل لما تجلى له ربه ثم جعله دكا، وقال ابنه القاضي أبو حسين: ولأنه لما لم يستحل نطق الذراع المسمومة لم يستحل عذاب الجسد البالي واتصال العذاب إليه بقدرة اللّه تعالى.

قال الحافظ ابن رجب وقد يستدل لهذا أيضاً بأن عمر قال للنبي ﷺ يوم كلم أهل القليب: كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فلم ينكر النبي ﷺ ذلك وإنما قال «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»(١) فدل على أن سماعهم حصل على أجساد لا أرواح فيها، وقد دل القرآن على سجود الجمادات وتسبيحهما للّه عز وجل وخشوعها(٢)، له فدل على أن فيها حياة تحسها وإدراكاً، فلا يمنع مثل ذلك في جسد ابن آدم بعد مفارقة الروح له، واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

قال الحافظ: ويدل على ذلك ما أخبر اللّه من شهادة الجلود والأعضاء يوم القيامة(٣) وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في اختصام الروح والجسد يوم القيامة، فإنه يدل على أن الجسد يخاصم الروح ويكلمها وتكلمه قال: ومما

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٣٩٧٦، ومسلم ٢٨٧٣.

(٢) يقول تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج: ١٨].

(٣) قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠].

يدل على وقوع العذاب على الأجساد الأحاديث الكثيرة[١] في تضييق القبر على الميت حتى تختلف أضلاعه، ولأنه لو كان العذاب على الروح خاصة لم يختص العذاب بالقبر ولم ينسب إليه، انتهى.

والمعروف أن العذاب والنعيم على الأرواح والأجساد، وأن الأرواح لها نوع اتصال بالجسد، وبسبب ذلك يتألم الجسد ويتنعم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

❋ ❋ ❋

(١) تقدمت عدة أحاديث تدل على ذلك.

فصل

وأما تلاقي الأموات في البرزخ فقد روى مسلم بن إبراهيم الوراق من حديث أبي قتادة مرفوعاً: «**إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه، فإنهم يتزاورون في قبورهم**»(١). وخرجه الترمذي وابن ماجه غير أنهما لم يذكرا أنهم يتزاورون في قبورهم وخرجه محمد بن يحيى الهمداني في صحيحه بهذه الزيادة، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم**»(٢). ذكره الحافظ ابن رجب في (أهوال القبور) بصيغة التمريض، ولفظه يروى من حديث محمد بن مصفى، ثنا معاوية عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ فذكره، وخرجه ابن أبي الدنيا عن راشد بن سعد أن رجلًا توفيت امرأته، فرأى نساءً في المنام ولم ير امرأته معهن، فسألهن عنها فقلن إنكم قصرتم في كفنها فهي تستحي أن تخرج معنا، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: «**انظر هل إلى ثقة من سبيل**» قال: فأتى رجلًا من الأنصار قد حضرته الوفاة فأخبره، فقال الأنصاري: إن كان أحد يبلغ الذي بلغت قال: فتوفي الأنصاري فجاء

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٩٤٣ عن جابر بلفظ: «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه». عن جابر.

والترمذي بلفظ المصنف (٣/ ٣٢٠) رقم ٩٩٥ بدون «فإنهم يتزاورون في قبورهم» عن جابر، وابن ماجه عن قتادة باللفظ الذي رواه به الترمذي، والحديث بهذه الزيادة رواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٤٣١) رقم ٦٢٨ عن ابن سيرين ولم يرفعه ولفظه عن ابن سيرين قال: كان يقال: من ولي أخاه فليحسن كفنه، وإنه بلغني أنهم يتزاورون في أكفانهم.

والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٠) رقم ٩٢٦٨ عن أبي قتادة مرفوعاً: «من ولي أخاه فليحسن كفنه فإنه يتزاورون فيها».

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا وهو يتحدث عن الحديث السابق (١/ ١٠١) رقم ٢٦٦ .

بثوبين مثرودين بالزعفران فجعلهما في كفن الأنصاري، فلما كان الليل رأى النسوة معهن امرأته وعليها الثوبان الأصفران[١].

قال الجلال السيوطي: هذا مرسل لا بأس بإسناده.

وذكر ناصر السنة ابن الجوزي في (عيون الحكايات) بسنده عن محمد ابن يوسف الفريابي قال: كانت امرأة بقيسارية فتوفيت، فرأتها بنتها في المنام فقالت: يا بنية كفنتموني بكفن ضيق، وأنا بين صواحباتي أستحي منهن، وفلانة تأتينا في يوم كذا وكذا، ولي في موضع كذا أربع[٢] دنانير، فاشتروا بها كفناً وابعثوا به إليَّ معها، قالت البنت: ولم أعلم أن لها في الموضع الذي ذكرته دنانير، قالت: فنظرت فإذا الدنانير كما ذكرت، ولم يكن بالمرأة التي ذكرت بأس، فلما كان بعد اعتلت المرأة، قال الفريابي: فجاءوني فقالوا يا عبد اللَّه ما تقول، وقصوا عليَّ القصة، فذكرت الحديث الذي ورد أنهم يتزاورون في أكفانهم[٣]، فقلت: اشتروا لها كفناً، وذهبت البنت إلى المرأة، فقالت: إن حدث بك حادثة الموت فإني أبعث إلى أمي بشيء تبلغيه، فماتت في اليوم الذي ذكرته، ووضعوا الكفن معها في كفنها، فرأت البنت أمها في المنام فقالت: يا بنية قد أتتنا فلانة ووصل إليَّ الكفن، ما أحسنه، جزاك اللَّه خيراً[٤].

وذكره الحافظ ابن رجب بنحوه، وقد أخرج الإمام أحمد وغيره من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن درة بنت معاذ عن أم هانئ الأنصارية أنها

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (٨٧) رقم ١٦١، وذكره ابن رجب في (أهوال القبور) (١٢٨).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) سبق ص ٢٥٧.

(٤) هذه منامات ولم يأت في السنة الصحيحة ما يؤيدها.

سألت رسول اللَّه ﷺ أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال ﷺ: **«يكون النسم طيراً يعلق بالشجر، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها»**[(١)].

* * *

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٢٤) رقم ٢٧٤٢٧، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٤٣٨) رقم ١٠٧٢، وروى نحوه مالك في الموطأ (١/ ٢٤٠) رقم ٥٦٨ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٧٤) رقم ٣٩٣٤ وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وفيه كلام.

فصل

وأما معرفة الموتى بمن يزورهم ويسلم عليهم، فأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم»**(١). وأخرج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم رد عليه السلام، وأخرج ابن عبد البر عن ابن عباس مرفوعاً: **«ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا يسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»**(٢) قال عبد الحق الإشبيلي: إسناده صحيح، وتعقبه الحافظ ابن رجب بأنه ضعيف بل منكر، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ **«أنه وقف على مصعب بن عمير حين رجع من أحد، فوقف عليه وعلى أصحابه فقال: أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة»**(٣). ورواه البيهقي والحاكم وصححه وغيرهما.

---

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٩١) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور، وفيه عبد الله بن سمعان ولم أقف على حاله، ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه، وصححه عبد الحق الإشبيلي.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/ ٣٨٠) والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٨٧) عن أبي هريرة، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٥٧) رقم ٤٢٦٠٢ وقال سنده جيد، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩١١) رقم ١٥٢٣ وقال: هذا حديث لا يصح وقد أجمعوا على تضعيف عبد الرحمن.

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٢٧١) رقم ٢٩٧٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي: أنا أحسبه موضوعاً، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٣٦٤) رقم ٨٥٠ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٠) رقم ٤٣١٦ عن ابن عمر، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بلال الأشعري ضعفه الدارقطني، وفي (٦/ ١٧٩) رقم ١٠١٢٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك.

وأخرج مسلم في صحيحه «كان رسول اللّه ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء اللّه بكم للاحقون، نسأل اللّه لنا ولكم العافية**»[١]. وفي حديث آخر «**ويرحم اللّه المستقدمين منكم والمستأخرين**»[٢]. رواه الإمام أحمد وفي آخره: «**اللّهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم**»[٣] ويحسن أن يزيد «واغفر لنا ولهم» قال شيخ الإسلام في فتاويه: الاستثناء يعني في قوله ﷺ: «**وإنا إن شاء اللّه بكم للاحقون**» لأجل بقاء الإيمان، فكأنه قال: نموت إن شاء اللّه مؤمنين، أو لأجل بيان تعليق كل الحوادث بمشيئة اللّه تفويضاً وتوكلًا واستعانة، أو لأجل اللحاق بأولئك المخاطبين، انتهى أو للتبرك كما قاله جماعة من الفقهاء.

وخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) من رواية عطاء ابن خالد، حدثتني خالتي قالت: ركبت يوماً على قبور الشهداء، فنزلت عند قبر حمزة رضي الله عنه وما في الوادي داع ولا مجيب يتحرك إلا غلاماً قائماً أخذ برأس دابتي، فلما فرغت من صلاتي قلت: هكذا بيدي، السلام عليكم، فسمعت رد السلام عليَّ يخرج من تحت الأرض، أعرفه كما أعرف أن اللّه خلقني، وكما أعرف الليل من النهار، فاقشعرت كل شعرة مني.

وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما حضره الموت قال في وصيته: إذا دفنتموني فشنوا عليَّ التراب شناً، ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي.

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٩٧٥ باختلاف يسير في لفظتين.
(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٢١) رقم ٢٥٨٩٧.
(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٧١) رقم ٢٤٤٦٩ .

قال الحافظ ابن رجب: وخرج ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن ابن أبي التياح قال: كان مطرف يبدو، فإذا كان يوم الجمعة أدلج قال: فأقبل حتى إذا كان عند المقابر هوّم[1] على فرسه، فرأى كأن أهل القبور كل صاحب قبر جالس على قبره، فقالوا: هذا مطرف يأتي الجمعة، قلت: أتعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم ونعلم ما تقول فيه الطير، قلت: ما تقول الطير؟ قال: تقول سلام سلام يوم صالح، قال ابن أبي الدنيا: وحدثني إبراهيم بن سيار الكوفي قال: حدثني الفضيل بن موفق قال: كنت آتي قبر أبي كثيراً فشهدت جنازة، فلما قبر صاحبها تعجلت لحاجة ولم آت إلى قبر أبي، قال: فأُرِيتُه في النوم فقال: يا بني لِمَ لَمْ تأتني؟ قلت: يا أبت وإنك لتعلم بي؟ قال: إي واللّه إنك لتأتيني فما أزال أنظر إليك من حين تطلع من القنطرة حتى تقعد إليَّ، وتقوم من عندي فما أزال أنظر إليك مولياً حتى تجوز القنطرة.

قال ابن أبي الدنيا: قال الفضل بن موفق بن خال سفيان بن عيينة: لما مات أبي جزعت عليه جزعاً شديداً، فكنت آتي قبره كل يوم، ثم إني قصرت عن ذلك ما شاء اللّه، ثم إني أتيته يوماً فبينا أنا جالس عند القبر غلبتني عيناي فنمت، فرأيت كأن قبر أبي انفرج وكأنه قاعد في قبره متوشحاً بأكفانه عليه سجية الموتى قال: فبكيت لما رأيته، فقال: يا بني ما أبطأك عني؟ قال: قلت: وإنك لتعلم بمجيئي؟ قال: ما جئتَ من مرة إلا علمتها، وقد كنت تأتيني فأُسَرُّ بك ويسر من حولي بدعائك، قال: فكنت بعد آتيه كثيراً.

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن عثمان بن سودة الظفاوي وكانت أمه من العبَّادات وكان يقال لها راهبة، فماتت، قال: فكنت كثيراً آتيها كل جمعة

---

(١) الْهَوْم والتَّهَوُّمُ والتهويم: النوم الخفيف - لسان العرب/ مادة: هوم.

فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور، قال: فرأيتها ذات ليلة في منامي، فقلت لها: يا أمه فكيف أنت؟ فقالت: يا بني إن الموت لكربه شديد، وأنا بحمد اللَّه تعالى لفي برزخ محمود يفرش فيه الريحان، ويُوَسَّد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور، فقلت: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم، قلت: وما هي؟ قالت: لا تدع ما تصنع من زيارتنا والدعاء لنا، فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك، فيقال: يا راهبة ابنك قد أقبل، فَأُسَرُّ بذلك ويُسَرُّ مَنْ حولي من الأموات.

وأخرج الحافظ ابن رجب عن الأسد بن موسى قال: كان لي صديق فمات، فرأيته في النوم وهو يقول لي: سبحان اللَّه جئت إلى قبر فلان صديقك قرأت عنده وترحمت عليه، وأنا ما جئت إليَّ ولا قربتني، فقلت له: وما يدريك؟ قال: لما جئت إلى قبر صديقك فلان رأيتك، قلت: كيف رأيتني والتراب عليك؟ قال: ما رأيت الماء إذا كان في الزجاج أما يتبين؟. قلت: بلى. قال: كذلك نحن نرى من يزورنا.

تنبيه: قال الحافظ ابن رجب : قد ذكرنا فيما تقدم من كلام الموتى ورد السلام عليهم، يعني ما ذكرنا قال: ولا ينافي ذلك قوله ﷺ : «**ولا يستطيعون أن يجيبوا**» لأن المراد نفي الإجابة المعهودة التي يسمعها الأحياء، وقد ثبت تكلم الموتى كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد مرفوعاً «**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني**»[1] الحديث وتقدم، قلت: قد يقال إن رد السلام وعدمه يختلف باختلاف الأشخاص، وقد ذكر في (الروح) عن مالك بن دينار قال: رأيت مسلم بن يسار بعد موته فسلمت عليه فلم يرد علي

(١) رواه البخاري رقم ١٣١٤ .

السلام، فقلت: وما يمنعك أن ترد عليَّ السلام؟ قال: أنا مت فكيف أرد عليك السلام؟ فقلت: ماذا لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت واللَّه أهوالًا وزلازل عظاماً شدادا، قال: قلت: فما كان بعد ذا؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟! قَبِل منا الحسنات وعفى عن السيئات وضمن عنا التبعات، قال: ثم شهق مالك شهقة خر مغشياً عليه، فلبث بعد ذلك أياماً مريضاً، ثم انصدع قلبه فمات، رحمة اللَّه عليه.

* * *

فصل

وأما معرفة الموتى بحالهم في الدنيا قبل الدفن ومعرفتهم في قبورهم بحال أهليهم وأقاربهم في الدنيا.

فأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن قال: «**إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره**»(١) فقال ابن عمر وهو في المجلس - يعني لأبي سعيد - ممن سمعت هذا؟ فقال أبو سعيد: من رسول اللَّه ﷺ.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تفضحوا أمواتكم بسيئات أعمالكم، فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور**»(٢).

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيراً استبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا**»(٣) وأخرجه أبو داود من حديث جابر بن عبد اللَّه غير أنه قال: «حتى تهديهم كما هديتنا وألهمهم أن يعملوا بطاعتك»(٤).

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٦٢) رقم ١١٦١٨ وتقدم.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (٧) رقم ٢، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٩٧) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا والمحاملي بإسناد ضعيف، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٩) رقم ١٩٥ وقال: قال في المقاصد: سنده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٦٤) رقم ١٢٧٠٦.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٧٣) رقم ٣٩٣٣ وقال: رواه أحمد، وفيه رجل لم يسم.

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٤٨) رقم ١٧٩٤ بلفظ (إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقربائكم في قبورهم، فإن كان خيراً استبشروا بذلك، وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك»، وذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٥٠٩).

وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوفها، فاللَّه اللَّه في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم**»[(١)].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء أنه قال: إن أعمالكم تعرض على أمواتكم فيسرون ويساءون، فكان أبو الدرداء يقول عند ذلك: اللَّهم إني أعوذ بك أن أعمل عملًا أخزي عند عبد اللَّه بن رواحة رضي الله عنه وفي لفظ: اللَّهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي عبداللَّه بن رواحة إذا لقيته، يقول ذلك في سجوده.

ودخل عباد على إبراهيم بن صالح وهو أمير على فلسطين فقال له: عظني قال: ما أعظك أصلحك اللَّه؟ بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ماذا تعرض على رسول اللَّه ﷺ ابن عمك؟ قال: فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه على لحيته.

ومما ينبغي أن يتفطن له أنه جاء أن أعمال الأمة كلها تعرض على رسول اللَّه ﷺ، لأنه ﷺ للأمة بمنزلة الوالد بل أولى.

ولقد سمعت أستاذي الشيخ عبد القادر التغلبي قدس اللَّه روحه يقول: شيخ المرء أولى من أبيه، لأن أب الإنسان يربيه حتى يبلغ أشده

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (٦) رقم١ والحاكم في المستدرك (٤ / ٣٤٢) رقم ٧٨٤٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: فيه مجهولان، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٦١) رقم ١٠٢٤٣ .

وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٩٧) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدي عن النعمان من قوله الله الله، ورواه بكماله الأزدي في الضعفاء وقال: لا يصح إسناده، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكماله في ترجمة أبي إسماعيل السكوني رواية عن مالك بن أدي ونقل عن أبيه أن كلّا منهما مجهول، قال الأزدي: لا يصح إسناده، وذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدي.

ويدعه، فيكون جل تربيته له من جهة ما يتعلق بأمور الدنيا، وأما الشيخ فإنه يرشده لمعرفة ما يجب عليه، وما يسن، وما يكره، وما يحرم، وما يباح، ويدله على ربه ويعلمه كل ما يحتاج إليه من أمر آخرته، ويعرفه ما يجب للَّه، وما يجوز، وما يستحيل، وكذلك لنبيه أو نحو ذلك ﷺ وجزاه اللَّه عنا خيراً، ومما يدل لما ذكرنا من أن أعمال الأمة تعرض على النبي ﷺ ما أخرجه البزار في مسنده عن عبد اللَّه رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن للَّه ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام**»(١) وقال ﷺ: «**حياتي خير لكم، تُحدِثُون ويُحْدَثُ لكم، ومماتي خير لكم، تعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت اللَّه عليه، وما رأيت من شر استغفرت اللَّه لكم**»(٢).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين عن خالد بن عمرو القرشي حدثني صدقة بن سليمان الجعفري، قال: سرت سيرة سمجة، - أي قبيحة - فمات أبي فأبت وندمت على ما فرطت، قال: ثم زللت أيضاً زلة، فرأيت أبي في المنام فقال: أي بني ما كان أشد فرحي بك وأعمالك تعرض علي فنشبهها بأعمال الصالحين، فلما كانت هذه المرة استحييت حياء شديداً، فلا تخزني فيمن حولي من الأموات، قال خالد: فكان بعد ذلك قد خشع ونسك، فكنت أسمعه يقول في دعائه في السحر وكان لنا جاراً بالكوفة: أسألك إنابة لا رجوع فيها ولا حور، يا مصلح الصالحين، ومهدي الضالين وراحم المذنبين.

تنبيهان: الأول إذا كان الإنسان يستحي من أهله وأقاربه أن تعرض

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٤٠٩) رقم ٢٧٧٤ وأحمد (١/ ٤٤١)، و(١/ ٤٥٢) رقم ٤٣٢٠ بلفظ من بدلا عن، والبزار في مسنده (٥/ ٣٠٧) رقم ١٩٢٤.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٥٩٤) رقم ١٤٢٥٠ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) مسند الحارث (٢/ ١٨٤) رقم ٩٥٣ وذكره الهيثمي في تخريج الحديث السابق.

عليهم أعماله السيئة، فما باله لا يستحي من الذي خلقه من عدم، وعلمه الأخبار والحكم، وجعل له العقل والفكر، وخلق له السمع والبصر، وهو سبحانه وتعالى من غير شك مطلع على جميع أعماله الظاهرة والباطنة، لا ريب أن اللَّه أحق أن يستحى منه.

الثاني: قد ورد أن أبانا آدم تعرض عليه أعمال ذريته وأنه يفرح لصالحها ويغتم لسيئها، فينبغي لكل ذي لب أن لا يسوء أباه بأعماله الخبيثة.

وفي الحديث «**أن النبي ﷺ تعرض عليه صلاة أمته يوم الجمعة**»(١) ذكره الحافظ ابن رجب من حديث أوس وأبي الدرداء وأبي هريرة وأبي مسعود وأبي أمامة وأنس وغيرهم قال وأشهرها حديث أوس بن أوس قال: وأما قوله ﷺ : «**حياتي خير لكم**»(٢) إلى آخره. فقد رواه حماد بن زيد عن غالب بن بكر المزني مرسلًا.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب (الأولياء) بإسناده عن عبيد بن سعد عن أبي أيوب الأنصاري قال: غزونا حتى انتهينا إلى القسطنطينية، فإذا قاص يقول: من عمل صالحاً من أول النهار عرض على أقاربه ومعارفه إذا أمسى من أهل الآخرة، فقال أبو أيوب: انظر أيها القاص ما تقول، فقال: واللَّه إن ذلك لكذلك، فقال : اللَّهم لا تفضحني عند عبادة بن الصامت ولا عند سعيد بن عبادة فيما عملت بعدهما، فقال القاص: واللَّه ما كتب اللَّه ولايته لعبد إلا ستر عورته وأثنى عليه بأحسن عمله.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٨) رقم ١٦٢٠٧، وأبو داود (١/ ٣٤٢) رقم ١٠٤٧، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٨) رقم ٣٧٣٣، والحاكم في المستدرك (١/ ٤١٣)، رقم ١٠٢٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي كلهم من حديث أوس بن أوس الثقفي.

(٢) سبق ص ٢٦٧ .

وروى في كتاب (الموتى) بإسناده عن مجاهد: أن الرجل ليسر بصلاح ولده في قبره، وقد سبق في صدر الكتاب أن مصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين وأن مصعبا قال لعوف: أي أخي أينا مات قبل صاحبه فليتراآ له قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم. فمات مصعب فرآه عوف فيما يرى النائم، الخبر بتمامه تقدم.

قال الحافظ ابن رجب: وقد رويت هذه القصة على وجه آخر قال: وهو أشبه، فروى ابن المبارك في كتاب (الزهد) عن أبي بكر بن مريم عن عطية ابن قيس عن عوف بن مالك الأشجعي أنه كان مواخياً لرجل من قيس يقال له محكم، ثم إن محكماً حضرته الوفاة، فأقبل عليه عوف، فقال له محكم: إذا أنت وردت فارجع إلينا فأخبرنا بالذي صُنع بك، قال: يا محكم إن كان ذلك يكون لمثلي فعلت، فقبض محكم ثم ثوي عوف بعده عاماً فرآه في المنام فقال له: يا محكم ما صنعت؟ وما صنع بك؟ فقال له: وُفِّينا أجُورَنا، قال: كلكم؟ قال: كلنا إلا خواص هلكوا في السر الذين يشار إليهم بالأصابع، واللّه لقد وُفِّيت أجري كله، حتى وفيت أجر هرة ضلت لأهلي قبل وفاتي بليلة، فأصبح عوف فغدا على امرأة محكم، فلما دخل قالت: مرحباً، زور صعب بعد محكم، فقال عوف: هل رأيت محكم منذ مات؟ قالت: نعم رأيته البارحة ونازعني ابنته لتذهب معه، فأخبرها عوف بالذي رأى وما ذكر من الهرة التي ضلت، فقالت: لا علم لي بذلك، خدمي أعلم بذلك، فدعت خدمها فسألتهم فأخبروها أنها ضلت لهم هرة قبل موت محكم بليلة، قال الحافظ : ومحكم هو ابن جثامة أخو الصعب، قلت: والتعدد ممكن، واللّه أعلم.

قلت: بل يتعين حمل القصة على التعدد، لأن كلا الحكايتين محفوظ، فإن الإمام المحقق قال في قصة مصعب عن حماد بن سلمة عن

ثابت عن شهر بن حوشب، فذكر الحكاية وأثبتها كما أسلفنا.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن عياش عن حفار كان في بني أسد، قال الحفار: كنت أنا وشريك لي نتحارس في مقبرة بني أسد قال: فإنني لليلة في المقابر إذ سمعت قائلًا يقول من قبر: يا عبد اللّه، قال: مالك يا جابر؟ قال: غداً تأتينا آمنة قال: وما ينفعها لا تصل إلينا، إذ أبي قد غضب عليها وحلف أن لا يصلي عليها، قال: فجعلا يكرران ذلك مراراً، فجئت بشريكي فجعل يسمع الصوت ولا يفهم الكلام، فلقنته إياه ثم تفهم ففهمه، فلما كان من الغد جاءني رجل فقال: احفر في ههنا قبراً بين القبرين الذين سمعت منهما الكلام، فقلت: اسم هذا جابر واسم هذا عبد اللّه، قال: نعم، فأخبرته بما سمعت فقال: نعم، قد كنت حلفت أن لا أصلي عليها، لا جرم لأكفرن عن يميني ولأصلين عليها ولأترحمن عليها، قال: ثم مر بي بعد وبيده عكازاً وإداوة، فقال: إني أريد الحج لمكان يميني تلك.

وقال ناصر السنة ابن الجوزي قدس اللّه روحه: حدثني الشيخ أبو الحسن البرادنسي عن بعض العدول أن رجلًا رأى في منامه قاضي القضاة أبو الحسن الزينبي، فقال له: ما فعل اللّه بك؟ فقال: غفر لي. وأنشد:

وإن أمرؤ ينجو من النار بعدما تـزود مـن أعـمـالـهـا لـسـعـيـد

ثم قال: قل لفلان وفلان - رجلان كانا وصيين له - لم تضيقوا صدر فلانة وفلانة؟ فسمى ثلاث سراري كن له، قال: ولم أسمع بأسمائهن إلا في هذا المنام، فلقى الرجل الوصيين، فذكر لهما ذلك، فقالا: سبحان اللّه، واللّه لقد كنا البارحة في المسجد نتحدث في التضييق عليهن.

قال الإمام المحقق في [الروح] قال سعيد بن المسيب: التقي عبد اللّه ابن سلام وسلمان الفارسي رضي الله عنهما فقال أحدهما للآخر: إن مت قبلي

فأخبرني ما لقيت من ربك؟ وأنا إن مت قبلك لقيتك فأخبرتك، فقال الآخر: وهل تلتقي الأموات والأحياء؟ قال: نعم أرواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت، قال: فمات فلان فلقيه في المنام فقال: توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط.

وقال العباس عم رسول اللّه ﷺ ورضي عن العباس: كنت أشتهي أن أرى عمر رضي الله عنه في المنام، فما رأيته إلا عند قرب الحول، فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول: هذا أوان فراغي إن كان عرشي ليهد لولا أني لقيت رءوفاً رحيماً، وقال عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه تعالى: رأيت أبي في النوم بعد موته كأنه في حديقة، فدفع إليَّ تفاحة فأولتها الولد، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الاستغفار أي بني قال: ورأى مسلمة ابن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فقال: يا أمير المؤمنين مع أي الحالات صرت بعد الموت؟ فقال: يا مسلمة هذا أوان فراغي، واللّه ما استرحت إلا الآن، قال: قلت: فأين أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: مع أئمة الهدى في جنات عدن، قال: ولما مات الحسن بن صالح رآه عمار بن سيف في المنام فقال له: قد كنت متمنياً لقاءك فماذا عندك فتخبرنا به؟ فقال: أبشر فإني لم أر مثل حسن الظن باللّه شيئاً.

قال: ولما ماتت رابعة رأتها امرأة من أصحابها[١] وعليها حلة من استبرق وخمار من سندس، فقالت لها: ما فعلت بالجبة التي كفنتك فيها والخمار الصوف؟ قالت: واللّه إنه نزع عني وأبدلت به هذا الذي ترين علي، وطُوِيَتْ أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكمل لي ثوابها يوم القيامة، قالت: فقلت لها: كنت تعملين أيام الدنيا؟ فقالت: وما هذا عندما

(١) في حاشية الأصل/ لعله (من صاحباتها).

رأيت من كرامة اللَّه لأوليائه؟ قلت: فما فَعَلَتْ عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات سبقتنا واللَّه إلى الدرجات العلىٰ، قلت: وبم وقد كنت عند الناس أعبد منها؟ فقالت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا وأمست، فقلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ أعطي واللَّه فوق ما كان يؤمل . قلت: مريني بأمر أتقرب به إلى اللَّه، قالت: عليك بكثرة ذكر اللَّه، فيوشك أن تغبطي بذلك في قبرك.

قال: وقال أبو يعقوب القارئ: رأيت في منامي رجلًا آدم طويلًا والناس يتبعونه فقلت: من هذا؟ قالوا: أويس القرني، فاتبعته فقلت: أوصني يرحمك اللَّه؟ فكلح في وجهي فقلت: مسترشد فأرشدني رحمك اللَّه، فأقبل عليَّ فقال: ابتغ رحمة اللَّه عند محبته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك. ثم ولى وتركني.

وقال ابن السماك: رأيت مسعراً في النوم فقلت له: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: مجالس الذكر، وقال الأجلح: رأيت سلمة بن كهيل في النوم فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: قيام الليل.

وقال أبو بكر بن مريم رأيت وفاء بن مريم بعد موته فقلت: يا وفا ما فعلت؟ قال: نجوت بعد كل جهد، فقلت: أي الأعمال وجدتموها أفضل؟ قال: البكاء من خشية اللَّه عز وجل، قال: وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : انتبه عمر بن عبد العزيز ليلة فقال: لقد رأيت رؤيا معجبة: فقلت: جعلني اللَّه فداك فأخبرني بها فقال: ما كنت لأخبرك بها حتى أصبح، فلما طلع الفجر خرج ثم صلى الفجر ثم عاد إلى مجلسه، قالت: فاغتنمت خلوته فقلت: أخبرني بالرؤيا التي رأيت، قال: رأيت كأني رفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر، وإذا فيها

قصر أبيض كأنه الفضة، وإذا خراج[1] قد خرج من ذلك القصر، فهتف بأعلى صوته يقول: أين محمد بن عبد المطلب؟ أين رسول اللَّه ﷺ؟ إذ أقبل رسول اللَّه ﷺ حتى دخل ذلك القصر، ثم إن آخر خرج من ذلك القصر فنادى، أين أبو بكر الصديق بن أبي قحافة؟ إذ أقبل أبو بكر حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فنادى أين عمر بن الخطاب؟ فأقبل عمر حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فنادى أين عثمان بن عفان؟ فأقبل حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فأقبل حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى أين عمر بن عبد العزيز؟ قال عمر: فقمت حتى دخلت ذلك القصر قال: فرفعت إلى رسول اللَّه ﷺ والقوم حوله، فقلت في نفسي: أين أجلس؟ فجلست إلى جنب عمر بن الخطاب؟ فنظرت فإذا أبو بكر عن يمين النبي ﷺ، فإذا بين يدي رسول اللَّه ﷺ وبين أبي بكر رجل، فقلت: من هذا الرجل الذي بين يدي رسول اللَّه ﷺ وبين أبي بكر؟ فقالوا: هذا عيسى بن مريم، فسمعت هاتفاً يهتف وبيني وبينه ستر نور، يا عمر بن عبد العزيز، تمسك بما أنت عليه واثبت على ما أنت عليه، ثم كأنه أُذن لي في الخروج فقمت فخرجت من ذلك القصر، فالتفت خلفي فإذا أنا بعثمان بن عفان وهو خارج من ذلك القصر يقول: الحمد للَّه الذي غفر لي ربي، قال عمر بن عبد العزيز: رأيت رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليهم وجلست، فبينا أنا جالس إذ أتى بعلي ومعاوية، فأدخلا بيتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضُي لي ورب الكعبة، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة.

وقال حماد بن أبي هاشم: جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز فقال:

---

(١) كذا بالأصل ولعلها (خارج).

رأيت رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله، وأقبل رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس، فقال لك: يا عمر، إذا عملت فاعمل بعمل هذين لأبي بكر وعمر، فاستحلفه عمر باللَّه أرأيت هذه الرؤيا فحلف فبكى عمر، قال: وقال عبد الرحمن بن غنم: رأيت معاذ بن جبل رضي الله عنه بعد وفاته بثلاث ليال على فرس أبلق، وخلفه رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦] الآية ثم التفت عن يمينه وشماله يقول يا ابن رواحه، يا ابن مظعون، الحمد للَّه الذي صدقنا وعده، وأورثنا الجنة، ثم صافحني وسلم علي، قال: وقال قبيصة بن عقبة رأيت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت: ما فعل اللَّه بك يا أبا عبد اللَّه؟ فأنشأ يقول:

نظرت إلى ربي عياناً فقال لي ... هنيئاً رضاي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواماً إذا الليل قد دجا ... بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر تريده ... وزرني فإني منك غير بعيد

قلت: ذكر الحافظ ابن رجب في طبقات الأصحاب في ترجمة الحافظ العماد عن سبط ابن الجوزي أنه قال: نمت وأنا متفكر في جنازته - يعني العماد - وذكرت أبيات سفيان الثوري - يعني التي ذكرناها آنفاً - فقلت: أرجو أن العماد يرى ربه كما رآه سفيان عند نزول حفرته، ونمت فرأيت العماد في النوم وعليه حلة خضراء وعمامة خضراء، وهو في مكان متسع كأنه روضة، وهو يرقى في درج مرتفعة، فقلت: يا عماد الدين كيف بت؟ فإني واللَّه متفكر فيك، فنظر إلي وتبسم على عادته وقال:

رأيت إلهي حين أنزلت حفرتي ... وفارقت أصحابي وأهلي وجيرتي
فقال جزيت الخير عني فإنني ... رضيت فها عفوي لديك ورحمتي
دأبت زماناً تأمل الفوز والرضى ... فوقيت نيراني ولقيت جنتي

قال: فانتبهت مرعوباً وكتبت الأبيات . قال الحافظ في الطبقات: وذُكر أيضاً هذا المنام عن أبي المظفر السبط.

قلت: وكذا ذكره الشيخ عبد الرحمن العليمي في طبقاته المسمى (بالمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ﷺ) وفي طبقات الحافظ ابن رجب بعد هذا عن الضياء قال: رؤي الحافظ العماد في النوم على حصان فقيل له: إلى أين ؟ قال: أزور الجبار. ورآه آخر: فقال: ما فعل اللّه بك؟ فقال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]. واللّه أعلم.

وقال سفيان بن عيينة: رأيت سفيان الثوري يطير من نخلة إلى نخلة، ومن شجرة إلى شجرة، وهو يقول: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] فقيل له: بم أدخلت الجنة؟ فقال: بالورع، قيل له: فما فعل علي بن عاصم؟ قال: ما نراه إلا مثل الكوكب .

قال الإمام المحقق في كتاب [الروح] وكان شعبة بن الحجاج ومسعر كراماً حافظين، وكانا خليلين، قال أبو أحمد الترمذي فرأيتهما بعد موتهما فقلت: يا أبا بسطام ما فعل اللّه بك؟ فقال: وفقك اللّه لما أقول:

حباني إلهي في الجنان بقبة ... لها ألف باب من لجين وجوهرا
وقال لي الرحمن يا شعبة الذي ... تحبر في جمع العلوم فأكثرا
تنعم بقربي إنني عنك ذو رضا ... وعن عبدي القوام في الليل مسعرا
كفى مسعرا عزاً بأن سيزورني ... وأكشف عن وجهي الكريم لينظرا
وهذا فعالي بالذين تنسكوا ... ولم يألفوا في سالف الدهر منكراً

قال: وقال أحمد بن محمد الكندي: رأيت الإمام أحمد بن حنبل في النوم فقلت: يا أبا عبد اللّه ما فعل اللّه بك؟ قال: غفر لي ثم قال: يا أحمد

ضربت فيَّ ستين سوطاً؟ قلت: نعم يا رب، قال: هذا وجهي قد أبحتك فانظر إليه، وقال أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحجاج. حدثني رجل من أهل طرسوس قال: دعوت اللَّه عز وجل أن يرني أهل القبور حتى أسألهم عن أحمد بن حنبل ما فعل اللَّه به، فرأيت بعد عشر سنين في المنام كأن أهل القبور قد قاموا على قبورهم، فبادروني بالكلام فقالوا: يا هذا كم تدعو اللَّه عز وجل أن يريك إيانا؟ تسألنا عن رجل لم يزل منذ فارقكم تجليه الملائكة تحت شجرة طوبى.

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي: وهذا كلام من أهل القبور إنما هو إخبار عن علو درجة أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وارتفاع مكانه وعظم منزلته، فلم يقدروا أن يعبروا عن صفة حاله وعن ما هو فيه إلا بهذا وما هو في معناه.

قلت: وذكر الحافظ ابن رجب في طبقات الأصحاب رحمه الله في ترجمة أحمد بن علي الصوفي قال: كنت على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وكان من عادتي ألا أرجع في الأذان ولا أقنت في صلاة الفجر، غير أنني أجهر ببسم اللَّه الرحمن الرحيم، وكان عادتي أيضاً ليلة الغيم أنوي رمضان كما جرت عليه عادة أصحاب أحمد، فلما كان في بعض الليالي رأيت كأنني في دار حسنة جميلة وفيها الغلمان والخدم والجند خلق عظيم، وهم صغار وكبار، والدخل والخرج والأمر والنهي، فإذا رجل بهي شيخ على سرير، والنور على وجهه ظاهر، وعلى رأسه تاج من ذهب مرصع بالجوهر، وثياب خضر تلمع، وكان إلى جانبي رجل ممنطق يشبه الجند، فقلت له: باللَّه هذا المنزل لمن؟ قال لمن ضرب بالسوط حتى يقول القرآن مخلوق، قلت أنا في الحال: أحمد بن حنبل؟ قال: هو ذا، فقلت واللَّه إن في نفسي أشياء كثيرة أشتهي أن أسأله عنها، وكان على سرير وحول السرير خلق قيام، فأومأ إليَّ أن اجلس وسل عما تريد، فمنعني الحياء من الجلوس،

فقلت: يا سيدي عادتي لا أرجع في الأذان ولا أقنت في صلاة الفجر غير أني أجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم وأخشع؟ فقال بصوت رفيع عال: أصحاب رسول اللّه ﷺ أتقى منك وأخشع وأكثرهم لم يجهر بقراءتها، فقلت عادتي ليلة الغيم أصوم كما قال الإمام أحمد بن حنبل؟ فقال: اعتقد ما شئت من أي مذهب، تدين اللّه به ولا تك معمعياً[1] وأنا أرعد، فلما أصبحت أعلمت من يصلي ورائي بما رأيت وأخبرتهم أني حنبلي، ولم أجهر بعد، ودعاني ذلك إلى أن قلت هذه القصيدة وهي قوله:

حقيقة إيماني أقول لتسمعوا … لعلي به يوماً إلى اللّه أرجع

إلى أن قال:

وعن مذهبي إن تسألوا فابن حنبل … به أقتدي ما دمت حياً أمتع

وذكر القصيدة وهي طويلة مشهورة ذكرها الحافظ في الطبقات وغيره ممن ترجم الأصحاب، واللّه أعلم.

وذكر في [تنبيه الغافلين] عن شيخ من أهل البصرة وكان من الصالحين بها، أنه رأى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في النوم فقال له: ما صنع اللّه بك يا أحمد؟ فقال: رحمني وأكرمني وحياني، وقال: يا أحمد ادعني بالدعوات التي كنت تدعو بها في دار الدنيا، فقلت: اللّهم يا رب كل شيء قال: صدقت يا أحمد، أنا رب كل شيء، قلت: بقدرتك على كل شيء قال: صدقت يا أحمد، أنا القادر على كل شيء، قلت: اغفر لي كل شيء. قال: يا أحمد غفرت لك كل شيء، قلت: ولا تسألني عن شيء، وفيه فقلت: يا رب شفعني في أهل السنة قال: قد شفعتك فيهم وأعطيتك سؤلك.

---

(١) أي لا تكن إمعة تسير وراء كل أحد، بل كن صاحب رأي واجتهاد بشرط توفر أدواته، ولا مانع من اتباع أي مذهب على أن يبتعد عن التعصب بل يكون شعاره «رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب».

قلت: وذكر نحو هذه الرؤيا بنحو ما ذكرنا البيهقي والحافظ ابن الجوزي وغيرهما بغير زيادة فقلت: يا رب شفعني إلى آخره، والله أعلم.

وذكر الحافظ ابن رجب في [طبقات الأصحاب] في ترجمة شيخه الإمام المحقق ابن القيم قدس الله روحه قال: رأى شيخنا قبل موته بمدة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه في النوم فسأله عن منزلته، فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت قد كدت تلحق بنا، لكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة، فمات بعد تلك الرؤيا رضي الله عنه.

وذكر الحافظ في [طبقات الأصحاب] أيضاً في ترجمة حافظ الدنيا وإمامها الحافظ عبد الغني طيب الله ثراه عن الضياء المقدسي رحمه الله قال: سمعت الإمام أبا العباس أحمد بن محمد بن عبدالغني سنة اثنتي عشرة وستمائة قال: رأيت البارحة الكمال - يعني أخا عبد الغني وكان توفي بتلك السنة - في النوم وعليه ثوب أبيض فقلت له: يا فلان أين أنت؟ قال في جنة عدن. قلت: أيما أفضل الحافظ عبد الغني أو الشيخ أبو عمر؟ فقال: ما أدري، وأما الحافظ فكل ليلة جمعة ينصب له كرسي عند العرش ويقرأ عليه الحديث وينثر عليه الدر والجوهر، وهذا نصيبي منه وكان في كمه شيء وقد أمسك بيده على رأسها.

وقال الإمام المحقق في (الروح)، قال أبو جعفر الضرير: رأيت عيسى ابن زاران بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ فأنشأ يقول:

لو رأيت الحسان في الخلد حولي ... والأكاويب معهن للشراب
يتمرغن بالكتاب جميعاً ... يتمشين مسبلات الثياب

ثم قال: والرؤيا الصحيحة أقسام، منها إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد، وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره.

ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها.

ومنها التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكرنا.

ومنها عروج روحه إلى الله عز وجل وخطابها له.

ومنها دخول روحه الجنة ومشاهدتها وغير ذلك، فالتقاء أرواح الأموات والأحياء نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات، وهذا موضع اضطرب فيه الناس.

وقد أخرج الإمام أبو عبد الله بن منده الحافظ من الأصحاب في كتاب (النفس والروح) بسنده عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: لقي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال له: يا أبا حسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت، ثلاثة أسألك عنهن فهل عندك منهن علم؟ فقال: وما هن؟ قال: الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً؟ فقال علي: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الأرواح جنود مجندة تلتقي في الهواء أقسام، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**». فقال عمر: واحدة. والرجل يحدث الرجل الحديث إذ نسيه فبينا هو قد نسيه إذ ذكره فقال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما في القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينا القمر يضيىء إذ تخللته سحابة فأظلم إذ تجلَّت فأضاء، وبينا القلب يتحدث إذ تخللته سحابة فنسي إذ تجلَّت عنه فذكر**». فقال عمر: اثنتان، والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب؟ فقال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد ينام يمتلىء نوماً إلا يعرج بروحه إلى العرش، فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا**

التي تصدق، والذي يستيقظ دون العرش فهي التي تكذب»[١] فقال عمر: ثلاث كنت في طلبهن فالحمد للَّه الذي أصبتهن قبل الموت.

ومن عجيب صحة الرؤيا ما ذكره الإمام المحقق في [الروح] مما نحن بصدده، أن رجلًا كان اسمه عبد اللَّه ويكنى بابن محمد، وكان معروفاً برؤية الأموات، قال: وكان رجلًا صالحاً مشهوراً برؤية الأموات وسؤالهم عن الغائبات[٢]، ونقل ذلك إلى أهلهم وقراباتهم، وكثر منه ذلك، فكان المرء يأتيه المرء يأتيه فيشكوا إليه أن حميمه قد مات عن غير وصية، وله مال لا يهتدي لمكانه، فيعده خيراً ويدعو اللَّه في ليلته، فيتراءى له الميت الموصوف فيسأله عن الأمر فيخبره به، قال: فمن نوادره أن امرأة عجوزاً من الصالحات ماتت ولامرأة عندها سبعة دنانير وديعة، وشكت إليه ما نزل بها وأخبرته باسمها واسم الميتة صاحبتها، ثم عادت إليه من الغد فقال لها: تقول لك فلانة: عدي من سقف بيتي سبع خشبات تجدي الدنانير في السابعة في خرقة صوف، ففعلت فوجدتها كما وصف لها، قال: وقال علي القيرواني العابر أخبرني رجل لا أظن به كذباً قال: استأجرتني امرأة من أهل الدنيا على هدم دار لها وبنائها بمال معلوم، فلما أخذت في الهدم لزمت الفعلة هي ومن معها، فقلت: ما لك؟ قالت: واللَّه ما لي بهدم هذه الدار من حاجة، لكن أبي مات وكان ذا يسار كثير فلم نجد له كثير شيء، فخلت

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٢٤٧) رقم ٥٢٢٠ بلفظ (فتشام) بدلًا من (أقسام) واختلاف يسير في بعض الألفاظ الأخرى، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٩٨) رقم ٧٣٨، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أزهر بن عبد الله، قال العقيلي: حديثه غير محفوظ عن أبي عبدان، وهذا الحديث يعرف من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي موقوفاً وبقية رجاله موثقون.

(٢) لا دخل للبشر بعلم الغيب فمفاتيح الغيب لا يعلمها إلا اللَّه، والرؤي المنامات والمكاشفات لا يترتب عليها حكم شرعي.

- أي ظننت - أن ماله مدفون، فعمدت على هدم الدار لعلي أجد شيئاً، فقال لها بعض من حضرنا: تاللّه لقد فاتك ما هو أهون من ذلك، قالت: وما هو؟ قال: فلان تمضين إليه وتسألينه أن يبيت قصتك الليلة، فلعله يرى أباك فيدلك على مكان ماله بلا تعب، فذهبت إليه ثم عادت إلينا فزعمت أنه كتب اسمها واسم أبيها عنده، فلما كان من الغد بكرت إلى العمل وجاءت المرأة من عند الرجل، وقالت: إن الرجل قال لي: رأيت أباك وهو يقول المال في الخبية، فجعلنا نحفر تحت الخبية وفي جوانبها حتى لاح لي شق، وإذا المال فيه، قال: فأخذنا في التعجب والمرأة تستخف بما وجدت وتقول: مال أبي كان أكثر من هذا، ولكن أعود، فمضت فأعلمته ثم سألته المعاودة فلما كان من الغد أتت وقالت: إنه قال لها: إن أباك يقول لك احفري تحت الخابية المربعة التي في مخزن الزيت، قال: ففتحت المخزن فإذا بخابية مربعة في الركن، فأزلناها وحفرنا تحتها فوجدنا كوزاً كبيراً، فأخذته ثم دام بها الطمع في المعاودة، ففعلت فرجعت من عنده وعليها الكآبة فقالت: زعم أنه رآه وهو يقول له: قد أخذت ما قدر لها وأما ما بقي فقد أخذه عفريت من الجن يحرسه إلى من قدر له، واللّه أعلم.

* * *

فصل

وأما محل الأرواح بعد الموت فقد كثر فيه الخلاف بين أهل الإتقان والإنصاف، حتى حقق أهل التحقيق ذلك وبينوا هاتيك المسالك.

قال الحافظ ابن رجب: فأما الأنبياء فليس فيهم شك أن أرواحهم في أعلى عليين عند رب العالمين، وقد ثبت في الصحيح. أن آخر كلمة تكلم بها رسول اللَّه ﷺ عند موته أن قال: «**اللَّهم الرفيق الأعلى**»(١) وكررها حتى قبض، وقال رجل لابن مسعود: قبض رسول اللَّه ﷺ فأين هو؟ قال: في الجنة، وأما الشهداء، فقال أكثر العلماء: هي في الجنة. وقد تكاثرت الأحاديث بذلك ففي صحيح مسلم عن مسروق قال: سألنا ابن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فقال: أما أنا فقد سألنا عن ذلك؟ فقال: «**أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**»(٢).

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**لما أصيبت إخوانكم بأحد جعل اللَّه أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي**

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٤٦٣ .
(٢) أخرجه مسلم رقم ١٨٨٧ بلفظ «فلما رأوا أنهم لن يتركوا».

إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عند الحرب، ولا يزهدوا في الجهاد، قال: فقال الله: أبلغه عنكم، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ **[آل عمران: ١٦٥]**»[١].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وصححه من حديث عمرو بن دينار عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من شجر الجنة**»[٢]. كذا رواه عمرو عن الزهري ورواه سائر أصحاب الزهري عنه ولم يذكروا الشهداء وإنما ذكروا نسمة المؤمن.

وأخرج ابن منده من طريق معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد أنه سأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش، تغدو ثم تروح إلى رياض الجنة، تأتي ربها سبحانه وتعالى كل يوم تسلم عليه، وكذا قال الضحاك وإبراهيم اليمني وغيرهما من السلف في أرواح الشهداء.

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى وابن أبي الدنيا من حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعجبه الرؤيا الحسنة فكان فيما يقول:

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٥) رقم ٢٣٨٨ بلفظ (أبلغهم) بدلًا من [أبلغه]، وأبو داود (٢/ ١٨) رقم ٢٥٢٠، والحاكم في المستدرك (٢/ ٩٧) رقم ٢٤٤٤ وقال هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٨٦) رقم ٢٧٢١٠ بلفظ (إن أرواح الشهداء في طائر خضر تعلق من ثمر الجنة) وقرئ على سفيان نسمة تعلق في ثمرة أو شجرة الجنة.

والترمذي (٤/ ١٧٦) رقم ١٦٤١ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

«هل رأى أحد منكم رؤيا؟ فإذا رأى الرجل الذي لا يعرفه الرؤيا يسأل عنه، فإن أخبر عنه بمعروف كان أعجب لرؤياه؟ قال: فجاءت امرأة فقالت: يا رسول اللَّه رأيت في المنام كأني خرجت فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة ارتجت لها الجنة، فإذا أنا بفلان وفلان وفلان، حتى عدت اثني عشر رجلًا، وقد بعث رسول اللَّه ﷺ بسرية قبل ذلك قالت: فجيء بهم عليهم ثياب طلس[1] تشخب أوداجهم، فقال: اذهبوا بهم إلى نهر الميذخ، فغمسوا فيه وأخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، وأتوا بكراسي من ذهب فأقعدوا عليها، وجيء بصحيفة من ذهب فيها بسرة، فأكلوا من بسره ما شاءوا، فما يقلبونها لوجه من وجه إلا أكلوا من فاكهة ما شاءوا، قالت: وأكلت معهم، قال: فجاء البشير من تلك السرية، فقال: يا رسول اللَّه كان كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر، فقال: عليَّ بالمرأة، فقال: قصي رؤياك علي هذا فقال الرجل: هو كما قالت أصيب فلان وفلان»[2].

وروى ابن عيينة عن عبد اللَّه بن أبي يزيد: سمع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في ثمرة الجنة.

وقال قتادة بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة، وقال عبد اللَّه بن عمرو: أرواح الشهداء في طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة، وقال ابن عباس عن كعب بن مالك: جنة المأوى

---

(١) الطَّلْسُ المحو، والأطلس الأسود والوسخ، والأطلس الثوب الخلق، وكذلك الطِّلْسُ بالكسر، والجمع أطلاس، يقال: رجل أطلس الثوب، وسخها.
لسان العرب/ مادة: طلس.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥) رقم ١٢٤٠٨ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، وفي (٣/ ٢٥٧) رقم ١٣٧٢٣ ، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٤٤) رقم ٣٢٨٩، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤١٨) رقم ٦٠٥٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٦٥) رقم ١٧٣٦ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

جنة فيها طير خضر ترعى فيها أرواح الشهداء، وقال أبو الدرداء وقد سئل عن أرواح الشهداء: هي طير خضر معلقة في قناديل تحت العرش تسرح في رياض الجنة حيث شاءت.

وقال ابن مسعود: أرواح الشهداء طير خضر في قناديل تحت العرش، تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها.

وروي عن مجاهد أنه قال: ليس الشهداء في الجنة ولكنهم يرزقون منها، وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩] قال: يقول أحياء عند ربهم يرزقون من ثمر الجنة، ويجدون ريحها وليسوا فيها.

وروى ابن المبارك عنه أيضاً أنه قال: ليس هم في الجنة لكن يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها.

قال الحافظ ابن رجب: وقد يستدل لقوله - أي مجاهد - بما روى ابن إسحاق عن عاصم عن عمرو بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**الشهداء على بارق نهر الجنة، فيه قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا**»(١). وخرجه ابن منده ولفظه على بارق نهر في الجنة.

قال الحافظ: وهذا يدل على أن النهر خارج من الجنة، قال: وابن إسحاق مدلس ولم يصرح بالتحديث قال الحافظ: ولعل هذا في عموم

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) رقم ٢٣٩٠ بلفظ: (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٥١٥) رقم ٤٦٥٨، والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٤) رقم ٢٤٠٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الشهداء والذين في القناديل التي تحت العرش خواصهم، أو لعل المراد بالشهداء هنا من هو شهيد من غير قتل في سبيل اللَّه، كالمطعون والمبطون والغريق وغيرهم ممن ورد النص بأنه شهيد، والأحاديث السابقة كلها فيمن قتل في سبيل اللَّه وبعضها صريح في ذلك، وفي بعضها أن الآية نزلت وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] والآية نص في المقتول في سبيل اللَّه، وقد يطلق الشهيد على من حقق الإيمان وشهد بصحته بقوله، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩] قال: ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية يقول: يشهدون على أنفسهم بالإيمان باللَّه.

وروى سفيان عن رجل عن مجاهد قال: كل مؤمن صديق وشهيد، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كلكم صديق وشهيد، قيل له: ما تقول يا أبا هريرة؟ قال: اقرءوا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الآية [الحديد: ١٩].

قال الحافظ ابن رجب: فيه إسماعيل بن يحيى التيمي ضعيف جداً، لكن يعضده ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. من شهادة هذه الأمة للأنبياء من تبليغ رسالاتهم، قال الحافظ: وبكل حال فالأحاديث المتقدمة كلها في الشهيد المقتول في سبيل اللَّه لا يحتمل غير ذلك، قال: وإنما النظر في حديث ابن إسحاق، انتهى.

فائدة: سُمي الشهيد شهيداً قيل لأنه مشهود له بالجنة، فهو فعيل بمعنى مفعول، وقيل: إن أرواحهم يعني الشهداء حضرت دار السلام،

لأنهم أحياء عند ربهم، فهو فعيل بمعنى فاعل أي شاهد أي حاضر للجنة، وقيل: سمي بذلك لسقوطه بالأرض والأرض الشاهدة، وقيل: سمي بذلك لشهادته على نفسه للّه عز وجل حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايعه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فاتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد فسماه شهيداً، وقد قال ﷺ في شهداء أحد: «**أنا شهيد على هؤلاء**»[١] لبذلهم أنفسهم دونه وقتلهم بين يديه تصديقاً لما جاء به ﷺ، هذا ملخص ما ذكر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم قال: هذا الكلام في الشهيد، وأما الشهادة فصفة يسمى حاملها بالشاهد ويبالغ بشهيد.

قال: وللشهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهي: الحضور، والوعي، والأداء، أما الحضور فهو شهود الشاهد المشهود، وأما الوعي فهو أن يعي ما شاهده وعلمه في شهوده ذلك، وأما الأداء فهو الإتيان بالشهادة على وجهها في موضع الحاجة إلى ذلك، هذا معنى الشهادة.

والشهادة على الكمال إنما هي لذي العزة والجلال وجميع الشاهدين سواه يؤدون شهادتهم عنده، قال تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩].

والشهداء: هم العدول وأهل العدالة في الدنيا والآخرة، وهم القائمون بما وجب للحق سبحانه تعالى عليهم في الدنيا.

تتمة: جاء في حديث من جملة الشهداء «**المرأة تموت بجمع**»[٢] رواه

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٠٧٩ من حديث جابر.

(٢) جزء من حديث أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٣٣) رقم ٥٥٤ وأحمد (٥/ ٣١٥) رقم ٢٢٧٣٧ والنسائي (٤/ ١٣) رقم ١٨٤٦ والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٣) رقم ١٣٠٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

النسائي عن جابر مرفوعاً: فقيل: هي التي تموت من الولادة وولدها في بطنها قد تم خلقه، وقيل: إذا ماتت من النفاس فهي شهيدة كما تقدم، وقيل التي تموت بكراً لم يمسها الرجال.

قلت: ولم أعلم أن أحداً قال في هذه أنها شهيدة من هذه الحيثية. وقوله: بجمع فيه لغتان ضم الجيم وكسرها.

وأخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن سعيد بن زيد سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**»[(١)]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح وتقدمت الإشارة إلى مضمونه.

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما «**موت غربة شهادة**»[(٢)] وذكره أيضاً من حديث ابن عمر وصححه.

وأخرج الترمذي عن معقل بن يسار مرفوعاً: «**من قال حين يصبح ثلاث مرات، أعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل اللَّه به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في يومه مات شهيداً، ومن قرأها حين يمسي فكذلك**»[(٣)]. قال: حديث حسن غريب.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٠) رقم ١٤٢١ وقال: هذا حديث حسن وأبو داود (٢/ ٦٦٠) رقم ٤٧٧٢، والنسائي (٧/ ١٦) رقم ٤٠٩٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥١٥) رقم ١٦١٣، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢ / ١٦٢) رقم ٢٦٦٥ وقال: رواه أبو يعلى وابن ماجه والبيهقي والقضاعي عن ابن عباس رفعه وله شواهد.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ١٨٢) رقم ٢٩٢٢ وفي آخره «من قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة». وقال: هذا حديث غريب وأحمد (٥/ ٢٦) رقم ٢٠٣٢١.

وأخرج الآجري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أنس إن استطعت أن تكون أبداً على وضوء فافعل، فإن ملك الموت إذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتبت له شهادة»**(١).

وأخرج الشعبي عن ابن عمر مرفوعاً: **«من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام من كل شهر ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد»**(٢). وذكره أبو نعيم والقرطبي في التذكرة.

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ **«إذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيداً»**(٣) وبعضهم يزعم أنه ليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة.

وفي مسلم: عن أنس مرفوعاً: **«من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه»**(٤).

وأخرج الإمام ابن الإمام محمد بن داود الظاهري عن ابن عباس يرفعه **«من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة»**(٥) وفي لفظ لغير ابن داود عن ابن عباس يرفعه: **«من عشق وعف وكتم فمات فهو شهيد»**(٦).

---

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٨٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٥٠١) رقم ٣٤٤٨ وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبو نهيك: ضعفه أبو حاتم وغيره، ووثقه ابن حبان وقال: يخطئ.

(٣) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٢/ ١٤٥) رقم ٦٤٧.

(٤) أخرجه مسلم رقم ١٩٠٨.

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/ ١٩٥) والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٢٦٢).

(٦) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ١٨٤) في ترجمة المؤمل بن أحمد بن إبراهيم رقم ٧١٦٠، وذكره الهندي في كنز العمال (٣/ ٣٧٢) رقم ٦٩٩٩، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٧٧١) رقم ١٢٨٧، وتأمل كلام المصنف عنه.

وتقدمت الإشارة إلى هذا قلت: ذكر الإمام المحقق في كتابه (الداء والدواء) أن حفاظ الإسلام أنكروا على سويد بن سعيد هذا الحديث، وذكره جماعة في الموضوعات منهم ابن الجوزي والبيهقي وابن طاهر، وأنكره الحاكم وقال أنا أتعجب منه، قال الإمام المحقق والصواب في الحديث أنه من كلام ابن عباس موقوفاً عليه، فغلط سويد في رفعه، وابن داود روى الحديث المذكور من طريق سويد بن سعيد عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه، والله أعلم.

لطيفة: أخرج النسائي عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «**يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون زمن الطاعون فيقول الشهداء: إخواننا قتلوا كما قتلنا، ويقول المتوفون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا، فيقول ربنا عز وجل: انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم**»[١]. والله أعلم.

* * *

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٢٧) رقم ٣١٦٤ وأحمد (٤/ ١٢٨) رقم ١٧١٩٩ والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٥٠) رقم ٦٢٦، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٢١) رقم ٢١٧٤.

فصل

وأما بقية المؤمنين سوى الشهداء، فإنهم ينقسمون إلى أهل تكليف وغير أهل تكليف، فغير أهل التكليف كأطفال المؤمنين فالجمهور على أنهم في الجنة، وقد حكى الإمام أحمد رحمه الله الإجماع على ذلك، قال في رواية جعفر بن محمد: ليس فيهم اختلاف، يعني أنهم في الجنة، وفي رواية الميموني أوأحد يشك أنهم في الجنة؟

وذكر الخلال من طريق حنبل عن الإمام أحمد رحمه الله قال: نحن نقر أن الجنة خلقت، ونؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ لآل فرعون [غافر: ٤٦].

وقال: أرواح ذراري المسلمين في أجواف طير خضر تسرح في الجنة، يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه السلام، وكذلك نص الإمام الشافعي على أن أطفال المسلمين في الجنة، وجاء صريحاً عن السلف أن أرواحهم في الجنة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت، فتأوى إلى قناديل معلقة في العرش. خرجه ابن أبي حاتم ورواه الثوري والأعمش عن أبي قيس عن هذيل من قوله: ولم يذكر ابن مسعود.

وخرج البيهقي عن ابن عباس عن كعب رضي الله عنهما نحوه.

وخرج الخلال من طريق ليث عن أبي الزبير عن عبيد بن عمير قال: إن في الجنة لشجرة لها ضروع كضروع البقر، تغذي بها ولدان أهل الجنة حتى أنهم ليستنون ويلعبون كاستنان البكار، قوله : يستنون أي يمرحون.

وخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن خالد بن معدان قال: إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى، ضروع كلها ترضع صبيان أهل الجنة، وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين سنة.

قال الحافظ ابن رجب: ويدل على صحة ذلك ما في مسلم عن أنس رضي الله عنه: قال: لما توفي إبراهيم عليه السلام قال النبي ﷺ: «**إن إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين يكملان رضاعه في الجنة**»(١).

وأخرج ابن ماجه نحوه من حديث ابن عباس(٢) وخرج الإمام أحمد نحوه من حديث البراء بن عازب(٣).

وخرج سعيد بن منصور عن مكحول عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن ذراري المؤمنين أرواحهم في عصافير في شجر في الجنة يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه السلام**»(٤) وكذا رواه علي بن عثمان اللاحقي عن مكحول إلا أنه قال: عصافير خضر في الجنة وهذا كما قال الحافظ: مرسل ولفظه يشبه لفظ الحديث الذي احتج به الإمام أحمد على خلق الجنة كما تقدم.

قال الحافظ: وقد روي متصلًا من وجه آخر من رواية عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان، عن عطاء بن فروة، عن عبد اللَّه بن صخرة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم عليه السلام في**

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٣١٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٨٤) رقم ١٥١١.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٩) رقم ١٨٥٧٣، ١٨٥٧٤.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١/ ١٤٤) رقم ٥١٤، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١٥٩) رقم ١٠٣٤٢، وابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ٣٦٧) رقم ٢٠٣ كلهم باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وله شاهد في الحديث بعده.

الجنة»[١]. خرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد. والإمام أحمد عن موسى بن داود عن ابن ثوبان إلا أنه ذكر أن موسى شك في رفعه، ولكن رواه عن واحد عن ثابت بن ثوبان ولم يشك في رفعه، وروي من وجه آخر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**أولاد المؤمنين**[٢] **في جبل يكفلهم إبراهيم وسارة عليهما السلام فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى آبائهم»**[٣]. وكذا رواه محمد بن عبد اللّٰه عن وكيع عن سفيان مرفوعاً ورواه ابن مهدي وأبو نعيم عن سفيان موقوفاً قال الدارقطني: والموقوف أشبه.

قال الحافظ ابن رجب: ومما يستدل به لهذا أيضاً ما خرجه البخاري عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ «**أنه رأى في منامه جبريل وميكائيل أتياه فانطلقا به** - وذكر حديثاً طويلًا وفيه - **وإذا روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان، قال: فصعدا بي للشجرة فأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فإذا فيها رجال شيوخ وشباب، وفيها نساء وصبيان**، وذكر الحديث وفيه، **قالا: وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة فذاك إبراهيم، وأما الصبيان الذي رأيت فأولاد الناس، وفي رواية: فكل مولود مات على الفطرة، وفي رواية ولد على الفطرة، وأما الدار التي**

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٦/ ٤٨١) رقم ٧٤٤٦، وأحمد في المسند (٢/ ٣٢٦) رقم ٨٣٠٧، ونحوه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٤١)، رقم ١٤١٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) في الأصل (المرسلين) والمثبت هو الموافق للحديث.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤١) رقم ١٤١٨ وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٧) رقم ١٨٤ وقال: قيل هو من قول الثوري، وقد أخرجه الحاكم مرفوعاً في المستدرك وصححه على شرطهما وأصله في البخاري في المعراج.
والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٠٩) رقم ٨٢٥ وقال: رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والديلمي عن أبي هريرة مرفوعاً وصححه ابن حبان، ورواه ابن مهدي وأبو نعيم عن الثوري موقوفاً.

دخلت أولًا فدار عامة المؤمنين وأما الدار الأخرى فدار الشهداء»[١].

واستدل الحافظ بغير ما ذكرنا من الأحاديث ولكنا اقتصرنا على المقاصد طلباً للاختصار مع وجود ما تلقح به الأفكار، واللَّه الموفق.

قال الحافظ: وذهبت طائفة إلى أنه يشهد لأطفال المؤمنين عموماً أنهم في الجنة، ولا يشهد لآحادهم كما يشهد للمؤمنين عموماً أنهم في الجنة ولا يشهد لآحادهم، وهو قول إسحاق بن راهويه، نقله عنه إسحاق بن منصور وحرب في مسائلها.

قال الحافظ: ولعل هذا يرجع إلى أن الطفل المعين لا يشهد لأبيه بالإيمان، فلا يشهد له أنه من أطفال المؤمنين، فيكون الوقف في آحادهم للوقف في إيمان آبائهم.

وحكى ابن عبد البر عن طائفة من السلف القول بالوقف في أطفال المؤمنين، سمى منهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، وإسحاق. قال الحافظ: وهذا بعيد جداً، ولعله أخذ ذلك من عموم كلام لهم، وإنما أرادوا بها أطفال المشركين.

كذلك اختار القول بالوقف طائفة منهم، الأثرم، والبيهقي، وذكر أن ابن عباس رجع إليه، والإمام أحمد ذكر أن ابن عباس إنما قال ذلك في أطفال المشركين، وإنما أخذه البيهقي من عموم لفظ روى عنه كما أنه ورد في بعض ألفاظ حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل عن الأطفال فقال: «**اللَّه أعلم بما كانوا عاملين»**[٢].

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري رقم ٧٠٧٤ .
(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٥٩٨ ، ومسلم رقم ٢٦٥٨ .

قال الحافظ: ولكن الحفاظ الثقات ذكروا أنه سئل عن أطفال المشركين، واستدل القائل بالوقف بما أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي صبي فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال رسول الله ﷺ: **«أو لا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا»**(١).

قال الحافظ: قد ضعف الإمام أحمد رضي الله عنه هذا الحديث، فإن فيه طلحة بن يحيى، وقد روى مناكير وذكر له هذا الحديث، وقال ابن معين فيه: ليس بالقوي، وقد خرجه مسلم من طريق - حديث - فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين، قال الإمام أحمد ما أراه يعني فضيل بن عمرو سمعه إلا من طلحة بن يحيى يعني أخذه عنه ودلسه، حيث رواه عن عائشة بنت طلحة، وذكر العقيلي أنه لا يحفظ إلا من حديث طلحة، ويعارض هذا ما خرجه مسلم عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة رضي الله عنه أنه مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث فتطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: **«نعم صغارهم دعاميص**(٢) **الجنة يتلقي أحدهم أباه أو قال أبويه، فيأخذ بثوبه أو قال بيده، كما آخذ أنا بضفة ثوبك فلا يناهي أو قال ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة»**(٣).

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ما من الناس**

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٦٦٢ .

(٢) الدعموص: دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء وقيل: تغوص في الماء، والجمع دعاميص. لسان العرب/ مادة: دعمص.

وفي النهاية: الدعاميص جمع دعموص وهي دويبة تكون في مستنقع الماء، والدعموص الدخال في الأمور، أي أنهم سياحون في الجنة دخالون في منازلها لا يمنعون من موضع كما أن الصبيان في الدنيا لا يمنعون من الدخول على الحرم ولا يحجب منهم أحد.

النهاية في غريب الأثر لابن الأثير مادة: دعمص.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٦٣٥ .

مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»[١] ولهذا قال الإمام أحمد - نضر الله وجهه - هو يرجى لأبويه فكيف يشك فيه؟ يعني أنه يرجى لأبويه دخول الجنة بسببه. قال الحافظ: ولعل النبي ﷺ نهى أولًا عن الشهادة لأطفال المسلمين بالجنة قبل أن يطلع على ذلك، لأن الشهادة على ذلك تحتاج إلى علم به، ثم اطلع على ذلك فأخبر به، واعترض بعضهم هذا التوجيه بأن سورة الطور مكية وقد دلت على تبعيتهم.

وأقول هذا الاعتراض ساقط، فإنَّا إن قلنا بالتبعية فلا يقطع لأطفال المسلمين كما لا يقطع لآبائهم، فإنا لا نقطع لأحد أنه من أهل الجنة إلا من قطع له رسول الله ﷺ بذلك، ولكن نرجو من الله ذلك، وعندي أن النبي ﷺ إنما نهى عائشة عن ذلك لمسارعتها للشهادة له من غير توقيف منه ﷺ، وهذا كما لا يجوز للحاكم أن يحكم بغير علم وإن صادف الحق، فكأن عائشة قالت ذلك باجتهاد منها، وفيه أنه يبعد من مثل عائشة أن تتكلم بمثل هذا الكلام من غير توقيف، ويجاب بأنه ﷺ لو أوقفها على ذلك لم ينهها عنه، وأيضاً هي رضي الله عنها لما علمت أن الطفل غير مكلف وأنه ما ألم بسيئة شهدت له بأنه من عصافير الجنة، والله سبحانه أعلم بالصواب.

وقال بعض العلماء يحتمل أن يكون أبوي الطفل منافقين فيكون الصبي بين كافرين، والله أعلم.

تنبيه: قد ذكرنا فيما تقدم أن أرواح الشهداء في طير خضر[٢] وفي بعض الأحاديث نسمة المؤمن[٣] طائر، والأول يدل على أن الطير ظرف

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣١٨ ولم أقف عليه في صحيح مسلم.

(٢) تقدم ص ٢٨٢.

(٣) تقدم ص ٢٥٩.

للروح، والثاني يدل على أن الطير هو الروح، وكذلك في أطفال المسلمين في بعض الأحاديث في أجواف طير خضر، وفي بعضها في أجواف عصافير، وفي بعضها أنهم دعاميص الجنة، قال القرطبي في حديث كعب «نسمة المؤمن طائر» هذا يدل على أنها نفسها تكون طائرا أي على صورته، لا أنها تكون فيه ويكون الطائر ظرفاً لها، وكذا في رواية ابن مسعود عند ابن ماجه «أرواح الشهداء عند اللّه كطير خضر» وفي لفظ عن ابن عباس تجول في طير خضر، ولفظ ابن عمر وفي صورة طير بيض، وفي لفظ عن كعب أرواح الشهداء طير خضر، قال: وهذا كله أصح من رواية في جوف طير، وقال القابسي: أنكر العلماء رواية في حواصل طير خضر؛ لأنها حينئذ تكون محصورة مضيقاً عليها، ورد بأن الرواية ثابتة والتأويل محتمل بأن تجعل في بمعنى على والمعنى أرواحهم على جوف طير خضر كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي على جذوع النخل، وجائز أن تسمى الطير جوفاً، إذ هو محيط به ومشتمل عليه، قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي في (العاقبة)، وقال غيره: لا مانع من أن تكون الأجواف حقيقة ويوسعها اللّه لها حتى تكون أوسع من الفضاء.

وقال ابن دحية في (التنوير) قال قوم من المتكلمين: هذه رواية منكرة، إذ لا تكون روحان في جسد واحد، فإن ذلك محال، وقولهم جهل بالحقائق واعتراض على السنة الثابتة، فإن معنى الكلام بَيِّن، فإن روح الشهيد الذي كان في جوف جسده في الدنيا يجعل في جوف جسد آخر كأنه صورة طائر، فيكون في الجسد الآخر كما كان في الأول، وذلك مدة البرزخ إلى أن يعيده اللّه يوم القيامة كما خلقه، وإنما الذي يستحيل في العقل قيام حياتين بجوهر واحد، فيحيا الجوهر بهما جميعاً، وأما روحان في جسد فليس بمحال، إذ لم نقل بتداخل الأجسام، فهذا الجنين في بطن أمه

وروحه غير روحها، وقد اشتمل عليهما جسد واحد، وهذا أن لو قيل لهم: أن الطائر له روح غير روح الشهيد، وهما في جسد واحد فكيف، وإنما قيل: في أجواف طير خضر أي في صورة طير، كما تقول ملكا في صورة إنسان، وهذا في غاية البيان، انتهى.

قلت: ليس هذه بأول جناية من المتكلمين على السنة الغراء بل هم غالباً نابذوها خلف ظهورهم، فاللَّه يأخذ حقه منهم ومن أتباعهم، فالحق للديان، والذي جزم به المحقق وابن عبد السلام وجمع: أن أرواح الشهداء كما قال الصادق: في جوف طير خضر، ولا حاجة إلى تأويل، غير أن الشهداء يتفاوتون، واللَّه الموفق.

القسم الثاني: أهل التكليف من المؤمنين سوى الشهداء، وقد اختلف العلماء فيهم قديماً وحديثاً، والمنصوص عن الإمام أحمد ﷺ أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار.

قال الخلال: في كتاب (السنة) من رواية حنبل: سمعت أبا عبد اللَّه يقول أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة، وفي موضع آخر عن حنبل قال: قال عمر ﷺ أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار، والأبدان في الدنيا يعذب اللَّه من يشاء ويرحم من يشاء.

قال أبو عبد اللَّه: ولا نقول أنهما يفنيان بل هما على علم اللَّه باقيان، يبلغ اللَّه فيهما علمه، نسأل اللَّه التثبيت وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وقوله: ولا نقول أنهما يفنيان - يعني الجنة والنار -، فإن في أول الكلام عن حنبل أن أبا عبد اللَّه حكى قصة ضرار وحكايته واختلاف العلماء في خلق الجنة والنار، أن القاضي أهدر دم ضرار لذلك، فاستخفى إلى أن مات، وأن أبا عبد اللَّه قال هذا كفر - يعني القول بأنهما لم يخلقا بعد -

وسيأتي الكلام على هذا مبسوطاً وقيل: إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر، كما في حديث أم بشر مرفوعاً «**إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة، تأكل من ثمارها، وتشرب من مائها، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فتقول ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا، وإن أرواح الكفار في حواصل طير سود، تأكل من النار، وتشرب من النار، وتأوي إلى حجر في النار يقولون: ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا**»(١). رواه ابن منده.

وخرج الإمام مالك عن كعب بن مالك مرفوعاً: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه اللَّه إلى جسده**»(٢) ورواه الإمام أحمد في مسنده، وخرجه النسائي من طريق مالك وخرجه، ابن ماجه، ورواه خلق كثير.

وأخرج ابن منده عن ابن عمر وقال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أرواح المؤمنين في طير كالزرازير تأكل من ثمر الجنة**»(٣). قال ابن منده رحمه الله: رواه جماعة عن الثوري موقوفاً يعني على عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال الحافظ ابن رجب قدس اللَّه روحه: الصواب وقفه، وقد ذكره الإمام أحمد موقوفاً.

---

(١) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (١٧٧) من حديث أم كبشة بنت المعرور، وليس أم بشر، وقال: وموسى بن عبيدة شيخ صالح شغلته العبادة عن حفظ الحديث فكثرت المناكير في حديثه.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٥٥) رقم ١٥٨١٦ والنسائي (٤/ ١٠٨) رقم ٢٠٧٣ وابن ماجه (٢/ ١٤٢٨) رقم ٤٢٧١ ومالك في الموطأ (١/ ٢٤٠) رقم ٥٦٨ .

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (١٥٠) رقم ٤٤٦ موقوفاً على عبد اللَّه بن عمرو، وأورده المصنف في (٢٨٤) موقوفاً كذلك.

وروى ابن المبارك عن كعب من رواية الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن سياف قال: كنا جلوساً إلى كعب فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فقال: يا كعب كل ما في القرآن قد عرفت غير أربعة أشياء فأخبرني عنهن، فسأله عن سجين، وعليين، فقال كعب: أما عليون فالسماء السابعة فيها أرواح المؤمنين، وأما سجين فالأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار تحت خد إبليس.

قال الحافظ: وقد ثبت بالأدلة أن الجنة فوق السماء السابعة، وأن النار تحت الأرض السابعة، ويأتي بيان ذلك في الكتاب الرابع من هذا التأليف إن شاء اللّه تعالى.

* * *

مطلب

وقال وهب بن منبه: أن للّه عز وجل في السماء السابعة داراً يقال لها البيضاء، يجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح، فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم.

وروى ليث من حديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها، خرجه ابن أبي حاتم.

واعلم أنه إنما تدخل أرواح المؤمنين من الشهداء وغيرهم الجنة إذا لم يمنع مانع، من نحو كبيرة كما لو غل، أو كان عليه دين، فإنه يحبس عن الجنة إن لم يلطف اللّه به ويتغمده برحمته حتى يقضي عنه دينه.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن مدعما قتل يوم خيبر فقال الناس: هنيئاً له الجنة فقال النبي ﷺ: **«كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً»**[١]. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول اللّه ﷺ فقال: **«ههنا أحد من بني فلان ثلاثاً فلم يجبه أحد، ثم أجابه رجل فقال: إن فلاناً الذي توفي احتبس عن الجنة من أجل الدين الذي عليه فإن شئتم فافتكوه أو فافدوه وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب اللّه تعالى»**[٢] خرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٢٣٤ بلفظ (هنيئاً له الشهادة) بدل (الجنة)، ومسلم رقم ١٥ باختلاف في اسم الرجل.

(٢) رواه الحاكم واللفظ له (٢/ ٣٠) رقم ٢٢١٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه أحمد بنحوه (٥/ ١١) رقم ٢٠١٣٦، وأبو داود (٢/ ٢٦٦) رقم ٣٣٤١ والنسائي (٧/ ٣١٥) رقم ٤٦٨٥ .

بألفاظ مختلفة.

وقالت طائفة: الأرواح في الأرض، ثم اختلفوا فقالت فرقة منهم: الأرواح تستقر على أفنية القبور، وهذا هو القول الذي ذكره عبد اللّه بن الإمام أحمد في سؤاله لوالده رضي الله عنهما، حيث قال: سألت أبي عن أرواح الموتى أتكون في أفنية قبورها أم في حواصل طير أم تموت كما تموت الأجساد؟ قال: روي عن النبي ﷺ قال: «**نسمة المؤمن إذا مات طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه اللّه إلى جسده يوم يبعثه**»(١) وحكى القول الذي هو أن أرواح الموتى في أفنية قبورها ابن حزم عن عامة أهل الحديث، ورجحه ابن عبد البر.

وقال مجاهد: الأرواح على القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارقه ذلك، واستدل هو وغيره بحديث ابن عمر عن النبي ﷺ : «**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك اللّه** »(٢). فهذا يدل على أن الأرواح ليست في الجنة وإنما تعرض عليها بكرة وعشياً، واحتج ابن عبد البر أيضاً بحديث النبي ﷺ حين خرج إلى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**»(٣) قال: فهذا يدل على أن الأرواح بأفنية القبور، لكنه رجح بأن أرواح الشهداء في الجنة وما عداهم على أفنية قبورها كما ذكرنا، ورد الإمام المحقق عموم هذا، - يعني كون الأرواح على أفنية القبور - حيث قال: إن أراد أنها تكون على أفنية قبورها أي هذا الأمر لازم لها لا تفارق أفنية القبور أبداً فهذا خطأ، يرده نصوص

---

(١) سبق ص ٢٩٩ .
(٢) أخرجه البخاري رقم ١٣٧٩ ، ومسلم رقم ٢٨٦٦ .
(٣) مسلم ٢٤٩ .

الكتاب والسنة من وجوه كثيرة، وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتاً من الأوقات، أو لها إشراق على قبورها وهي في مقرها، فهذا حق، لكن لا يقال مستقرها أفنية القبور.

وذكر المحقق شُبه من قال بذلك ثم ردها بأن عرض مقعد الميت عليه من الجنة أو النار لا يدل على أن الروح في القبر، ولا على فنائه دائماً من جميع الوجوه، بل لها إشراق واتصال بالقبر وفنائه، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده، فإن للروح شأنا آخر يكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلّم المسلم على الميت رد عليه روحه فيرد عليه السلام، قال: وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع، بحيث[1] يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي شغلت مكاناً لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض، بل الروح تكون فوق السموات في عليين فترد إلى القبر وترد السلام، وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك، قال: وروح نبينا ﷺ في الرفيق الأعلى دائماً، ويردها اللّه سبحانه إلى القبر فيرد السلام على من سلم عليه ويسمع كلامه، وقد رأى رسول اللّه ﷺ موسى قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة أو السابعة، فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإما أن تكون متصلة بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء، إلى أن قال: وأما السلام على أهل القبور وخطابهم فلا يدل على أن أرواحهم ليست في الجنة وأنها على أفنية قبورها، فهذا سيد العالم ﷺ الذي روحه في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى، نسلم عليه عند قبره فيسمع سلام المسلم. انتهى.

---

(١) في حاشية الأصل/ لعله: ما يعتقد.

وذكر نحوه تلميذه الحافظ ابن رجب وقال تبعاً له: ويشهد لذلك الأحاديث المرفوعة والموقوفة.

وذكر عن أبي الدرداء وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص: في أن النائم يعرج بروحه إلى العرش مع تعلقها ببدنه وسرعة عودها إليه عند استيقاظه، فأرواح الموتى المتجردة عن أبدانهم أولى بعروجها إلى السماء وعودها إلى القبر في مثل تلك السرعة، استدل الخصم بحديث البراء بن عازب حيث قال فيه في صفة قبض روح المؤمن «**فإذا انتهى إلى العرش كتب كتابه في عليين ويقول الرب عز وجل: ردوا عبدي إلى مضجعه فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فيرد إلى مضجعه**»(١) الحديث.

وقال في روح الكافر: **فيصعد بها إلى السماء فتغلق دونه فيقول الرب ردوا عبدي إلى مضجعه فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، وفي لفظ ردوا روح عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أن أردهم فيها**، ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ الآية [طه: ٥٥]. وهذا يدل على أن أرواح المؤمنين تستقر في الأرض ولا تعود إلى السماء بعد عرضها ونزولها إلى الأرض.

قال الحافظ: لكن حديث البراء وحده لا يعارض الأحاديث المتقدمة في أن الأرواح في الجنة لاسيما الشهداء.

وأخرج أبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال: «**يقول اللَّه لملك الموت:**

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٨٧) رقم ١٨٥٥٧، وأبو داود (٢/ ٦٥٢) رقم ٤٧٥٣ وتقدم غير مرة.

انطلق إلى وليي فأتني به فإني قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، فأتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها، فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم أكفان وحنوط من الجنة، ومعهم ضبائر الريحان - والضبائر بضاد معجمة وباء موحدة آخره راء هي الجماعات، واحدتها ضبارة، بكسر أوله، مثل عمارة، وكل مجتمع ضبارة، قاله في (النهاية) قال في الحديث: **أصل الريحانة واحد - وفي رأسها عشرون لوناً، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض، فيه المسك الأذفر، فيجلس ملك الموت عند رأسه، وتحتوشه الملائكة، ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه، ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه ويفتح له باب إلى الجنة** » قال: فإن نفسه لتعلل عند ذلك بطرف الجنة - وهي بضم الطاء المهملة وضم الراء وفاء، جمع طرفة المستحدث من المال كالطريف والطارف وهو خلاف التليد والتالد، قاله السيوطي - **مرة بأزواجها يعني أزواج الجنة ومرة بكسوتها ومرة بثمارها كما يعلل الصبيَّ أهلُهُ إذا بكى، وإن أزواجه ليبتهشْنَّ عند ذلك ابتهاشاً** - قال في النهاية يقال للإنسان إذا نظر إلى شيء فأعجبه واشتهاه وأسرع نحوه قد بهش إليه، وفي الصحاح: بهش إليه يبهش بهشاً إذا ارتاح له وخف إليه انتهى - **وتنزو الروح نزواً** - أي تسرع وتثبت كما في الصحاح - ويقول ملك الموت: **اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب قال: ولَمَلَكَ الموت أشد تلطفاً به من الوالدة بولدها، يعرف أن تلك الروح حبيب إلى ربه كريم على اللّه، فهو يلتمس بلطفه بتلك الروح رضا اللّه عنه، فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين، قال: وإن روحه لتخرج والملائكة حوله يقولون** ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ **وذلك قوله:** ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾ [النحل: ٣٢] **قال:** ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٌ وَرَيۡحَانٌ

وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] قال: روح من جهد الموت، وريحان يتلقى به عند خروج نفسه، وجنة نعيم أمامه، أو قال مقابله، فإذا قبض ملك الموت روحه يقول الروح للجسد جزاك اللّه خيراً، لقد كنت بي سريعاً إلى طاعة اللّه تعالى بطيئاً عن معصيته، فهنيئاً لك اليوم فقد نجوت وأنجعت[1]، ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال: وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع اللّه عليها، وكل باب من السماء كان يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة، فإذا قبضت الملائكة روحه أقامت الخمسمائة ملكاً عند جسده لا يقلبه بنو آدم لشق إلا قلبته الملائكة قبلهم، وعلته بأكفان قبل أكفانهم، وحنوط قبل حنوطهم، ويقوم من باب بيته إلى باب قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار، ويصيح إبليس عند ذلك صيحة يتصدع لها بعض عظام جسده، ويقول لجنوده: الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم؟ فيقولون إن هذا كان معصوماً، فإذا صعد ملك الموت بروحه إلى السماء يستقبله جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة، كلهم يأتيه ببشارة من ربه، فإذا انتهى ملك الموت إلى العرش خرت الروح ساجدة لربها، فيقول اللّه لملك الموت انطلق بروح عبدي، وضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب، فإذا وضع في قبره جاءت الصلاة فكانت عن يمينه، وجاء الصيام فكان عن يساره، وجاء القرآن والذكر فكانا عند رأسه، وجاء مشيه إلى الصلاة فكان عند رجليه، وجاء الصبر فكان ناحية القبر، ويبعث اللّه عنقاً - أي طائفة من العذاب - فيأتيه عن يمينه فتقول الصلاة: وراءك واللّه ما زال دائباً - بالدال المهملة وموحدة آخره - أي - جاداً عمره كله - وإنما استراح الآن حين وضع في قبره، قال: فيأتيه عن يساره فيقول الصيام

(١) النجعة عند العرب المذهب في طلب الكلأ في موضعه، ويقال: انتجعنا فلانا: إذا أتيناه نطلب معروفه. لسان العرب/ مادة: نجع.

مثل ذلك، فيأتيه من قبل رأسه فيقال مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية فيلتمس هل يجد إليه مساغاً إلا وجد وليَّ اللَّه قد أحرزته الطاعة، فيخرج عنه العذاب عندما يرى، ويقول الصبر لسائر الأعمال: أما إنه لم يمنعني أن أباشره بنفسي إلا أني نظرت ما عندكم، فلو عجزتم كنت أنا صاحبه، فأما إذا أجزأتم فأنا ذخر له عند الصراط، وذخر له عند الميزان، قال: ويبعث اللَّه ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأنيابهما كالصياصي - أي بمهملتين هي قرون البقر واحدتها صيصية - وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما، بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا، وقد نزعت منهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين، يقال لهما منكر ونكير، في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها، فيقولان له اجلس، فيستوي جالساً في قبره، فتسقط في حقويه فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ومن نبيك؟ فيقول: ربي اللَّه وحده لا شريك له، والإسلام ديني، ومحمد نبيي وهو خاتم النبيين، فيقولان له: صدقت، فيدفعان القبر فيوسعانه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه، وعن يساره، ومن قبل رأسه، ومن قبل رجليه، ثم يقولان له: انظر فوقك، فينظر فإذا هو مفتوح إلى الجنة، فيقولان له: هذا منزلك يا وليَّ اللَّه لما أطعت اللَّه، قال رسول اللَّه ﷺ: فوالذي نفس محمد بيده إنه لتصل إلى قلبه فرحة لا ترتد أبداً، فيقال له: انظر تحتك، فينظر تحته فإذا هو مفتوح إلى النار، فيقولان: يا وليَّ اللَّه نجوت من هذا، قال رسول اللَّه: والذي نفسي بيده إنه لتصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبداً ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى الجنة، فيأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه اللَّه من قبره، قال: ويقول اللَّه تعالى لملك الموت: انطلق إلى عدوي فأتني به، فإني قد بسطت له رزقي وسربلته بنعمتي فأبى إلا معصيتي فأتني به لأنتقم منه اليوم، فينطلق ملك الموت في أكره صورة رآها أحد من الناس قط، له اثنا عشر عيناً، ومعه سفود - وهو

بفتح المهملة وضم الفاء المشددة آخره مهملة الحديدة التي يشوى بها اللحم - **من نار كثير الشوك، ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس، أي دخان لا لهب فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] وجمر من جمر جهنم، ومعهم سياط من نار تتأجج، فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب أصل كل شوكة من ذلك في أصل كل شعرة وعرق من عروقه، ثم يلويه لياً شديداً فينزع روحه من أظفار قدميه فيلقيها في عقبيه، فيسكر عدو اللّه عند ذلك سكرة، وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط، ثم يجبذه جبذة فتنزع روحه من عقبيه، فيلقيها في ركبتيه، فيسكر عدو اللّه سكرة وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط، ثم كذلك إلى حقويه، ثم كذلك إلى صدره، ثم كذلك إلى حلقه، ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه، ثم يقول ملك الموت: اخرجي أيتها النفس اللعينة الملعونة، إلى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم، فإذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد: جزاك اللّه عني شراً، فقد كنت سريعاً إلى معصية اللّه تعالى، بطيئاً عن طاعة اللّه، فقد هلكت وأهلكت، ويقول الجسد للروح مثل ذلك، وتلعنه بقاع الأرض التي كان يعصي اللّه عليها، وتنطلق جنود إبليس إليه يبشرونه بأنهم قد أوردوا عبداً من بني آدم النار، فإذا وضع في قبره ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، فتدخل اليمنى في اليسرى، واليسرى في اليمنى ويبعث اللّه عليه حيات دهماء.** - قال السيوطي: يحتمل أن يكون بضم أوله أي سوداء، فيكون جمع دهماء، وأن يكون بفتح أوله أي عدداً كثيراً، فيكون مفرداً والجمع دهوم، انتهى.

فتأخذ بأرنبته وإبهام قدميه فتقوضه - بقاف ثم واو ثم ضاد معجمة أي تنقصه - بمعنى تفسخه وتفرقه، وفي النهاية تقويض الخيام قلعها وإزالتها انتهى - **حتى تلتقي في وسطه قال: ويبعث اللّه إليه الملكين فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقال: لا دريت ولا تليت،**

فيضربانه ضربة يتطاير الشرار في قبره، ثم يعودان فيقولان له: انظر فوقك فإذا باب مفتوح إلى الجنة، فيقولان: يا عدو اللَّه لو كنت أطعت اللَّه كان هذا منزلك ، قال: فوالذي نفسي بيده ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً، ويفتح له باب إلى النار، فيقال عدو اللَّه هذا منزلك لمَّا عصيت اللَّه، ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى النار يأتيه حرها وسمومها حتى يبعثه اللَّه من قبره يوم القيامة إلى النار، ففيه إن اللَّه يقول لملك الموت في حق المؤمن: انطلق بروح عبدي وضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب»[١] واللَّه أعلم.

وفي صحيح مسلم عن عبد اللَّه بن شقيق عن أبي هريرة رضي الله عنه في صفة قبض روح المؤمن قال: «**يصعد به إلى ربه عز وجل فيقول: ردوه إلى أحد الأجلين**»[٢] وذكر مثله في الكافية، وفي حديث ابن أبي الدنيا في روح المؤمن ويبعث بها إلى عليين وفي روح الكافر وينصب بها إلى سجين وخرجه النسائي وغيره.

وقال ابن مسعود: إن الروح بعد السؤال في القبر ترفع إلى عليين، وتلا قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] .

وقالت فرقة: تجمع الأرواح بموضع من الأرض، كما روى همام عن قتادة، حدثني رجل عن سعيد بن المسيب عن عبد اللَّه بن عمرو قال: إن

---

(١) هذا الحديث بطوله رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٥٥) وذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٧٠٠) في تفسير قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] ثم قال: هذا حديث غريب جداً، وسياق عجيب، ويزيد الرقاشي راويه عن أنس له غرائب ومنكرات، وهو ضعيف الرواية عند الأئمة، وذكر معظمه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧].

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٨٧٢ بلفظ «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يُصْعدانها» وفيه: «فيُنطَلَق به إلى ربه عز وجل ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجلين».

أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية، وأما أرواح الكفار فتجتمع بسبخة بحضرموت يقال لها برهوت، خرجه أبو عبد اللّه بن منده، ورواه هشام الدستوائي عن قتادة عن سعيد بن المسيب من قوله لم يذكر عبد اللّه بن عمرو، علي أن قتادة لم يسمعه من سعيد، بل بينه وبينه من لم يعرف.

وأخرج ابن منده عن علي رضي الله عنه قال: شر واد بئر في الأحقاف، وبرهوت بئر في حضرموت، ترده أرواح الكفار، ورواه من طريق آخر عن ابن عباس عن علي رضي الله عنه قال: أبغض بقعة في الأرض بئر حضرموت يقال لها برهوت، فيه أرواح الكفار، وفيه بئر ماؤه بالنهار أسود كأنه قيح تأوي إليها الهوام.

وأخرج ابن منده أيضاً أن ابن عمرو سئل عن أرواح المؤمنين وأرواح الكفار فقال: أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت.

وأخرج أيضاً عن سفيان عن أبان بن تغلب قال: قال رجل بت فيه - يعني وادي برهوت - فكأنما حشرت فيه أرواح الناس وهم يقولون: يا دومة يا دومة، قال أبان: حدثنا رجل من أهل الكتاب أن دومة هو الملك الذي على أرواح الكفار، قال سفيان: وسألنا الحضرميين فقالوا: لا يستطيع أحد أن يبيت فيه بالليل.

وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث: ذكر الأصمعي عن رجل من أهل برهوت، يعني البلد الذي فيه هذا البئر قال: نجد الرائحة المنتنة الفظيعة جداً، ثم تمكث حينا، فيأتينا الخبر بأن عظيماً من عظماء الكفار قد مات، فنرى أن تلك الرائحة منه.

وقال ابن عيينة: أخبرني رجل أنه أمسى ببرهوت فكأن فيه أصوات الحاج قال: وسألت أهل حضرموت فقالوا: لا يستطيع أحد أن يمسي به.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو ابن سليمان قال: مات رجل من اليهود عنده وديعة لمسلم، وكان لليهودي ابن مسلم فلم يعرف موضع الوديعة فأخبر شعيباً الجبائي، فقال: ائت برهوت، فإن دونه عيناً، فإذا جئت يوم السبت فامش عليها حتى تأتي عيناً هناك، فادع أباك فإنه يجيبك فتسأله عما تريد، ففعل ذلك الرجل، ومضى حتى أتى العين، فدعا أباه مرتين أو ثلاثاً فأجابه، فقال: أين وديعة فلان؟ فقال: تحت أسكفة الباب فدفعها إليه، وتقدمت حكاية الرجل صاحب الذهب.

وقال أبو موسى الأشعري: روح الكافر بوادي حضرموت في أسفل الثرى من سبع أرضين.

قال الحافظ: وكلما ورد من هذه الآثار فإنه محمول على أن الأرواح تنتقل من مكان إلى مكان، فلا تدل على أنها تستقر في موضع معين من الأرض، والله أعلم.

قال: ويشهد لهذا ما ورد عن شهر بن حوشب قال: كتب عبد الله بن عمرو إلى كعب يسأله أين تلتقي أرواح أهل الجنة وأرواح أهل النار؟ فقال: أما أرواح أهل الجنة فبالبادية، وأما أرواح الكفار فبحضرموت، ذكره ابن منده تعليقاً.

وقالت طائفة من الصحابة: الأرواح عند الله عز وجل، وقد صح ذلك عن عمر ﷺ . وقال حذيفة: إن الأرواح موقوفة عند الرحمن عز وجل تنتظر موعدها حتى ينفخ فيها.

قال الحافظ: إسناده ضعيف ثم قال: وهذا لا ينافي ما وردت به الآثار من محل الأرواح على ما سبق.

وقالت طائفة: أرواح بني آدم عند أبيهم آدم عن يمينه وشماله، ويستدل له بما في الصحيحين عن أنس ﷺ عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ في حديث المعراج وفيه «**لما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: آدم، وهذه الأسودة من يمينه وشماله نسم بنيه، وأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى**»(١). وذكر بقية الحديث.

قال الحافظ: وظاهر هذا اللفظ يقتضي أن أرواح الكفار في السماء قال: وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [الأعراف: ٤٠] وكذلك حديث البراء وأبي هريرة وغيرهما وفيها «**أن السماء لا تفتح لروح الكافر وأنها تطرح طرحاً**»(٢) وأن رسول اللّه ﷺ قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية: [الحج: ٣١] وقد حمله بعضهم بأن هذه الأرواح التي عن يمين آدم وشماله هي أرواح بنيه التي لم تخلق أجسادهم بعد.

قال الحافظ: وهذا في غاية البعد، مع ما فيه من النزاع في أن الأرواح هل خلقت قبل الأجساد أو بعدها على ما قدمناه.

قال الحافظ: وقد ورد من حديث أبي هريرة ﷺ ما يزيل هذا الإشكال كله في حديث الإسراء وفيه «**فدخل فإذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس، عن يمينه باب يخرج منه**

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٣٤٩ ، ومسلم ١٦٣ .

(٢) جزء من حديث رواه أحمد وأبو داود، غير مرة .

ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن، قال: يا جبريل من هذا الرجل التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شيء؟ وما هذان البابان؟ قال: هذا أبوك آدم ﷺ، وهذا الذي عن يمينه الجنة، فإذا نظر من يدخل من ذريته الجنة ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم، فإذا نظر من يدخل من ذريته جهنم بكى وحزن»[١] وذكر الحديث. خرجه بتمامه البزار في مسنده والخلال وغيرهما، وفيه التصريح بأن أرواح ذريته في الجنة والنار.

قال الحافظ: وهذا لا يقتضي أن تكون الجنة والنار في السماء الدنيا، وإنما معناه أن آدم في السماء الدنيا يفتح له بابان إلى الجنة والنار ينظر منهما إلى أرواح ولده فيهما، وقد رأى النبي ﷺ الجنة والنار في صلاة الكسوف وهو في الأرض[٢] وليست الجنة في الأرض.

وروي أنه رآهما ليلة الإسراء في السماء وليست النار في السماء، ويؤيده حديث هارون العبدي مع ضعفه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في حديث الإسراء الطويل أن ذكر السماء الدنيا. قال: «**وإذا أنا برجل كهيئته يوم خلقه الله لم يتغير منه شيء وإذا هو يعرض عليه أرواح ذريته فإذا كانت روح مؤمن قال روح طيبة اجعلوا كتابه في عليين وإذا كان روح كافر قال روح خبيثة وريح خبيثة اجعلوا كتابه في سجين قلت: يا جبريل من هذا قال أبوك آدم**»[٣] وذكر الحديث.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٣٦) رقم ٢٣٥ وقال رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره.
(٢) البخاري رقم ١٠٥٢ ومسلم رقم ٩٠٧ .
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ١٢ .

ففي هذا أنه يعرض عليه أرواح ذريته في السماء الدنيا، وأنه يأمر بجعل الأرواح في مستقرها من عليين وسجين، فدل على أن الأرواح ليس محل استقرارها في السماء الدنيا، وزعم ابن حزم أن اللَّه خلق الأرواح جملة قبل الأجساد، وأنه جعلها في برزخ، وذلك البرزخ عند منقطع العناصر، يعني حيث لا ماء ولا هواء ولا نار ولا تراب، وأنه إذا خلق الأجساد أدخل فيها تلك الأرواح، ثم يعيدها عند قبضها إلى ذلك البرزخ، وهو الذي رآها فيه رسول اللَّه ﷺ ليلة الإسراء به عند منقطع العناصر، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، وذلك عند السماء الدنيا، وأما أرواح الأنبياء والشهداء فترفع إلى الجنة، قال: وهذا القول قول جميع أهل الإسلام.

قال المحقق: في [الروح] قوله - أي ابن حزم - أن ذلك عند منقطع العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، ولا يشبه أقوال أهل الإسلام والأحاديث الصحيحة تدل على أن الأرواح فوق العناصر في الجنة عند اللَّه، وأدلة القرآن تدل على ذلك، وقد وافقنا ابن حزم على أن أرواح الأنبياء والشهداء في الجنة، ومعلوم أن الصديقين أفضل من الشهداء، فكيف تكون روح أبي بكر الصديق وعبد اللَّه بن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة اليماني وأشباههم عند منقطع العناصر؟ وذلك تحت هذا الفلك الأدنى وتحت السماء الدنيا؟ وتكون أرواح شهداء زماننا وغيرهم فوق العناصر وفوق السماوات؟ انتهى.

وقال تلميذه الحافظ: قوله وهذا قول جميع أهل الإسلام لا نعرف ما قاله في هذه عن أحد من أهل الإسلام غيره، فكيف يكون قول جميع أهل الإسلام؟.

وأما قوله: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلناه بعينه، قال: وعلى هذا أجمع أهل العلم، فقال المحقق: قلت: محمد بن نصر المروزي ذكر في كتاب الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢] الآثار التي ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه، ثم أخذ الميثاق عليهم وردهم في صلبه، وأنه أخرجهم مثل الذر، وأنه سبحانه قسمهم قسمين إذ ذاك، إلى شقي وسعيد، وكتب آجالهم وأرزاقهم، وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشر.

ثم قال: قال إسحاق أجمع أهل العلم أن الأرواح قبل الأجساد استنطقهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

قال المحقق: هذا نص كلامه، قال: وهو كما ترى لا يدل على أن مستقر الأرواح ما ذكر بوجه من الوجوه، بل ولا يدل على أن الأرواح كانت قبل خلق الأجساد، إنما يدل على أنه سبحانه أخرجها فخاطبها ثم ردها إلى صلب آدم، والله أعلم، هذا كلام المحقق.

وأما الحافظ فقال: ليس هذا - يعني ما حكاه ابن حزم - من جنس كلام المسلمين، إنما هو من جنس كلام المتفلسفة، ورد الحافظ ما خرجه ابن جرير في كتاب الآداب أنه قال سلمان لعبد الله بن سلام: إن مت قبلي فأخبرني بما تلقى، وإن مت قبلك أخبرتك بما ألقى، فقال له الناس: يا عبد الله كيف تخبر وقد مت؟ قال: ما روح تقبض من جسد إلا كانت بين السماء والأرض حتى يرد في جسده الذي أخذ منه، بأن هذا لا يثبت وهو منقطع، وقد سبقت رواية ابن المسيب لهذه القصة بغير هذا اللفظ وهو الصحيح.

وقالت طائفة: تجتمع في الأرض التي قال الله فيها ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي

ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ الآية [الأنبياء: ١٠٥] وهذا كما قال المحقق: إن كان قاله تفسيراً للآية فليس هو تفسير لها وقد اختلف الناس في الأرض المذكورة هنا، فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هي أرض الجنة، وهو قول أكثر المفسرين، وعن ابن عباس أنها الدنيا التي فتحها اللّه على أمة محمد ﷺ، وصححه المحقق.

وقالت طائفة من المفسرين: المراد بذلك أرض بيت المقدس.

قال المحقق: هي - يعني أرض بيت المقدس - من الأرض التي أورثها اللّه عباده الصالحين وليست الآية مختصة بها، وهذا بناء على ما ذهب إليه من أن المراد بها ما فتح على هذه الأمة من الدنيا، واللّه أعلم.

وزعمت طائفة: أن أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم، وقد قدمنا في حكاية صاحب الذهب ما يدل على ذلك، لكن قال المحقق هذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، ولا يجب التسليم له، ولا يوثق به، إلى أن قال: وبالجملة فهذا أبطل الأقوال وأفسدها، وهو أفسد من قول من قال إنها بالجابية.

وقالت طائفة: هي في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، وهو مروي عن سلمان الفارسي.

قال المحقق: البرزخ هو الحاجز بين شيئين، وكأن سلمان أراد أنها بين الدنيا والآخرة، مرسلة هناك تذهب حيث شاءت، قال: وهذا قول قوي، فإنها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة، بل هي في برزخ بينهما، فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم، وأرواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة، وأصله

الحاجز بين الشيئين. انتهى.

وزعمت طائفة: أن مستقرها العدم المحض، قال المحقق: وهذا قول من قال أنها أعراض من أعراض البدن، وهو الحياة، قال: وهذا قول ابن الباقلاني ومن تبعه.

قال المحقق: وهذا يرده الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقول والفطن، وهو قول من لم يعرف روحه فضلًا عن روح غيره، وقد خاطب اللَّه سبحانه النفس بالرجوع والدخول، ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على أنها تصعد وتنزل، وتقبض وتمسك، وترسل وتفتح لها أبواب السماء، وتسجد وتتكلم، وأنها تخرج وتسيل كما تسيل القطرة، وتكفن وتحنط في أكفان الجنة أو النار، إلى أن قال: ودل القرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها، إلى أن قال: ولما أُورد ذلك على ابن الباقلاني لج في الجواب، وقال: يخرج هذا على أحد وجهين، إما بأن يوضع عرض من الحياة في أول جزء من أجزاء الجسد، وإما أن يخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب جزاء آخر.

قال المحقق: وهذا قول في غاية الفساد، وفساده من وجوه كثيرة، وأي قول أفسد من قول يجعل روح الإنسان عرضاً من الأعراض تبدل كل ساعة ألوفاً من التغيرات؟ فهذا يدل على أنه لم تكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب، ولا تصعد ولا تنزل، ولا تمسك ولا ترسل، وأي قول أفسد من هذا القول؟ فإنه مخالف للعقل والكتاب والسنة والفطرة، وهذا لم يقل به أحد من سلف الأمة، ولا أئمة الإسلام. انتهى.

وقال في الإفصاح: المنعَّم على جهات مختلفة.

منها: ما هو طائر في شجر الجنة.

ومنها: ما هو في حواصل طير خضر.

ومنها: ما يأوي في قناديل تحت العرش.

ومنها: ما هو في حواصل طير بيض.

ومنها: ما هو في حواصل طير كالزرازير.

ومنها: ما هو في أشخاص صور من صور الجنة.

ومنها: ما هو في صورة تخلق من ثواب أعمالهم.

ومنها: ما تسرح وتتردد إلى جثتها وتزورها.

ومنها: ما تتلقى أرواح المقبوضين، وممن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل.

ومنها: ما هو في كفالة آدم.

ومنها: ما هو في كفالة إبراهيم.

قال القرطبي: وهذا قول حسن يجمع الأخبار حتى لا تتدافع، وارتضاه السيوطي أيضاً، وقال: قلت: ويؤيده ما في حديث الإسراء عند البيهقي في الدلائل وابن مردويه من رواية أبي سعيد الخدري «**ثم صعدت إلى السماء الثانية، فإذا أنا بيحيى وعيسى ومعهما نفر من قومهما، ثم صعدت إلى السماء الثالثة فإذا أنا بيوسف ومعه نفر من قومه، ثم صعدت إلى السماء الرابعة فإذا أنا بإدريس ومعه نفر من قومه، ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ومعه نفر من قومه، ثم صعدت إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى ومعه نفر من قومه، ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم ومعه نفر من قومه فقيل لي: هذا مكانك ومكان أمتك ثم**

تلا: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [آل عمران:٦٨] وإذا أنا بأمتي شطرين، شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس، وشطر عليهم ثياب مذر»[1] الحديث. فهذا يدل على تفاوت الأرواح في المراتب وإن كان في كل سماء قوم.

وقال المحقق: لا منافاة بين حديث أنه طائر يعلق في شجر الجنة وبين حديث عرض المقعد، بل ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، ويعرض عليه مقعده، لأنه لا يدخل إلا يوم الجزاء، بدليل أن منازل الشهداء يومئذ ليست هي التي تأولي إليها أرواحهم في البرزخ، فدخول الجنة التام إنما يكون للإنسان التام روحاً وبدناً، ودخول الروح أمر دون ذلك.

وقال النسفي في (بحر الكلام): الأرواح على أربعة أوجه: أرواح الأنبياء: تخرج من جسدها وتصير مثل صورتها مثل المسك والكافور، وتكون في الجنة تأكل وتشرب وتتنعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وأرواح الشهداء تخرج من جسدها وتكون في أجواف طير خضر في الجنة، تأكل وتتنعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وأرواح المطيعين من المؤمنين، بربض الجنة، لا تأكل ولا تتمتع ولكن تنظر في الجنة.

وأرواح العصاة من المؤمنين، تكون بين السماء والأرض في الهواء.

---

(١) جزء من حديث أخرجه الحارث في مسنده مع اختلاف يسير (١/ ١٧٠) رقم ٢٧ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٥١٣) .
وفي المصادر [رمد] بدلًا من [مذر].

وأما أرواح الكفار فهي في سجين، في جوف طير سود تحت الأرض السابعة، وهي متصلة بأجسادها، فتعذب الأرواح، وتتألم الأجساد منه كالشمس في السماء ونورها في الأرض، انتهى.

هذا وقد ثبت أن أرواح المؤمنين المطيعين تتنعم من الجنة، وما قاله يحتاج إلى دليل، على أنه قد تقدم رد كلام من زعم أن أرواح المؤمنين ليست في الجنة، فليتنبه له، واللّه أعلم.

* * *

الباب الرابع

في ذكر ضيق القبور وظلمتها على أهلها وتنورها عليهم وفي زيارة الموتى والاتعاظ بحالهم والتفكر بهم

تقدم أن القبر يقول: أنا بيت الظلمة وبيت الضيق.

أخرج ابن المبارك عن سليم بن عامر قال خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها قال أبو أمامة: إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تغتنمون فيه الحسنات والسيئات، توشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق إلا ما وسع اللّه، ثم تنقلون منه إلى مواطن القيامة.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن امرأة هشام الدستوائي قالت: كان هشام إذا طفئ المصباح غشيه من ذلك أمر عظيم، فقلت له: إنه ليغشاك أمر عظيم عند هذا المصباح إذا طفئ، قال: إني أذكر ظلمة القبر، ثم قال: لو كان يسبقني إلى هذا أحد من السلف لأوصيت إذا مت أن أجعل في ناحية من داري، قالت: فما مكثنا إلا يسيراً حتى مات، قالت: فمر بعض إخوانه بقبره فقال: يا أبا بكر صرت واللّه إلى المحذور، ومرة انطفأ السراج فخرج هارباً من البيت، فقيل له في ذلك فقال: ذكرت ظلمة القبر.

وروى الحافظ ابن رجب عن خالد بن خداش قال: كنت أقعد إلى وسيم البلخي - عم قتيبة - وكان أعمى، وكان يحدث ويقول: أوه من القبر وظلمته، واللحد وضيقه، كيف أصنع؟ ثم يغمى عليه ثم يعود فيحدث

ويصنع ذلك مرات حتى يقوم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب بن الورد قال: نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها فبكى، ثم قال: واللّه لولا الموت لكنت بك مسروراً، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته.

وذكر ابن أبي الدنيا أيضاً: عن محمد بن حرب المكي قال: قدم علينا أبو عبد الرحمن العمري العابد، فاجتمعنا إليه، وأتاه وجوه أهل مكة، قال: فرفع رأسه فلما نظر إلى القصور المحدقة بالكعبة نادى بأعلى صوته: يا أصحاب القصور المشيدة، اذكروا ظلمة القبور الموحشة، يا أهل التنعم والتلذذ اذكروا الدود والصديد، وبلي الأجساد في التراب، قال: ثم غلبته عيناه فنام.

وذكر أن سعيد بن عبد العزيز دخل على سليمان الخواص فقال: ما لي أراك في الظلمة؟ قال: ظلمة القبر أشد.

وذكر الحافظ في «أهوال القبور» عن أبي المصرخي قال: خرجت غازياً، فمررت ببعض حصون الشام، فوجدت باب الحصن مغلقاً ومقبرة على الباب، فبت بجنب المقبرة بالقرب من قبر محفور، فلما نمت إذا بهاتف من القبر وهو يقول:

أنعم اللّه بالخيالين عينا وبمسراك[1] يا أميم إلينا
عجباً ما عجبت من ثقل التر ب ومن ظلمة القبور علينا

قال: فانتبهت فإذا الباب قد فتح وإذا بالجنازة يقدمها شيخ، فقلت

(١) في الأصل (وبمصراك).

له: ما هذه الجنازة؟ قال: جنازة ابنتي قلت: ما اسمها؟ قال: أميما، قلت: القبر المحفور لمن؟ قال: قبر ابن أخي، وكان زوجها فتوفي فدفنته، ثم توفيت ابنتي فجئت أدفنها، فأخبرته بما سمعت من الهاتف في القبر، ويشبه هذا ما خرجه ابن أبي الدنيا عن الشعبي قال: كان صفوان بن أمية في بعض المقابر فإذا بشعل نيران قد أقبلت ومعها جنازة جنازة، فلما دنوا من المقبرة قالوا: انظروا قبر كذا وكذا، قال رجل: سمعت صوتاً من القبر حزيناً موجعاً يقول:

أنعم اللَّه بالظعينة عينا ... وبمسراك يا منين إلينا
جزعاً ما جزعت من ظلمة القبـ ... ـر ومن مسك التراب أمينا

فأخبر القوم بما سمع فبكوا حتى أخضلوا لحاهم ثم قالوا: هل تدري من منينه؟ قال: لا، قالوا: صاحبة هذا السرير، وهذه أختها ماتت عام أول.

وأخرج أيضاً عن إسماعيل بن راشد قال: حجت امرأة فماتت في بعض المنازل، فلما كان العام القابل حجت أخت لها فماتت في ذلك المنزل، فجهزوها وأخرجوها ليدفنوها، فبينما هم يطلبون قبر أختها وإذا رجل قد أسرى ليلته، فأتى القبور فرمى نفسه فنام فيها فاستيقظ، فقال: ما تطلبون؟ قالوا: قبراً. قال: هو تحتي قالوا: وما علمك؟ قال: سمعت قائلًا من القبر يقول:

يا منينا يا منينا ... أنعم اللَّه بالظعينة عينا
نفساً ما نفست من القبر ... وبمسراك يا منين إلينا
لم نجد بعدكم منين رخاء ... أقبل الدهر بالرخاء علينا

فدفنت إلى جنب أختها.

وأخرج أبو نعيم عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول في موعظة له

طويلة: يذكر فيها أهل القبور: أليسوا في مدلهمة ظلماء؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ وقال أبو العتاهية يبكي نفسه في مرثية:

لأبكين على نفسي وحق ليه ... يا عين لا تبخلى عني بعبرتيه
لأبكين فقد بان الشباب وقد ... جد الرحيل عن الدنيا برحلتيه
يا نأى منتجعي يا هول مطلعي ... يا ضيق مضطجعي يا بعد شقتيه
المال ما كان قدامي لآخرتي ... ما لا اقدم من مالي فليس ليه
لأبكين فيبكيني ذوى ثقتي ... قبل الممات وإخواني وأخوتيه

***

فصل

وأخرج مسلم في صحيحه وسنن الترمذي عن بريدة عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة**»[١] وخرجه الإمام أحمد بلفظ «**فزوروها فإن في زيارتها عبرة وعظة**»[٢].

وأخرج الإمام أحمد عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي فيها، فإنه يرق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، فزوروها ولا تقولوا هجرا**»[٣].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة عنه ﷺ قال: «**استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي، فزوروها فإنها تذكر الموت**»[٤].

وأخرج الحاكم عن أبي ذر مرفوعاً قال: «**من زار القبور تَذَكَّر بها الآخرة، وغسل الموتى فإن معالجة جسد الميت موعظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك، فإن الحزين في ظل اللَّه تعالى ويتعرض من كل خير**»[٥].

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٩٧٧ وليس فيه «فإنها تذكر الآخرة»، والترمذي (٣/ ٣٧٠) رقم ١٠٥٤ .

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٦) رقم ٢٣٠٦٥ بتقديم لفظ عبرة على عظة.

(٣) جزء من حديث أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٧) رقم ١٣٥١٢ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٠٠) رقم ٨١٥٧ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار باختصار وفيه يحيى بن عبد الله الجابر وقد ضعفه الجمهور، وقال أحمد: لا بأس به، وبقية رجاله ثقات.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٩٧٧ .

(٥) المستدرك (٤/ ٣٦٦) رقم ٧٩٤١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وأخرجه في (١/ ٥٣٣) رقم ١٣٩٥ وقال هذا حديث رواته عن آخرهم ثقات. وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٩٠) وقال عنه العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور والحاكم بإسناد جيد.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ثابت البناني قال: بينا أنا أمشي في المقابر إذا بهاتف من ورائي يقول: يا ثابت لا يغرنك سكوتها، فكم من مغموم فيها، فالتفت فلم أر أحداً.

وأخرج عن بشر بن منصور قال: قال لي عطاء الأزرق: إذا حضرت المقابر فليكن قلبك فيما أنت بين ظهريه، فإني بينما أنا قائم ذات ليلة في المقابر تفكرت في شيء، فإذا أنا بصوت يقول: إليك يا غافل إنما أنت بين ناعم في تنعمه مدلل، أو معذب في سكراته يتقلب.

وأخرج عن صالح المري قال: دخلت المقابر يوماً في شدة الحر فنظرت إلى قبور خامدة كأنهم صمت فقلت: سبحان من يجمع بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها، ثم يحييكم وينشركم من بعد طول البلى، قال: فناداني مناد بين تلك الحفر: يا صالح ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] قال: فسقطت والله لوجهي جزعاً من ذلك الصوت.

وأخرج عن عمر بن عبد العزيز أنه خرج مع جنازة، فلما دفنها قال لأصحابه: دعوني حتى آتي قبور الأحبة، قال: فأتاهم فجعل يدعو ويبكي، إذ هتف به التراب، فقال: يا عمر ألا تسألني عما فعلت بالأحبة؟ قال: وما فعلت بهم؟ قال: مزقت الأكفان، وأكلت اللحم، وشدخت المقلتين، وأكلت الحدقتين، ونزعت الكتفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من المنكبين، والمنكبين من الصلب، والقدمين من الساقين، والساقين من الفخذين، والفخذين من الورك، والورك من الصلب، قال: وعمر يبكي، فلما أراد أن ينهض قال له التراب: يا عمر ألا أدلك على أكفان لا تبلى؟ قال: وما هي؟ قال: تقوى الله والعمل الصالح.

ودخل ثابت البناني المقابر مرة فبكى ثم قال: بليت أجسادهم، وبقيت أخبارهم، فالعهد قريب، واللقاء بعيد.

ووقف بعض الأعراب على قبر وأنشد في المعنى:

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد
وما أن ترى داراً لحي قد أقفرت وقبراً لميت بالفناء جديد
فهم جيرة الأحياء أما محلهم فدان وأما الملتقى فبعيد

وقال بعضهم وقد مر في سفرة بمقبرة لبعض المدن:

كفى حزناً أن لا أمر ببلدة من الأرض إلا دون مدخلها قبر

وعن جعفر بن سليمان قال: كنا نخرج مع مالك بن دينار زمان الحطمة، فنجمع الموتى ونجهزهم، فيخرج مالك على حمار قصير قحاطي، لجامه من ليف، عليه عباءة مرتد بها، فيعظنا في الطريق حتى إذا أشرف على القبور قال بصوت له محزون:

الا حي القبور ومن بهنه وجوه في التراب أحبهنه
ولو أن القبور أجبن حيا إذاً لأجبنني إذ زرتهنه
ولكن القبور صمتن عني فأبت بحسرتي من بعد هنه

وأخرج الحافظ في (أهوال القبور) عن يحيى بن عبد اللّه قال: كنا مع عبد اللّه بن جعفر بن سليمان أمير البصرة، فمر به رجل كان يعظ الناس فقال له عبد اللّه: عظني ببيت من الشعر فقال:

إذا ثوي في القبور ذو خطر فزره فيها ولا تنظر إلى خطره

فبكى عبد اللّه بن جعفر، وكان ابن السماك يتمثل بهذا البيت ويزيد فيه بيتاً آخراً.

أبـرزه الـمـوت مـن مـسـاكـنـه ومـن مقاصيره ومـن حـجـره

وأخرج ابن أبي الدنيا: حدثنا إسماعيل بن عبد اللّه قال: أنشدنا رجل ونحن بالمقابر:

ألا يـا عـسـكـر الأحـيـاء هـذا عـسـكـر الـمـوتـى
أجـابـوا الـدعـوة الـصـغـرى ومـنـتـظـرون لـلـكـبـرى
يـحـشـون عـلـى الـزاد ومـا زاد سـوى الـتـقـوى
يـقـولـون لـكـم جـدوا فـهـذا آخـر الـدنـيـا

وأخرج عن غزوان بن عبد الرحمن بن غزوان قال: كنت جالساً مع أبي بالبصرة، إذ أقبل شيخ على حمار في عنقه حبل ليف، والشيخ حاف عليه جبة صوف، حتى وقف علينا، فسلم على أبي فأحفل أبي المسألة به. وقال: من أين أقبلت؟ قال: فكرت في أهل هذا العسكر ليلًا فغدوت عليهم، فقلت:

وعـظـتـك أجـداث صـمـت وبـكـتـك سـاكـتـة جـفـت
وتـكـلـمـت عـن أعـظـم تـبـلى وعـن صـور سـبـت
وأرتـك قـبـرك فـي الـقـبـور وأنـت حـي لـم تـمـت

ثم ولى غير بعيد ثم أقبل فقال:

ولـربـمـا انـصـرف الـشـمـا ت وحـل بـالـقـوم الـشـمـت

قال الحافظ ابن رجب: قلت هذا الشيخ هو أبو العتاهية، والأبيات معروفة له.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن سلام بن صالح قال: فقُد الحسن ذات يوم فلما أمسى قال له أصحابه: أين كنت اليوم؟ قال: كنت اليوم عند إخوان لي، إن نسيت ذكروني، وإن غبت عنهم لم يغتابوني، فقال له: أصحابه

نعم الإخوان والله هؤلاء يا أبا سعيد دلنا عليهم قال: هؤلاء أهل القبور.

وروي عن علي كرم الله وجهه بإسناد منقطع أنه قيل له: ما شأنك جاورت المقبرة؟ قال: إني أجدهم جيران - إخوان - صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة.

وفي (أهوال القبور) للحافظ عن الحسن: أن عثمان بن أبي العاص كان في جنازة، فرأى قبراً خاسفاً، فقال لرجل من أهله: يا فلان تعال انظر إلى بيتك الذي هو بيتك. قال: فقال: ما أرى بيتي فيه طعام ولا شراب ولا ثياب، قال: فإنه بيتك. قال: صدقت، قال: فرجع فقال: والله لأجعلن ما في بيتي هذا في بيتي ذاك. قال الحسن: هو والله التسدد أو الهلكة والله لتصبرن أو لتهلكن. وفي رواية: قال: أراه بيتاً ضيقاً يابساً مظلماً ليس فيه طعام ولا شراب ولا زوجة، وقد تركت بيتاً فيه طعام وشراب وزوجة، قال: هذا والله بيتك، قال: صدقت، أما والله لو قد رجعت نقلت من ذلك إلى هذا.

وعن مطرف الهذلي قال: كانت عجوز متعبدة في عبد قيس، فعوتبت في كثرة إتيانها القبور فقالت: إن القلب القاسي إذا جفى لم يلينه إلا رسوم البلى، وإني لآتي القبور وكأني أنظر إليهم قد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة، وإلى تلك الأجسام البالية المتغيرة، وإلى تلك الأكفان الدنسة، فيا له من منظر. ولأبي العتاهية رَحِمَهُ اللَّهُ:

إني سألت التراب ما فعلت ... بعدي وجوه فيك متعفرة
فأجابني صيرت ريحهم ... تؤذيك بعد روائح عطرة
وأكلت أجساداً منعمة ... كان النعيم يهزها نضرة
ولم يبقى غير جماجم عريت ... بيض تلوح وأعظم نخرة

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي إسحاق أنه قال: شهدت جنازة رجل من إخواني منذ خمسين سنة، فلما دفن وسوي عليه التراب وتفرق الناس جلست إلى بعض تلك القبور ففكرت فيما كانوا فيه من الدنيا وانقطاع ذلك عنهم، فأنشأ يقول:

سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة ولم يأكلوا من بين رطب ويابس[١]
ألا خبروني أين قبر ذليلكم وقبر العزيز الماذخ[٢] المتمارس

قال: فغلبتني والله عيني فقمت وأنا محزون.

قال ابن أبي الدنيا أنشدنا الرياشي:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى وأنت قريب
تزيد بلى في كل يوم وليلة وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

وروى أبو نعيم أن داود الطائي اجتاز على مقبرة وامرأة عند قبر تقول هذين البيتين، فسمعهما فكان ذلك سبب توبته، يعني انقطاعه من الدنيا وأسبابها، واشتغاله بالآخرة والاستعداد لها.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «الخائفين» عن الحسن بن صالح أنه كان إذا صعد المنارة يعني ليؤذن أشرف على المقابر، فإذا نظر إلى الشمس تحوم على القبور صرخ حتى يسقط مغشياً عليه، فيحمل وينزل به، وشهد يوماً جنازة فلما قرب الميت ليدفن نظر إلى اللحد فارفض عرقاً، ثم مال فغشي عليه، فحمل على سرير الميت فرد إلى منزله.

---

(١) في حاشية الأصل/ لعله (ما بين رطب ويابس) لكن الرواية (من بين).

(٢) المَذْخُ - بسكون الذال عسل يظهر في رمان البر، ويكثر حتى يتمذخه الناس، وتمذخه الناس - امتصوه/ لسان العرب: مادة/ مذخ.

وذكر أن امرأة كانت بالمدينة وكانت تزهو، فدخلت يوماً المقابر فرأت جمجمة، فصرخت ثم رجعت منيبة، فدخل عليها نساؤها فقلن: ما هذا؟ فقالت:

بكى قلبي لذكر الموت لما رأيت جماجم فوق القبور

ثم قالت: اخرجن من عندي فلا تأتيني منكم امرأة إلا امرأة ترغب في خدمة اللّه، ثم أقبلت على العبادة.

وأخرج عن عنبسة الخواص: أن رجلًا من الصدر الأول دخل المقابر فمر بجمجمة بادية من بعض القبور، فحزن حزناً شديداً ثم واراها، ثم التفت فلم ير إلا القبور فقال: لو كشف لي عن أحدهم - بعضهم - فسألته عما رأى، قال: فأتي في منامه فقيل له: لا تغتر بتشييد القبور من فوقهم، فإن القوم بليت خدودهم في التراب، فمن بين مسرور ينتظر ثواب اللّه عز وجل، وبين مغموم آسفا على عقابه، فإياك والغفلة عما رأيت، فاجْتَهَدَ الرجل بعد ذلك اجتهاداً شديداً حتى مات.

وأخرج أيضاً عن جابر قال: رأى رجل جمجمة إنسان، فحدث نفسه بشيء فخر ساجداً نادماً مما حدث نفسه، فقيل له: ارفع رأسك فأنت أنت وأنا أنا.

وعن جعفر قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: نودي ارفع رأسك فإنك ابن آدم وأنا اللّه تعالى تتوب وأعود عليك.

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن البراء ﵁ قال: بينا نحن مع رسول اللّه ﷺ إذ بصر بجماعة فقال: علام اجتمع هؤلاء؟ قيل: على قبر يحفرونه قال: ففزع رسول اللّه ﷺ فبدر بين يدي أصحابه مسرعاً حتى انتهى إلى القبر فجثى عليه قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع فبكى حتى بل الثرى من

دموعه ثم أقبل علينا فقال: «**أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا**»[١].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن قال: مات أخ لنا، فلما وضع في القبر جاء صلة بن أشيم حتى أخذ بناحية الثوب ثم قال:

إن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجيا

قلت: تقدم عزو هذا البيت لسيدنا عثمان وهذا أصح، فإني رأيت من طعن في عزوه لسيدنا عثمان رضي الله عنه، وعلى فرض صحته فلا تنافي، والله أعلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن حجاج بن الأسود قال: رأيت في المنام كأني دخلت المقابر، فإذا أنا بأهل القبور في قبورهم وقد انشقت عنهم الأرض، فمنهم النائم على التراب، ومنهم النائم على الريحان، ومنهم كهيئة المتبسم في نومه، ومنهم قد أشرق لونه، ومنهم حائل اللون، قال: فبكيت عندما رأيت منهم، ثم قلت في منامي: رب لو شئت سويت بينهم في الكرامة، فناداني مناد من ناحية القبور: يا حجاج هذه منازل الأعمال، فاستيقظت من كلمته فزعاً.

وعن سلمة البصري: قال: وقف رجل على قبر قد بني بناء حسناً، فجعل يتعجب من حسنه، فلما كان في ليلته أتاه آت في منامه فوقف عليه، وإذا رجل قد امتحت آثار وجهه فقال:

أعجبك القبر وحسن البناء والجسم فيه قد حواه البلاء
فسائل الأموات عن حالهم ينبيك عن ذاك ذهاب الجلاء

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٤) رقم ١٨٦٢٤ والطبراني في الأوسط (٣/ ٩٢) رقم ٢٥٨٨ باختلاف يسير، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٣) رقم ٤١٩٥، باختلاف يسير، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف.

قال: ثم ولى، فاتبعته فدخل الجبانة فأتى ذلك القبر فانساب فيه بعينه. وعنه أيضاً: قال: رأيت مربع بن سرور العابد في منامي، وكان كثيراً لذكر اللّه كثيرا لذكر الموت طويل الاجتهاد، قال: قلت: كيف رأيت موضعك؟ قال: ليس يعلم ما في القبور - داخلة - إلا الإلاه وساكن الأجداث، ثم ولى وتركني.

وعن الفضيل بن مهلهل أخ المفضل، وكان من العابدين، قال: كان جليس لنا حسن التخشع والعبادة يقال له مجيب، وكان من أجمل الرجال، فصلى حتى انقطع عن القيام، وصام حتى اسود، ثم مرض فمات، وكان محمد بن النضر الحارثي له صديقاً، ومات محمد قبله، قال: فرأيت محمداً في منامي بعد موت مجيب فقلت: ما فعل أخوك مجيب؟ قال: لحق بعمله، فقلت: كيف وجهه ذاك الحسن؟ قال: أبلاه واللّه التراب، قال: قلت: كيف وأنت تقول لحق بعمله؟ قال: يا أخي أما علمت أن الأجساد في القبور تبلى، وأن الأعمال في الآخرة تحيا؟ قلت: يبلون حتى لا يبقى منهم شيء ثم يحيون يوم القيامة؟ قال: إي واللّه يا أخي، يبلون حتى يصيرون رفاتاً، ثم يحيون عند الصيحة كأسرع من اللمح، وأنشد بعضهم:

ما حال من سكن الثرى ما حاله ... أمسى وقد رثت هناك حباله
أمسى ولا روح الحياة تصيبه ... أبداً ولا لطف الحبيب يناله
أمسى وقد درست محاسن وجهه ... وتفرقت في قبره أوصاله
واستبدلت منه المجالس غيره ... وتقسمت من بعده أمواله
مازالت الأيام تلعب بالفتى ... والمال يذهب صفوه وحلاله

قال ابن أبي الدنيا: أنه قرأ على قبر بشيراز هذه الأبيات:

ذهب الأحبة بعد طول تودد ... ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا[١]
خذلوك أفقر ما تكون بغربة ... لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا
وقضي القضاء وصرت صاحب حفرة ... عنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا

قال: وقرئ على قبر بمقابر البصرة مكتوب:

يا غافل القلب عن ذكر المنيات ... عما قليل ستثوى بين أموات
فاذكر محلك من قبل الحلول به ... وتب إلى اللَّه من لهو ولذات
إن الحمام له وقت إلى أجل ... فاذكر مصائب أيام وساعات
لا تطمئن إلى الدنيا وزينتها ... قد حان للموت يا ذا اللب أن يأتي

وقرئ على قبر آخر:

ستعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل
إذا انقطعت يوماً من العيش مدتي ... فإن غناء الباكيات قليل

يا هذا أهل القبور في الحبوس، أكثرهم قد نكس الرءوس، ينتظرون هدية تدفع بعض البوس، أو دعوة ترفع ما هم فيه من الغطوس، الثرى لهم مهاد والتراب ملبوس.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مثل الميت في قبره كالغريق المتغوث ينتظر دعوة من صديق، فإذا ترحم الإنسان عليه أخذها ملك فجاء بها إلى قبره وقال: يا صاحب القبر الغريب، هذه هدية من أخ شفيق.

قال الحافظ ابن رجب: روى ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبيدة اللَّه بن صدقة بن مرداس البكري عن

(١) انقشع عنه الشيء وتقشع غشيه ثم انجلى عنه، كالظلام عن الصبح والهم عن القلب والسحاب عن الجو. وقَشَعْتُ القوم فأقشعوا وتقشعوا وانقشعوا: ذهبوا وتفرقوا/ لسان العرب: مادة/ قشع.

أبيه، عن شيخ حدثه بقرية من بلاد طرابلس قال: كان ثلاثة إخوة، أمير يصحب السلطان ويؤمر على المدائن والجيوش، وتاجر موسر مطاع في ناحيته، وزاهد قد تخلى لنفسه وتفرد لعبادة ربه، قال: فحضرت العابد الوفاة، فاجتمع عنده أخواه فقال لهما: إذا أنا مت فغسلاني وهيآني وادفناني على نشز من الأرض واكتبا على قبري:

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأن إله الخلق لابد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

فإذا فعلتما ذلك فأتياني في كل يوم مرة لعلكما أن تتعظا، قال: ففعلا ذلك، فكان أخوه يركب في جنده حتى يقف على القبر فينزل فيقرأ ما عليه ويبكي، فلما كان اليوم الثالث وأراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر كاد أن يتصدع لها قلبه، فانصرف مذعوراً فزعاً، فلما كان من الليل رأى أخاه في منامه، فقال له: أي أخي ما الذي سمعت في قبرك؟ قال: تلك هدة المقمعة. قيل لي: رأيت مظلوماً فلم تنصره، فأصبح مهموماً فدعا أخاه وخاصته وقال: ما أرى أراد بما أوصي أن يكتب على قبره غيري، وإني أشهدكم ألا أقيم بين ظهرانيكم أبداً، فترك الإمارة ولزم العبادة، وكتب إلى عبد الملك بن مروان في ذلك، فكتب أن خلوه وما أراد، فحضرته الوفاة وهو في جبل مع بعض الرعاة، فَبُلِّغ أخاه فأتاه فقال له: إذا مت فادفني إلى جنب أخي واكتب على قبري:

وكيف يلذ العيش من كان موقناً ... بأن المنايا بغتة ستعاجله
فتسلبه ملكاً عظيماً ونخوة ... وتسكنه البيت الذي هو آهله

ثم تعاهدني ثلاثاً بعد موتي، وادع اللّه لي لعل اللّه أن يرحمني، ومات ففعل به أخوه ذلك، فلما كان في اليوم الثالث وأراد أن ينصرف سمع وجبة من قبره كادت أن تذهل عقله، فرجع قلقاً حزيناً فلما كان الليل إذا

بأخيه في منامه قد أتاه قال: فقلت: أي أخي أتيتنا زائراً؟ قال: هيهات يا أخي، بَعُدَ المزار واطمأنت بنا الدار، فقلت: يا أخي كيف أنت؟ قال: بخير، ما أجمع التوبة لكل خير، قلت: فكيف أخي؟ قال: ذلك مع الأئمة الأبرار، قلت: وما أمرنا وراءكم؟ قال: من قدم شيئاً وجده، فاغتنم وجدك قبل فقدك، فأصبح أخوه معتزلًا، ففرق ماله وقسم رباعه، وأقبل على طاعة ربه، ونشأ له ابن من أحسن الشباب وجهاً وجمالًا، فأقبل على المكاسب والتجارة حتى بلغ منها، وحضرت أباه الوفاة فقال له: إذا مت فادفني مع عمومتك، واكتب على قبري هذين البيتين:

وكيف يلذ العيش من هو صائر — إلى جدث يبلى الشباب منازله
ويذهب رسم الوجه من بعد ضوئه — سريعاً ويبلى جسمه ومفاصله

فإذا مت فتعاهدني بنفسك ثلاثاً فادع لي، ففعل، فلما كان في اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً اقشعر جسده، وتغير لونه، ورجع منه محموماً إلى أهله، فلما كان في الليل أتاه أبوه في منامه فقال: أي بني أنت عندنا عن قريب، والأمر بآخره، والموت أقرب من ذلك، فاستعد لسفرك، وتأهب لرحيلك، وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه راحل إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغتر بما اغتر به البطالون، فتلك من طول آمالهم فقصروا عزائمهم وزادهم فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا حمدوا أنفسهم على التقصير، أنقذك اللّه من شر ما وافى به المغبونون مليكهم يوم القيامة، أي بني بادر ثم بادر، قال: فدخلت عليه صبيحة ليلته من هذه الرؤيا فقصها علينا وقال: ما أرى الأمر إلا كما قال أبي، لا أرى الموت إلا قد أظلني، فجعل يفرق ماله ويتصدق، ويقضي ما عليه من الدين، ويستحل خلطاءه ومعامليه، ويسلم عليهم ويودعهم ويودعونه، وكان يقول: قال أبي

فبادر بادر، فهذه ثلاث ساعات قد مضت وليست بها أو ثلاثة أيام وأنَّى لي بها، أو ثلاثة أشهر وما أراني أدركها، أو ثلاث سنين فهي أكثر من ذلك وما أحب أن يكون ذلك كذلك، فلم يزل يعطي ويتصدق ثلاثة أيام، حتى إذا كان في آخر اليوم الثالث من هذه الرؤيا دعا أهله وولده، فودعهم وسلم عليهم، ثم استقبل القبلة فمدد نفسه وغمض عينيه وشهد شهادة الحق ثم مات، قال: فمكث الناس حيناً يتناوبون قبره من الأمصار، فيصلون عليه، وذكر صدقة بن مرداس في أول حديثه هذا أنه نظر إلى القبور الثلاثة على شرف من الأرض بقرب هذه القرية وقرأ ما عليها من الكتابة، انتهى كلام الحافظ.

تنبيه: ذكر المحقق قدس اللَّه روحه أن الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور، وسمع كلامه، وأنس به ورد عليه، وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم، وأنه لا توقيت في ذلك، قال: وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت، وهو من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فقيل: وكيف ذلك؟ قال: لمكان يوم الجمعة قال: وقد شرع ﷺ لأمته على أن يسلموا على أهل القبور سلام من يخاطبونه ممن يسمع ويعقل.

فأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون**»(١).

وأخرج ابن ماجه عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر: «**السلام عليكم أهل الديار من المسلمين، وإنا إن**

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٤٩ .

شاء اللَّه بكم لاحقون، أنتم لنا فرط، ونحن لكم تبع، أسأل اللَّه لنا ولكم العافية»[١] .

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها «. . . **قلت كيف أقول لهم يا رسول اللَّه؟ قال: قولي السلام على أهل الديار من المسلمين، ويرحم اللَّه المستقدمين والمستأخرين، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون»**[٢] .

وهذا خطاب من يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به. انتهى.

وذكر الإمام ناصر السنة ابن الجوزي - قدس اللَّه روحه - في كتابه «عيون الحكايات» بسنده عن محمد بن العباس الوراق قال: خرج رجل مع أبيه حتى إذا كان ببعض الطريق مات الأب، فدفنه بشجر الدوم ومضى في سفره، ثم مر بذلك الموضع ليلًا فلم ينزل إلى قبر أبيه، فإذا هاتف يهتف به ويقول:

أجدك تطوي الدوم ليلًا ولا ترى ... عليك لأهل الدوم أن تتكلما
وبالدوم ثاو لو ثويت مكانه ... فمر بأهل الدوم عاج فسلِّما

* * *

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٩٤) رقم ٢٠٤٠ وأحمد باختلاف يسير (٥/ ٣٥٣) رقم ٢٣٠٣٥، وابن حبان (٧/ ٤٤٥) رقم ٣١٧٣ وابن ماجه (١/ ٤٩٤) رقم ١٥٤٧ بزيادة بعض العبارات ونقص الأخرى.

(٢) مسلم رقم ٩٧٤ بزيادة لفظه (منا) بعد (المستقدمين).

فصل

قال الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكي» نقلًا عن أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، زيارة القبور على وجهين:

زيارة شرعية، وزيارة بدعية.

فالشرعية: المقصود بها السلام على الميت والدعاء له كما يقصد بالصلاة على جنازته، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه، فالسنة فيها أن يسلم على الميت ويدعو له، سواء كان نبياً أو غير نبي، كما كان النبي ﷺ يأمر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، ويرحم اللَّه المستقدمين منكم والمستأخرين، نسأل اللَّه لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم**»[1].

وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة وغيرهم، أو زار شهداء أحد وغيرهم، قال: وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم مستحبة، أو عند قبور أحد من الأنبياء أو الصالحين أفضل من الصلاة في المساجد التي ليس فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين، بل الصلاة على القبور إما محرمة، وإما مكروهة.

قال: وأما الزيارة البدعية فهي أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت، أو يقصد الدعاء عند قبره، أو يقصد الدعاء به، فهذا ليس من سنة النبي ﷺ ولا استحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل

---

(١) تقدم ص ٣٣٧ .

هو من البدع المنهي عنها.

قلت: أما من كان قصده بالزيارة أن يطلب حوائجه من الميت فهذا لا يشك عاقل في قبحه وتحريمه، إذ الحوائج منوطة لخالقها، فليس إلا اللَّه يقضي حاجة، من شك في هذا طغى وتمرد، وأما إذا كان قصده الدعاء عند قبر الميت أو التوسل به فليس بمحرم، نعم إن اعتقد أن الدعاء عند القبور أفضل منه في نحو المساجد أو أنه لايجاب إلا ثَمَّ كان هذا قبيحاً، واللَّه أعلم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الجواب الباهر عن مسألة زيارة المقابر» زيارة أهل التوحيد للقبور تتضمن السلام عليهم، والدعاء لهم، وهو مثل الصلاة على جنائزهم، وزيارة أهل الشرك تتضمن أنهم يشبهون المخلوق، بالخالق ينذرون له، ويسجدون له ويدعونه ويحبونه كما يحبون اللَّه، فيكونون قد جعلوه للَّه نداً وسووه برب العالمين، وأطال في ذلك.

وقال الإمام المحقق في كتابه «إغاثة اللَّهفان من مكائد الشيطان» بعد أن قرر زيارة القبور المشروعة وحكى النزاع في ذلك في نحو ثلاث كراريس، وذكر زيارة أهل الإيمان على نحو ما قدمناه: وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام، قالوا: الميت المعظم عند اللَّه الذي لروحه قرب ومزية عند اللَّه تعالى، لا تزال تأتيه الألطاف من اللَّه، وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له، قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله وإقباله عليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكل ما كان

جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما من أهل الفلسفة، وصرح به عباد الكوكب في عبادتها، وقالوا: إذا تعلقت النفوس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها نور، ولهذا عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنفت لها الدعوات، وأطال في ذلك وفي الرد على أهله، فراجعه تظفر بكل ما تريد، واللّه الموفق.

تنبيه: روى أبو داود والترمذي وصححه من حديث جرير الجهني قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول اللّه قال: «**لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت**»[١]. فهذا يشعر بأن السنة في السلام على الموتى أن يقال عليكم بتقديم الصلة[٢]، وقد صح الحديث بذلك، على أنه تقدم في الأحاديث الصحيحة الصريحة أنه قال لهم ﷺ: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**»[٣] فيحتاج إلى الجمع حتى أن بعضهم قال: هذا أصح من حديث النهي، وذهب آخرون إلى أن السنة ما دل عليه حديث النهي، وقد أجاب الإمام المحقق عن ذلك في كتابه «بدائع الفوائد» وأجاد حيث قال: كل من الفريقين إنما أتاهم ذلك من عدم فهم المقصود من الحديث، فإن قوله ﷺ: «**عليك السلام تحية الموتى**» ليس تشريعاً منه وإخباراً عن أمر شرعي، وإنما هو إخبار عن الواقع المعتاد الذي يجري على ألسنة الناس في الجاهلية، فإنهم كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء. كما قال الشاعر:

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٧٤) رقم ٥٢٠٩، والترمذي (٥/ ٧٢) رقم ٢٧٢٢ وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) كذا بالأصل ولعلها (السلام).

(٣) تقدم ص ٣٣٧.

عليك سلام اللَّه قيس بن عاصم

وقول الذي يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عليك سلام من أضيف وباركت

وهو في أشعارهم كثير، والإخبار عن الواقع لا يدل على الجواز فضلًا عن الاستحباب، فتعين المصير إلى ما ورد عنه ﷺ من تقديم لفظ السلام حين يسلم على الأموات، فإن تخيل متخيل في الفرق أن السلام على الأحياء متوقع جوابه فقدم الدعاء على المدعو له بخلاف الميت، قلنا السلام على الميت يتوقع جوابه أيضاً كما ورد به الحديث.

قال: ومن النكت البديعة أن الأحسن في دعاء الخير أن يقدم فيه الدعاء على المدعو له، نحو: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ﴾ [الصافات: ٧٩]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ [الرعد: ٢٤]، ودعاء الشر الأحسن فيه تقديم المدعو عليه على المدعو به، كقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ [ص: ٧٨]، ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾ [التوبة: ٩٨]، ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ٦]. وأطال من ذكر الأسرار ودقائق الفوائد والأخبار فرحمة اللَّه عليه، ما أغزر علمه، وأسيل فهمه، فسبحان من ألهمه معرفة هذه الدقائق، وأطلعه على أسرار تلك الحقائق، فأودع في كتبه من ذلك ما يبهر العقول، سيما في كتابه الموسوم، ببدائع الفوائد، فهو مفرد في ذلك، رزقنا اللَّه علماً نافعاً وقلباً خاشعاً ودعاء متقبلا، واللَّه أعلم.

* * *

فصل

في التذكر بأهل القبور والتفكر في أحوالهم وذكر طرف من أحوال السلف الصالح في ذلك

أخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**استحيوا من اللَّه حق الحياء**» قالوا: إنا نستحي والحمد للَّه، قال: «**ليس ذلك ولكن الاستحياء من اللَّه حق الحياء أن يحفظ الرأس وما وعى، ويحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من اللَّه حق الحياء**»[(١)].

وأخرج الترمذي والحاكم عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**بئس العبد عبد تخيل واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتى وطغى ونسي المبتدأ والمنتهى، بئس العبد عبد تحيل للدنيا بالدين، بئس العبد عبد تحيل الدين[(٢)] بالشبهات، بئس العبد عبد طمع طمعاً يقوده للنار، بئس العبد عبد هوى يضله، بئس العبد عبد رغب يذله**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨٧) رقم ٣٦٧١، والترمذي (٤/ ٦٣٧) رقم ٢٤٥٨ وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد، والحاكم (٤/ ٣٥٩) رقم ٧٩١٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) كذا بالأصل، وفي الحاشية (للعيش) أما في الحديث فلفظها (يختل الدين).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٢) رقم ٢٤٤٨ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.

والحاكم (٤/ ٣٥١) رقم ٧٨٨٥ وقال: هذا حديث ليس في إسناده أحد منسوب إلى نوع من الجرح، وإذا كان هكذا فإنه صحيح ولم يخرجاه، وقال الذهبي: إسناد مظلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا أن رجلًا قال: يا رسول اللّه من أزهد الناس قال: «**من لم ينس القبر والبلى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غداً من أيامه، وعد نفسه من أهل القبور**»[(١)].

وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول اللّه ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور**»[(٢)].

وخرج البخاري أوله[(٣)]. وذكر الحافظ في «أهوال القبور» عن محمد بن كعب القرظي قال: بعث إليَّ عمر بن عبد العزيز، فقدمت عليه فأدمت النظر إليه، فقال لي: يا ابن كعب إنك لتنظر إليَّ نظراً ما كنت تنظره إليَّ بالمدينة؟ قال: فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، يعجبني ما حال من لونك، ونحل من جسمك، فقال: فكيف بك يابن كعب لو رأيتني بعد ثالثة في القبور وقد نتأت حدقتاي - وفي نسخة عيناي - على وجنتي، وخرج الدود والصديد من منخري، لكنت لي أشد نكرة.

وقال رجل لعمر بن العزيز رضي الله عنه تغيرت بعدنا، فقال له عمر: وتبينت ذلك؟ فقال له الأمر أعظم من ذلك، فقال له: يا أبا فلان فكيف لو رأيتني بعد ثلاث، وقد أدخلت قبري، وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين، وتقلصت الشفتان عن الأسنان، وانفتح الفم، ونتأ البطن فعلا على الصدر، وخرج الصديد من الدبر.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٥٥) رقم ١٠٥٦٥ وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٧٧) رقم ٣٤٣١٨ وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٢٨) رقم ٣٢٦ ، وقال: رواه البيهقي عن الضحاك مرسلًا.
(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٧) رقم ٢٣٣٣ بلفظ (في) بدلا من (من)
(٣) في رقم ٦٤١٦ .

قال الحافظ: وقد روي عنه من وجوه متعددة أنه قال في آخر خطبة خطبها ﷺ: ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين؟ ثم يرثها بعدكم الباقون؟ كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً قد قضى به نحبه، فتودعونه وتَدَعُونَه في صدع من الأرض غير ممهد ولا موسد، قد فارق الأحباب، وخلع الأسباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنياً عما خلف، فقيراً إلى ما قدم، وكان ينشد هذه الأبيات، قال الحافظ ويروى أنه كان في جنازة في مقبرة فرأى قوماً يهربون من الشمس إلى الظل فأنشدها وهي هذه:

من كان حين تصيب الشمس جبهته ... أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
في ظل مقفرة غبراء مظلمة ... يطيل تحت الثرى في غمها اللبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به ... يا نفس قبل الردى لم تُخلقي عبثا

وأخرج ابن أبي الدنيا أن محمد بن واسع دخل على بلال بن أبي بردة فسأله عن القدر، فقال له: جيرانك من أهل القبور فكر فيهم فإن فيهم شغلًا عن القدر.

قال مغيث الأسود الزاهد: زوروا القبور كل يوم تفكركم.

قال النضر أبو المنذر لإخوانه: زوروا الآخرة كل يوم بقلوبكم، وشاهدوا الموقف بتوهمكم، وتوسدوا القبور بقلوبكم، واعلموا أن ذلك كائن لا محالة فمختار لنفسه ما أحب من المنافع والضرر.

قال الحافظ: كان أبو بكر الصديق ﷺ يقول في خطبته: أين الوضاءة الحسنة وجوههم؟ المعجبون بشبابهم الذين كانوا لا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ قد

تضعضع بهم الدهر وصاروا في ظلمات القبور، الوحا الوحا[١] النجا النجا.

وروى ابن أبي الدنيا أنه مر على الحسن شاب وعليه بزة حسنة فدعاه فقال: ابن آدم معجب بشبابه، معجب بجماله، كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داو قلبك، فإن حاجة اللّه إلى عباده صلاح قلوبهم.

وقال عبد اللّه بن الغيزار: لابن آدم بيتان، بيت على ظهر الأرض وبيت في بطن الأرض، فعمد إلى الذي في ظهر الأرض فزخرفه وزينه، وجعل فيه أبواباً للشمال وأبواباً للجنوب، ووضع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه، ثم عمد إلى الذي في بطن الأرض فخربه، فأتى عليه فقال: أرأيت هذا الذي قد أصلحته كم تقيم فيه؟ قال: لا أدري. قال: فالذي خربته كم تقيم فيه؟ قال: فيه مقامي، قال: تقر بهذا على نفسك وأنت رجل تعقل.

وعن الحسن قال: يومان وليلتان[٢] لم تسمع الخلائق بمثلهن قط، ليلة تبيت مع أهل القبور ولم تبت قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوم يأتيك البشير فيه من اللّه تعالى إما إلى الجنة وإما إلى النار، ويوم تعطي كتابك إما بيمينك أو بشمالك.

---

(١) الوحاء الوحاء: يعني البدار البدار والوحاء الوحاء: يعني الإسراع، فيمدونهما ويقصرونهما إذا جمعوا بينهما، فإذا أفردوه مدوه ولم يقصروه، وفي حديث أبي بكر: الوحا الوحا، أي: السرعة السرعة، يمد ويقصر.
لسان العرب/ مادة: وحي.
وفي النهاية: الوحا الوحا: أي: السرعة السرعة، ويمد ويقصر يقال: توحيت توحياً، إذا أسرعت، وهو منصوب على الإغراء بفعل مضمر.
النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة: وحا.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على أشد يومين وليلتين.

قال الحافظ: وكان أبو عمر الجوني يقول: لا يغرنكم من ربكم طول النسيئة وحسن الطلب، فإن أخذه أليم شديد، حتى متى تبقى وجوه أولياء اللَّه بين أطباق التراب، فإنما هم محبوسون لبقية آجالكم حتى يبعثهم اللَّه إلى جنته وثوابه.

وذكر ابن أبي الدنيا عن حامد بن أحمد بن أسد قال: أخذت بيد علي ابن جبلة يوماً فأتينا أبا العتاهية فوجدناه في الحمام، فانتظرناه فلم يلبث أن جاء، فدخل عليه إبراهيم بن مقاتل بن سهل وكان جميلًا فتأمله أبو العتاهية وقال متمثلًا:

يا حسان الوجوه سوف تمو تون وتبلى الوجوه تحت التراب

فأقبل على ابن جبلة فقال: اكتب:

يا مربي شبابه للتراب سوف يلهو البلى بغض الشباب
يا ذوي الأوجه الحسان المصونا ت وأجسامها الغضاض الرطاب
أكثروا من نعيمها وأقلوا سوف تهدونها لعفر التراب
قد نعتك الأيام نعياً صحيحاً بفراق الإخوان والأصحاب

فقال أبو العتاهية: قل يا حامد قلت: معك ومع أبي الحسن قال: نعم فقلت:

يا مقيمين ارحلوا للذهاب لشفير القبور حط الركاب
نعموا الأوجه الحسان فما صو نكموها إلا لعفر التراب
والبسوا ناعم الثياب ففي الـ حفرة تعرون من جميع الثياب
قد ترون الشباب كيف يموتون إذا استنصروا بماء الشباب

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن خلف قال: سمعت أبي قال: رجعنا من دفن ميت مع ابن السماك فأنشأ ابن السماك يقول:

يمر أقاربي جنبات قبري ... كان أقاربي لا يعرفوني
وذو الميراث يقتسمون مالي ... ولا يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا ... فيا لله أسرع ما نسوني

وقال ابن السماك أيضاً، لما انصرفت الناس من جنازة داود الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ:

انصرف الناس إلى دورهم ... وغودر الميت في رمسه
مرتهن النفس بأعماله ... لا يرتجي الإطلاق من حبسه
لنفسه صالح أعماله ... وما سواها فعلى نفسه

ولبعضهم:

قف في المقابر وانظر إن وقفت بها ... لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يا مغرور موعظة ... وفيهم لك يا مغتر معتبر

ولبعض المتقدمين:

تزود قريناً من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
وإن كنت مشغولًا بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به اللّه تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... إلى قبره إلا الذي كان يفعل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... مقيم قليلًا عندهم ثم يرحل

وقال مؤلف هذا الكتاب وقلبه في طماطيم التحسر والالتهاب شعراً:

تنبه قبل الموت إن كنت تعقل ... فعما قليل للمقابر تنقل
وتمسي رهيناً في القبور وتنتسى ... لدى جدث تحت الثرى تتجندل
فريداً وحيداً في التراب وإنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يعمل
فوا أسفي ما يفعل الدود والثرى ... بوجه جميل كان للّه يخجل
وما يفعل الجسم الوسيم إذا ثوي ... وصار ضجيع القبر يعلوه جندل

وبطني بدا فيه الردى ثم لو ترى دقيق الثرى في مقلتي يتهرول
أعيناي جوداً بالدموع عليكما فحزني على نفسي أحق وأجمل
أيا مدعي حبي هلم بنا إذا بكى الناس نبكي للفراق ونهمل
دعي اللَّهو نفسي واذكري حفرة البلى وكيف بنا دود المقابر يفعل
إلى اللَّه أشكو لا إلى الناس حالتي إذا صرت في قبري فريداً أململ

ولبعضهم:

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه فليت شعري ما يبقي لك المال
القوم بعدك في حال تسرهم فليس شعري ما آلت بك الحال
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد واستحكم القيل في الميراث والقال
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم وأدبرت عنك والأيام أحوال

تتمة: في حكايات غريبة وأخبار عجيبة عن الموتى:

منها ما رواه الحافظ الذهبي، أن أحمد بن نصر الخزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ أحد أئمة الحديث دعاه الواثق إلى القول بخلق القرآن فأبى، فضرب عنقه وصلب رأسه ببغداد، ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة برمح، فذكر الموكل به أنه رآه بالليل يستدير إلى القبلة بوجهه ويقرأ سورة يس بلسان طلق.

قال الذهبي: رويت هذه الحكاية من غير وجه ومن طرقها ما أخرجه الخطيب عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر خالي فلما قتل في المحنة وصلب أخبرت أن الرأس يقرأ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢] فاقشعر جلدي.

ومنها: ما ذكره ابن عساكر عن عمير بن حباب السلمي قال: أسرت أنا وثمانية معي في زمان بني أمية، فأدخلنا على ملك الروم فأمر بأصحابي

فضربت رقابهم، ثم إني قدمت لضرب عنقي، فقام إليه بعض البطارقة فلم يزل يقبل رأسه ورجليه ويطلب أن يهبني له، حتى وهبني له فانطلق بي إلى منزله فدعا ابنة له جميلة، فقال لي: هذه ابنتي أزوجك بها وأقاسمك ما لي وقد رأيت منزلتي من الملك، فأدخل في ديني حتى أفعل بك هذا، فقلت: ما أترك ديني لزوجة ولا لدنيا، فمكث أياماً يعرض على ذلك فلا أجيب، فدعتني ابنته إلى بستان لها فقالت: ما يمنعك مما عرض عليك أبي؟ فقلت: ما أترك ديني لامرأة ولا لشيء، فقالت: أتحب المكث عندنا أو اللحاق ببلادك فقلت: الذهاب إلى بلادي، قال: فأرتني نجماً في السماء فقالت: سر على هذا النجم بالليل، واكمن بالنهار، فإنه يلقيك إلى بلادك، ثم زودتني وانطلقت، فسرت ثلاث ليال أسير بالليل وأكمن بالنهار، فبينا أنا في اليوم الرابع مكمن فإذا الخيل، فقلت: طلبت، فأشرفوا فإذا بأصحابي المقتولين على دواب معهم آخرون على دواب شهب، فقالوا: عمير؟ قلت: عمير، فقلت: أوليس قد قتلتم؟ قالوا: بلى ولكن اللّه نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز، فقال لي بعض الذين معهم ناولني يدك يا عمير، فناولته يدي فأردفني خلفه، ثم سرنا يسيراً ثم قذف بي قذفة وقعت قريب منزلي بالحيرة من غير أن يكون لحقني شيء.

ومنها: ما ذكره الإمام ناصر السنة الحافظ ابن الجوزي في «عيون الحكايات» بسنده عن أبي علي البربري وهو أول من سكن طرسوس حين بناها أبو سليم، قال: إن ثلاثة إخوة من الشام كانوا يغزون وكانوا فرساناً شجعاناً فأسرهم الروم مرة فقال الملك: إني أجعل فيكم الملك وأزوجكم بناتي وتدخلون في النصرانية، فأبوا وقالوا: يا محمداه، فأمر بثلاث قدور فصب فيها الزيت، ثم أوقد تحتها ثلاثة أيام يعرضون في كل يوم على تلك القدور ويدعون إلى النصرانية، فيأبون فألقى الأكبر في القدر، ثم الثاني،

ثم أدنى الأصغر فجعل يفتنه عن دينه بكل أمر، فقام إليه علج فقال: أيها الملك أنا أفتنه عن دينه قال: بماذا قال: قد علمت أن العرب أسرع شيء إلى النساء وليس في الروم أجمل من ابنتي فادفعه إليَّ حتى أخليه معها فإنها ستفتنه، فضرب له أجلًا أربعين يوماً ودفعه إليه، فجاء به فأدخله مع ابنته وأخبرها بالأمر فقالت له: دعه فقد كفيتك أمره، فقام معها نهاره صائم وليله قائم حتى مضى أكثر الأجل، فقال العلج لابنته: ما صنعت؟ قالت: ما صنعت شيئاً، هذا الرجل فقد أخويه في هذه البلدة فأخاف أن يكون امتناعه من أجلهما كلما رأى آثارهما، ولكن استزد الملك في الأجل وانقلني أنا وإياه إلى بلد آخر غير هذا فزاده أياماً وأخرجهما إلى بلد آخر، فمكث على ذلك أياماً صائم النهار قائم الليل، حتى إذا بقي من الأجل أيام قالت له الجارية ليلة: يا هذا إني أراك تقدس رباً عظيماً وإني قد دخلت في دينك وتركت دين آبائي فقال لها: فكيف تكون الحيلة في أمر الهرب؟ قالت: أنا أحتال لك، فجاءته بدواب فركبا، فكانا يسيران بالليل، ويكمنان بالنهار، فبينما هما يسيران ليلة إذ سمعا وقع خيل، فإذا هو بإخوته ومعهما ملائكة، فسلم عليهما وسألهما عن حالهما، فقالا: ما كانت إلا الغطسة التي رأيت حتى خرجنا في الفردوس، وإن اللّه أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة، فزوجوه إياها وخرج إلى بلاد الشام، فأقام معها وكانا مشهورين بذلك معروفين في الشام في الزمن الأول، وقد قال فيهما الشعراء أبياتاً منها:

سيعطي الصادِقَين بفضل صدق   نجاة في الحياة وفي الممات

واللّه أعلم.

ومنها: ما حكاه الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى قال: روينا من طريق مراد بن جميل قال: قال أبو المغيرة: ما رأيت مثل المعافي بن عمران، وذكر من فضله قال: حدثني بعض إخواني أن غانماً جاء والمعافي بن عمران

يلقن بعدما دفن فسمعته وهو يلقن في قبره، وهو يقول: لا إله إلا اللّه فيقول المعافي: لا إلا إلا اللّه.

ومنها: ما حكاه اليافعي عن الشيخ إسماعيل الحضرمي، أنه مر على بعض مقابر اليمن فبكى بكاء شديداً وعلاه حزن، ثم ضحك ضحكاً شديداً وعلاه سرور، فسئل عن ذلك فقال: كشف لي عن أهل هذه المقبرة فرأيتهم يعذبون فبكيت، ثم تضرعت إلى اللّه فيهم فقيل: قد[١] شفعناك فيهم، فقالت صاحبة هذا القبر: وأنا معهم يا فقيه إسماعيل، أنا فلانة المغنية، فقلت: وأنت معهم فلذلك ضحكت.

ومنها: ما حكاه الحافظ ابن رجب في طبقات الأصحاب في ترجمة الإمام العلامة ولي اللّه بلا نزاع الشيخ أبي عمر أخي موفق الدين ابن قدامة رضي الله عنهما عن الضياء قدس اللّه روحه عن عبد المولى بن محمد، أنه كان يقرأ عند قبر الشيخ سورة البقرة، وكان وحده فبلغ إلى قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ [البقرة:٦٨] قال: فغلطت فرد الشيخ على من القبر، فخفت وفزعت وارتعدت وقمت، ثم مات القارئ بعد ذلك بأيام قال الحافظ: وهذه الحكاية مشهورة قال: وقرأ بعضهم عند قبره سورة الكهف فسمعه من القبر يقول: لا إله إلا اللّه.

***

(١) في الأصل (قدقد).

فوائد

الأولى: ذكر أبو الشيخ في كتاب [الوصايا] عن قيس بن قبيصة مرفوعاً: «**من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى**» قيل: يا رسول اللّه، وهل تتكلم الموتى؟ قال: «**نعم، ويتزاورون**»[(١)].

وأخرج أبو أحمد والحاكم في الكنى عن جابر مرفوعاً: «**من مات عن غير وصية لم يؤذن له في الكلام إلى يوم القيامة**» قيل: يا رسول اللّه، وهل يتكلمون قبل يوم القيامة؟ قال: «**نعم، ويزور بعضهم بعضاً**»[(٢)].

وأخرج الديلمي عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**رأيت في المنام امرأتين، واحدة تتكلم والأخرى لا تتكلم، كلتاهما من أهل الجنة، فقلت لهما: أنت تكلمين وهذه لا تكلم؟ قالت: أما أنا فأوصيت، وهذه ماتت بلا وصية لا تتكلم إلى يوم القيامة**»[(٣)].

الثانية: ورد في الحديث أن ما يؤذي الحي يؤذي الميت.

أخرج الديلمي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته**»[(٤)].

وأخرج البخاري عنها أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا الأموات فإنهم قد**

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٦/ ٦٢٠) رقم ٤٦٠٨٦ وقال: أبو الشيخ في الوصايا عن قيس بن قبيصة.

(٢) ذكره ابن رجب في أهوال القبور (١٥٨) وعلق عليه بقوله: «قال أبو أحمد الحاكم: هذا حديث منكر وأبو محمد هذا رجل مجهول».

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (١٦) رقم ٤٦٠٨٧ وقال: الديلمي عن أبي هدبة عن أنس.

(٤) ذكره الألباني في الضعيفة رقم ٣٢٨٥ وقال: موضوع.

أفضوا إلى ما قدموا»[١].

وأخرج أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم**»[٢].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ: «**لا تذكروا موتاكم إلا بخير، أن يكونوا من أهل الجنة تأثموا، وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه**»[٣].

الثالثة: ورد عن حضرة صاحب الرسالة أن الميت يتأذى من النياحة عليه.

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنه قيل لها: إن ابن عمر يرفع إلى النبي ﷺ: «**إن الميت يعذب ببكاء الحي**» قالت: وهل قال أبو عبد الرحمن ذلك إنما قال: «**أهل الميت يبكون عليه وإنه ليعذب بجرمه**»[٤].

وأخرج الحاكم وصححه عن النعمان قال: أغمي على عبد اللّه بن

---

(١) رواه البخاري رقم ١٣٩٣.

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٦٩٢) رقم ٤٩٠٠، والترمذي (٣/ ٣٣٩) رقم ١٠١٩ وقال: هذا حديث غريب، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٩٠) رقم ٣٠٣٠.

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٩٣) وقال عنه العراقي أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة.

وأخرج النسائي عن عائشة قالت: ذكر عند النبي ﷺ هالك يسود فقال: (لا تذكروا هلكاكم إلا بخير). النسائي (٤/ ٥٢) رقم ١٩٣٥.

(٤) أخرج البخاري أوله رقم ١٢٩٢، ومسلم رقم ٩٣٠، وأخرج مسلم سياقاً آخر ولفظه: ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فقالت «رحم الله أبا عبد الرحمن، سمع شيئاً فلم يحفظه، إنما مرت على رسول الله جنازة يهودي وهم يبكون عليه فقال: أنتم تبكون عليه وإنه ليعذب». مسلم رقم ٩٣١.

رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي واأخياه وكذا تعدد عليه فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قِيل لي: أنت كذلك؟

وأخرج الطبراني عن الحسن: أن معاذ بن جبل أغمي عليه، فجعلت أخته تقول: واجبلاه، فلما أفاق قال: مازلت لي مؤذية منذ اليوم، قالت: لقد كان يعز علي أن لا أؤذيك، قال: مازال ملك شديد الانتهار كلما قلت واكذا قال: أكذلك أنت؟ فأقول: لا.

وأخرج ابن سعد عن المقدام بن معدي كرب قال: لما أصيب عمر دخلت عليه حفصة فقالت: يا صاحب رسول اللَّه ﷺ ويا صهر رسول اللَّه ويا أمير المؤمنين فقال: عمر إني أحرج عليك بما لي من الحق أن تندبيني بعد مجلسك هذا، أنه ليس من ميت يندب بما ليس فيه إلا والملائكة تمقته.

وأخرج ابن سعد أيضاً عن يوسف بن ماهك قال: رأيت ابن عمر حضر جنازة رافع بن خديج فقال: إن الميت يعذب ببكاء الحي.

وقد ورد حديث الميت يعذب ببكاء الحي عليه من رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه أخرجه أبو يعلى بلفظ: «**الميت ينفخ عليه الحميم ببكاء الحي**»(١) وعن عمر بن الخطاب بلفظ: «**إن الميت يعذب بالنياحة عليه في قبره**»(٢) أخرجه البخاري، ومن رواية أنس وعمران بن حصين عند ابن حبان في صحيحه وسمرة بن جندب عند الطبراني في الكبير وأبي هريرة عند أبي

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١/ ٤٧) رقم ٤٧ بلفظ (ينضح) والبزار (١/ ١٣٣) رقم ٦٤ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٥) رقم ٤٠٣٧ وقال: رواه البزار وأبو يعلى وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٢٩١ بلفظ: «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه».

يعلى والمغيرة بن شعبة عند ابن منده .

فاختلف العلماء في توجيه ذلك على مذاهب :

أحدها: أنه على ظاهره مطلقاً وهو رأي عمر بن الخطاب وابنه.

الثاني: لا مطلقاً.

الثالث: أن الباء للحال أي يعذب حال بكائهم عليه والتعذيب بماله من ذنب لا بسبب البكاء.

الرابع: أنه خاص بالكافر والقولان عن عائشة رضي الله عنها .

الخامس: أنه خاص بمن كان النوح من سنته وطريقته، وعليه البخاري.

السادس: أنه فيمن أوصى به كما قال القائل:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله　　وشقي على الجيب يا بنت معبد

السابع: أنه فيمن لم يوص بتركه، فتكون الوصية بذلك واجبة إذا علم أن من شأن أهله أن يفعلوا ذلك.

الثامن: أن التعذيب بالصفات التي يبكون بها عليه وهي مذمومة شرعاً، كما كان أهل الجاهلية يفعلون، يقولون يا مرمل النسوان، يا ميتم الأولاد، يا مخرب الدور.

التاسع: أن المراد بالتعذيب توبيخ الملائكة بما يندبه أهله، لحديث الترمذي والحاكم وابن ماجه مرفوعاً: «**ما من ميت يموت فتقوم نادبة فتقول واجبلاه واسيداه أو شبه ذلك القول إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا**

كنت»[١]. ويشهد له ما ذكرنا عن ابن رواحة وغيره.

العاشر: أن المراد تألم الميت بما وقع من أهله، لحديث الطبراني وابن أبي شيبة عن قيلة بنت مخرمة أنها ذكرت عند رسول اللّه ﷺ والداً لها مات ثم بكت فقال رسول اللّه ﷺ: «**أيغلب أحدكم أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفاً فإذا مات استرجع فوالذي نفس محمد بيده إن أحدكم ليبكي فيستعبر إليه صويحبه فيا عباد اللّه لا تعذبوا موتاكم**»[٢]. وعلى هذا ابن جرير، واختاره جماعة من الأئمة آخرهم شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللّه روحه، ذكره الجلال السيوطي في «أهوال الموتى والقبور» ونقلته ملخصاً، والذي رأيته عن شيخ الإسلام قدس اللّه روحه، أن الميت يتأذى بنوح أهله عليه مطلقاً، هذا لفظه كما هو في اختياراته.

قال الجلال السيوطي في الخبر الأول من حديث يحيى بن معين بسنده عن الحسن: «**أن من شر الناس للميت أهله يبكون عليه ولا يقضون ديونه**» أي: أنهم يجتهدون في جلب ما يؤذيه ويدعون ما ينفعه، فإن الميت يتأذى ببكاء أهله وهم يجتهدون في ذلك، وقضاء دين الميت غاية مطلوبه وهم مقصرون في ذلك، إذ روح الميت تحبس عن دخول الجنة ما بقي على الميت درهم دين.

الفائدة الرابعة: في النهي عن الوطء على القبور.

أخرج ابن أبي شيبة عن عقبة بن عامر الصحابي رضي الله عنه قال: «لأن أطأ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٢٦) رقم ١٠٠٣ عن أبي موسى الأشعري وقال: هذا حديث حسن غريب.
وأخرجه ابن ماجه بلفظ: «الميت يعذب ببكاء الحي إذا قالوا: واعضداه، واكاسباه واناصراه واجبلاه، ونحو هذا يتعتع ويقال: أنت كذلك؟ أنت كذلك؟» (١/ ٥٠٨) رقم ١٥٤٩ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥/ ٧) رقم ١ باختلاف في بعض الألفاظ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٦٣٠) رقم ٩٧٩٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

على جمرة أو على حد سيف حتى يخطف رجلي أحب إلي من أن أمشي على قبر رجل مسلم، وما أبالي أفي القبور قضيت حاجتي أم في السوق بين ظهرانيه والناس ينظرون»[١] وأخرجه ابن ماجه من حديثه مرفوعاً.

وأخرج الطبراني والحاكم عن عمارة بن حزم قال: رآني رسول اللَّه ﷺ جالساً على قبر فقال: « **يا صاحب القبر انزل من على القبر لا تؤذ صاحب القبر ولا يؤذيك**»[٢].

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن الوطء على القبر قال: كما أكره أذى المؤمن في حياته فإني أكره أذاه في مماته.

وأخرج ابن أبي شيبة عنه: «**أذى المؤمن في موته كأذاه في حياته**».

وأخرج ابن منده عن القاسم بن مخيمر قال: لأن أطأ على أسنان مخى حتى تنفذ من قدمي أحب إلي من أن أطأ على قبر، وأن رجلًا وطئ على قبر وأن قلبه ليقظان. إذ سمع صوتاً من القبر: إليك عني يا رجل لا تؤذني.

الخامسة: في ملازمة الحافظين قبر المؤمن.

أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد رضي الله عنه سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إذا قبض اللَّه روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء قالا: ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته إليك، فائذن لنا أن نسكن السماء قال: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحوني فيقولان: فائذن لنا أن نسكن الأرض، فيقول أرضي مملوءة من خلقي يسبحوني ولكن قُومَا على**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٩٩) رقم ١٥٦٧، باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وقال: في الزوائد إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٨١) رقم ٦٥٠٢ وسكت عنه، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٥٧) رقم ٤٢٦٠٥ .

قبر عبدي، فسبحاني وهللاني وكبراني إلى يوم القيامة واكتباه لعبدي»[١].
وأخرجه البيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا من حديث أنس وابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبي بكر الصديق وزاد فيه: «**وإذا كان العبد الكافر فمات صعد ملكاه إلى السماء فقال لهما: ارجعا إلى قبره والعناه**» هذا كلام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ وأقول لفظ ابن الجوزي في الموضوعات كما رأيته في نسخة قديمة: «**فإذا كان العبد كافراً فمات صعد ملكاه، فيقول الله لهما: ما جاء بكما؟ فيقولان: رب قبضت عبدك، فيقول لهما: ارجعا إلى قبره فالعناه إلى يوم القيامة فإنه كذبني وجحدني وإني جعلت لعنتكما عذاباً أعذبه به إلى يوم القيامة**»[٢] وذكر ابن الجوزي طرقه الثلاثة التي عن أبي سعيد وأبي بكر وأنس وحكم عليه بالوضع، وتعقبه الجلال السيوطي بأنه ليس بموضوع، بل ظاهر كلامه يشعر بأنه حسن كما يفهمه من له إمعان صحيح فليحفظ، والله أعلم.

السادسة: اختلف العلماء في وصول ثواب القراءة للميت، فجمهور السلف والأئمة الثلاثة على الوصول وخالف الشافعي مستدلّاً بقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

وأجاب الجمهور عن الآية بأجوبة:

أحدها: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وأتبعناهم ذرياتهم[٣]

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٥٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٨٣) رقم ٩٩٣١، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٧٩) رقم ٥٠٣، وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٥٣) في ترجمة عيسى بن عبد الله بن الحكم رقم ١٣٩٧ وقال روى عن عيسى هذا بقية بأحاديث مناكير، وذكر هذا الحديث فيها، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٧٤٨) رقم ٤٢٩٦٧ وعزاه إلى بعض الكتب ثم قال: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فلم يصب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٢٨) وانظر تعقيب السيوطي الذي ذكره المصنف.

(٣) كذا بالأصل وهي قراءة صحيحة رواها أبو عمرو البصري، وقراءة حفص ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ انظر/ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (٥١٨).

بِإِيمَٰنٍ﴾ الآية [الطور: ٢١] أدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء.

الثاني: أنها خاصة بقوم إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام، وأما هذه الأمة فلها ما سعت وما سعى لها. قاله عكرمة.

الثالث: المراد بالإنسان الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له، قاله الربيع بن أنس.

الرابع: ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل، فأما من باب الفضل جائز أن يزيده اللَّه ما شاء، قاله الحسين بن الفضل.

الخامس: أن اللام في الإنسان بمعنى على، أي: ليس على الإنسان إلا ما سعى.

قلت: وينبغي أن يقيد هذا بما إذا لم يكن سبباً في ذلك لما في خبر **«ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها»**(١) الحديث وحديث: **«ما من مقتول يقتل إلا وعلى ابن آدم من دمه»**(٢) أو كما قال ﷺ.

واستدل القائلون بالوصول بالقياس على مثل الحج من أنواع البر، وبما خرجه الخلال في الجامع عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرءون له القرآن.

* * *

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه (١/ ٧٤) رقم ٢٠٣ من حديث جرير بلفظ: (من سن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها).
وأخرجه أحمد (٤/ ٣٦١) رقم ١٩٢٢٣، والطبراني في الكبير (٢/ ٣١٥) رقم ٢٣١٢، ومسلم رقم ١٠١٧ باختلاف يسير، والترمذي (٥/ ٤٣) رقم ٢٦٧٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٣٣٥، ومسلم ١٦٧٧.

مطلب
قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾
إحدى عشرة مرة في المقابر فضيل نافع

وبما أخرجه السمرقندي في فضائل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] عن علي مرفوعاً: «**من مر على المقابر وقرأ قل هو اللَّه أحد إحدى عشر مرة ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب وقل هو اللَّه أحد وألهاكم التكاثر ثم قال: إني جعلت ما قرأت من كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى اللَّه تعالى**»[٢].

وأخرج الديلمي في تاريخ همدان وابن النجار عن علي كرم اللَّه وجهه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من قال إذا مر بالمقابر السلام على أهل لا إله إلا اللَّه من أهل لا إله إلا اللَّه، كيف وجدتم قول لا إله إلا اللَّه؟ يا لا إله إلا الله بحق لا إله إلا اللَّه اغفر لمن قال لا إله إلا اللَّه، واحشرنا في زمرة من قال لا إله إلا اللَّه، غفر له ذنوبه خمسين سنة**» قيل: يا رسول اللَّه من لم تكن له ذنوب خمسين سنة؟ قال: «**لوالديه ولقرابته ولعامة المسلمين**»[٣].

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٥٥) رقم ٤٢٥٩٦، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٦٢٧) رقم ٢٦٣٠ وعزاه للرافعي في تاريخه، وذكره كذلك صاحب تذكرة الموضوعات (١٧٨١).

(٢) ذكره المباركفوري في تحفة الأحوذي (٣/ ٢٧٥).

(٣) ذكره الهندي (١٥/ ٦٥٤) رقم ٤٢٥٩١ وعزاه للديلمي والرافعي وابن النجار.

وأخرج القاضي أبو بكر ابن عبد الباقي الأنصاري في (مشيخته) عن سلمة بن عبيد قال: قال حماد المكي: خرجت ليلة إلى مقابر مكة فوضعت رأسي على قبر فنمت، فرأيت أهل المقابر حلقاً حلقاً، فقلت: قامت القيامة؟ قالوا: لا ولكن رجل من إخواننا قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وجعل ثوابها لنا فنحن نقتسمه منذ سنة.

وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال بسنده عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد ما فيها حسنات**»(١).

وقال الحافظ ابن رجب: روى جعفر الخلدي حدثنا عباس بن يعقوب بن صالح الأنباري، سمعت أبي يقول: رأى بعض الصالحين أباه في النوم فقال له: يا بني لولا الأحياء لهلك الأموات.

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن مالك بن دينار قال: دخلت المقبرة ليلة جمعة فإذا أنا بنور يشرق فيها، فقلت: لا إله إلا الله، ترى أن الله غفر لأهل المقابر، فإذا بهاتف يهتف به من البعد وهو يقول: يا مالك بن دينار هذه هدية المؤمنين إلى إخوانهم أهل المقابر، قلت: بالذي أنطقك إلا أخبرتني ما هو؟ قال رجل من المؤمنين قام في هذه الليلة فأسبغ الوضوء وصلي ركعتين فقرأ فيهما فاتحة الكتاب و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقال: اللهم إني قد وهبت ثوابها لأهل المقابر من المؤمنين، فأدخل الله علينا الضياء والنور والبهجة والسرور في المشرق والمغرب، قال مالك: فلم أزل أقرؤها في كل جمعة، فرأيت النبي ﷺ في منامي يقول

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (٨٤) قلت: وهذه الأخبار كلها فيها مجازفة في الثواب ودلائل الوضع بادية على أكثرها.

لي: يا مالك قد غفرالله لك بعدد النور الذي أهديته إلى أمتي، ولك ثواب ذلك ثم قال لي: وبنى الله لك بيتاً في الجنة في قصر يقال له المنيف، قلت: وما المنيف؟ قال: المطل على أهل الجنة.

وهذه الأخبار وشبهها وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلًا، وبأن المسلمين مازالوا في كل مصر يجتمعون ويقرءون لموتاهم من غير نكير، فكان ذلك إجماعاً، ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين عبد الواحد المقدسي من أصحابنا ﷺ.

قال القرطبي في (التذكرة) وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يهدي إليه من القراءة، فلما توفي رآه بعض أصحابه فقال له: إنك قد كنت تقول إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يهدي إليه من القراءة فكيف الأمر؟ قال له: كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله في ذلك، فإنه يصل إليه ذلك.

تنبيه: القراءة على القبر استحبها أصحاب الشافعي وغيرهم، قال النووي في «شرح المهذب» يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم. نص عليه الشافعي. زاد في موضع آخر وإن ختم القرآن على القبر كان أفضل، وكان إمامنا ﷺ ينكر ذلك أولًا ثم رجع عنه حين بلغه الخبر.

وقد ذكر المحقق عن علي بن موسى الحداد وكان صدوقاً قال: كنت مع الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له الإمام أحمد: يا هذا القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة للإمام أحمد بن حنبل يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي قال: ثقة قال: كتبت عنه شيئاً قال: نعم، قال: فأخبرني مبشر عن عبد الله بن الحلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال: سمعت

ابن عمر يوصي بذلك، فقال له الإمام: فارجع وقل للرجل يقرأ.

قال القرطبي في حديث: «**اقرءوا على موتاكم يس**»[(١)] هذا يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته، ويحتمل أن تكون عند قبره.

قال السيوطي: وبالأول قال الجمهور، وبالثاني قال ابن عبد الواحد المقدسي، وبعضهم قال بالتعميم فيهما.

قال الغزالي في (الإحياء) وعبد الحق في (العاقبة) عن الإمام أحمد رضي الله عنه قال: إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتابة والمعوذتين وقل هو اللَّه أحد، واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم.

قال القرطبي وقد قيل: إن ثواب القراءة للقارئ، وللميت ثواب الاستماع، ولذلك تلحقه الرحمة قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] قال: ولا يبعد في كرم اللَّه أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع معاً، ويلحقه ثواب ما يهدي إليه من القراءة وإن لم يسمع كالصدقة.

الفائدة السابعة: في بلي الجسد ونتنه.

أخرج البخاري عن جندب البجلي «**أول ما ينتن من الإنسان بطنه**»[(٢)].

وأخرج ابن عساكر عن أبي قلابة قال: ما خلق اللَّه شيئاً أطيب من الروح ما نزع من شيء إلا أنتن.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٦٩) رقم ٣٠٠٢، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٥) رقم ١٠٩١٣، وأخرجه بنحوه أحمد (٥/ ٢٦) رقم ٢٠٣١٥ والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢١٩) رقم ٥١٠، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٨٢) رقم ٤٨٧ وقال: قال في التمييز رواه أبو داود والنسائي عن معقل بن يسار مرفوعاً وصححه ابن حبان.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٧١٥٢ .

وأخرج أبو نعيم عن وهب بن منبه قال: قرأت في بعض الكتب لولا أني كتبت النتن على الميت لحبسه الناس في بيوتهم.

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن أرقم مرفوعاً: «**يقول اللَّه تعالى: توسعت على عبادي بثلاث خصال، بعثت الدابة على الحبة، ولولا ذلك لكنزها ملوكهم كما يكنزون الذهب والفضة، وتغير الجسد من بعد الموت، ولولا ذلك لما دفن حميم حميمه، وأسليت حزن الحزين ولولا ذلك لم يكن يسلو**»[١].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجم الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[٢] وأخرجه أبو داود والنسائي أيضاً.

وأخرج عنه أيضاً مرفوعاً: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجم الذنب منه خلق**»[٣] أي هو أول ما خلق من الإنسان ومنه يركب.

قلت: لم أر أحداً ممن تكلم على تكوين الإنسان ذكر أن أول ما يخلق من الإنسان عجم الذنب، وإنما ذهب جماعة أنه القلب، وقيل الدماغ، وقيل الكبد، وقيل فقار الظهر، كما أنهى الكلام على ذلك الإمام المحقق في كتابه «تحفة الودود في أحكام المولود». انتهى.

قال شارح المواقف: هل يعدم اللَّه الأجزاء البدنية ثم يعيدها أو يفرقها

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/ ٣٤٤) وذكره المناوي في الأحاديث القدسية (٤٦) رقم ٩٨ .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٩٣٥ ومسلم رقم ٢٩٥٥ وأبو داود (٢/ ٦٤٩) رقم ٤٧٤٣ ، والنسائي (٤/ ١١١) رقم ٢٠٧٧ .

(٣) انظر الحديث السابق .

ويعيد فيها التأليف؟ الحق أنه لم يثبت في ذلك شيء، فلا يجزم فيه بنفي ولا إثبات لعدم الدليل على شيء من الطرفين، انتهى. قال ناظم الجوهرة:

وقل يعاد الجسم بالتحقيق ... عن عدم وقيل عن تفريق
محضين لكن ذا الخلاف خصا ... بالأنبياء ومن عليهم نصا
وفي إعادة العرض قولان ... ورجحت إعادة الأعيان

وفي شرح الجوهرة للقاني: وعبارة الغزالي في كتاب (الاقتصاد) فإن قيل: ما تقولون أتعدم الجواهر والأعراض ثم يعادان جميعاً أو تعدم الأعراض دون الجواهر وإنما تعاد الأعراض؟ قلنا: كِلَا ذلك ممكن، والحق أنه ليس في الشرع دليل قاطع على تعيين هذه الممكنات، قال الشارح: ورأيت لبعضهم: الحق وقوع الأمرين جميعاً، إعادة ما انعدم بعينه وإعادة ما تفرق بأعراضه، وهذا حسن يجمع القولين، والذي يختلج في خلدي أنه جمع بعد تفريق والله ولي التحقيق.

قال القرطبي في (التذكرة) يقال: عجم وعجب بالباء والميم، وهو جزء لطيف في أصل الصلب، وقيل: هو رأس العصعص، كما رواه ابن أبي داود في كتاب البعث من حديث أبي سعيد الخدري قيل: «**يا رسول الله وما هو؟ قال: مثل حبة خردل ومنه تنشئون**»[(١)].

الثامنة: أخرج ابن النجار في ترجمة كثير بن سالم الهيتمي، أنه أوصى أن لا يعمر قبره إذا درس وأكد في ذلك وشدد. قال: إن الله عز وجل ينظر

(١) روى أحمد (٣/٢٨) رقم ١١٢٤٨ أن رسول الله ﷺ قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، قيل: ومثل ما هو يا رسول الله؟ قال مثل حبه خردل منه تنبتون» وروى الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبة خردل، منه ينشئون» (٤/ ٦٥١) رقم ٨٨٠١، قال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

إلى أصحاب القبور الدوارس فيرحمهم فأرجو أن أكون منهم.

قال ابن النجار: وقد ورد مثل ذلك في الآثار. ثم أخرج من طريق عبد اللّه بن حميد، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثنا عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه قال: مر أرمياء النبي عليه السلام بقبور تعذب أهلها فلما أن كان بعد سنة مر بها فإذا العذاب قد سكن عنها، فقال: قدوس قدوس مررت بهذه القبور عام أول وأهلها يعذبون، ومررت في هذه السنة وقد سكن العذاب عنها؟ فإذا النداء من السماء: يا أرمياء تمزقت أكفانهم، وتمعطت[1] شعورهم، ودرست قبورهم، فنظرت إليهم ورحمتهم، وهكذا أفعل بأهل القبور الدراسات، والأكفان المتمزقات، والشعور المتمعطات.

التاسعة: أخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«من وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة، ومن وافق موته عند انقضاء عرفة دخل الجنة، ومن وافق موته عند انقضاء صدقة دخل الجنة»**[2].

وأخرج الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«من قال: لا إله إلا اللّه ابتغاء وجه اللّه ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يوماً ابتغاء وجه اللّه ختم له به دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه اللّه ختم له بها دخل الجنة»**[3].

---

(١) معط الشعر: نتفه، وتَمَعَّطَ وامَّعَطَ كافتعل: تمرط وسقط من داء يعرض له، وتمعطت أوباره: تساقطت/ القاموس المحيط: مادة معط.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٣) وقال: غريب من حديث طلحة، وذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٦٧٨) رقم ٤٢٧٠١ .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩١) رقم ٢٣٣٧٢ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٦) رقم ٣٩١٩ وقال: رواه أحمد وروى البزار طرفاً منه في الصيام فقط، ورجاله موثقون، وفي (٧/ ٤٣٦) رقم ١١٩٣٥ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عثمان بن مسلم البتي وهو ثقة.

وأخرج الديلمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من مات صائماً أوجب اللَّه له الصيام إلى يوم القيامة**»[١].

العاشرة: لا تأكل الأرض أجساد جماعة وهم الأنبياء والعلماء والشهداء ومؤدبو الأطفال والمؤذنون حيث احتسبوا أذانهم لله.

قلت: فإن أخذ المؤذنون ومؤدبو الأطفال على ذلك رزقا من بيت مال المسلمين فلا ينافي الاحتساب؟ قال علماؤنا: وما يأخذه المؤذنون ونحوهم، فكالرزق من بيت المال وليس بأجرة، فإن وقع عقد إجارة على ذلك حرم الأخذ وبطل الأجر على قواعد مذهب الإمام أحمد، بخلاف الجعالة، ولا يخفى أن عدم الأخذ بالمرة أولى، سيما مع شدة الخلاف في جواز تناول ذلك كما لا يخفى على من له خبرة بأقاويل العلماء، وقد نظم بعضهم الذين لا تأكلهم الأرض في قوله.

لا تأكل الأرض جسماً للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا مؤدب أطفال ومحتسب أذانه لإلاه مجرى الفلك[٢]

* * *

(١) ذكره الهندي في كنز العمال، (٨/ ٤٥٧) رقم ٢٣٦٤٣ وقال الديلمي عن عائشة.
(٢) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة واللَّه الموفق.

الكتاب الثاني

في أشراط الساعة واقترابها وما يتعلق بذلك

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦] إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الأحاديث فلا تكاد تحصر، لا يقال كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه ألف ومائة سنة وأكثر من ذلك[١]؟ لأنا نقول إن الأجل إذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه اقترب الأجل، فأصل الدنيا قد مضى أكثره وبقي أقله، ولقرب قيام الساعة عنده تعالى جعلها كغد الذي بعد يومك، فقال تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦]. وفي الترمذي وصححه عن أنس مرفوعاً: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[٢] وأشار بالسبابة والوسطى فما فضل إحداهما على الأخرى، وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً: «**إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم الأمم من صلاة العصر إلى مغيب الشمس**»[٣]. وفي لفظ: «**إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين**

---

(١) هذا في الوقت الذي كان يعيش فيه المصنف رحمه الله.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٩٦) رقم ٢٢١٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو في البخاري رقم ٦٥٠٤ ومسلم رقم ٢٩٥١.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٤٧٣٣ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، ولم أقف عليه في صحيح مسلم.

صلاة العصر إلى غروب الشمس»[١] ولما كان أمر الساعة شديداً وهولها مزيداً، وأمدها بعيداً، كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها، وضيرها أكبر من خيرها، وأكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها، وأخبر عما بين يديها من الفتن القريبة والبعيدة، ونبه أمته لأجل الاعتداد لقطع تلك العقبة الشديدة، فينبغي لكل ذي لب كامل، ورأى فاضل أن يشتغل بالأعمال الصالحة، ولا ينهمك في نيل الشهوات الفاضحة.

واعلم أن وقت إتيان الساعة مما انفرد اللّه بعلمه، وأخفاه عن عباده، وذلك لحكمة، فإنه أصلح للعباد، لئلا يتباطئوا عن التأهب والاعتداد.

قال الفخر الرازي: كما أن كتمان وقت الموت أصلح لهم، يعني فإنه إذا خفي عليه ذلك كان دائماً مترقباً وقوعه، بخلاف إذا علم، فربما كان يرتكب الموبقات ثم يقول: إذا قرب وقت الوفاة أتوب إلى اللّه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

قال المحققون: السبب في إخفاء الساعة أنهم إذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها، فكان ذلك أدعى للطاعة وأزجر عن المعصية.

قال العلامة في «بهجة الناظرين وآيات المستدلين»: قد احتج كثير من العلماء على تعيين قرب زمانها بأحاديث لا تخلو من نظر، فمنهم من قال: بقي لها كذا، ومنهم من قال: يخرج الدجال على رأس كذا، وتطلع الشمس على رأس كذا، فرد الحافظ السيوطي ذلك كله وذكر هو تقريباً أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أزيد، قال العلامة وهذا أيضاً

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٥٥٧ .

مردود، لأن كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان، لا يقوم عليه من الوحي برهان، انتهى، وسأذكر ذلك مستقصياً إن شاء اللّه بعد.

واعلم أن في مدة عمارة الأرض أقوالًا، فقيل: إنه لا يعلم ذلك المقدار إلا العزيز الجبار، وهذا هو عين الصواب من غير شك ولا ارتياب، وقيل: مدة عمارتها سبعة آلاف سنة، وهذا هو المشهور وقيل غير ذلك.

قال أهل القول الأول: لم ينص على ذلك القرآن، ولا صح خبر عن سيد ولد عدنان، فالخوض فيه ضرب من الهذيان، وحكى القول الثاني عن حبر القرآن ووهب بن منبه وحكاه جماعة من اليهود وغيرهم.

وأما أعداء اللّه الفلاسفة فزعموا أن تدبير العالم الذي نحن فيه للسنبلة، فإذا استكمل العالم قطع هذه المسافة وقع الفساد والدثور، ثم عاد الدهر إلى الميزان، فتجتمع المواد ويقدر النشور عوداً.

قال البكري: وسلطان الحمل عندهم اثنا عشر ألف سنة، والثور إحدى عشر ألف سنة، ثم كذلك على التوالي حتى تكون قسمة الحوت ألف سنة، فجميع ذلك ثمانية وسبعون ألف سنة، فإذا انصرمت هذه المدة انقضى عالم الكون والفساد، قال: وهذا قول هرمس، وزعم أنه لم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء على الأرض حيوان، فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الأرض، فلما كان عالم الأسد تكونت دواب الماء وهوام الأرض، فلما كان عالم الأسد تكونت الدواب ذوات الأربع، فلما كان عالم السنبلة تولد الإنسانان الأولان آدم نوس وحواء نوس.

وزعم بعضهم أن مدة العالم مقدار الكواكب الثابتة لدرج الفلك، والكوكب منها يقطع البرج في ثلاثمائة سنة، فذلك ستة وثلاثون ألف سنة

هي ألف وعشرون كوكباً[١].

وقال في جامع الفنون عدد الكواكب الثابتة لا يعلمها إلا اللّه تعالى، إلا أن الحكماء ضبطوا منها ألفاً واثنين وعشرين كوكباً، وقيل غير ذلك في مدة عمر الدنيا، واللّه أعلم.

واعلم أن أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

قسم ظهر وانقضى وهي الأمارات البعيدة .

وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في ازدياد حتى إذا بلغ الغاية ظهر.

القسم الثالث وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة، وأنها تتتابع كنظام خرز انقطع سلكها، فمن ثم جَعَلْتُ أمارات الساعة في ثلاثة أبواب.

❊ ❊ ❊

(١) هذه كلها تخرصات وأقوال مرسلة لا دليل عليها من قرآن أو سنة صحيحة، والصواب فيها ما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوله أن علم ذلك عند اللّه وحده.

الباب الأول
في الأمارات البعيدة التي ظهرت وانقضت

وهي كثيرة جداً منها موت النبي ﷺ وهو أعظم المصائب في الدين ومن ثم قال ﷺ : «**إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنكم لم تصابوا بمثلي أبداً**»(١) وقال الشاعر وأحسن:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا أصبت بنكبة فاصبر لها ... واذكر مصابك بالنبي محمد

وقال الآخر:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فسليت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غد

وموت النبي ﷺ أول فتح باب الاختلاف حين قالوا: منا أمير ومنكم أمير. عن عوف بن مالك رفعه: «**اعدد بين يدي الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس**»(٢) وأخرج نحوه الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً: وفي الصحيح: «**ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا**»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ١٦٧) رقم ٦٧١٨ آخره بلفظ: «فإنها أعظم المصائب عنده» عن عبد الرحمن بن سابط عن أبيه وعبد الرزاق (٣/ ٥٦٤) رقم ٦٧٠٠ باختلاف في آخره، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٣٩) رقم ١٠١٥٣ .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٠٠٥ بلفظ: «اعدد ستاً»، والطبراني في الكبير (١٨ / ٤٢) رقم ٧٢ .

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ١٠) رقم ٣٣٧٨ ، وأحمد (٣/ ٢٦٨) رقم ١٣٨٥٧ بلفظ: «ما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»، والترمذي (٥ / ٥٨٨) رقم ٣٦١٨ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث غريب صحيح.

ومنها: قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد صح أنه ﷺ ذكر فتنة فمر عثمان رضي الله عنه فقال: «**هذا يومئذ على الهدى**»[١] وقال لعثمان: «**إن الله مقمصك قميصاً - أي موليك الخلافة - فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**»[٢]. وقال حذيفة رضي الله عنه: أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال. زاد ابن عساكر في روايته: «**والذي نفسي بيده ما من رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلا اتبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره**»[٣].

وملخص قصة قتله رضي الله عنه أنهم انتقدوا عليه بعض أمور منها: أنه ولي محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما مصر، فلما كان في بعض الطريق إذا بغلام عثمان على ناقته متوجهاً نحو مصر، فأتوا به فسألوه عن الخبر فلم يخبرهم، ففتشوه فلقو معه كتاباً إلى العامل بمصر فيه: إنك تقتل محمداً، فرجع محمد إلى المدينة، فاجتمع عليه أربعة آلاف أوباش من مضر وتميم وغيرها، وسألوه عن الغلام والكتاب، فقال: لا علم لي به، فقالوا: إن هذا فعل مروان وعرفوا خطه، وقالوا: فادفعه لنا، فلم يفعل، فأرادوه على أن يعزل نفسه، فلم يفعل امتثالاً لوصية رسول الله ﷺ، فحاصروه فجاءت الأنصار إلى الباب، وقالوا: يا أمير المؤمنين إن شئت كنا أنصار الله مرتين، فقال: لا حاجة لي في ذلك، كفوا إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً وأنا

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٢٨) رقم ٣٧٠٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١/ ٤١) رقم ١١١ ، وأحمد (٤/ ٢٤٣) رقم ٨١٥٤ ، والحاكم (٣/ ١٠٩) رقم ٤٥٥٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٧٥) رقم ٢٤٥١٠ وليس فيه «حتى تلقاني» والحاكم (٣/ ١٠٦) رقم ٤٥٤٤ وقال: حديث صحيح عالي الإسناد ولم يخرجاه.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٤) رقم ١٤٣٧٤ وقال: فيه الأعلى بن أبي المساور، وقد ضعفه الجمهور ووثق في رواية عن يحيى بن معين والمشهور عنه تضعيفه.

(٣) في تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٤٧).

صائر إليه، وجاء علي كرم اللَّه وجهه في جماعة من بني هاشم، يريد نصره، فقال عثمان رضي الله عنه: كل من لي عهد في ذمته يكف عن القتال، فأخذ علي عمامته - أي عمامة نفسه رضي الله عنه - فرمى بها في صحن داره وقال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] ومنعوه الماء العذب، فأرسل عليٌّ الحسنَ والحسينَ وعبد اللَّه بن جعفر في فئة من بني هاشم بثلاث قرب من الماء، فحالوا دونهم، فحملوا عليهم حتى جرح الحسن أوالحسين رضي الله عنهما، فسال الدم على وجهه وأوصلوه الماء، فلما رأوا ذلك خافوا بني هاشم وتركوا الباب، ونقبوا البيت من ظهره، وكان عنده في الدار عبيده الكثيرون، فأرادوا أن يمنعوا عنه، فقال: من أغمد سيفه فهو حر، ومنعهم من ذلك، وكان ممن دخل عليه الدار محمد بن الصديق رضي الله عنهما، فذكر له عثمان بعض مناقبه في الإسلام وقال: أنشدك اللَّه ألم تعلم ذلك؟ فيقول محمد: نعم، ثم قال: واللَّه يابن أخي لو رأى أبوك مكانك لساءه ذلك، فبكى محمد وخرج، ولم يحدث شيئاً، ثم دخل عليه جماعة فقتلوه في أوسط أيام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين من الهجرة عن ثمان وثمانين سنة من مولده، وقيل عن تسعين، ورجحه النووي في تهذيبه وقيل اثنان وثمانون، وحكى الواقدي فيه الاتفاق، وكان ذلك يوم الجمعة وقيل ليلة الجمعة، وقيل يوم الأربعاء، قيل: لثمان عشر من ذي الحجة، وقيل: يوم التروية، وقيل: لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وقيل: أوسط أيام التشريق كما ذكرناه آنفاً، وقيل: أكثر من ذلك، وقيل: أقل، قال ابن عبد الدائم البرماوي: وكان يومئذ صائماً، يروى أنه كان يقرأ في المصحف فوقعت قطرة من دمه أو قطرات على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] .

واختلفوا فيمن باشر قتله، فقال كثير: لا يعرف وقيل: الأسود النخشي من مصر، وقيل: جبلة بن الأيهم من مصر، وقيل: سودان بن

حمدان، وقيل: رومان اليماني، ورومان رجل من بن أسد بن خزيمة، وقيل: قتله اثنان، وقيل غير ذلك، وقال ابن باطش في كتاب «مزيل الشبهات» فيما نقله السيوطي في «تنوير الحلك» عن عبد اللَّه بن سلام قال: أتيت عثمان وهو محصور فقال: مرحباً يا أخي، رأيت رسول اللَّه ﷺ في هذه الخوخة فقال: يا عثمان حصروك؟ قلت: نعم، قال: عطشوك؟ قلت: نعم، فأدلي لي دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى أني الآن لأجد برده بين ثديي وبين كتفي، فقال: إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده، فقتل ذلك اليوم.

وفي «الإشاعة» للبرزنجي أن عثمان رضي الله عنه رأى في ليلة يوم قتل فيه النبي ﷺ فقال له: **«يا عثمان أفطر عندنا»** فأصبح صائماً وقتل هو صائم رضي الله عنه، وهو من المقطوع لهم بالجنة.

ومنها: وقعة الجمل روى الحاكم عن علي وطلحة رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال للزبير: **«أتحب علياً؟ أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت له ظالم»**[1].

وروى الإمام أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال لها: **«كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب حوأب»**[2].

وأخرج البزار بسند رجاله ثقات عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال لنسائه: **«أيتكن صاحبة الجمل الأدبب -أي بهمزة مفتوحة ومهملة وبموحدتين الأولى مفتوحة- فتخرج حتى تنبحها كلاب حوأب، يقتل عن**

---

(١) روى الحاكم (٣/ ٤١٢) رقم ٥٥٧٣ عن إسماعيل بن أبي حازم قال: قال علي للزبير: أما تذكر يوم كنت أنا وأنت في سقيفة قوم من الأنصار، فقال لك رسول اللَّه ﷺ «أتحبه؟ فقلت: وما يمنعني؟ قال: إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت ظالم، قال: فرجع الزبير» وقال الذهبي الحديث فيه نظر، ورواه بنحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨/ ٤٠٩).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ١٢٩) رقم ٤٦١٣، وأحمد (٦/ ٥٢) رقم ٢٤٢٩٩، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ١٢٦) رقم ٤٦١٣، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٢٨٢) رقم ٤٨٦٨.

يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة، وتنجو بعدما كادت»[١].

وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن أبي رافع أن النبي ﷺ قال لعلي: «**سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال: فأنا أشقاهما يا رسول الله، قال: لا ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**»[٢].

وأخرج أبو نعيم عن طاوس - هذا مرسل - بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «**أيتكن تنبحها كلاب حوأب فضحكت عائشة** رضي الله عنها **متعجبة فقال: انظري لا تكوني أنت يا حميراء**»[٣] والحوأب: بفتح المهملة وسكون الواو وبعدها همزة ثم موحدة هو ماء لبني عامر كما تعرفه:

وملخص وقعة الجمل: على ما ذكره الحافظ ابن حجر ملتزماً صحة ذلك أو تحسينه هو: أنه لما كان الغد من قتل عثمان رضي الله عنه خرج علي رضي الله عنه ومعه سفيان الثقفي، فدخل المسجد فإذا جماعة على طلحة، فخرج أبو جهم ابن حذيفة فقال: يا علي ألا ترى؟ فلم يتكلم، ودخل بيته فأتى بثريد فأكل ثم قال: يقتل ابن عمي ويغلب على ملكه، فخرج فأتاه الناس وهو في سوق المدينة فقالوا له ابسط يدك، فقال: حتى يتشاور الناس، فقال بعضهم: لئن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائم لم يؤمن الاختلاف وفساد الأمة، فأخذ الأكثر بيده فبايعوه، وذهب إلى بيت المال ففتحه، فلما تسامع الناس بذلك تركوا طلحة، فلم يعدلوا به طلحة ولا غيره، ثم أرسل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٣٨) رقم ٣٧٧٨٥، باختصار، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٧٤) رقم ١٢٠٢٦ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٣) رقم ٢٧٢٤٢، والطبراني (١/ ٣٣٢) رقم ٩٩٥، وذكره الهيثمي (٧/ ٤٧٤) وقال رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات.

(٣) أخرج نعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ٨٤) رقم ١٨٩ عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيتكن التي تنبحها كلاب ماء كذا وكذا، إياك يا حميراء يعني عائشة».

إلى طلحة والزبير فبايعاه، ثم إنهما ندما على خذلان عثمان فطلبوا منه أن يقتل قتلة عثمان، فلم يجبهما، وذلك لأن قاتله كان غير معلوم، أو كان ينتظر أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه إن قلنا أن قاتله معلوم، أو ترك ذلك لما علم أنه يترتب عليه فتنة واختلاف كلمة المسلمين، ثم إن طلحة والزبير أستأذنا علياً في العمرة، فأخذ عليهما العهود وأذن لهما، فلقيا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فاتفقا معها على الطلب بدم عثمان، وكان يعلى بن أمية عامل عثمان على صنعاء وكان عظيم الشأن عنده، وكان متمولًا، فقدم حاجاً فأعانهما بأربعمائة ألف دينار، وحمل سبعين رجلًا من قريش، واشترى لعائشة جملًا يقال له عسكر بثمانين ديناراً، وقال ابن عبد البر: بمائتي دينار.

قال القرطبي في (التذكرة): وهو أصح، انتهى فكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أتدرون ممن ابتليت؟ بأطوع الناس في الناس عائشة، وأدهى الناس طلحة، وأشد الناس الزبير، وأثرى الناس يعلى بن أمية، فتوجهوا إلى البصرة فنزلوا بعض مياه بني عامر، فنبحت الكلاب، فقالت عائشة أي ماء هذا؟ قالوا الحوأب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال لها الزبير: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح اللَّه ذات بينهم، فقدموا البصرة فتعجب الناس وسألوهم، عن مسيرهم فذكروا أنهم خرجوا غضباً لعثمان وتوبة لما صنعوا من خذلانه، وقبضوا على عامل عليٍّ عليها ابن الأحنف، فأقبل عليٌّ لما سمع بخروجهم من المدينة ومعه تسعمائة راكب، فنزل بذي قار، فبلغه أن أهل البصرة اجتمعوا لطلحة والزبير، فشق ذلك على أصحابه فقال: والذي لا إله غيره لنظهرن على أهل البصرة ولنقتلن طلحة والزبير، وبعث ابنه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعماراً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فدخلا المسجد وصعدا المنبر فكان الحسن في أعلى المنبر، وقام عمار أسفل منه، فتكلم عمار وقال: إن أمير المؤمنين بعثنا إليكم نستنفركم، فإن أمنا - يعني عائشة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قد سارت إلى البصرة، واللَّه إني أقول لكم هذا وواللَّه إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن اللَّه ابتلانا ليعلم إياه نطيع أو إياها، وقال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إن أمير المؤمنين يقول: إني أذكر اللَّه رجلًا رعى للَّه حقاً إلا نفر، فإن كنت مظلوماً أعانني، وإن كنت ظالماً أخذ مني، واللَّه إن طلحة والزبير لأول من بايعاني ثم نكثا، ولم أستأثر بمال ولا بدلت حكماً، فخرج إليه اثنا عشر ألف رجل، ولما قدم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام إليه قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وابن الكواء فقالا: أخبرنا عن مسيرك أوصية أوصاك به رسول اللَّه ﷺ أم رأي رأيته؟ فقال: أما واللَّه لئن كنت أول من صدق رسول اللَّه ﷺ فلا أكون أول من كذب عليه، واللَّه لئن يكون عهد من رسول اللَّه ﷺ إلي فلا، ولكن ما مات رسول اللَّه ﷺ فجأة، ولا قتل قتلًا، ولكن مكث في مرضه أياماً وليالي، وكل ذلك يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيقول مروا أبا بكر فليصل بالناس، ولقد تركني وهو يرى مكاني، وما كنت غائباً ولو عهد إليَّ شيئاً لقمت به، حتى إن امرأة من نسائه ﷺ - أي وهي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عارضت في ذلك فقالت: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس، فلو أمرت عمر فليصل بالناس، فقال: «**إنكن صواحب يوسف**»[1] فلما قبض رسول اللَّه ﷺ نظرنا، فإذا رسول اللَّه ﷺ قد ولاه أمر ديننا فوليناه أمر دنيانا، فبايعته في المسلمين ووفيت بيعته، ثم بايعت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ووفيت بيعته، ثم بايعت عثمان ووفيت بيعته، فعدا الناس عليه فقتلوه، وأنا معتزل عنهم ثم ولوني، ولولا الخشية على الدين ما أجبتهم، ثم وثب فيها من ليس سابقته كسابقتي، ولا قرابته كقرابتي، ولا علمه كعلمي - يعني معاوية - قالوا: صدقت، فأخبرنا عن قتالك لهذين صاحبيك في بدر والحديبية وأحد، وأخويك في الدين والسابقة والهجرة؟

---

(١) رواه البخاري رقم ٦٦٤ .

- يعني طلحة والزبير - فقال: إنهما بايعاني بالمدينة، وخلعاني بالبصرة، ولو أن رجلًا ممن بايع أبا بكر خلعه لقاتلناه، أو أن رجلًا ممن بايع عمر خلعه لقاتلناه، والله أعلم.

ثم إن علياً رضي الله عنه دعاهم ثلاثة أيام بعد أن اصطف الفريقان، حتى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليهم فقالوا: قد أكثروا فينا الجراح، وذلك أن قتلة عثمان كانوا متفرقين في العسكرين، فخشوا أن يصطلحوا على قتلهم، فأنشبوا الحرب، فتساب صبيان العسكر ثم تراموا، ثم تبعهم العبيد، ثم السفهاء، فصلى عليٌ ركعتين ودعا ربه ثم قال: إن ظهرتم على القوم فلا تطلبوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، وانظروا ما حضرت به الحرب من آنية فاقبضوه، وما كان سوى ذلك فهولورثتهم ونادى علي الزبير رضي الله عنه فقال: تعال ولك الأمان، فخلابه وقال: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول وأنت تلاوي يدي: «**لتقاتلنه وأنت له ظالم ثم لينصرن عليك**»[١] فقال: ذكرتني شيئاً أنسانيه الدهر، لا جرم لا قاتلتك، فقال له ابنه: ما جئت للقتال إنما جئت للصلح فأعتق غلامك، ووقف فأعتق غلامه ووقف، فلما رأى الحرب نشبت وأيس من الصلح خرج عن العسكرين فغلب أصحاب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفاً، وقتل طلحة رضي الله عنه، ثم جمع الناس وبايعهم، وانتهى عبد الله بن يزيد بن ورقاء الخزاعي إلى عائشة وهي في الهودج فقال: يا أم المؤمنين أتعلمين أني أتيتك عندما قتل عثمان، فقلتُ: ما تأمرينني؟ فقلت: الزم علياً، فسكتت، فقال: اعقروا الجمل، فعقروه، فنزل محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ورجل آخر،

(١) ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٤٧،) رقم ١٤١٧، ١٤١٨ وقال: هذا حديث لا يصح.

فاحتملا هودجها فوضعوه بين يدي علي كرم اللّه وجهه، فأمر بها فأدخلت بيتاً ولم يعنفها ولم يوبخها وأكرمها وردها إلى المدينة.

وقال في (التذكرة) روى أبو جعفر الطبري قال: لما خرجت عائشة رضي الله عنها من البصرة طالبة المدينة بعد انقضاء الحرب جهزها علي كرم اللّه وجهه جهازاً حسناً، وأخرج معها من أراده للخروج، واختار لها أربعين امرأة معروفات من نساء البصرة، وجهز معها أخاها محمداً، وكان خروجها من البصرة يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها على أميال وأمشى بنيه معها يوماً. انتهى.

وذكر الحلبي أن علياً ألبس النساء في زي الرجال وقال لأهل البصرة: إنها امرأة نبيكم في الدنيا والآخرة رضي الله عنها، انتهى.

قال في (الإشاعة) ولما ولّي الزبير - يعني حين القتال - تبعه عمرو ابن جرموز فقتله، وجاء بسيفه إلى علي فأخذه فنظر إليه وقال: أما واللّه لرب كُربة قد فَرَّجَها صاحب هذا السيف عن وجه رسول اللّه ﷺ.

وذكر في (التذكرة) عن الزبير رضي الله عنه أنه لما قال له على ما قال: قال: اللّهم إني ما ذكرت هذه إلا الساعة، وثنى عنان فرسه لينصرف، فقال له ابنه عبد اللّه رضي الله عنه إلى أين؟ قال: أذكرني عليٌّ كلاماً قاله رسول اللّه ﷺ قال: كلا ولكنك رأيت سيوف بني هاشم حداداً يحملها رجال شداد، قال له: ويحك تعيرني بالجبن، هلم الرمح فأخذ الرمح وحمل في أصحاب علي، فقال علي: أفرجوا للشيخ فإنه محرج، فشق الميمنة والميسرة والقلب ثم رجع وقال لابنه: لا أم لك أيفعل هذا جبان؟ وانصرف، وقامت الحرب على ساق، وبلغت النفوس التراق، واشرأب البلاء، وهدرت الدماء حتى ملأت القتلى ذلك الفلا، ثم فرجت عن ثلاثة وثلاثين ألف قتيل، وقيل سبعة عشر ألفاً فيهم من الأزد أربعة آلاف، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم

من سائر الناس كلهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها، وقتل فيها من أصحاب علي نحوا من ألف رجل، وقيل أقل، وقُطِعَ على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة كلما قطعت يد رجل أخذ الزمام آخر وهو ينشد:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل
والموت أشهى عندنا من العسل

وكانت الراية على الجمل، وكانوا قد ألبسوه الأدرع وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى قريب العصر لعشر ليال خلت من جمادى الثاني سنة ست وثلاثين.

قال في «الإشاعة»: واستأذن على عليٍّ كرم اللَّه وجهه ابن جرموز فأبطأ عليه الإذن، فقال أنا قاتل الزبير، فقال علي: أبقتل ابن صفية تفتخر؟ فلتتبوأ بالنار، إنه حواري رسول اللَّه ﷺ سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**قاتل ابن صفية في النار**»[1] قال: وجاء عمر بن طلحة رضي الله عنهما علياً كرم اللَّه وجهه فقال: مرحباً بابن أخي إني لم أقبض ما لكم لأخذه ولكن خفت عليه من السفهاء، فخذ مالك إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال اللَّه فيهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] ثم أمَّر ابن عباس رضي الله عنهما على البصرة وانصرف إلى الكوفة.

وعن عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة من كان أحب الناس إلى رسول اللَّه ﷺ قالت: علي بن أبي طالب - يعني بعد الصديق - لما في الصحيحين «**أنه أحب الرجال إلى رسول اللَّه ﷺ**»[2] قال: عروة فقلت ما

---

(١) روى الحاكم (٣/ ٤١٤) رقم ٥٥٧٨ عن مسلم بن نذير قال: «كنا عند علي رضي الله عنه فجاء ابن جرموز يستأذن عليه، فقال علي: أبقتل ابن صفية تفخر؟ ائذنوا له وبشروه بالنار..».
ونحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨/ ٣٧١).

(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٣٥٨، ومسلم رقم ٢٣٨٤.

سبب خروجك عليه؟ قالت: لم تزوج أبوك أمك؟ قلت: ذلك من قدر اللّه قالت: وكان ذلك من قدر اللّه، واللّه أعلم.

ومنها: وقعة صفين، وما أدراك ما وقعة صفين؟ قد صح عن سيد المرسلين «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة**»[١].

وعن عطاء بن السائب قال: حدثني غير واحد أن قاضياً من قضاة الشام أتى عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين رأيت كأن الشمس والقمر يقتتلان، والنجوم معهما نصفين قال: فمع أيهما كنت قال: مع القمر على الشمس فقال عمر: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]. انطلق فواللّه لا تعمل لي عملاً أبداً، قال عطاء: فبلغني أنه قتل مع معاوية يوم صفين.

وملخص الوقعة: أنه لما قتل عثمان رضي الله عنه وبويع علي أرسل إلى معاوية أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون وينعزل عن العمل، وكان عاملاً لعمر ثم لعثمان على الشام، وكان يرجو أن يبقيه عليٌّ على عمله، وقد كان الحسن بن علي وابن عباس وغيرهما أشاروا عليه بإبقائه على الشام حتى يأخذ له البيعة ثم يفعل فيه ما شاء، فقال علي: هيهات لو علمت أن المداهنة تنفعني في دين اللّه لفعلت، ولكن اللّه لم يرض لأهل القرآن بالمداهنة، فبلغ معاوية فحلف إنه لا يلي لعلي عملاً أبداً، وكان عمرو بن العاص على مصر فعزله أيضاً فاجتمع عمر ومعاوية واتفقا على الخروج.

وقد أخرج الطبراني عن شداد بن أوس مرفوعاً: «**إذا رأيتم معاوية**

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٧١٢١، ومسلم رقم ١٥٧ عن أبي هريرة.

وعمرو بن العاص معاً ففرقوا بينهما»(١) وكان شداد إذا رآهمًا جالسين على فراش جلس بينهما، ولما فرغ علي من وقعة الجمل ورجع إلى الكوفة أرسل جرير بن عبد اللّٰه البجلي إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس فامتنع، فقال له أبو مسلم الخولاني: أنت تنازع علياً في الخلافة وأنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا له: يدفع لنا قتله عثمان، فأجاب معاوية أهل الشام، فأرسل إليه معاوية أبا مسلم يطلب بدم عثمان وأنه وليه وابن عمه، قال: يدخل في البيعة كما فعل الناس ثم يحاكمهم إلي، فتجهز معاوية من الشام وعلي من الكوفة فالتقيا بصفين فتقاتلوا قتالًا شديداً حتى بلغت القتلى ثلاثين ألفاً، قال في (التذكرة): وكان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر، وقيل تسعة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر، وقتل في ثلاثة أيام من أيام البيض وهي ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ثلاثة وسبعون ألفاً من الفريقين، ذكره الثقة العدل أبو إسحاق، وفي تلك الليالي ليلة الهرير جعل يهر بعضهم إلى بعض، - والهرير الصوت يشبه النباح - لأنهم تراموا بالنبل حتى فنيت وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت، وتضاربوا بالسيوف حتى انقضبت، ثم نزل القوم يمشي بعضهم إلى بعض قد كسروا جفون سيوفهم، واضطربوا بما بقي من السيوف وعُمُد الحديد، فلا يسمع إلا غمغمة القوم والحديد في الهام، فلما

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٨٩) رقم ٧١٦١ عن شداد عن أبيه بلفظ: «أنه دخل على معاوية ﷺ وهو جالس وعمرو بن العاص على فراشه، فجلس شداد بينهما وقال: هل تدريان ما يجلسني بينكما؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتموهما جميعاً ففرقوا بينهما، فوالله ما اجتمعا إلا على غدرة فأحببت أن أفرق بينكما».
ورواه أيضاً في مسند الشاميين (٢/ ٢٣٠) رقم ٢١٤٧ .
وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/ ١٦٩) وقال: سعيد بن عبد الرحمن وأبوه مجهولان، وسعيد بن كثير ابن عفير وإن كان قد روى عنه البخاري فقد ضعفه غيره.

صارت السيوف كالمناجل، تراموا بالحجارة ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب، ثم تكادموا بالأفواه، وكسفت الشمس وثار القتام، وارتفع الغبار، وضلت الألوية والرايات، ومرت مواقيت أربع صلوات، لأن القتال كان بعد صلاتهم الصبح، واقتتلوا إلى نصف الليل، وذلك في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، قاله الإمام أحمد في تاريخه، وغيره: وكان أهل الشام يوم صفين خمسة وثلاثين ومائة وألف، وكان أهل العراق عشرين أو ثلاثين ومائة وألف، ذكره الزبير بن بكار بسنده عن محمد ابن عمرو بن العاص، وكان ممن شهد صفين وأنكى فيه وهو يقول:

فلو شهدت جمل مقامي ومشهدي ... بصفين يوماً شاب منها الذوائب
غدات أتى أهل العراق كأنهم ... من البحر لج موجه متراكب
وجئناهم نمشي كأن صفوفنا ... شهاب حريق وقعته الخبائث
فقالوا لنا إنا نرى أن تبايعوا ... علياً فقلنا بل نرى أن نضارب
فطارت إلينا بالرماح كُماتهم ... وطرنا إليهم الأكف القواضب
إذا نحن قلنا استهزموا عرضت ... لنا كتائب منهم وارتجت كتائب
فلا هم يولون الظهور فيدبروا ... فراراً كفعل الخادرات الذوائب

قال ابن شهاب: فأنشدت عائشة رضي الله عنها هذه الأبيات، فقالت: ما سمعت شاعراً أصدق شعراً منه.

قال ابن دحية أبو الخطاب: قوله: بل نرى أن نضارب، أن هنا مخففة من الثقيلة محذوفة الاسم، تقديره أننا نضارب، وقوله كفعل الخادرات أي الأسود، يقال أسد خادر كأن الأجمة له خدر، فمعناه أنهم لا يدبرون كالأسود التي لا تدبر عن فرائسها، لأنها قد ضربت بها، وذربت عليها، والذربة الضراوة يقال ذرب يذرب، ورفع الذرائب، لأنها بدل من الضمير في يدبروا هم.

قال ابن دحية: والإجماع منعقد أن طائفة الإمام علي كرم اللَّه وجهه طائفة عدل، والأخرى بغي، هذا كلامه وقد قال النبي ﷺ لعمار بن يسار[١] رضي الله عنه حين جعل يحفر الخندق جعل يمسح رأسه ويقول «**تقتلك فئة باغية لا أنالهم اللَّه شفاعتي يوم القيامة**»[٢]. رواه مسلم في صحيحه.

قال ابن عبد البر: تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال: «**تقتل عمار الفئة الباغية، لا أنا لهم اللَّه شفاعتي يوم القيامة**»[٣].

قال في (التذكرة) وهو من أصح الأحاديث[٤]، وقال الإمام أبو المعالي في (الإرشاد)، فصل: علي رضي الله عنه كان إماماً حقاً في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه، وحسبك بقول سيد المرسلين لعمار «تقتلك الفئة الباغية لا أنا لهم اللَّه شفاعتي يوم القيامة»[٥] وهو من أثبت الأحاديث، ولما لم يقدر معاوية على إنكاره لثبوته قال: إنما قتله

---

(١) كذا بالأصل وصوابها (ياسر).

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩١٦ بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية عن أم سلمة، وليس فيه «لا أنالهم الله شفاعتي» وذكر هذه الزيادة ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢١٨) وقال: ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة»، فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله ﷺ فإنه لم يقلها، إذ لم تنقل من طريق تقبل، والله أعلم.
وذكره كذلك في (٦/ ٢١٤)، وقال: وما يزيده بعض الرافضة في هذا الحديث من قولهم بعد: لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة، فليس له أصل يعتمد عليه، بل هو من اختلاق الروافض قبحهم الله.

(٣) ليس في الحديث الذي ذكره ابن عبد البر الدعاء الذي في آخره ونص ما جاء «تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال «تقتل عماراً الفئة الباغية» وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ وهو من أصح الأحاديث، الاستيعاب (١/ ٣٥٢ وانظر تخريج الحديث السابق.

(٤) الصحيح صدر الحديث، أما الدعاء المذكور فقد ذكرنا قول ابن كثير فيه، وابن عبد البر قال: إنه من أصح الأحاديث يقصد ما أخرجه مسلم وغيره، وليس فيه هذا الدعاء. انظر الاستيعاب (١/ ٣٥٢).

(٥) انظر تخريجه والكلام عليه في الحديث السابق.

من أخرجه، ولو كان حديثاً فيه شك لرده وأنكره وكذب ناقله وزوره، ولم يحتج إلى هذه الحجة الداحضة التي لا يعتمد عليها، ومن ثم ألزمه علي رضي الله عنه بقوله: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه لقتال المشركين، والله أعلم.

ولما رأى أصحاب معاوية من أصحاب علي العجز - أي عجز أصحاب معاوية عن أصحاب علي - قال عمرو لمعاوية: أرسلوا إلى علي بالمصحف فادعوه إلى كتاب الله تعالى، فإن علياً يجيبكم إلى ذلك، ففعلوا، فقال عليٌ: نعم نحن أحق بالإجابة إلى كتاب الله تعالى، فقال القراء الذين صاروا بعد ذلك خواناً: يا أمير المؤمنين ما تنتظر إلى هؤلاء، ألا نمشي عليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا؟ فقال سهل بن حنيف: يا أيها الناس اتهموا رأيكم فآل الأمر إلى التحكيم، فحكم على أبا موسى بعد أن أراد أن يحكم ابن عباس فمنعه أهل الكوفة، وحكم معاوية عمرو بن العاص، فاتفق الحكمان على أن يخلع كل منهما صاحبه، وكان عمرو داهية، فقدم أبو موسى فخلع علياً، ثم قام عمرو فقال: إن أبا موسى خلع علياً وإني نصبت معاوية، فاختلف الناس وأخذ أبو موسى يسب عمراً ويقول: إنك غدرت، فرجع عليٌ إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام، ثم تجهز عليٌ لقتال أهل الشام مرة بعد أخرى، فشغله أمر الخوارج، ثم تجهز في سنة تسع وثلاثين، فلم يتهيأ ذلك لافتراق أهل العراق عليه، ثم وقع الجد منه في ذلك سنة أربعين، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما وكانوا أربعين ألفاً، بايعوه على الموت، ثم قتل سيدنا علي كرم الله وجهه، وصار الأمر إلى ما قدر الله سبحانه وتعالى.

واعلم أن علياً رضي الله عنه لم تزينه الخلافة بل زانها، كما قال الإمام أحمد رضي الله عنه، وكان الناس محتاجون إلى علم علي رضي الله عنه حتى قال عمر رضي الله عنه: آه

من معضلة ليس لها أبو حسن.

وروى الإمام ابن الجوزي في «تبصرته» عن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة: صف لي علياً فقال: أوتعفني يا أمير المؤمنين، فقال: بل تصفه لي، قال: أوتعفني، قال: لا أعفيك، قال: أما إذ لابد فإنه واللَّه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلًا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان واللَّه غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب[(١)]، كان واللَّه كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن واللَّه على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة، ولا نبتديه لعظمته، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوى في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد باللَّه لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله - سجوفه - وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم - أي الذي لدغته حية - ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا إليَّ تعرضت، أم إليَّ تشوفت، هيهات هيهات، غري غيري قد بنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق، قال: فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، ثم قال معاوية: رحم اللَّه أبا الحسن كان واللَّه كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال حزن من ذبح ولدها في حجرها، فلا ترقأ عبرتها، ولا تسكن حسرتها،

---

(١) طعام جَشِبٌ ومَجْشُوبٌ: أي غليظ خشن بَيِّنُ الْجُشُوبة إذا أسيء طحنه حتى يصير مغلقاً، وقيل هو الذي لا أُدْمَ له. لسان العرب/ مادة: جشب.

ولله در القائل:

أهوى علياً وإيماني محبته ... كم مشرك دمه من سيفه وكَفَا

إن كنت ويحك لم تسمع مناقبه ... فاسمع مناقبه من هل أتى وكفى

قال البرزنجي في «الإشاعة»: عن يزيد بن الأصم قال: سئل علي كرم الله وجهه عن قتلى يوم صفين، فقال: قتلانا وقتلاهم في الجنة، ويصيرالأمر إليَّ وإلى معاوية، وتقدم ما رأى عمر بن عبد العزيز من أن علياً ومعاوية أدخلا بيتاً وأجيف عليهما، ثم خرج وهو يقول قضى لي ورب الكعبة، فلم يلبث أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة، وقال علي رضي الله عنه أن الله جعل قتلنا إياهم يعني أصحاب معاوية كفارة لذنوبهم، وقال: من كان يريد وجه الله منا ومنهم نجا، قال في «الإشاعة» ذكر ابن عساكر أن رجلًا جاء إلى أبي زرعة الرازي فقال: إني أبغض معاوية، قال: لم؟ قال: لأنه قاتل علياً بغير حق، قال أبوزرعة: رب معاوية رب رحيم وخصمه خصم كريم، فما دخولك بينهما؟.

واعلم أن الواجب على كل مسلم اعتقاده حسن الظن بالصحابة رضي الله عنهم والكف عما وقع بينهم، فالخائض في ذلك خايب، والمتعرض لشتمة أحد منهم كاذب، فهم رضي الله عنهم معذورون باجتهادهم، لمصيبهم أجران، ولمخطئهم أجر واحد، وما أحسن قول القائل:

ونسكت عن حرب الصحابة فالذي ... جرى بينهم كان اجتهاداً محرماً

فقد جاء في الأخبار أن قتيلهم ... وقاتلهم في جنة الخلد خلدا

ومنها: وقعة نهروان. أخرج ابن جرير عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب فقلنا: يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله ﷺ وجئت تقاتل المسلمين؟ فقال: «**إن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة الناكثين**

والقاسطين والمارقين»(١) فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء اللَّه المارقين.

وفي رواية عند الصادق عنه «**عهد إلينا رسول اللَّه ﷺ أن نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم**»(٢) يعني في وقعة الجمل وذلك لأن طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا البيعة وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين، يعني الظالمين، وأراد بهم أصحاب معاوية، لأنهم ظلموا علياً ونازعوه أمراً هوأحق الناس به عند كل منصف، والقاسط هو العادل، أي العادلين عن الحق إلى الباطل، وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين، وأراد بهم الخوارج، فإنهم مرقوا من الدين.

وعن أبي سعيد مرفوعاً «**أنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب اللَّه رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود**»(٣) وأحاديث الخوارج كثيرة جداً.

وملخص وقعتهم أنه لما حكم علي ومعاوية الحكمين قالت القراء: كفر علي وكفر معاوية، فاعتزلوا أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه ونزلوا بحروراء وهم بضعة عشر ألفاً، فأرسلَ إليهم عليٌ ابنَ عباس فناشدهم اللَّه: ارجعوا

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٧٢) رقم ٤٠٤٩ وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٧٣) مرفوعاً عن أبي أيوب، وروي موقوفاً على عليّ، رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ٩١) رقم ١٠٠٥٤ والأوسط (٩/ ١٦٥) رقم ٩٤٣٤ عن ابن مسعود موقوفاً على عليّ ورواه أبو يعلى عن علي مرفوعاً (١/ ٣٩٧) رقم٥١٩ .

وذكره الهيثمي (٦/ ٣٥٣) رقم ١٠٤٤٣ وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن كثير الكوفي وهو ضعيف، وذكر في (٧/ ٤٨١) رقم ٢٠٤٤ الموقوف وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مسلم بن كيسان الملائي وهو ضعيف.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) أخرجه مسلم رقم ١٠٦٤ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

إلى خليفتكم فبم نقمتم عليه؟ أفي قسمة أو قضاء؟ قالوا: نخاف أن ندخل في الفتنة، قال: فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة عام قابل، فرجع بعضهم إلى الطاعة، وقال آخرون: نكون على ناحيتنا، فإن قبل القضية يعني التحكيم قاتلناه على ما قاتلنا عليه أهل الشام بصفين، وإن نقضها قاتلنا معه، فساروا حتى قطعوا النهر وافترقت منهم فرقة يقتلون الناس، فقال أصحابهم: ما على هذا فارقنا علياً، فلما بلغ علياً صنعهم وكان متجهزاً إلى الشام قام فقال: أتسيرون إلى عدوكم أو ترجعون إلى هؤلاء الذين خلفوكم في ديارهم؟ قالوا بل نرجع إليهم فقال: ابسطوا عليهم، فواللَّه لا يقتل منكم عشرة ولا يفر منهم عشرة، فكان كذلك، فقال: اطلبوا رجلًا صفته كذا وكذا - أي وذكر من نعته أن له ثدي كثدي المرأة - فطلبوه فوجدوه على النعت الذي ذكره رسول اللَّه ﷺ فقال رجل: الحمد للَّه الذي أبادهم وأراحنا منهم، فقال علي رضي الله عنه: كلا والذي نفسي بيده، إن منهم لمن في أصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد، وليكونن آخرهم لصاصاً حراذين.

وفي الإشاعة عن ابن عمر مرفوعاً: «**يخرج ناس من المشرق، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما قطع قرن، نشأ قرن حتى يكون آخرهم يخرج مع المسيح الدجال**»(١) وقال ابن عمر رضي الله عنهما: من قتله الحرورية فهو شهيد، وعن الحسن قال: لما قتل علي الحرورية قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون اللَّه إلا قليلًا، وهؤلاء يذكرون اللَّه كثيراً،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٩) رقم ٦٩٥٢ وفي آخره: حتى يخرج في بقيتهم الدجال عن عبد الله بن عمرو، والحاكم (٤/ ٥٥٦) رقم ٨٥٥٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٤٣) رقم ١٠٤١٧ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

قيل: فما هم؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا.

قال في «الإشاعة»: ومن بقاياهم هؤلاء القرامطة، وهم الباطنية والإسماعيلية، وفتنتهم مشهورة، أهلكوا العباد والبلاد، والله أعلم.

ومنها: نزول أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية رضي الله عنه عن الخلافة.

أخرج أبو نعيم عن سفيان قال: أتيت حسن بن علي بعد رجوعه إلى المدينة فقلت له: يا هلاك المؤمنين، فكان مما احتج به علي أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع»**[١] وهو معاوية فعلمت أن أمر الله واقع، قال في النهاية: السرم الدبر والضخم العظيم. ومعناه الشديد الذي يملك الأرض كلها.

قال في الإشاعة: وهو على حقيقته فإن معاوية دعا عليه النبي ﷺ: **«أن لا يشبع الله بطنه»**[٢] لأنه أرسل يطلبه يكتب فقالوا: يأكل ثم بعث آخر، فقالوا: يأكل، فدعا عليه، فكان يأكل ولا يشبع، كذا زعم.

وملخص القصة: أنه لما رجع أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه من قتال الخوارج وتجهز للشام كما مر، قتل رضي الله عنه في سابع عشر شهر رمضان وهو خارج لصلاة الصبح، قتله أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم - عليه غضب رب العالمين - كما هدم ركن الدين الأعظم وقبح الله كل من

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ١١٦) رقم ٥٦٧ ، وذكره ابن حجر في لسان الميزان، (٣/ ٥٣) في ترجمة سفيان بن الليل، قال عنه العقيلي: كان ممن يغلو في الرفض لا يصح حديثه، ثم قال - ابن حجر -: الخبر منكر.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٦٠٤ .

مدحه، ضربه الخبيث بسيف مسموم على جبهته فأوصله دماغه، وذلك ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين، فبويع للحسن بالخلافة، ولم يُظْهِرْ أحد في الكوفة خلافة، فسار الحسن عليه السلام إلى معاوية بكتائب أمثال الجبال يريد الشام، وخرج إليه معاوية يريد الكوفة، وأرسل عبد اللّٰه بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة إلى الحسن رضي الله عنه، يطلب الصلح، فقال الحسن رضي الله عنه: إني أحقن دماء المسلمين وأنزل عن الخلافة لمعاوية، ولكن إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال - أي جبلنا على الكرم والتوسعة على أتباعنا حتى صار لنا عادة فلا نقدر على القلة - وإن هذه الأمة قد عاشت في دمائها أي العسكرين الشامي والعراقي - وقد قتل بعضهم من بعض، فلا يكفون إلا بالصفح وعدم الانتقام، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فكتب إليه معاوية أن اطلب ما شئت، واشرط، فإني أفي لك بذلك، وأرسل إليه ورقا بياضاً وختم في أسفله، وقال: اكتب ما شئت، فشرط الحسن رضي الله عنه أشياء منها أن يكون له بيت مال الكوفة، وأن يكون له خراج دارم مجرد(١)، وأن تكون الخلافة بعد معاوية له ولأخيه الحسين، وفي رواية للمسلمين يولون من شاءوا، وأن لا يتعرض لأهل العراق ولا ينتقم منهم، فنزل الحسن وبايعه، فقال معاوية تكلم يا حسن، فقام فحمد اللّٰه وأثنى عليه وقال: أيها الناس إن اللّٰه قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن معاوية نازعني أمراً أنا أحق به منه، وإني تركته حقناً لدماء المسلمين وطلباً لما عند اللّٰه، فشهد جماعة من الصحابة أنهم سمعوا رسول اللّٰه ﷺ يقول للحسن **إن ابني**

---

(١) كذا بالأصل ولعلها (دارابجرد) ولاية بفارس ينسب إليها كثير من العلماء، ودارابجرد قرية من كورة اصطخروبها معدن الزئبق، ودارابجرد أيضاً موضع بنيسابور. معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٤١٩).

هذا سيد، وسيصلح اللّٰه به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، يكون بينهما مقتلة عظيمة»[١] وسميت تلك السنة سنة الجماعة، لاجتماع الناس ورفع القتال من بينهم، واللّٰه أعلم.

ومنها: ملك بني أمية، فهم الذين بدلوا الخلافة ملكاً، وأظهروا في الإسلام ما لا ينبغي أن يحكى، فيا له من ملك كان لأهل الدين والصلاح أذل وأنكى، فبعد معاوية ما ولي فيهم صالح سوى الخليفة التقي عمر بن عبد العزيز، قيل والناقص، نعم معاوية بن يزيد كان عبداً صالحاً قدس اللّٰه روحه، ما كان أتقاه، وأما أبوه فكان ما أشقاه.

وعن علي كرم اللّٰه وجهه: لكل أمة آفة وآفة هذه الأمة بنو أمية، وقال أبو ذر رضي الله عنه: إذا بلغت بنو أمية أربعين رجلًا اتخذوا عباد اللّٰه خولًا، ومال اللّٰه دخلًا وكتاب اللّٰه دغلًا وفي لفظ: ومال اللّٰه نحلا وكتاب اللّٰه نقلًا.

وعن عمرو بن مرة الجهني قال: استأذن الحكم بن أبي العاص على رسول اللّٰه ﷺ فعرف صوته فقال: **«اذنوا له حية أو لد حية، لعنة اللّٰه عليه وعلى كل من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم»**[٢].

قال في (الإشاعة) وهذا الاستثناء إشارة إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأمثاله منهم، انتهى.

ويروى أنه قال: **يعظمون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق.**

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٧٠٤ بلفظ «ولعل اللّٰه أن يصلح» بدل وسيصلح وليس فيه (يكون بينهما مقتلة عظيمة) وهذه الزيادة وردت في حديث آخر رقم ٣٦٠٩ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٨) رقم ٨٤٨٤ ، وذكر له شاهداً بعده وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: الرشديني ضعفه ابن عدي، وأخرجه بنحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٧٠) وقال: سليمان كوفي ضعيف.

ومن جملة ما وقع في زمنهم ما وقع في زمن أشقاهم يزيد، لا زال غضب الباري عليه يزيد، من قتله السبط الشهيد، وريحانة رسول الملك المجيد، الإمام أمير المؤمنين حسن بن علي عليهما السلام، وهو بقية الخلفاء الراشدين، فإنه ولي الخلافة ستة أشهر وهي بقية مدة الخلافة التي أخبر بها المصطفى ﷺ(١) ثم نزل لمعاوية عنها فصارت ملكاً كما مر، وسبب ذلك أن يزيد زاده الله بعداً من رحمته، أرسل إلى زوجة سيدنا الحسن جعدة الكندية أن تسمه ويتزوجها، وأرشاها بمائة ألف درهم، ففعلت فمرض أربعين يوماً، وجهد به أخوه الحسين رضي الله عنه أن يخبره بمن سمه فأبى وقال: الله أشد نقمة، وأجد كبدي تقطع، وإني لعارف من أين دهيت، يشير إلى أنه من قبل يزيد، ثم قال لأخيه رضي الله عنهما: فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك شيء، وأقسم عليك ألا تريق في أمري محجمة دم، وقال له: إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك فيخرجوك، والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة، وقد كنت طلبت من عائشة أن أدفن مع رسول الله ﷺ فأجابت، فإذا مت فاطلب منها، وما أظن القوم يعني بني أمية إلا يمنعونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم وادفني عند أمي فاطمة عليها السلام بالبقيع، فمات رضي الله عنه بعد أربعين يوماً، والأكثرون كما في (الإشاعة) أنه سنة خمسين، فلما مات سأل الحسين رضي الله عنه عائشة رضي الله عنها فقالت: نعم حباً وكرامة، فمنعهم عدو الله مروان، وكان إذ ذاك أمير المدينة من قبل معاوية هو ومن معه من بني أمية، فلبس الحسين ومن معه من بني هاشم السلاح وقالوا: نقاتل فقال: أبو هريرة رضي الله عنه: لا يمنعه إلا ظالم، والله إنه لابن

---

(١) أخرج أبو داود رقم ٤٦٤٦ عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء». وأخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٨٤) رقم ٦٤٤٤.

رسول الله ﷺ ثم قال للحسين: لا تكن أول من ترك وصية أخيك، فقد وصاك بعدم القتال، فما زال به حتى رده، ودفنوا الحسن بالبقيع عند أمه رضي الله عنها، وأرسلت جعدة الكندية عليها غضب رب البرية إلى يزيد تطلبه لما وعدها به، فأبى ولم يتزوجها، وقال: كيف آمنك على نفسي وقد قتلت ابن بنت رسول الله ﷺ؟ فخسرت الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

ومما وقع في زمن يزيد العنيد قتله سيدنا الحسين رضي الله عنه.

ذكر في (الإشاعة) عن حضرة صاحب الرسالة أنه قال ﷺ: «**أمسك يا معاذ واحص» فلما بلغتُ خمساً** - يعني من الخلفاء - **قال يزيد؟ لا بارك الله في يزيد نعي إليَّ حسين وأتيت بتربته وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه وفي لفظ: «لا ينصروه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعاً»**[1]. كذا في (الإشاعة).

قلت: وهذا حديث موضوع، فالعجب منه كيف لم ينبه عليه فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات بلفظ خرج علينا رسول الله ﷺ مرعوباً متغير اللون فقال: «**نعيت إلى نفسي**» وذكر كلاماً طويلًا ثم قال: «**أمسك واحص وتنفس الصعدا**»، ثم قال: «**يزيد، لا بارك الله في يزيد الطعان اللعان، أما إنه نعى إلى حبيبي حسين، أتيت بتربته وأريت قاتله، أما إنه لا يقتل بين ظهراني قوم لا ينصروه إلا عمهم الله بعقابه أوقال: بعذابه**. قال ابن الجوزي هذا حديث موضوع واتهم بوضعه الأشناني فليعلم».

وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها «**أن جبريل** - وفي رواية: - **ملك القطر جاء إلى النبي ﷺ فأخبره أن الحسن مقتول وأراه من تربة الأرض**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٢٠) رقم ٢٨٦١، وحكم المصنف عليه بالوضع.

التي يقتل فيها فأعطاه لأم سلمة وأخبرها أن يوم قتله يتحول دماً فكان كذلك وشم ﷺ ذلك فقال: ريح كرب وبلاء»[١].

وملخص القصة أنه لما توفي الحسن رضي الله عنه أخذ معاوية البيعة ليزيد من أهل الشام، وجاء حج، فأراد أن يأخذها له من أهل الحجاز من المهاجرين والأنصار، فامتنعوا وقالوا: إن كان لك رغبة فيها فهي لك وإن سئمتها فردها على المسلمين، فلما مات معاوية رضي الله عنه وبويع ليزيد بالشام وغيرها، أرسل يزيد لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين، فهرب الحسين إلى مكة خوفاً على نفسه، فأرسل إليه أهل الكوفة أن يأتيهم ليبايعوه، فنهاه ابن عباس رضي الله عنهما وذكر له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه، وأمره أن لا يذهب بأهله، فأبى، فبكى ابن عباس وقال: واحسيناه، وقال له ابن عمر نحو ذلك فأبى، فقبل بين عينيه وقال: أستودعك اللَّه من قتيل.

قال في (الإشاعة) وكذلك نهاه ابن الزبير، ولم يبق أحد إلا حزن لمسيره، كذا قال.

والمعروف عند أهل السير أن ابن الزبير رضي الله عنهما أشار عليه بالخروج كما في (تاريخ الخلفاء) للسيوطي وغيره، وأما ابن عمر فنهاه أشد النهي، وقال له: إن رسول اللَّه ﷺ خيره اللَّه بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة[٢] وإنك بضعة منه فلا تسألها يعني الدنيا، فأبى فاعتنقه وبكى وودعه، وقال: غلبنا حسين بالخروج ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، وكلمه في ذلك

(١) روى نحوه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤٠) رقم ٨٢٠٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ١٩٢).

(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري رقم ٣٩٠٤ ومسلم ٢٣٨٢.

أيضاً جابر بن عبد اللَّه، وأبو سعيد، وأبو واقد الليثي، فلم يصغ لأحد منهم وصمم على الخروج إلى العراق، فقال له ابن عباس: واللَّه لأظنك تقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان، فلم يقبل منه، فبكى ابن عباس.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: وقال ابن عباس له: أقررت عين ابن الزبير، ولما رأى ابن عباس عبد اللَّه بن الزبير قال له: قد أتى ما أحببت، هذا الحسين يخرج ويتركك والحجاز ثم قال:

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري
وتنقري إن شئت أن تنقري

قال: وبعث أهل العراق إليه الرسل والكتب يدعونه إليهم فخرج من مكة متوجهاً إلى العراق في عشر ذي الحجة، معه طائفة من أهل بيته رجالًا ونساء وأولاداً، ولما بلغ أخاه محمد ابن الحنفية خروجه بكى حتى ملأطستا بين يديه، وقدم أمامه مسلم ابن عقيل، فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا أو أكثر، وأرسل إليه يزيد اللعين ابن زياد المقبوح، وحرضه على قتله وأخذوا مسلم بن عقيل فقتلوه، وتفرق المبايعون وسار الحسين غير عالم بذلك، فلقي الفرزدق فسأله فقال: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، فلما قرب من القادسية تلقاه من أخبره الخبر وأمره بالرجوع، فهم بالرجوع فقالت إخوة مسلم بن عقيل: واللَّه لا ترجع حتى تأخذ لثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم، ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد - زاده اللَّه مقتاً - فعدل الحسين رضي الله عنه إلى كربلاء، فجهز إليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل، فلما وصلوا إليه طلبوا منه النزول على حكم ابن زياد والمبايعة ليزيد، فقال: دعوني أذهب إلى يزيد، فأبى ابن زياد إلا النزول على حكمه، فقال: واللَّه لا نزلت على حكمه أبداً، فقاتلوه، وكان أكثر مقاتليه المكاتبين إليه والمبايعين له - قاتلهم اللَّه -

فحارب الحسين رضي الله عنه ذلك العدد الكثير وجملة من معه من أهله نيف وثمانون، فثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً، ولولا أنهم أحالوا بينه وبين الماء مع القدر المحتوم ما قدروا عليه، ولما بلغ القتلى من أهله خمسين نادى: أما ذاب يذب عن حرم رسول الله ﷺ، فخرج يزيد بن الحارث رجاء شفاعة جده، فقاتل بين يديه حتى قتل، ثم فنى أصحابه وبقي بمفرده، فحمل عليهم حملة عمه حمزة، وصولة والده علي رضي الله عنه حتى قتل كثيراً من شجعانهم، فكثروا عليه وحالوا بينه وبين حريمه فصاح عليه السلام كفوا سفهاءكم عن النساء والأطفال، فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم حتى أثخنوه بالجراح، فإنه طعن إحدى وثلاثين طعنة، وضرب أربعاً وثلاثين ضربة، ومع ذلك غلب عليه العطش فسقط إلى الأرض، فحزوا رأسه، وذلك نهار الجمعة عاشر المحرم عام إحدى وستين، ولما وضع رأسه الشريف بين يدي كافر النفس ابن زياد زاده الله في دركات جهنم هبوطاً - أنشد قاطع الرأس متبجحاً بذلك، عليه غضب المالك فقال:

أوقر ركابي فضة وذهبا إني قتلت ملكا متحجبا

قتلت خير الناس أماً وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فأمر بضرب عنقه وقال: إذا علمت أنه كذلك فلم قتلته؟ فخسر الدنيا والآخرة، فلعنة الله عليه، ومن تأمل فيما وقع لهذين السيئين من عظيم الاتفاق انبهر، فإن جعدة سمت الحسن طلباً للمال وطمعاً في تزويج يزيد لها، فلم يحصل لها شيء من ذلك فخسرت وخابت، فلا هي بزوجها ولا هي بمن طمعت فيه، وفاتها المال وأغضبت رب العباد وحرمت شفاعة النبي الهاد، وقاتل الحسين ظن أن ابن زياد يوقر ركابه فضة وذهباً، فجازاه أن ضرب عنقه ضرباً، فخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، فنعوذ بالله من مكره ونسأله الثبوت على ذكره.

قال في (الإشاعة) والظاهر أنه إنما قتله ابن زياد لأنه مدح الحسين لا لأنه قتله، ويدل لذلك أنه جعل الرأس الشريف في طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخله أنفه ويتعجب من حسن ثغره، فبكى أنس بن مالك عند ذلك وقال: كان أشبههم برسول اللّه ﷺ وقال زيد بن أرقم: ارفع قضيبك فواللّه لطالما رأيت رسول اللّه ﷺ يقبل ما بين شفتيه، وبكى، فأغلظ عليه اللعين ابن زياد وهدده بالقتل، فقال: لأحدثنك بما هو أغلظ عليك من هذا، رأيت رسول اللّه ﷺ أخذ حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى ثم وضع يده الكريمة على يافوخيهما ثم قال: «**اللّهم إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين**»[1]. فكيف كانت وديعة النبي ﷺ عندك يا ابن زياد؟

قلت: وفي (التذكرة) بعد ذكر البيتين اللذين ذكرناهما وزاد فيهما:

في أرض نجد وحراء ويثربا

قال فغضب ابن زياد من قوله وقال واللّه ما نلت مني خيراً أبداً ولألحقنك به، ثم قدمه فضرب عنقه، فهذا من أكبر الأدلة على الخبيث أنه إنما قتله لمدحه للحسين لا لأنه قتله، ولقد انتقم اللّه من ابن زياد فقد روى الترمذي بسند صحيح أن رأس ابن زياد لما قتل وضع موضع رأس الحسين وإذا حية عظيمة قد جاءت، فتفرق الناس عنها، فتخللت الرءوس حتى جاءت رأس الخبيث ابن زياد فجعلت تدخل من فمه وتخرج من منخره وتدخل من منخره فتخرج من فمه، فعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً[2].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥/ ١٨٥) رقم ٥٠٣٧ باختلاف يسير، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤/ ٢٣٦)، وذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة (٢/ ٥٧٨)، والهيثمي (٩/ ٣١١) رقم ١٥١٤٣ وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن سليمان بن يزيع ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٦٦٠) رقم ٣٧٨٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والطبراني في الكبير (٣/ ١١٢) رقم ٢٨٣٢ .

قلت: والذي يظهر لي أن السر في ذلك أن ابن زياد لما كان يدخل القضيب في منخر الحسين رضي الله عنه عوقب بأن سلط اللّه عليه حية تدخل من فيه وتخرج من منخره والجزاء من جنس العمل، واللّه أعلم.

ولما دخل رأس الحسين قصر الإمارة بالكوفة أمر بالرأس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان، ثم أنزله وجهزه مع رءوس أصحابه وسبايا آل الحسين على أقتاب الجمال موثقين في الحبال، والنساء مكشفات الوجوه والرءوس إلى يزيد الممقوت، ولما نزل الذين أرسلهم ابن زياد بالرأس الشريف أول منزل جعلوا يشربون بالرأس الخمر، كذا في (الإشاعة). وهو بعيد جداً وفي غير (الإشاعة) بإسقاط الرأس فخرجت عليهم يد من حائط فكتبت سطراً بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

نقله ابن حجر في (الصواعق المحرقة) وكذا في (شرح الهمزية)، وزاد بقلم من حديد، فهربوا وتركوا الرأس، ثم عادوا وأخذوه، ولما قدموا به على يزيد أقام الحريم على درج الجامع حيث يقام الأسارى والسبي، كذا في (شرح الهمزية)، ومما ظهر يوم قتل الحسين أن السماء أمطرت دماً، وأن أوانيهم ملئت دماً، وانكسفت الشمس، ورميت النجوم، واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت، وأن الكواكب ضربت بعضها بعضاً، وأنه لم يرفع حجر إلا رؤي تحته دم عبيط، وأن الرؤوس انقلبت دماً، وأن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام، قال في (شرح الهمزية) بعدما ذكر ما تقدم: ثم ظهرت فيها أي الدنيا الحمرة قال: وقيل احمرت ستة أشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك. وعن ابن سيرين أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين، قال الإمام ابن الجوزي: وحكمة ذلك أن الغضب يؤثر حمرة الوجه، والحق منزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على من قتل

الحسين بحمرة الأفق إظهارا لعظم الجناية[١]، انتهى.

واعلم أن يزيد قد أذى اللّه ورسوله، واعتدى على أهل بيت النبوة، وفعل فيهم الأفاعيل، وقتل منهم يومئذ مع الحسين من إخوانه وأولاده وبني أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلًا.

قال الحسن البصري وما كان لهم على وجه الأرض يومئذ شبيه، ومع ذلك أوقف حرم رسول اللّه ﷺ موقف الأسارى وزاد بذلك عجباً وافتخاراً، فنعوذ باللّه من أفعال هذا الخبيث القبيحة، ونحن نعلم بالضرورة أن أذية رسول اللّه ﷺ كفر[٢]، وأي أذية أكبر من قتل أولاده، وسبي حرمه؟ وقد جزم بكفر يزيد جماعة من العلماء. منهم الإمام الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي، وسبقه القاضي أبو يعلى.

ونقل عن الإمام أحمد مع شدة ورعه، وصرح الجلال السيوطي بلعنه.

وقال التفتازاني: لا نشك في شأنه بل في إيمانه، فلعنة اللّه عليه وعلى أعوانه، وفي (شرح العقائد) له ما لفظه: والحق أن رضى يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانته أهل بيت النبي ﷺ مما تواتر معناه، وإن

---

(١) يقول ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ٢٠١) «ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم، وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم، وأن أرجاء السماء أحمرت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه دم» إلى آخر ما قاله، وبالتالي فهذه أخبار غير صحيحة.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله: ونحن نعلم بالضرورة أن أذية رسول اللّه كفر، هذا كلام فيه إجمال، وبيان ذلك أنه إن فعل ذلك المؤذي للرسول ﷺ ومراده أذيته فلا شك في كفر فاعل ذلك، وأما إن فعل ذلك من غير قصد أذيته ﷺ فلا يكفر، ويدل لذلك أخبار كثيرة منها قصة حاطب بن أبي بلتعة في الصحيحين، ومنها قصة مسطح وحسان بن ثابت فيهما أيضاً في حديث الإفك، ومن هذا أخبار كثيرة، فيحمل حينئذ على الاستحلال وكفران النعمة واللّه الموفق. مؤلف

كان تفاصيله أحاد، فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه، لعنة اللّٰه عليه وعلى أنصاره وعلى أعوانه.

وكتب الشيخ مصطفى ابن محب الدين الحنفي تحت قول ابن الحداد الشافعي: ونكل سريرة يزيد إلى اللّٰه قال: قلت: بل نلعنه عليه لعنة اللاعنين ولعنة الخلائق أجمعين، انتهى.

ولفظ ابن الحداد: نبرأ ممن قتل الحسين وأعان عليه وأشار به ظاهراً وباطناً، هذا اعتقادنا ونكل سريرته إلى اللّٰه، انتهى، ولم نر من ذكر هذه الوقعة إلا ولعنه، ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه.

والعجب من قوم يزعمون أنهم منصفون يفتون بالترضي عن يزيد ويذبون عنه مهما أمكن، بل بالغ بعضهم فزعم أن يزيد إنما قتل الحسين بسيف جده، فهذه لعمر اللّٰه الداهية الدهماء والمصيبة الصماء، فاعتبروا يا أولي الأبصار، ما هذا الخطأ الفاحش، والغفلة العظمى، ما أرضى هذا القائل الانتصار ليزيد العنيد حتى زعم أنه قتل ابن رسول اللّٰه بسيف جده، فإنا للّٰه وإنا إليه راجعون.

قال ابن الجوزي في كتابه «السر المصون» من الاعتقادات العامية التي غلبت على جماعة منتسبين إلى السنة أن يقولوا أن يزيد كان على الصواب، وأن الحسين أخطأ في الخروج عليه، ولو نظروا في السير لعلموا كيف عقدت له البيعة وألزم الناس بها، ولقد فعل في ذلك كل قبيح، ثم لو قدرنا صحة خلافته فقد بدت منه بواد كلها توجب فسخ العقد، من رمي المدينة ورمي الكعبة بالمناجيق، وقتل الحسين وأهل بيته، وضربه على ثنيته بالقضيب، وحمله الرأس على خشبة، وإنما يميل جاهل بالسيرة عامي المذهب يظن أنه يغيظ بذلك الرافضة.

ونقل البرزنجي في «الإشاعة» والهيثمي في «الصواعق المحرقة» أن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سأله ولده عبد اللّه عن لعن يزيد قال: كيف لا يلعن من لعنه اللّه في كتابه؟ فقال عبد اللّه: قد قرأت كتاب اللّه فلم أجد فيه لعن يزيد. فقال الإمام أحمد: إن اللّه يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [محمد: ٢٢-٢٣] وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد، انتهى كلامهما.

قلت: والمحفوظ عن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلاف ما نقلا، ففي (الفروع) ما نصه: ومن أصحابنا من أخرج الحجاج عن الإسلام، فيتوجه عليه يزيد ونحوه ثم قال: ونص أحمد خلاف ذلك، وعليه الأصحاب، ولا يجوز التخصيص باللعنة خلافاً لأبي الحسين وابن الجوزي وغيرهما.

قال شيخ الإسلام ظاهر كلام الإمام أحمد الكراهة.

قلت: والمختار ما ذهب إليه ابن الجوزي وأبو حسين القاضي ومن وافقهما، ثم وقفت على ترجمة يزيد، قبحه الملك المجيد، في كتاب «الوافي بالوفيات» فرأيت فيه ما يشعر بكفر يزيد السفيه، فمن أعظم ما رأيت من قبائحه الفظيعة وفواضحه الشنيعة، ما نقله في الكتاب المذكور عن ابن القفطي أن السبي لما ورد من العراق على يزيد خرج فلقي الأطفال والنساء، - من ذرية علي والحسين - والرءوس على أسنة الرماح وقد أشرفوا على ثنية العقاب فلما رآهم أنشأ الخبيث يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت ... تلك الرءوس على شفا خيرون

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل ... فقد اقتضيت من الرسول ديوني

يعني أنه قتل بمن قتله رسول اللّه ﷺ يوم بدر، مثل جده عتبة، وخاله ولد عتبة ونحوهما، فجزمت حينئذ بكفر يزيد جزما ما عليه مزيد، وعلمت

أن قائل هذا الكلام خارج عن ربقة الإسلام من غير شك ولا ريب، واللّه تعالى أعلم.

تنبيه: ذكر القرطبي أن الذي باشر قتل سيدنا الحسين رضي الله عنه هو سنان ابن أبي سنان النخعي، وهو جد شريك القاضي، قال: ويصدق في ذلك قول الشاعر:

وأي رزية عدلت حسيناً غداة نثره كفا سنان

وقال خليفة ابن خياط: الذي قتل الحسين شمر ابن ذي الجوشن وأمير الجيش عمر بن سعد، وكان شمر أبرص، وأجهز عليه خولي بن زيد الأصبحي من حمير، حز رأسه وأتى إلى عبد اللّه بن زياد. ومما اشتهر على ألسنة العامة في نواحي نابلس أن الذي قتل حسين بن علي رضي الله عنهما هو شمر من قرية ثمَّ يقال لها بزاريا على أميال من غربي نابلس، فلا يعلم لذلك صحة، واللّه أعلم.

تتمة: روى الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس رأيت النبي ﷺ وسط النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ويتتبع ذلك فيها قال: قلت: يا رسول اللّه ما هذا؟ قال: «**دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم**» قال عمار: فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم[1]. قال القرطبي: وهذا مسند صحيح لا مطعن فيه، فانظر هذا المنام ما أصدقه، وانظر للذي زعم أنه قتل بسيف جده ما أحمقه.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٤٢) رقم ٢١٦٥، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٨٥) رقم ١٢٨٣٧ والحاكم (٤/ ٤٣٩) رقم ٨٢٠١ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وذكره الهيثمي (٩/ ٣١٠) رقم ١٥١٤١ وقال رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

وذكر القرطبي في (التذكرة) أن رأس حسين رضي الله عنه لما قتل ووضع بين يدي يزيد أمر أن يجعل في طست من ذهب وجعل ينظر إليه ويقول:

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن كفا ومعصما
نفلق هاماً عن رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وقد كذب عدو اللّه، بل هو الظالم العاق المخالف للّه ورسوله، ثم إنه تكلم بكلام قبيح كأفعاله القبيحة، وأمر بالرأس أن يصلب بالشام، ولما صلب اختفى خالد بن عمران، وكان من أفاضل التابعين، فطلبوه شهراً حتى وجدوه فسألوه عن عزلته فقال: أما ترون ما نزل بنا؟ وأنشأ يقول في ذلك:

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد متزملًا بدمائه تزميلا
وكأنما بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا في قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلا

ثم بعثوا برأس الحسين رضي الله عنه إلى المدينة فدفنوه بالبقيع عند قبر أمه. قال القرطبي: هذا أصح ما قيل فيه، وأما المكان المعروف المشهد الحسيني من القاهرة ليس الحسين مدفوناً فيه بالاتفاق. وزعم بعضهم: أن رأسه فيه، ورد عليه بعضهم، وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فشدد النكير في ذلك، وأطال في الرد على زاعم ذلك، واللّه أعلم.

ومنها: وقعة الحرة، وحاصلها أنه لما صار من يزيد العنيد ما صار في حق سبط سيد العالم، أظهر ابن الزبير الخلاف على يزيد، والتجأ إلى مكة، وقام أهل المدينة فشاركوا ابن الزبير في الخلاف، وخلعوا يزيد بعد أن بايعوه وحاصروا بني أمية الذين كانوا بالمدينة، فأرسل مروان: إنا حُصِرنا ومنعنا الماء العذب فواغوثاه، فوجه إليهم يزيدُ مسلمَ بن عقبة المري - أمر

اللّه عيشه - في اثني عشر ألفاً وقال له: ادعهم ثلاثاً، فإن رجعوا وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة للجيش ثلاثاً، وأجهز على جريحهم، واتبع منهزمهم، فتوجه إليهم فوصل في ذي الحجة سنة ثلاث وستين، فحاربوا، وكان الأمير على الأنصار عبد اللّه بن حنظلة - غسيل الملائكة - وعلى قريش عبد اللّه ابن مطيع، وعلى غيرهم من القبائل معقل ابن سنان الأشجعي، وكانوا اتخذوا خندقاً فلما رآهم أهل الشام خافوهم وكرهوا قتالهم، فأدخل بنو حارثة قوماً من الشاميين من جانب الخندق، فلما سمعوا التكبير في جوف المدينة خافوا على أهلهم فتركوا القتال، ودخلوا المدينة فكانت الهزيمة فأباح، مسلم - لا سلمه اللّه - المدينة المنورة ثلاثاً يقتلون الناس، ووقعوا على النساء.

وقاتل عبد اللّه بن مطيع حتى قتل هو وبنون له سبعة، وبعث برأسه إلى يزيد، وقتل من وجوه الناس أكثر من سبعمائة من الأنصار، ومن قريش ومن أخلاط الناس من الموالي والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف، وسبوا الذرية، واستباحوا الفروج، وأحبلوا أكثر من ألف امرأة من الزنا، وسمى أولادهن أولاد الحرة، وربطوا الخيل بسواري المسجد، وجالت الخيل فيه وراثت، وبالت بين القبر الشريف والمنبر، وتعطل المسجد ثلاثة أيام لم يصل فيه، وجبروا الناس على المبايعة ليزيد على أنهم عبيد له في طاعة اللّه ومعصيته، حتى إنه أتى بابن المسيب يبايع على ذلك. فقال: بل على كتاب اللّه وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر فأمر بقتله. فقال بعض الناس: دعوه فإنه مجنون فتركوه، وكل من أبى أن يبايع على أنه عبد ليزيد في طاعة اللّه ومعصيته أمر بقتله، وأما زين العابدين رضي الله عنه فلم يتعرضوا له وسموا مسلماً هذا مسرفاً، عليه غضب اللّه وسخطه، ثم توجه إلى ابن الزبير، فإن يزيد قال له: إذا فرغت من أمر المدينة توجه إلى مكة، وكان مسرفاً

مريضاً فمات في الطريق، وذهب به إلى أمه الهاوية، فلعنة اللَّه عليه، وكان من شدة كفره وضلاله يقول: اللَّهم إني لم أعمل بعد شهادة أن لا إله إلا اللَّه عملًا أرجى لي من قتل أهل المدينة، ولئن دخلت النار بعدها إني لشقي.

قلت: لئن لم يدخل هذا الخبيث النار إنها لمصيبة، وأنا لا أشك في كفر هذا الخبيث(١)، فلما حضرته اللعنة وقرب هلاكه نادى حصين بن عمير وقال له أمير المؤمنين -قلت إنما هو خبيث المؤمنين يعني يزيد-: ولاك بعدي فأسرع السير ولا تؤخر قتال ابن الزبير، وأمره أن ينصب المجانيق على مكة، وقال له: إن تعوذ بالبيت فارمه، فذهب وحاصر مكة أربعاً وستين يوماً، وجرى فيها قتال شديد، ورمى البيت بالمجانيق، وأخذ رجل قبساً في رأس رمح فطارت به الريح فأحرق البيت، فجاءهم نعي يزيد، وكان بين الحرة وهلاكه ثلاثة أشهر، فلما علموا بهلاكه ذلت أهل الشام، واجترأ أهل مكة والمدينة عليهم، حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته فنكس عنها، فقال لأهل الشام بنو أمية: لا ترحلوا حتى تحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام فبويع لابن الزبير بالحجاز.

وبايع أهل الآفاق كلها لمعاوية بن يزيد رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان رجلًا صالحاً، فقام خطيباً فقال: أيها الناس إن معاوية نازع هذا الأمر أهله، وخاض في دماء المسلمين، حتى غلب عليه ثم مات، فاللَّه أعلم بما هو صائر إليه، وإن أبي يزيد نازع هذا الأمر أهله، وقتل أولاد رسول اللَّه ﷺ وأهل الحرمين، ونصب على الكعبة المجانيق، ثم مات فاللَّه أعلم بما هو صائر

---

(١) في الأصل جاء بعد هذا الكلام «بل في كفر من لم يقل بكفره» إلا أن عليه ما يشبه الشطب.

إليه، وإنكم قلدتموني هذا الأمر، فواللَّه لا أذهب بإثمه وتذهبون بنعيمه، ولا أدخل في شيء من دماء المسلمين وأموالهم، فلزم بيته إلى أن مات رحمة اللَّه عليه وذلك بعد أربعين يوماً، وقيل ستة أشهر، وهو آخر من تولى من بني أبي سفيان، وكان قتل الحسين ووقعة الحرة ورمي الكعبة بالمنجنيق من أعظم الشنائع التي وقعت في زمن يزيد، ثم قتله اللَّه وجنوده وأعوانه، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

ثم بعد موت معاوية بن يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بايع أهل الآفاق كلها لابن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وانتظم له الملك بأرض الحجاز واليمن ومصر والعراق وجميع المشرق كله، وجميع بلاد الشام حتى دمشق، ولم يتخلف عن بيعته إلا بنو أمية ومن يهوى هواهم، وكانوا بفلسطين حتى إن مروان همَّ بالرحلة إلى مكة ليبايعه، فمنعه بنو أمية وبايعوه بالخلافة، وخرج بمن أطاعه إلى دمشق، وقاتل الضحاك بن قيس المبايع لابن الزبير، فاقتتلوا بمرج راهط فقتل الضحاك، وغلب مروان على الشام، ثم توجه إلى مصر فحاصر عامل ابن الزبير بها حتى غلب عليها في ربيع الآخر سنة خمس وستين، ومات في تلك السنة، فكانت مدته ستة أشهر، وعهد لابنه عبد الملك فقام مقامه، وكمل له ملك الشام ومصر والمغرب، ولابن الزبير ملك اليمن والحجاز والعراق والمشرق، إلا أن المختار ابن أبي عبيد غلب على الكوفة، وكان يدعو إلى المهدي من أهل البيت ويقول إنه محمد بن الحنفية، فأقام على ذلك سنتين ثم سار إليه مصعب بن الزبير - أمير البصرة - لأخيه عبد اللَّه بن الزبير، فحاصر المختار حتى قتله في شهر رمضان سنة سبعة وستين، وانتظم أمر العراق كله لابن الزبير، فدام ذلك إلى سنة إحدى وسبعين، فسار عبد الملك إلى مصعب وقاتله حتى قتله في جمادى منها، وملك العراق كله، ولم يبق مع ابن الزبير إلا الحجاز واليمن فقط، فجهز إليه

الحجاج ابن يوسف الثقفي الخبيث عدو اللّه فحاصره في سنة اثنين وسبعين، إلى أن قتل عبد اللّه بن الزبير رضي الله عنه وذلك في جمادى الأولى سنة ثلاثة وسبعين، وكان مجموع مدة ابن الزبير رضي الله عنه تسع سنين وشيء، ثم اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، ثم بعده على ابنه الوليد، ثم ولي الأمر بعده أخوه سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، فكلهم أولاد عبد الملك إلا عمر رضي الله عنه فإنه ابن أخيه، ثم بعد هشام تولى ابن أخيه الوليد بن يزيد الجبار العنيد، فقد ورد في مسند الإمام أحمد «**ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، لهو على هذه الأمة أشد من فرعون لقومه**»[1]. وقال ابن فضيل اللّه في (المسالك): الوليد بن يزيد، الجبار العنيد، فرعون ذلك العصر الذاهب، والدهر المملوء بالمعايب، يأتي يوم القيامة يقدم قومه فأوردهم النار، ويرديهم العار وبئس المورود والمردى في ذلك الموقف المشهود، رشق المصحف بالسهام ولم يخف الآثام، وذلك أنه استفتح في المصحف الشريف فخرج ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥] فمزق المصحف وقال:

أتوعدني بجبار عنيد ... وإني فيك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

وكان قد استباح الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيه، حتى راود أخاه سليمان عن نفسه ليفجر به، وله معايب وفضائح كثيرة جداً، حتى إنه أراد الحج ليشرب الخمر فوق سطح الكعبة المشرفة، فقام عليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله، وقام عليه مروان الحمار ابن محمد بن مروان، ولما مات ولي

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٨) رقم ١٠٩، والحاكم (٤/ ٥٣٩) رقم ٨٥٠٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

أخوه إبراهيم فغلبه مروان واختل أمرهم، حتى غلب على الملك بنو العباس وقتلوهم أشد القتلة، فسبحان من لا يزول ملكه ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فللّه الأمر من قبل ومن بعد، فكان انقراض ملك بني أمية في ثنتين وثلاثين بعد المائة، ثم قام من بني العباس أول خليفتهم السفاح، ثم أخوه المنصور، ثم ولده الهادي، ثم أخوه الرشيد، ثم ولده الأمين ثم المأمون، وهو الذي امتحن الإمام أحمد، ثم المعتصم، وهو الذي ضرب سيدنا الإمام أحمد، ثم ولد المعتصم الواثق، وكان أخبث من أبيه، ثم أخوه المتوكل، فأظهر السنة رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه، ثم قتله ولده المستنصر فلم يقم بعده إلا اليسير، ثم المستعين، ثم المعتز ثم المهتدي، وكان صالحاً مأموناً فقتل، وقام من بعده المعتمد، إلى أن صارت النوبة إلى المستعصم، وذلك أول فتنة التتار[١] الظلمة الفجار، فقد أخرج الأئمة الأبرار عن النبي المختار أن قتال التتار من علامات الساعة.

أخرج الستة إلا النسائي: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة**»[٢]. وفي رواية عند البخاري: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر**»[٣] وفي لفظ: «**عراض الوجوه**»[٤]. قوله: نعالم الشعر على ظاهره، ويحتمل أن يكون من جلود

---

(١) في حاشية الأصل (أمر التتار).

(٢) أخرجه البخاري رقم ٣٥٨٧ واللفظ له، ومسلم رقم ٢٩١٢ باختلاف في بعض الألفاظ، وأبو داود (٢/ ٥١٥) رقم ٤٣٠٤ ، والترمذي (٤/ ٤٩٧)، رقم ٢٢١٥٤ ، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٢)، رقم ٤٠٩٧ ، وأحمد في (٣/ ٤٧٥) رقم ١٠١٥٥ و(٥/ ٧٠) رقم ٢٠٦٩٦ كلهم من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٣٥٩٠ .

(٤) أخرجه البخاري رقم ٢٩٢٧ .

مشعرة غير مدبوغة، ويحتمل أن يكون المراد وفور شعرهم حتى يطئوها بأقدامهم، قاله المناوي في تخريج المصابيح.

وقوله: حمر الوجوه: أي بيض الوجوه مشربة بحمرة. قاله في (الإشاعة).

وقوله: ذلف الأنوف بالذال المعجمة في رواية الجمهور، قال صاحب (المشارق)، وهو الصواب ويروى بالمهملة، وهو بضم الذال وسكون اللام جمع أذلف كأحمر معناه فطس الأنوف، كما في الرواية الأخرى، أي قصارها مع انبطاح وقيل: غلظ أرنبة الأنف، قاله النووي، والمجان بفتح الميم وتشديد النون جمع مجن بكسر الميم، هو الترس، والمطرقة بضم الميم وسكون الطاء وحكى فتحها وتشديد الراء قال النووي عن الأول: أعني بسكون الطاء وهو المشهور في الرواية وكتب اللغة، ومعناه أن وجوههم عريضة كما في الرواية الأخرى، ووجناتهم ناتئة كالترس المطرقة.

وقوله «حتى تقاتلوا خوزاً»، قال في النهاية: بالخاء المعجمة والزاي جبل معروف، وهم من بلاد الأهواز من عراق العجم بحيث قيل: إنه صنف منهم، وكرمان صنف في العجم. قال السخاوي: وهي بلدة معمورة من بلاد العجم بين خراسان وبحر الهند، ويروى خوراء بالراء المهملة وهو من أرض فارس وصوبه الدارقطني، واللَّه أعلم.

ولما خرج التتار خربوا البلاد وأبادوا العباد وأظهروا العناد وأظهروا الفساد. قال السبكي في طبقاته: لم يكن منذ خلق اللَّه الدنيا فتنة أكبر من فتنة التتار، فإنهم خربوا المساجد، وحرقوا المصاحف والكتب، وقتلوا الرجال، وسبوا النساء، وبقروا بطون النساء فأخرجوا أولادهن وقتلوهم.

قال السخاوي: ولم تزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم تيمور الأعرج، فطرق الديار الشامية وعاث فيها، وحرق دمشق حتى جعلها خاوية على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك، وطالت مدته إلى أن مات وتفرق بنوه في البلاد. قال في (الإشاعة): وظهر في ذلك مصداق قوله ﷺ: «**إن أول من يسلب أمتي ملكها بنو قنطوري**»[(١)] قال السخاوي: وقنطوراء بالمد والقصر قيل: كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه السلام، فولدت له أولاداً فانتشر منهم الترك، حكاه ابن الأثير وجزم به في القاموس، والله الموفق.

ومن علامات الساعة: نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى، كما أخبر به ﷺ روى البخاري في صحيحه والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة مرفوعا: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»[(٢)].

وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن أبي ذر مرفوعاً: «**ليت شعري متى تخرج نار من جبل وراق تضيء لها أعناق البخت ببصرى كضوء النهار**»[(٣)].

قال نور الدين السيد علي السمهودي في (تاريخ المدينة): وقد ظهرت هذه النار بالمدينة واشتهرت اشتهاراً بلغ التواتر، وتقدمها زلازل

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٨١) رقم ١٠٣٨٩ بلفظ: «اتركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء». عن ابن مسعود، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٠٧) رقم ١٢٣٨٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عثمان بن يحيى القرقساني ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٧١١٨ ومسلم رقم ٢٩٠٢ والحاكم (٤/ ٤٨٩) رقم ٨٣٦٧.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٤٤) رقم ٢١٣٢٧ وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٧٠) رقم ٣٧٣١٥ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، والحاكم (٤/ ٤٨٩) رقم ٨٣٦٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

مهولة، وأشفق أهل المدينة منها غاية الإشفاق، والتجئوا إلى النبي ﷺ، وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة مستهل جمادى الآخرة آخر جماد الأولى سنة أربع وخمسين وستمائة، أي فيكون قبل قتل المستعصم وخراب بغداد بسنتين. قال: لكنها كانت خفيفة واشتدت يوم الثلاثاء وظهرت ظهوراً عظيماً، ثم لما كانت ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه في الثلث الآخر منها حدثت زلزلة عظيمة، انزعجت القلوب لهيبتها، واستمرت بقية الليل إلى يوم الجمعة، ولها دوي أعظم من الرعد، فتموجت الأرض، وتحركت الجدران حتى وقع في يوم واحد دون ليله ثمان عشرة حركة، فسكنت ضحى يوم الجمعة، ولما كان نصف النهار ظهرت تلك النار، فثار من محل ظهورها دخان متراكم غشي الأفق سواده، فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطع شعاع النار، وظهرت بقريظة بطرف الحرة، ترى تلك النار على هيأة البلد العظيم، عليها سور محيط على شراريف وأبراج ومنابر، ورجال يقودونها، لا تمر بجبل إلا دكته، ويخرج من ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد، يأخذ الصخور من بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي، واجتمع من ذلك ردم كالجبل العظيم، فانتهت النار إلى قرب المدينة، ومع ذلك كان يأتي المدينة نسيم بارد.

قال في (الإشاعة): وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر، قال القاضي سنان: فتطلعت إلى الأمير وكان عز الدين منيف فقلت له: قد أحاط بنا العذاب فارجع إلى اللّه تعالى، فأعتق كل مماليكه، ورد على الناس مظالمهم، وأبطل المكس، ثم هبط إلى النبي ﷺ فبات في المسجد ليلة السبت ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار، وباتوا يتضرعون ويبكون، وكشفوا رءوسهم، واعترفوا بذنوبهم، واستجاروا بنبيهم، فصرف اللّه تلك النار عنهم ذات الشمال، فسارت من مخرجها ببحر عظيم من

النار، واستمرت مدة ثلاثة أشهر.

قال المطرزي: كانت تذيب الحجر ولا تحرق الشجر، وهذا من العجائب.

وذكر القسطلاني: أن هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرة ووادي الشظاه، وهي تسحق ما والاها وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصا من قوة الحر، وإن طرفها الشرقي أخذ بين الجبال فحالت دونها فوقفت، وإن طرفها الغربي وهو الذي يلي الحرم اتصل بجبل يقال له وعيرة، على قرب من شرقي جبل أحد، ومضت في الشظاة التي في طرفة فطفيت.

قال: وأخبرني من أعتمد عليه أنه عاين حجراً ضخماً من حجارة الحرة، كان بعضه خارجاً عن حد الحرم، فعلقت بما خرج منه فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفيت وخمدت قال: فهذا أولى بالاعتماد من كلام المطرزي، أنها كانت تحرق الحجر دون الشجر، وإن رجلًا مد إليها نبلًا فأحرقت النصل ولم تحرق الخشب، فإن المطرزي لم يدرك هذه النار.

قال المؤرخون: واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الحجارة والجبال، وتسير سيراً ذريعاً في واد يكون مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال، وعمقه قامتان ونصف، وهي تجري على وجه الأرض فيذوب الصخر حتى يبقى مثل الماء، فإذا جمد اسود بعد أن كان أحمر، ولم يزل يجتمع من هذه النار الحجارة الذائبة في آخر الوادي عند منتهى الحرة، حتى قطعت في وسط وادي الشظاة إلى جهة جبل وعيرة فسدت الوادي المذكور سد عظيم من الحجر المسبوك أعظم من سدة ذي القرنين.

قال العماد ابن كثير: أخبرني القاضي صدر الدين الحنفي قال: أخبرني والدي صفي الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بلد بصرى، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار مصداق قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**»(١).

قال في (الإشاعة): وقد كان إقبال هذه النار من جهة مشرق المدينة في جهة طريق السوارقية، وهناك حبس سيل، فإنه بين حرة بني سليم والسوارقيه أي مصداقاً لقوله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد وأبو يعلى: «**يوشك نار تخرج من حبس سيل تسير سير الإبل تسير النهار وتقيم الليل**»(٢). والله أعلم(٣).

ومنها ظهور أمر الرفض واستبداد الرافضة بالملك، وإظهار الطعن واللعن على جناب الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - وهذا من أعظم الفتن وأقبح المحن وموت السنن وقد أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون**»(٤).

---

(١) سبق ص ٤١٣.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٣) رقم ١٥٦٩٦ من حديث رافع بن بشر أو بسر السلمي عن أبيه.
وأخرج أبو يعلى «تخرج نار من بحر حضرموت أو بئر حضرموت تسوق الناس فقلنا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام». أبو يعلى في مسنده (٩/ ٤٠٥) رقم ٥٥٥١ عن ابن عمر، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤) رقم ١٢٦٠١ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة.

(٣) في أخبار هذه النار وما كان منها وما فعلته انظر البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٥٣) وما بعدها.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٢) رقم ١٢٩٩٧، وأحمد (١/ ١٠٣) رقم ٨٠٨، وليس فيه: فإذا رأيتموهم إلى آخره من حديث علي بن أبي طالب. =

ولفظ الطبراني بإسناد حسن عنه كنت عند النبي ﷺ وعنده علي فقال النبي ﷺ : **«سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نبز**[١] **يسمون الرافضة فاقتلوهم فإنهم مشركون»**[٢].

وقال الإمام علي كرم اللّه وجهه: يهلك فينا أهل البيت فريقان محب مفرط وباهت مفتر، وفي لفظ: يهلك فيَّ رجلان محب مُفْرِط يقرظني بما ليس في، ومبغض مُفَرِّط يحمل شنآني على أن يبهتني. رواه الإمام أحمد في مسنده ورواه خشيش وابن أبي عاصم والأصبهاني عنه كرم اللّه وجهه، وصح **«أن من أشراط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها»**[٣].

ومنها: خروج دجالين كذابين كلهم يدعي أنه نبي كما أخبر به ﷺ فيما رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان وهو طرف من حديث أخرجه مسلم عن ثوبان أنه ﷺ قال: **«سيكون في أمتي كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»**[٤]. وفي رواية عن البخاري: **«لا**

= وذكر حديث علي الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٧٤٩) رقم ١٦٤٣٥ وقال: رواه عبد الله والبزار وفيه كثير بن إسماعيل النواء وهو ضعيف.

(١) التنابز: التداعي بالألقاب، والنبز بالتحريك اللقب، وكأنه يكثر فيما كان ذماً - النهاية/ مادة: نبز.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٢) رقم ١٢٩٩٨ وذكره الهيثمي (٩/ ٧٤٩) رقم ١٦٤٣٤ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٣) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٤/ ٤٩٤) رقم ٢٢١٠ عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة -وعد منها- ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً» وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث علي ابن أبي طالب إلا من هذا الوجه، ولا نعلم أحداً رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري غير الفرج بن فضالة، والفرج بن فضالة قد تكلم فيه بعض أهل الحديث وضعفه من قبل حفظه، وقد رواه عنه وكيع وغير واحد من الأئمة.

(٤) جزء حديث أخرجه أبو داود (٢/ ٤٩٩) رقم ٤٢٥٢ والترمذي (٤/ ٤٩٩) رقم ٢٢١٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ١٠٩) رقم ٦٧١٤، وأخرجه مسلم بنحوه رقم ٧، ١٥٧ .

تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون قريب من ثلاثين كل يزعم أنه رسول الله»[١].

وفي حديث ابن الزبير «**أن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً منهم الأسود العنسي صاحب صنعاء وصاحب اليمامة يعني مسيلمة**»[٢]. أي وقد خرج غيرهما من الدجالين، كابن صياد، إن قلنا إنه ليس هو المسيح الدجال، كما سنظهره بعد، وخرج في زمن أبي بكر طليحة بن خويلد، فادعى النبوة ثم تاب ورجع إلى الإسلام، كذا في فتح الباري للحافظ ابن حجر، لكن عند ابن عساكر أنه خرج في عهد النبي ﷺ فوجه إليه ضرار بن الأزور فأشجوا طليحة وأخافوه، ثم جاءهم موت النبي ﷺ فأرفض الناس إلى طليحة واستطار أمره، أي ثم أسلم كما بينته في كتابي «**تحبير الوفا في سيرة المصطفى**» تبعاً لابن الجوزي، فعلى هذا يكون نسبة خروجه إلى زمن أبي بكر لاستطارة أمره فيه وتمام ظهوره، والله الموفق.

وتنبأت أيضاً سجاح فتزوجها مسيلمة بعد أن تجهزت لقتاله، فصنع لها مكيدة ودعاها إلى الدخول عليه وأمر أعوانه أن يكثروا من أدعاق البخور والروائح النفيسة، لعلمه أن النساء متى ما أشمت الرائحة الطيبة حالت، فلما دخلت عليه لأجل الصلح وشمت تلك الروائح والطيب هاجت شهوتها، فدعاها للزواج فأجابت، فأمررها[٣] أن وضع عن قومها الصلاة، فقال شاعرهم:

---

(١) رواه البخاري رقم ٧١٢١ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٥) رقم ١٤٧٦٠ من حديث أبي الزبير عن جابر وابن حبان (١٥/ ٢٥) رقم ٦٦٥٠ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٤٢) رقم ٢٤٨٣ وقال: رواه أحمد والبزار وفي إسناد البزار عبد الرحمن بن مغراء وثقه جماعة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح، وفي إسناد أحمد ابن لهيعة وهو لين الحديث.

(٣) كذا بالأصل والصواب (فأمهرها).

أضحت نبيتنا يطاف بها   وأنبياء الناس ذكرانا

ثم بعد قتل مسيلمة رجعت إلى اللّه وأسلمت، فسبحان من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

وخرج مختار في زمن ابن الزبير، فإنه كان يدعي أنه يوحى إليه، وكان يكتب في مكاتيبه من مختار رسول اللّه، فجهز له عبد اللّه بن الزبير أخاه عروة فقتله.

وخرج المتنبي الشاعر المشهور الذي طار شعره في الآفاق ثم تاب ورجع إلى اللّه.

وخرج جماعة في زمن دولة بني العباس، منهم بهبود لعنه اللّه، خرج في خلافة المعتمد، فإن بهبود اللعين أفسد في العراق وأهان آل الرسول.

وفي خلافة المكتفي خرج يحيى بن زكرويه القرمطي، ثم بعده أخوه الحسين، وظهرت شامة في وجهه فزعم أنها آيته، وجاءه ابن عمه عيسى بن مهرويه، وزعم أن لقبه المدثر، وأنه المعني في السورة، ولقب غلاماً له المطوق بالنور، وظهر على الشام وعاث، ودعي له على المنابر ثم قتل.

وخرج في خلافة المقتدر أبو طاهر القرمطي، الذي قلع الحجر الأسود وكان يقول:

أنا اللّه واللّه أنا   يخلق الخلق ويحييهم أنا

وفي خلافة الراضي ظهر محمد بن علي الشملغاني، المعروف بابن أبي العراق، وقد شاع أنه يدعي الإلاهية، وأنه يحيي الموتى، فقتل وصلب وقتل معه جماعة من أصحابه.

وظهر في خلافة المطيع قوم من التناسخية، فيهم شاب يزعم أن روح

عليٌ انتقلت إليه، وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها، وآخر يدعي أنه جبريل، فضربوا فزعموا أنهم من أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم.

وفي خلافة المستظهر سنة تسع وتسعين وأربع مائة ظهر رجل بنواحي نهاوند، فادعى النبوة وتبعه خلق، فأخذ وقتل.

وخرج جماعة بالمغرب من الرجال والنساء، فمنهم رجل تسمى بلا، وحرف الحديث المشهور: «**لا نبي بعدي**»[١] وجعله إخباراً منه ﷺ بأن لا أي مسمى هذا الاسم نبي بعدي ويقول: إن «لا» في الحديث مبتدأ ونبي خبر، وامرأته ادعت النبوة، فذكروا لها الحديث فقالت: إنما قال: «لا نبي بعده» ولم يقل: لا نبية.

والحاصل: أنه ظهر جماعة ممن أخبر عنهم المصطفى ﷺ، وأما مطلق الكذابين لا يكادون أن يدخلوا تحت حصر، ومن هذا القسم من يدعي أنه مهدي وهؤلاء أيضاً كثيرون.

قال في (الإشاعة): إن في زمانه كان رجلًا اسمه عبد اللّه، واسم ابن له محمداً، ولقبه مهدياً، فادعى أن ابنه المهدي المنتظر، فاتبعه أجلاف الأكراد وسفاؤهم وعوامهم، فاستولى على بعض القلاع، ثم ركب عليه عامل موصل فقتل منهم جماعة، وهرب ابنه إلى بعض النواحي، وحبس هو، فادعى أن ابنه قد غاب وأنها الغيبة الأولى له، فإن للمهدي غيبتين كما في بعض الروايات كما يأتي، ثم إنهم أخذوا ابنه أيضاً وأرسلوا بهما إلى تنور.

قلت: في زمننا هذا في آخر سنة سبعة[٢] وثلاثين بعد المائة والألف،

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٤٥٥ ومسلم رقم ١٨٤٢ .

(٢) هكذا بالأصل.

جاء رجل من نواحي البصرة إلى دمشق المحروسة، يزعم أنه من أهل البيت، وأخبر أنه من السواح، وأنه من أشياخ طريقة الصوفية، فاجتمع عليه بعض الناس وأخذوا عليه الطريقة الصوفية، فلما تمكن منهم واستمال قلوبهم، أظهر لهم أنه نبي، وأن محمداً كان جباراً، وطعن في رسالته ﷺ، وزعم أنه هو الرسول بحق، فظهر هذا القول من فلتات ألسنة من دخل في طريقته، لقلة علمه وعقله، وأظهره لبعض أصدقائه، فقال لمريده: ينبغي أن تجمعني بهذا لعل اللّه ينفعني به، فاجتمع به وأظهر له أنه من أتباعه، فحينئذ أظهر له هذا القول الفاسد، فأخبر به الناس، فاجتمعوا لأجل قتله فعلم بذلك وهرب تحت الليل، لعنه اللّه، وقد رأيته بعيني رأسي، وكان هذا اللعين أسمر طوالًا حلو المنظر، طويل القامة، حسن العينين، مربي شعره، وكان يظهر التذلل والخشوع، حتى إذا تكلم تعرف في كلامه أثر الخوف، اجتمعت به وتكلمت معه واستفتاني بعض أحكام وسألنا عن مسائل، ولم أر فيه قابلًا، لأني تفرست في أن تذللّه نفاق، فوافق ما في نفسي، وزعم أن اسمه السيد محمد، وذكر من كان يجتمع به في خلواته أنه كان يقذف سيدتنا عائشة، ويتكلم كلاماً قبيحاً، فلعنة اللّه عليه إن كان صدر منه مثل ما بلغنا عنه، وقد أخبرنا شيخنا الشيخ إسماعيل العجلوني أن رجلًا شهد عليه أنه يتكلم بكلام قبيح آنف من ذكره بهذه الكتاب، فنعوذ باللّه من مكره، واللّه أعلم.

ومنها فتح بيت المقدس ففي الحديث: «**اعدد بين يدي الساعة ستاً موتي، وفتح بيت المقدس**»[(١)] وقد فتح مرتين، مرة زمن عمر رضي الله عنه، ومرة زمن الأكراد الأيوبية، فتحه السلطان صلاح الدين رحمه الله، وفي تاريخ

(١) سبق ص ٣٧٣ .

الحنبلي: أن بيت المقدس تغلبت عليه الإفرنج بعد الملك صلاح الدين مدة يسيرة، وكان فتوحه على يد الملك الناصر، فيكون فتح ثلاث مرات.

ومنها: **زوال ملك العرب**، فعن طلحة بن مالك: «**من اقتراب الساعة هلاك العرب**»(١) أي زوال ملكهم رواه الترمذي.

ومنها كثرة المال، وقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال فيكم فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب**» - أي لا حاجة - **لي فيه**(٢).

قال في (الإشاعة): وهذا وقع في زمن عثمان رضي الله عنه، وكثرت الفتوح حين اقتسموا أموال الفرس والروم، ووقع في زمن عمر بن عبد العزيز أن الرجل كان يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبل صدقته، وسيقع ذلك في زمن المهدي وعيسى، والله أعلم.

ومنها: **أن تزول الجبال عن أماكنها**. أخرج الطبراني عن سمرة رضي الله عنه: «**لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها**»(٣) ونقل الجلال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» أن سنة اثنين وأربعين بعد المائتين في خلافة المتوكل، سار جبل كان عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين، وفي سنة ثلاث مائة في خلافة المقتدر، ساح جبل بالدينور في الأرض وخرج

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٢٤) رقم ٣٩٢٩ وقال: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث سليمان بن حرب، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٠٩) رقم ٨١٥٩ والأوسط (٣/ ٨١) رقم ٢٥٥٧ والبخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣٤٤) رقم ٣٠٧٢ .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٧١٢١ ومسلم رقم ١٥٧ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٠٧) رقم ٦٨٥٧ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٣١) رقم ١٢٤٤٧ وقال: رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان، وهو ضعيف.

من تحته ماء كثير غرق القرى.

ومنها: **فقدان الصحابة** ﷺ ففي الحديث: «**لا تقوم الساعة حتى يلتمس الرجل من أصحابي كما تلتمس الضالة فلا يوجد**»[١] رواه الإمام أحمد عن علي مرفوعاً.

ومنها: **وقوع ثلاث خسوفات**. أخرج الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها: «**سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، قيل: تخسف الأرض وفيهم الصالحون قال: نعم إذا أكثر أهلها الخبث**»[٢]. وفي حديث حذيفة بن أسد: طلع علينا رسول اللّه ﷺ ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات**» فذكر منها ثلاث خسوف خسفاً بالمشرق وخسفاً بالمغرب وخسفاً بجزيرة العرب[٣]. رواه الستة إلا البخاري. وقد وقعت الخسوفات الثلاثة، فوقع في سنة ثمان ومائتين، أنه خسف بثلاث عشر قرية بالمغرب، وفي خلافة المطيع سنة ست وأربعين وثلاث مائة، وقع بالري ونواحيها زلازل عظيمة، وخسف ببلد طالقات، ولم يفلت من أهلها إلا ثلاثين نفساً، وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري، واتصل الأمر إلى حلوان، فخسف بأكثرها، وقذفت

(١) أخرجه أحمد (١/ ٩٣) رقم ٧٢٠ وابن عدي في الكامل (١/ ٤٢٥) في ترجمة إسرائيل بن يونس رقم ٢٣٧ وقال عنه وهو ممن يكتب حديثه ويحتج به.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٧١) رقم ٥٨٠ والأوسط (٤/ ٧٤) رقم ٣٦٤٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢) رقم ١٢٥٩٥ وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات.
وأخرج بعضه مسلم رقم ٢٩٠١.

(٣) أخرج نحوه مسلم رقم ٢٩٠١، وأبو داود (٢/ ٥١٧) رقم ٤٣١١ والترمذي (٤/ ٤٧٧) رقم ٢١٨٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٣٤٧) رقم ٤٠٥٥، وأحمد (٤/ ٦) رقم ١٦١٨٦.

الأرض عظام الموتى، وتفجرت منها المياه، وتقطعت بالري جبال، وعلقت قرية بين السماء والارض بمن فيها نصف نهار، ثم خسف بها، وتخرقت الأرض خروقاً عظيمة، وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم، كذا نقله الجلال السيوطي عن الحافظ ابن الجوزي، وناهيك بهما علماً وثقة وحفظاً. وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة خسف بقرية من أعمال بصرى، وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة خسف ببلد بحيرة، وصار مكان البلد ماء أسود، قاله في (الإشاعة) قال: وخسف في زماننا بعدة قرى ناحية أذربيجان وغيرها من ديار العجم.

ومنها: كثرة الزلازل، ففي البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج»**[(١)] وهو القتل، وقد وقع أول خلافة المتوكل سنة اثنين وثلاثين ومائتين زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها خلق كثير، وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها، وإلى الجزيرة فأحرقتها، وإلى الموصل فيقال هلك من أهلها خمسون ألفاً، وقد زلزلت زلازل كثيرة جداً، فلا نطيل بذكرها.

ومنها: المسخ والقذف ففي حديث عند الإمام أحمد ومسلم والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: **«يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف»**[(٢)] وعند ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه: **«بين يدي الساعة مسخ وخسف**

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٠٣٦ وابن ماجه مع اختلاف في الألفاظ (٢/ ١٣٤٥) رقم ٤٠٥٠، ٤٠٥١، ٤٠٥٢.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٣) رقم ٦٥٢١ من حديث عبد الله بن عمرو وابن ماجه (٢/ ١٣٥٠) رقم ٤٠٦٢، والحاكم (٤ / ٤٩٢) رقم ٨٣٧٦ من حديث ابن عمر، وقال: إن كان الزبير سمع من عبد الله بن عمر فإنه صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ولم أقف على رواية مسلم.

وقذف»[١]. وعند الترمذي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «**يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، قيل: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون، قال: نعم إذا كثر الخبث**»[٢]. وقد قدمنا الكلام على وقوع الخسف.

من مسخ في الإسلام

وأما المسخ: فقد وقع لأشخاص، منهم ما نقله في «الإشاعة» قال: قد صح عن غير واحد أن في زمن فاطمية مصر كانوا يجتمعون بالمدينة يوم عاشوراء في قبة العباس، يعني الأرفاض، فيسبون الشيخين رضوان الله عليهما، ويسبون الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فجاء رجل فقال: من يطعمني في محبة أبي بكر؟ فخرج إليه شيخ وأشار إليه أن اتبعني، فأخذه إلى بيته وقطع لسانه ووضعه في يده، وقال: هذه بمحبة أبي بكر، فذهب الرجل إلى المسجد وسلم على رسول الله ﷺ وعلى الشيخين رضوان الله عليهما، ورجع ولسانه في يده فقعد حزيناً عند باب المسجد، وغلبه النوم فرأى النبي ﷺ في منامه ومعه أبو بكر رضي الله عنه فقال لأبي بكر رضي الله عنه، هذا الرجل قطع لسانه في محبتك، فرد عليه لسانه، فأخرج اللسان من يده ووضعه في محله، فانتبه، فإذا لسانه كما كان قبل القطع وأحسن، فلم يخبر بذلك أحداً ورجع إلى بلاده، فلما كان العام القابل رجع إلى المدينة ودخل القبة يوم عاشوراء وطلب شيئاً بمحبة أبي بكر، فخرج إليه شاب وقال: اتبعني فتبعه فأدخله الدار التي قطع فيها لسانه فأكرمه الشاب فقال الرجل:

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٩) رقم ٤٠٥٩ .

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٧٩) رقم ٢١٨٥ بلفظ (ظهر) بدلًا من (كثر)، وقال: هذا حديث غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

إني أتعجب من هذا البيت، لقيت فيه العام الماضي مصيبة ومهانة، وهذه السنة لقيت ما أرى من الإكرام؟ فقال الشاب: كيف القصة؟ فأخبره بالقصة، فانكب على يده ورجليه وقال: ذاك أبي وقد مسخه اللّه قرداً، وكشف عن ستارة فأراه قرداً مربوطاً، وأحسن إلى الرجل وتاب من مذهبه، وقال: اكتم عليَّ أمر والدي، وقد ذكر هذه القصة ابن حجر في «الزواجر» بنحو هذا اللفظ، وذكرها السمهودي والقسطلاني في (المواهب)، وابن حجر أيضاً في (الصواعق)، وفي (الزواجر)، أنه كان بحلب رجل يسب الشيخين، فلما مات نبش قبره شباب ليفعلوا معه أمراً، فوجدوه خنزيراً فأحرقوه، وذكر السيوطي في (تاريخ الخلفاء) أن في سنة اثنتين[1] وثمانين وسبعمائة في خلافة المتوكل سادس الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر، ورد كتاب من حلب يتضمن أن إماماً قام يصلي وإن شخصاً عبث به في صلاته، فلم يقطع الإمام الصلاة حتى فرغ، وحين سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير، وهرب إلى غابة هناك.

وأما القذف فالمراد به الرجم. نقل السيوطي في (تاريخ الخلفاء) أن في سنة خمس وثمانين ومائتين مطرت قرية بالبصرة حجارة سوداء وبيضاء، ووقع بَرَدٌ وزن البردة مائة وخمسون درهماً، وفي سنة اثنين ومائتين رجمت قرية السويدي بالحجارة، ووزن حجر من الأحجار فكان عشرة أرطال، وفي سنة ثمان وسبعين وأربع مائة في خلافة المقتدي جاءت ريح سوداء ببغداد واشتد الرعد والبرق، وسقط رمل وتراب كالمطر، وفي سنة نيف وستين بعد الألف مطرت حجارة سوداء كبيرة عريضة قدر بيض الدجاج وأكبر في الصيف والسماء مصحية ببلاد الأكراد بين هيزا وكفرا، وكان يسمع لها حس من مسافة يوم، ذكره في (الإشاعة).

---

(١) في الأصل (اثنين والمثبت من تاريخ الخلفاء (٤٣٠).

تنبيه: ورد عنه ﷺ «**الآيات بعد المائتين**»[(١)] فيحتمل بعد المائتين من الهجرة، ويحتمل بعد المائتين بعد الألف، ويؤيد الأول أن جل الآيات التي ذكرناها وقع بعد المائتين، وإن حمل على الثاني فالمراد أمهاتها كما يأتي وقد أضربنا من هذا الباب عن أشياء كثيرة خوف الملال وضيق الحال، فنسأل اللّه التوفيق وحسن الختام، والحشر مع خير فريق ببركة محمد عليه الصلاة والسلام.

* * *

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٨) رقم ٤٠٥٧ والحاكم (٤/ ٤٧٥) رقم ٨٣١٩ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: أحسبه موضوعاً، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٨٥٤) رقم ١٤٢٩، وقال: هذا حديث لا يصح.
وأورده العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٣٣٧) في باب أحاديث موضوعة وقال: باب ظهور الآيات بعد المائتين لم يثبت فيه شيء.

الباب الثاني
في الأمارات المتوسطة التي ظهرت
ولم تقض بل تتزايد

وهي كثيرة جداً منها قوله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس في الدنيا لكع بن لكع**»[١] رواه الإمام أحمد والترمذي والضياء عن حذيفة وابن مردويه عن علي، واللكع العبد الأحمق واللئيم، والمعنى: لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس، وقد ولع أهل الأدب في هذا المعنى، لأن الدهر فوق نبال الحرمان لذوي الفطانة والرجحان، ومن ذلك قول بعضهم وقد أحسن للغاية:

أرى حمراً تروى وتأكل ما تهوى ... وأسداً جياعاً تظمأ الدهر لا تروى
وأشراف قوم لا ينالون قوتهم ... وقوماً لئاما يأكلوا المن والسلوى
قضاء لجبار السموات سابق ... وليس على رد القضاء أحد يقوى
ومن عرف الدهر الخؤون وعدله ... فيصبر في البلوى ولم يظهر الشكوى
وأيقن أن الرزق لابد أن يجيء ... لميقاته فليصحب البر والتقوى

وقال الآخر:

لا خير في دهر تعز لئامه ... وبعكس ذي الأشياء تهان كرامه
وابن السفاهة إن تولى رتبة ... بين الملأ زاد الكلام كلامه

وهذا باب واسع جداً، ومن ذلك أي من الأمارات قوله ﷺ : «يأتي

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٩) رقم ٢٣٣٥١ من حديث حذيفة، والترمذي (٤/ ٤٩٣) رقم ٢٢٠٩ وقال هذا حديث حسن غريب.

على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر»[1][2]. رواه الترمذي عن أنس وقوله ﷺ : **«لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»**[3]. رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه وقوله ﷺ : **«يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة»**[4] وفي لفظ: **«فساق»** رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس.

ومنها: أن يرى الهلال ساعة يطلع فيقال: لليلتين لانتفاخه وكبره. روى معناه الطبراني عن ابن مسعود في لفظ **«من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة»**[5] بالخاء المعجمة: أي عظمها يقال: رجل منتفخ ومنفوخ أي

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٦) رقم ٢٢٦٠ وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) في حاشية الأصل/ قوله الصابر على دينه كالقابض على الجمر، هذا كناية منه ﷺ عن عدم المساعد والمعاون في الدين، وقلة وفاء الخلق حين يكون المال والسعة للكع بن لكع، وقد ولي الأمور السفلة فلا ير الفقير إلا بائساً فهو بِهَمّ دينه وهَمّ دنياه، فلا هو قادر على ما يعول أهله ليتخلى للعبادة ولا الأمر منتظم له لينال مراده، ولعمر اللّه إن زماننا هذا موجود فيه ما ذكر وزيادة فياللّه من يقول:

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش مالا خير فيه

ألا موت لذيذ الطعم حتى ... يخلصني من العيش الكريه

إذا أبصرت قبرا من بعيد ... وددت بأنني مما يليه

مؤلف

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٠) رقم ١٣٤٢٨ ، وأبو داود (١/ ٧٦) رقم ٤٤٩ ، وابن ماجه (١/ ٢٤٤) رقم ٧٣٩ ، وابن خزيمة (٢/ ٢٨٢) رقم ١٣٢٣ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٣١) وقال: هذا حديث غريب من حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية وهو قاضي بصري في حديثه نكارة.
والحاكم (٤/ ٣٥١) رقم ٧٨٨٣ ، وذكر نحوه الهيثمي (٥/ ٤٢٠) رقم ٩١٨٠ من حديث معاذ وقال: رواه البزار وفيه حبيب بن عمران الكلاعي ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٩٨) رقم ١٠٤٥١ ، والأوسط (٧/ ٦٥) رقم ٦٨٦٤، والصغير (٢/ ١٥) رقم٨٧٧ من حديث أبي هريرة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣٥٢) رقم ٤٨٠٨ وقال: رواه الطبراني في الصغير وفيه عبد الرحمن بن الأزرق =

سمين، وروي بالجيم، من انتفج جنباً البعير إذا ارتفعا وعظما خلقة. يقال: نفجت الشيء فانتفج أي رفعته وعظمته.

ومنها: اتخاذ المساجد طرقاً.

ومنها ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة، إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واستعلوا البناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون الحكم ضعفاً، والكذب صدقاً، والحرير لباساً، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفجأة، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وكثر القذف، وكان المطر قيظاً**، أي في الصيف فلا يفيد شيئاً، **والولد غيظاً** - أي يغيظ والديه بعقوقه، **وفاض اللئام فيضاً**، أي: كثروا، **وغاظ الكرام غيطاً**، أي نقصوا، **وكان الأمراء والوزراء والأمناء خونه، والعرفاء ظلمة، والقراء فسقة، إذا لبسوا مسوك** - أي جلود - **الضأن، قلوبهم أنتن من الجيفة، وأمر من الصبر، يغشيهم اللّه فتنة يتهاوكون فيها** - أي يتساقطون فيها - **تهاوك اليهود والظلمة، وتظهر الصفراء** - يعني الدنانير - **وتطلب البيضاء** - يعني الفضة - **وتكثر الخطباء**، أي فلا يخطبون حينئذ للّه ولا للاستحقاق وإنما يشترون وظيفة الخطابة، أي فيكثر الراغبون في ذلك، **ويقل الأمر بالمعروف، وحليت المصاحف، وصورت المساجد وطولت المنابر، وخربت القلوب، وشربت الخمور، وعطلت الحدود، وولدت الأمة ربتها، وترى الحفاة العراة صاروا ملوكاً، وشاركت المرأة**

-الأنطاكي ولم أجد من ترجم له، وفي رقم ٤٨١١ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن يوسف ذكر له في الميزان هذا الحديث، وقال إنه مجهول.

(١) كذا بالأصل، ولعلها (غاض الكرام غيضا).

زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وحلف بغير الله، وشهد المرء من غير أن يستشهد، وسلم للمعرفة - أي ما ابتدأه بالسلام إلا لمعرفته له - **وتفقه لغير الله، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة، واتخذ المغنم دولًا** - وهو بضم الدال وفتح الواو يجمع على دولة بالضم، ما يتداول من المال فيكون لقوم دون آخرين، ومعناه إذا اختص الأغنياء وأرباب المناصب بأموال الفيء ومنعوها مستحقيها، كما في النهاية، والله أعلم - **والأمانة مغنماً** - يعني الوديعة والزكاة مغرماً - **وكان زعيم القوم** - **أي ضمينهم - أرذلهم، وعق الرجل أباه، وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع امرأته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتخذت القينات** - جمع قينه وهي المغنية - **والمعازف** - أي آلات اللهو - **وشربت الخمور في الطرق، واتخذ الظلم فخراً، وبيع الحكم، وكثرت الشرط، واتخذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفافاً**(١) - بأن يجعل على السروج كما يفعله وزراء زماننا - **ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات»**(٢).

ومنها: ما رواه الإمام أحمد وعبد الله بن حميد وابن أبي حاتم عن سلمان مرفوعاً، والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعاً «إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسن واختلفت القلوب، وقطع كل ذي رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم»(٣).

(١) صُفَّةُ الرَّحْلِ والسَّرْجِ التي تضم العرقوبين والبِدَادَين من أعلاهما وأسفلهما. لسان العرب/ مادة: صفف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥٩) وقال: غريب من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير لم يروه عنه فيما أعلم إلا فرج بن فضالة.

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (١٥٣) موقوفاً على سلمان.

ومنها: ما أخرجه أبو الشيخ وعويس والديلمي عن أمير المؤمنين علي كرم اللّه وجهه قال: قال رسول اللّه ﷺ : «**من اقتراب الساعة، إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكبائر، وأكلوا الربا، وأكلوا الرشا، وشيدوا** - أي طولوا ورفعوا - **البناء**، ويحتمل أن يراد جصصوها وعملوها بالشيد - **واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واتخذوا القرآن مزامير، واتخذوا جلود السباع صفافاً، والمساجد طرقاً، والحرير لباساً، وأكثروا الجور، وفشا الزنا، وتهاونوا بالطلاق، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وصار المطر قيظاً، والولد غيظاً، وأمراء فجرة، ووزراء كذبة، وأمناء خونة، وعرفاء ظلمة، وقلت العلماء، وكثرت القراء، وقلت الفقهاء، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنابر، وفسدت القلوب، واتخذت القينات والمعازف، وشربت الخمور، وعطلت الحدود، ونقصت الشهور** -أي بالصاد المهملة- بأن يكون أكثرها ناقصة، **ونقضت المواثيق**، بالضاد المعجمة، - والمواثيق جمع ميثاق وهو العهد ونقضها عدم الوفاء بها - **وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وركب النساء البراذين** - جمع برذون بكسر الموحدة وسكون الراء وفتح المعجمة فواو ساكنة فنون: الدابة من الخيل، والمعنى ركبت النساء الخيل - كما في بعض الروايات السروج، **وتشبهت النساء بالرجال، والرجال بالنساء، ويحلف بغير اللّه، ويشهد الرجل من غير أن يستشهد، وكانت الزكاة مغرماً، والأمانة مغنماً، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وقرب صديقه، وأقصى** - أي أبعد - **أباه، وصارت الأمارات مواريث، وسب آخر هذه الأمة أولها، وأكرم الرجل اتقاء شره، وكثرت الشرط، وصعدت الجهال المنابر، ولبس الرجل التيجان، وضيقت الطرقات، وشيد البناء، واستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وكثرت خطباء منابركم، وركن علماؤكم إلى ولاتكم، فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، وافتوهم بما**

يشتهون، وتعلم علماؤكم ليجلبوا دنانيركم ودراهمكم، واتخذتم القرآن تجارة - أي أخذتم أجرة على قراءته - **وضيعتم حق الله في أموالكم، وصارت أموالكم عند شراركم، وقطعتم أرحامكم، وشربتم الخمور في ناديكم، ولعبتم الميسر**، أي بالقمار، ومنه الشطرنج ميسر العجم، **وعرضتم بالكبر** - بفتحتين الطبل والمعزفة والمزامير - **ومنعتم محاويجكم زكاتكم، ورأيتموها مغرماً، وقتل البريء ليغيظ العامة**، أي قتل الذي لا قود عليه ليغيظ أقاربه، ويترك القاتل - فهو جمع بين قبيحين، قتل من لا قود عليه وترك من عليه القود، فيفعلون ما نهوا عنه[١] ويتركون ما أمروا به - **واختلفت أهواؤكم، وصار العطاء في العبيد والسقاط، وطفف المكاييل والموازين، ووليت أموركم السفهاء»**[٢].

ومنها: «إذا وسد الأمر» وفي لفظ: **«أسند الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة»**[٣]. رواه البخاري ولا شك أن هذا من اقتراب الساعة، وما أحسن قول القائل:

---

(١) في حاشية الأصل/ قوله: فيفعلون ما نهوا عنه إلخ، لا شك أن الأنفس جبلت على كراهتها، أن تدخل تحت أمر أحد إلا من وفقه الله فيستلذ بامتثال أوامر ربه حتى إنه ليتنعم بذلك أشد التنعم، وقد صار مجبولًا على حب أمره، فليس له في غير ذلك مطمع، يهيم إذا سمع النداء كأنه يشير له، يقفو رضاه ويسرع كما قال من سمع لذة ذلك:

وقف الهوى بي حيث أنت ... فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هؤلاء لذيذة ... حباً لذكرك فليلمني اللوم

وأما الأنفس الخبيثة فهي بمعزل عن هذه الأوصاف الرفيعة حتى نرى كثيراً من الناس يعمل شيئاً لو كلف على فعله ما عمله أبداً، ويترك أشياء كلف بها لو لم يكلف بذلك ما تركها أبداً. والله الموفق. مؤلف

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (١٤/ ٥٧٣) رقم ٣٩٦٣٩، وقال: أبو الشيخ في الفتن وعويس في جزئه والديلمي.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٩ .

أيا دهر أعملت فينا أذاكا ... ووليتنا بعد وجه قفاكا
علّيت الشرار علينا رءوساً ... وأجلست سفلتنا مستواكا
فيا دهر إن كنت عاديتنا ... فها قد صنعت بنا ما كفاكا

ومنها: أن الشيطان يتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، فيقول الرجل منهم: «سمعت رجلًا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث»[(١)] رواه مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود.

وأخرج أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان، يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآناً»[(٢)].

ومنها: ما أخرجه الإمام أحمد والحاكم وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه «إذا كانت الفاحشة في كباركم، والملك في صغاركم، والعلم في مرداكم، والمداهنة في خياركم، يعني فتقرب إقامة الساعة»[(٣)].

وفي أثناء حديث عمر رضي الله عنه عند مسلم في قصة جبريل قال: فأخبرني عن الساعة قال ﷺ: **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء**

---

(١) رواه مسلم رقم ٧.
(٢) رواه مسلم رقم ٧.
(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٨٧) رقم ١٢٩٦٦ عن أنس قيل: يا رسول الله، متى ندع الائتمار بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا كانت الفاحشة في كباركم، والملك في صغاركم والعلم في رذالكم.
وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/ ٥٣٢).
وراوه ابن ماجه (٢/ ١٣٣)(١) رقم ٤٠١٥ باختلاف يسير وقال: في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات.

يتطاولون في البنيان»[١] الحديث.

قال الحافظ ابن رجب في (شرح الأربعين النووية): يعني أن علم الخلق في وقت الساعة سواء، قال: وهــذا إشــارة إلى أن اللّه تعالى استأثر بعلمها، ولهذا في حديث أبي هريـرة قال ﷺ: «**في خمس لا يعلمهن إلا اللّه ثم تــلا**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[٢] [لقمان: ٣٤]. **وقال سبحانه وتعالى**: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [**الأعراف**: ١٨٧]، **وقال**: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٢-٤٤]. إلى غير ذلك من الآيات».

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر مرفوعاً: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا اللّه ثم قرأ هذه الآية**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٣] الآية [لقمان: ٣٤]». وخرجه الإمام أحمد ولفظه أن النبي ﷺ قال: «**أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٤] [لقمان: ٣٤]». وخرج أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: «أوتي نبيكم مفاتيح كل شيء غير خمس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٥] الآية [لقمان: ٣٤].

فبما ذكرنا علم أن الساعة كبقية الخمس لم يطلع عليه أحد إلا اللّه سبحانه وتعالى ليس إلا، والذي حملنا على ذكر هذا هنا هو أنا اجتمعنا

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٨ واللفظ له والبخاري رقم ٤٧٧٧ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٤٧٧٧ ومسلم رقم ٩ .

(٣) أخرجه البخاري رقم ٤٧٧٨ .

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٨٥) رقم ٥٥٧٩ .

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٦) رقم ٣٦٥٩ .

ببعض من يظن به الفضل فزعم أن آحاد الأولياء فضلًا عن الأنبياء أطلعه اللَّه على علم الساعة كبقية الخمس، فعارضته بالآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة فكابر ولم يرعوي، ولا جرم أن في زعمه مصادمة للكتاب والسنة(١)، ولم نر أحداً ممن يعتمد على كلامه ذكر في شرح هذا الحديث ما ذكر هذا القائل بل ابن حجر الهيتمي نقل عبارة الحافظ ابن رجب ولم يذكر غيرها، ثم قال في آخرها: ففيه أنه ينبغي للمفتي والعالم وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، وأن ذلك لا ينقصه، بل يستدل به على ورعه وتقواه، وكذا ذكر تلميذ الطوفي في شرحه كهو، فلا أدري من أين

---

(١) في حاشية الأصل/ قوله: أن في زعمه مصادمة للكتاب والسنة إلخ أقول: لا مصادمة فيه ولا مكابرة تعتريه، والخلاف في أن اللَّه تعالى أعلم نبيه قبل موته بسائر المغيبات مشهور، والكلام في تحقيقه وترجيحه منشور ومنثور، ثم من المغيبات ما أظهره للعيان، ومنها ما أبقاه مخزوناً في خزائن الكتمان، وذكر ابن حجر في شرح الهمزية جملة مستكثرة من المغيبات التي أخبر بها، فإذا ثبت أن اللَّه تعالى أطلع نبيه عليها فلا مانع أن يطلع بعض خواصه أيضاً عليها كرامة، إذ ما ثبت أنه معجزة لنبي جاز وقوع مثله كرامة لولي، ولا بدع في ذلك، فإن كرامات الأولياء ثابتة وواقعة لا يحيط بها هر، قال ابن حجر في شرح الهمزية تحت قول الناظم:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ... ومنها لآدم الأسماء

وخص - أي الغيب - بالذكر على حد قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] لأن العلم به أفخم وأظهر، ولأن أكثر علوم نبينا ﷺ تتعلق بالمغيبات بدليل «فعلمت علم الأولين والآخرين» في الحديث المشهور، ولأنه تعالى اختص به لكن من حيث الإحاطة والشمول، ولعلمه بالكليات والجزئيات، فلا ينافي ذلك اطلاع اللَّه تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس التي قال فيهن ﷺ: «خمس لا يعلمهن إلا اللَّه» لأنها جزئيات معدودة لا غير، وإنكار المعتزلة لذلك مكابرة، فقد وقع للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مالا يمكن عده. انتهى.

وقال المناوي: وأما قوله: لا يعلمهن إلا اللَّه ففسر بأنه لا يعلمها أحد بذاته ومن ذاته إلا هو، لكن قد تعلمه بإعلام اللَّه، فإن ثمة من يعلمها، وقد وجدنا ذلك لغير واحد، كما رأينا جماعة علموا متى يموتون وعلموا ما في الأرحام حال حمل المرأة بل وقبله، انتهى.

وبذلك ينكشف النقاب عن وجه الحق والصواب واللَّه أعلم. كاتبه: محمد الباقاني

هذا القائل علم أن آحاد الأولياء علم ذلك؟ فليتنبه، والله الموفق.

والحاصل: أن النبي ﷺ ذكر في الحديث علامتين:

الأولى: أن تلد الأمة ربتها، أي سيدتها، وفي حديث أبي هريرة ربها، قال الحافظ ابن رجب: وهذا إشارة إلى فتح البلاد وكثرة جلب الرقيق حتى تكثر السراري وتكثر أولادهن فتكون الأمة رقيقة لسيدها، والأولاد منها بمنزلته، فإن ولد السيد بمنزلته، فيصير ولد الأمة بمنزلة ربها، ثم قال: وقد فسر قوله تلد الأمة ربتها، بأن يكثر جلب الرقيق حتى تجلب البنت فتعتق، ثم تجلب الأم فتشتريها البنت وتستخدمها جاهلة بأنها أمها، قال: وقد وقع هذا في الإسلام، وقيل معناه: أن الإماء يلدن الملوك، وقال وكيع: يلد العجم العرب، والعرب ملوك العجم وأرباب لهم، انتهى كلام الحافظ ابن رجب، زاد ابن حجر أو عقوق الأولاد لأمهاتهم فيعاملونهم معاملة السيد لأمته من الإهانة والسب، قال: ويستأنس له برواية: «**أن تلد المرأة**»[1] ولم يذكر ابن حجر قول وكيع، والله أعلم.

الثانية: قوله ﷺ: «**أن ترى الحفاة**» إلخ، المراد بالعالة الفقراء. وقوله: «**رعاء الشاة يتطاولون في البنيان**» قال الحافظ ابن رجب: هكذا في حديث عمر، والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم، وتكثر أموالهم حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته وإتقانه، وأطال الحافظ في شرح الحديث، والله الموفق.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم رقم ١٠ .

الباب الثالث

في علامات الساعة العظام والأمارات القريبة الجسام التي تعقبها الساعة وفيه اثنا عشر فصلًا

الفصل الأول

في المهدي وما يتعلق به

وفيه ثلاث مقامات:

المقام الأول: في اسمه ونسبه ومولده ومبايعته وهجرته وحليته وسيرته.

أما اسمه ففي أكثر الروايات أنه محمد، وفي بعضها: أنه أحمد، واسم أبيه عبد اللَّه، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**يواطئ -أي يوافق- اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي**»[١]. قال في (الإشاعة): وتعسف بعض الشيعة فقال: إن هذا تحريف والصواب أنه اسم ابني بالنون يعني الحسن، وأن المراد بأبيه جده الحسين، والمراد باسمه كنيته، فإن كنية الحسين أبو عبد اللَّه، فمعناه أن كنية جده الحسين يوافق اسم والد النبي ﷺ، وذلك لاعتقادهم أنه محمد بن الحسن العسكري، وهو باطل لهذه التعسفات والتكلفات، وأيضاً فإن محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عمه

(١) أخرجه ابن حبان (١٥/ ٢٣٦) رقم ٦٨٢٤ واللفظ له عن ابن مسعود والترمذي، (٤/ ٥٠٥) رقم ٢٢٣١ وليس فيه اسم أبيه اسم أبي وقال: هذا حديث حسن صحيح.
وأحمد (١/ ٣٧٦) رقم ٣٥٧١ .

جعفر ميراث أبيه الحسين، وأيضا فإن المهدي يبايع أربعين سنة أو أقل، وأيضاً فإن مولد المهدي بالمدينة بخلافه، وأيضاً ففي رواية ابن المنادي ما يرد كلامهم عن علي كرم اللَّه وجهه، فيجئ اللَّه بالمهدي محمد بن عبد اللَّه، انتهى ملخصاً.

قلت: ولا ريب في فساد ما قالوه وبطلان ما انتحلوه، وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد بن الحنفية، وأنه حي مقيم بجبل رضوى وأنه بين أسدين يحفظانه، وعنده ثم عينان نضاختان تجريان بماء وعسل، وأنه يعود بعد الغيبة، ويملأ الأرض عدلًا كما ملئت جوراً، وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان، وقيل إلى يزيد بن معاوية، وكان السيد الحميري على المذهب، وهو القائل:

ألا قل للوصي فدتك نفسي   أطلت بذلك الجبل المقاما

وهذا وشبهه من خرافات أهل الرفض والبدع، وإذا تأملت مقالات أهل الزيغ ألفيتها على هذا النمط، يضحك منها العاقل ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] واللَّه أعلم.

وأما لقبه: فالجابر؛ لأنه يجبر قلوب أمة محمد ﷺ، ولأنه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم .

وكنيته: أبو عبد اللَّه .

وأما نسبه: فإنه من أهل بيت رسول اللَّه ﷺ، ثم إن الروايات الكثيرة والأخبار الغزيرة ناطقة أنه من ولد فاطمة البتول عليها السلام، وجاء في بعضها أنه من ولد العباس، والأول أصح، قال ابن حجر في كتابه «القول المختصر» وأما ما روي أن «المهدي من ولد العباس

عمى»[١] فقال الدارقطني: حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم قال: ولا ينافيه خبر الرافعي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «**ألا أبشرك يا عم أن من ذريتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء، ومنك المهدي في آخر الزمان، به ينشر اللّه الهدي ويطفئ نيران الضلالة، إن اللّه فتح بنا هذا الأمر وبذريتك يختم**»[٢] وخبر هشيم بن كلب وابن عساكر عن ابن عباس ورجاله ثقات «**اللّهم انصر العباس وولد العباس ثلاثاً، يا عم أما علمت أن المهدي من ولدك موفقاً راضياً**»[٣] وخبر أبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة «ألا بشر يا أبا الفضل أن اللّه عز وجل افتتح بي هذا الأمر وبذريتك يختم»[٤] وخبر الديلمي عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن تزال الخلافة في ولد عمي وصنو أبي حتى يسلموها إلى الدجال**»[٥] وخبر الخطيب عن ابن عباس عن أمه أم الفضل «يا عباس أنت عمي وصنو أبي وخير من أخلف بعدي من أهلي، إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي»[٦] وخبر الخطيب وابن عساكر عن علي

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٣/ ٤١٤) وذكره المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٧٨) رقم ٩٢٤٢ وقال تبعاً لابن الجوزي: فيه محمد المقري قال ابن عدي: يضع الحديث ويصله ويسرق ويقلب الأسانيد والمتون، وقال ابن أبي معشر: هو كذاب.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية مختصراً (١/ ٣١٥) وقال: تفرد به لاهز بن جعفر وهو حديث عزيز وذكره المناوي في تعليقه على الحديث السابق، والهندي في كنز العمال (١١/ ٧٠٤) رقم ٣٣٤٢٠ .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٩٩)، وذكره الهندي في كنز العمال (١١/ ٧٠٥) رقم ٣٣٤٣١ وعزاه لابن عساكر والهيثم بن كليب عن العباس وسنده رجاله ثقات.

(٤) انظر تخريج الحديث السابق.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ٤٢٠) رقم ١٠١٥٦ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٩) رقم ٨٩٥٤ وقال: رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم.

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ٦٣) والطبراني في الأوسط (٩/ ١٠١) رقم ٩٢٥٠ ، وذكره الهندي في كنز العمال (١١/ ٧٠٨) رقم ٣٣٤٥٢ ، والزيلعي في نصب الراية (١/ ٣٣٥) ، وحكم عليه بالوضع.

كرم الله وجهه «يا عم ألا أخبرك أن اللّه تعالى افتتح هذا الأمر بي ويختمه بولدك»[١] وهذه كلها لا تنافي أنه من ذريته ﷺ من ولد الزهراء، لأن أحاديثه أكثر وأصح، بل قال بعض الأئمة الحفاظ، أنه كونه من ذريته ﷺ قد تواترت عنه ذلك، قال ابن حجر: ويمكن الجمع بأنه لا مانع من أن يكون من ذريته ﷺ وللعباس فيه ولادة من جهة أن في أمه عباسية، انتهى، والحاصل أن للحسن فيه الولادة العظمى، لأن أحاديث كونه من ذريته أكثر، وللحسين فيه ولادة أيضاً، وللعباس فيه ولادة أيضاً، ولا مانع من اجتماع ولادات متعددات في شخص واحد من جهة مختلفة، انتهى.

ومولد المهدي: المدينة رواه أبو نعيم عن علي كرم اللّه وجهه، وفي مرفوع عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند أبي نعيم وأبي بكر بن المقرئ في معجمه «**يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة**»[٢].

وأما مبايعته فإنه يبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء، كما يأتي إن شاء اللّه تعالى.

وأما مهاجرته فإنه يهاجر إلى بيت المقدس، وأن المدينة تخرب بعد هجرته وتصير مأوى للوحوش، فقد ورد عن عمر «عمران بيت المقدس خراب يثرب»[٣].

وأما حليته فإنه آدم، أي أسمر، ضرب من الرجال - أي خفيف

---

(١) سبق قبل ثلاثة أحاديث.

(٢) ذكره ابن حجر في القول المختصر (١٥).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٢) رقم ٢٢٠٧٦، وأبو داود (٢/ ٥١٣) رقم ٤٢٩٤، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٨) رقم ٢١٤، والحاكم (٤/ ٤٦٧) رقم ٨٢٩٧ موقوفاً على معاذ وقال: هذا الحديث وإن كان موقوفاً فإن إسناده صحيح على شرط الرجال ووافقه الذهبي.

اللحم - ممشوق مستدق ربعة أي لا بالطويل ولا بالقصير، أجلى الجبهة - أي خفيف شعر النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته - أقنى الأنف - أي طويله مع دقة أرنبته - أشم - أي رفيع العرنين -، أزج، أي: حاجبيه فيه تقويس مع طول في طرفه وامتداده، أبلج، أعين، أكحل العينين، والأعين: واسع العين، والكحل بفتحتين سواد في أجفان العين خلقه من غير اكتحال، براق الثنايا: أي لثناياه بريق، أفرقهما - أي ليست متلاصقة في خده الأيمن خال أسود يضيء وجهه كأنه كوكب دري، كث اللحية، في كفه علامة، أزيل الفخذين أي منفرج الفخذين متباعدهما، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، في لسانه ثقل، وإذا أبطأ عليه ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى، ابن أربعين سنة، وفي رواية ما بين ثلاثين إلى أربعين، خاشع للّه خشوع النسر بجناحيه، عليه عباءتان قطوانيتان:

قال في النهاية: هي عباءة بيضاء قصيرة المخمل والنون زائدة.

وأما سيرته: فإنه يعمل بسنة النبي ﷺ، لا يوقظ نائماً، ويقاتل على السنة، لا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، يقوم بالدين آخر الزمان، كما قام به النبي ﷺ أوله، يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويرد إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلًا كما ملئت جوراً وظلماً، ويحثو المال حثواً ولا يعده عدا، يقسم المال صحاحاً بالسوية، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر، يملأ قلوب أمة محمد ﷺ غنى حتى أنه يأمر مناديا ينادي: ألا من له حاجة في المال، فلا يأتيه إلا رجل واحد، فيقول: أنا، فيقول: ائت السادن - أي الخازن - فقل له: المهدي يأمرك أن تعطيني مالًا، فيقول له: احث، حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم، فيقول: كنت أجشع - أي أحرص - أمة

محمد ﷺ، أعجز عني ما وسعهم؟ قال: فيرده فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه، تنعم الأمة برها وفاجرها في زمانه نعمة لم يسمعوا مثلها قط، وترسل السماء عليهم مدراراً لا تدخر شيئاً من قطرها، وتؤتي الأرض أكلها لا تدخر عنهم شيئاً من بذرها، تجري على يديه الملاحم، يستخرج الكنوز ويفتح المدائن ما بين الخافقين، يؤتى إليه ملوك الهند مغللين، وتجعل خزانتهم لبيت المقدس حلياً، يأوي إليه الناس كما يأوي النحل إلى عسوبها، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول، يمده اللّه بثلاثة آلاف من الملائكة، يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم، جبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته، ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد، وتلعب الصبيان والحيات والعقارب لا تضرهم شيئاً، ويزرع الإنسان مداً يخرج له سبعمائة مد، ويرفع الربا والزنا وشرب الخمر، وتطول الأعمار، وتؤدى الأمانة، وتهلك الأشرار، ولا يبقى من يبغض آل محمد ﷺ، محبوب - أي المهدي - في الخلائق، يطفئ اللّه به الفتنة العمياء، وتأمن الأرض حتى أن المرأة تحج في خمس نسوة ما معهن رجل، ولا يخفن شيئاً إلا اللّه، مكتوب في شعائر الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب[(١)].

قال ابن حجر في «القول المختصر» ولا ينافي هذا أن عيسى يفعل بعض ما ذكر من قتل الخنزير وكسر الصليب، إذ لا مانع أن كلا منهما يفعله، أي فإنا لم نقل أن سيدنا المهدي يستأصل الخنازير والصليب، واللّه أعلم.

المقام الثاني في علاماته التي يعرف بها، والأمارات الدالة على خروجه.

أما العلامات فمنها: أن معه قميص رسول اللّه ﷺ وسيفه ورايته من مرط

---

(١) هذه وما بعدها تفاصيل كثيرة ومعظمها لا تستند إلى نص، وهي من السمعيات التي لا تتلقى إلا من الدليل، وحيث لا دليل فلا يجوز اعتقادها أو روايتها لجمهور المسلمين وعامتهم.

مخملة معلمة سوداء، فيها حجر لم تنشر منذ توفي النبي ﷺ، ولا تنشر حتى يخرج المهدي، مكتوب على رأسه - البيعة للّه - كذا في (الإشاعة).

ومنها: أن على رأسه عمامة فيها مناد ينادي: هذا هو المهدي خليفة اللّه فاتبعوه، قاله ابن حجر.

ومنها: أنه يغرس قضيباً يابساً في أرض يابسة فيخضر ويورق.

ومنها: أنه يطلب منه آية فيومي بيده إلى طير في الهواء فيسقط على يده.

ومنها: أنه ينادي مناد من السماء: أيها الناس إن اللّه قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم، وولاكم خير أمة محمد ﷺ، فألحقوه بمكة، فإنه المهدي، واسمه أحمد بن عبد اللّه، وفي رواية: ولّاكم الجابر، خير أمة محمد ألحقوه بمكة، فإنه المهدي، واسمه محمد بن عبد اللّه.

ومنها: أن الأرض تخرج أفلاذ كبدها مثل الاسطوانات من الذهب، وأنه يخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل اللّه. رواه أبو نعيم عن علي كرم اللّه وجهه.

ومنها: أنه يستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية، أو من بحيرة طبرية، فيخرج حتى يحمل، فيوضع بين يديه ببيت المقدس، فإذا نظر إليه يهود أسلموا إلا قليلًا منهم، وتأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون إليه البيعة.

ومنها: أن يجتمع بسيدنا عيسى، ويصلى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام خلفه.

فائدة: ورد أن أسعد الناس به أهل الكوفة(١)، واللّه أعلم.

---

(١) في المصنف لابن أبي شيبة (٦/ ٤٠٨) رقم ٣٢٤٥٤ موقوفا على ابن عمر.

ومن الأمارات الدالة على خروجه: أنه تنشف الفرات فيحسر عن جبل من ذهب[١]، وأنه ينكسف القمر أول ليلة رمضان، والشمس ليلة النصف.

قلت: ونظر في هذا العلامة في (بهجته) حيث قال بعد ذكره على ما فيه أي من النظر، والله أعلم.

قال في «البهجة» فأول علامات المهدي كسوف الشمس والقمر، ونجم الذنب، والظلمة، وتحارب القبائل بذي القعدة، وسماع الصوت برهان.

وذكروا لخروج المهدي آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض، فذكر ما ذكرناه من كسوف الشمس والقمر، قال: وقال شريك: كما في أبي نعيم في الفتن: بلغني أن القمر قبل خروجه ينكسف مرتين برمضان، قال: وورد عن كعب يطلع نجم بالمشرق وله ذنب يضيء، وفيه عن أبي جعفر لا يخرج حتى تزول الظلمة، وفي الديلمي مرفوعاً: «**تكون هدة في رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان - ومن وجه آخر - يكون صوت في رمضان في نصف الشهر، يصعق منه سبعون ألفاً، ويعمي مثلها، ويخرس مثلها، ويصم مثلها، وينفتق من الأبكار مثلها**»[٢].

---

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً» البخاري رقم ٧١١٩، ومسلم رقم ٢٨٩٤.

(٢) في حاشية الأصل/ وجه النظر بُعْد كسوف القمر في أول ليلة الشهر، لأن العادة عدمه، ولا يبعد خرق العوائد.

(٣) أخرج الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٣) رقم ٨٥٨٠ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تكون هدة في شهر رمضان، توقظ النائم، وتفزع اليقظان، ثم تظهر عصابة في شوال، ثم معمعة في ذي الحجة، ثم تنتهك المحارم في المحرم، ثم يكون موت في صفر، ثم تتنازع القبائل في الربيع، ثم العجب كل العجب بين جمادى ورجب، ثم ناقة مقتبة خير من دسكرة تقل مائة ألف»، وقال: قد احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم غير مسلمة بن علي الحسني، وهو حديث غريب المتن، ومسلمة أيضاً ممن لا تقوم الحجة به. وتعقبه الذهبي فقال: ذا موضوع.

ومن علامات خروج المهدي أيضاً: خسف قرية ببلاد الشام يقال لها: حرستا كما في (الإشاعة) وغيرها.

ومنها: ما ذكره في (الإشاعة) أن ينادي مناد من السماء: ألا إن الحق في آل محمد، وينادي مناد من الأرض ألا إن الحق في آل عيسى، أو آل العباس وأن النداء الأول من الملائكة، والثاني نداء الشيطان.

المقام الثالث: في الفتن الواقعة قبل خروجه.

منها: أنه يحسر الفرات عن جبل من ذهب كما تقدم فإذا سمع به الناس ساروا إليه، واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة، يقتتلون عنده ثم لا يصير إلى واحد منهم، فيقول من عنده: واللَّه لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن بكله، فيقتتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون[(١)]، وفي رواية «فيقتل تسعة أعشارهم»[(٢)] وفي رواية «كل تسعة سبعة[(٣)]، فيقول كل رجل: لعلى أكون أنا أنجو»[(٤)] وقد قال ﷺ: «**من حضر فلا يأخذ منه شيئاً**»[(٥)].

ومنها: خروج السفياني والأبقع والأصهب والأعرج والكندي.

أمر السفياني:

أما السفياني: فعن أمير المؤمنين علي - كرم اللَّه وجهه - أنه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، ويزيد هو أخو معاوية بن أبي سفيان ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٨٩٤ عن أبي هريرة.
(٢) في المسند لأحمد (٢/ ٢٦١) رقم ٧٥٤٥ عن أبي هريرة (يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة) وروى نحوه مسلم رقم ٢٨٩٤ .
(٣) كما في الفتن لنعيم بن حماد موقوفاً على أبي هريرة (١/ ٢٣٩) رقم ٦٧٦.
(٤) مسلم نفس الحديث السابق.
(٥) رواه البخاري رقم ٧١١٩، ومسلم رقم ٢٨٩٤ .

وهو ممن أسلم يوم الفتح، ومات يزيد أخو معاوية في خلافة الصديق رضي الله عنه، والسفياني رجل ضخم الهامة بوجهه آثار الجدري، وبعينه نكتة بيضاء - هكذا ورد في حليته عن علي كرم الله وجهه، وأنه يخرج من ناحية مدينة دمشق في واد يقال له وادي اليابس، يؤتى في منامه، فيقال له: قم فاخرج، فيقوم فلا يجد أحداً، ثم يؤتي الثانية ثم الثالثة، ويقال له فيها فانظر إلى باب دارك، فينحدر في الثالثة إلى باب داره فإذا هو بسبعة أنفار أو تسعة، معهم لواء فيقولون: نحن أصحابك، ومع كل رجل منهم لواء معقود يعرفون في لوائه النصر يستفرش يديه على ثلاثين ميلا، لا يرى ذلك العلم - يعني اللواء - أحد إلا انهزم، فيخرج فيهم ويتبعهم ناس من قريات الوادي، وبيد السفياني ثلاث قصبات لا يقرع بها أحداً إلا مات، فيسمع به الناس، فيخرج صاحب دمشق ليقاتله فإذا نظر إلى رايته انهزم، فيدخل السفياني في ثلاثمائة وستين راكباً دمشق، وما يمضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفاً من كلب وهم أخواله.

وعلامة[١] خروجه خسف بقرية من قرى دمشق - أي وهي حرستا ويسقط الجانب الغربي من مسجدها، ثم يخرج الأبقع والأصهب، فيخرج السفياني من الشام، والأبقع من مصر، والأصهب من الجزيرة - أي من جزيرة العرب لا جزيرة ابن عمر، فإنها داخلة في جزيرة العرب - ويخرج الأعرج الكندي بالمغرب، ويدوم القتال بينهم سنة، ثم يغلب السفياني على الأبقع والأصهب، ويسير صاحب الغرب، فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة في قيس إلى السفياني، فيظهر السفياني على قيس ويحوز ما جمعوا من الأموال، ويظهر على الرايات الثلاث، ثم يقاتل الترك

(١) في حاشية الأصل/ قف على علامة خروج السفياني.

فيظهر عليهم، ويفسد في الأرض، فيبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، ويهرب رجال من قريش إلى قسطنطينية، فيبعث إلى عظيم الروم أن يبعث بهم في المجامع، فيبعث بهم إليه فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق، ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم، فيرجع إليهم ويقتل طائفة منهم فينهزمون حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفياني في طلبهم كالليل والسيل، فلا تمر بشيء إلا أهلكته وهدمته، فيهدم الحصون، ويخرب القلاع، حتى يدخل الزوراء وهي بغداد، فيقتل من أهلها مائة ألف، ثم يسير إلى الكوفة فيقتل من أهلها ستين ألفاً، ويسبي النساء والذراري، ويبث جنوده في البلاد تبلغ عامة المشرق من أرض خراسان، ويطلبون أهل خراسان في كل وجه، فيبعث بعثاً إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد ﷺ، ويقتلون من بني هاشم رجالًا ونساء، ويؤتى بجماعة منهم إلى الكوفة، ويفترق بقيتهم في البراري، فعند ذلك يهرب المهدي والمبيض، وفي لفظ والمنصور في سبعة إلى مكة، ويستخفون، فيرسل صاحب المدينة إلى صاحب مكة: إذا قدم عليكم فلان وفلان، ويكتب أسماءهم فاقتلوهم، فيعظم ذلك على صاحب مكة، ثم يتآمرون بينهم فيأتونه ليلًا فيستجيرون به، فيقول: اخرجوا آمنين، فيخرجون، ثم يبعث إلى رجلين منهم فيقتل أحدهما والآخر ينظر إليه، ويقتلون النفس الزكية بين الركن والمقام، فعند ذلك يغضب اللّه ويغضب أهل السموات، ثم يرجع الآخر إلى أصحابه فيخبرهم فيخرجون حتى ينزلوا جبال الطائف، فيقيمون فيه، ويبعثون إلى الناس فينساب إليهم ناس، فإذا كان كذلك غزاهم أهل مكة فيهزمون أهل مكة ويدخلونهم مكة، ويقتلون أميرهم، ويكون بمكة إلى خروج المهدي.

وقد قال أبو عبد اللّه الحسين بن علي رضي الله عنهما: لصاحب هذا الأمر غيبتان

- يعني المهدي - إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم ذهب، ولا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره.

قال في (الإشاعة): وهاتان الغيبتان واللَّه أعلم ما ذكرنا آنفاً أنه يختفي بجبال الطائف ثم ينساب إليه الناس ويظهرمعهم ويهزم أهل مكة، ثم إنه يختفي بجبال مكة ولا يطلع عليه أحد، ويؤيده ما روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر: أنه يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الأشعاب، وأومأ بيده إلى ناحية ذي طوى.

وأما زعم الرافضة أنه محمد بن الحسن العسكري، وأنه غاب ثم ظهر لبعض خواص شيعته، ثم غاب ثانياً وأنه يراه خواص شيعته، فهو ضرب من الهذيان، وقد علمت ما ذكرنا عن الحسين أنه لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره، وهذا ينافي زعمهم أنه يعرفه خواص شيعته، ولا ريب في بطلان كلامهم، فلا نطيل بالرد عليه، واللَّه الموفق.

ويحج الناس في تلك السنة من غير أمير، فيطوفون جميعاً فإذا نزلوا منى أخذ الناس كالكلب، فيثور القبائل بعضهم على بعض فيقتتلون، وينهب الحاج وتسيل الدماء على جمرة العقبة، ويأتي سبعة رجال علماء من أفق شتى على غير ميعاد، قد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر، فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض: ما جاء بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه الفتن، وتفتح له قسطنطينية، قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه.

قال في (الإشاعة): لم أقف على اسم أم المهدي بعد الفحص والتتبع، ولعلهم يعرفون اسمها من طريق الكشف لا من طريق النقل. انتهى.

فيقف السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة، فيقولون: أنت فلان؟ فيقول: بل أنا رجل من الأنصار، فينفلت منهم، فيصفونه لأهل الخبرة منهم والمعرفة به، فيقولون هو صاحبكم الذي تطلبونه، وقد لحق بالمدينة، فيطلبونه بالمدينة، فيخالفهم إلى مكة، وهكذا إلى ثلاث مرات، ويسمع صاحب المدينة بطلب الناس للمهدي، فيجهز جيشاً في طلب الهاشميين بمكة، ويأتي أولئك السبعة فيصيبونه في الثالثة بمكة عند الركن، ويقولون: إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك، وهذا عسكر السفياني قد توجه في طلبنا، عليهم رجل من حزم، ويهددونه بالقتل إن لم يفعل، فيجلس بين الركن والمقام، ويمد يديه فيبايع، فيظهر عند صلاة العشاء معه راية رسول اللّه ﷺ وقميصه وسيفه، فإذا صلى العشاء أتى المقام فصلى ركعتين وصعد المنبر، ونادى بأعلى صوته: أذكركم اللّه أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم، ويخطب خطبة طويلة يرغبهم فيها في إحياء السنن وإماتة البدع، يقول فيها: أذكركم اللّه أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم، فقد أنجز الحجة وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله، وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات القرآن، وتكونوا أعواناً في الهدي، ووزراء على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وإني أدعوكم إلى اللّه ورسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء السنة، فيظهر في ثلثمائة وثلاثة عشر رجلًا عدد أهل بدر، وعدد أصحاب طالوت حين جاوزوا معه النهر.

فائدة: ما اجتمع هذا العدد إلا وانتصر، واللّه أعلم[١].

معهم أبدال الشام، وعصائب أهل العراق، ونجائب نجباء مصر،

---

(١) معظم هذه الأمور كسابقتها لا دليل عليها.

على غير ميعاد، فزعاً كفزع الخريف، رهبان بالليل، أسد بالنهار، ويأيتهم جيش صاحب المدينة فيقاتلونهم فينهزمون ويتبعونهم حتى يدخلوهم المدينة، ويستنقذونها من أيديهم.

قال في (الإشاعة): ولا يشكل إتيانهم المدينة مرتين أو ثلاثة مع وقوع البيعة ليلة عاشوراء، وأن المدة بعد قضاء المناسك إلى ليلة عاشوراء قريب من عشرين يوماً أو خمس وعشرين يوماً، ومسافة ما بين الحرمين عشر مراحل وأكثر بالسير المعتاد، مع ما يتخلل ذلك من طلبهم له في كل مرة، إذ يمكن الإتيان على الركبان في خمسة أيام، فيمكن تكرره في خمسة وعشرين على أنهم كلهم أولياء، فيمكن أن تطوي لهم الأرض أويكونوا من أصحاب الخطوة[1]، واللّٰه أعلم، انتهى.

قلت: قد رأينا من آحاد الناس من قطع مسافة خمس مراحل في يوم واحد، ورأينا من سافر من قصبة نابلس إلى المسجد الأقصى ورجع بيومه قبل صلاة العصر، وذلك في مشهد من الناس، فلا عجب في قطع مثل هؤلاء السادة مثل هذه المسافة في نحو يوم أو يومين، على أنه قد روي أن الإمام أحمد بن حنبل ﵁ قطع من الكوفة إلى مكة في ثلاثة أيام، ولذلك قصة مشهورة ذكرها ابن الجوزي في (المناقب)، وكذا البيهقي وغيرهما، واللّٰه يختص برحمته من يشاء سبحانه، واللّٰه أعلم.

ويبلغ السفياني الخبر، فيبعث إليهم بعثاً من الكوفة، فيأتون المدينة فيستبيحونها ثلاثة أيام، ويقتلون قتل الحرة عنده كضربة سوط، ويقصدون المهدي، فإذا خرجوا من المدينة وكانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، ولم ينج منهم إلا رجلان، نذير للسفياني، وبشير للمهدي، فلما

(١) هذا كلام لا يستبعد وخصوصاً في هذا العصر الذي تقدمت فيه وسائل النقل والاتصال، مع الحذر من كثيرين ممن يدَّعون أو يُدَّعى لهم أنهم من أصحاب الخطوة.

يسمع المهدي بذلك يقول: هذا أوان الخروج، فيمر على المدينة فيستنقذ من كان أسيراً من بني هاشم، وتنفتح له أرض الحجاز كلها، قال في «التذكرة» روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب» فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فوره ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة، فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة - يعني بغداد - قال فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويفتضون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة من ولد بني العباس، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة، فيلحق ذلك الجيش منها على ليلتين، فيقتلونهم ثم لا يفلت منهم أحد، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، قال ويحل جيشه الثاني بالمدينة، فينتهبون ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول: يا جبريل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١] فلم يبق منهم إلا رجلان، أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، ولذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين(١).

قال القرطبي: وحديث حذيفة هذا فيه طول، وكذلك حديث ابن مسعود، وفيه - يعني خبر ابن مسعود - إن عروة بن محمد السفياني(٢)،

---

(١) هذا السياق رواه ابن جرير في التفسير (١٠/ ٣٨٦) في تفسير الآية المذكورة، وأشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره (٣/ ٧١٨) قائلًا: «وحكى ابن جرير عن بعضهم قال: إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس رضي الله عنهم، ثم أورد في ذلك حديثاً موضوعاً بالكلية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب منه».

(٢) في حاشية الأصل/ قف على اسم السفياني واسم أبيه.

وكنيته أبو عتبة، يبعث جيشاً إلى الكوفة، خمسة عشر ألف فارس، ويبعث جيشاً آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة لمحاربة المهدي ومن تبعه، وذكر نحواً من خبر حذيفة، وفيه أن الذي يستنقذ ما أخذه الجيش يقال له شعيب بن صالح، وفيه: فإذا وصلوا إلى البيداء مسخهم اللَّه أجمعين، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ الآية.

قلت: والجمع ممكن بأن يمسخوا ثم يخسف بهم، واللَّه أعلم. وأخرج مسلم عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد سئلت عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في أيام ابن الزبير فقالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يعوذ بالبيت عائذ فيبعث اللَّه إليه بعثاً، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم، فقلت: يا رسول اللَّه وكيف بمن كان كارهاً؟ قال: يخسف بهم معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته»**[1].

وقال أبو جعفر: هي ببيداء فقال له عبد العزيز بن رفيع: إنما قالت ببيداء من الأرض، قال: كلا واللَّه إنها لبيداء المدينة.

قلت: ظاهر كلام أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها حملت المستعيذ بالبيت على ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والصحيح أنه المهدي وإن شاركه ابن الزبير في استعاذته بالبيت، لكنه لم يخسف بالجيش الذي مشى عليه، واللَّه الموفق.

ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له: الحارث حراث، على مقدمته رجل يقال له المنصور، يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لمحمد ﷺ، واجب على كل مؤمن نصره، وهذا الرجل يحتمل أن يكون هو الهاشمي الآتي ذكره، ويلقب بالحارث كما يلقب المهدي بالجابر، ويحتمل أن

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٨٢ .

يكون غيره، ويثور أهل خراسان بعسكر السفياني، ويكون بينهم وقعات وقعة بتونس، ووقعة بدولاب، ووقعة بتجزم الزنيخ، فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلًا من بني هاشم بكفه اليمين خال، سهل اللّه أمره وطريقه[١]، هو أخو المهدي من أبيه أوابن عمه، وهو حينئذ بآخر المشرق بأهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار، وهذه غير رايات بني العباس، على مقدمته ورجل من بني تميم الموالي ربعة أصفر قليل اللحية، كوسج، واسمه شعيب بن صالح التميمي، يخرج إليه في خمسة ألاف، فإذا بلغه خروجه صيره على مقدمته، لو استقبلته الجبال الرواسي لهدها، يمهد الأرض للمهدي كما مهدت قريش للنبي ﷺ.

وعنه ﷺ **«إذا سمعتم برايات سود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، قال علي كرم اللّه وجهه فإن فيها خليفة اللّه المهدي»**[٢] أي نفره، وإلا فهو حينئذ بمكة، فيلتقي هو - أي الهاشمي وخيل السفياني - فيقتل منهم مقتلة عظيمة ببيضاء اصطخر حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرساغها، ثم تأتيه جنود من قبل سجستان عليهم رجل من بني عدي، فيظهر اللّه أنصاره وجنوده، وظاهر السياق أن الجنود جاءت لنصر

---

(١) في حاشية الأصل/ كذا وفيه وقفة لا تخفى.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧) رقم ٢٢٤٤١ بلفظ: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي».

والحاكم (٤/ ٥١٠) رقم ٨٤٣٢ باختلاف في بعض الألفاظ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وفي (٤/ ٥٤٧) رقم ٨٥٣١ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه عن ثوبان.

وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٤١١) رقم ١٦٤، ونقل عن ابن الجوزي قوله: إنه لا أصل له، وذكره في الموضوعات، ودافع عنه ابن حجر في القول المسدد (٤٢) فقال: وفي طريق ثوبان علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف، ولم يقل أحد إنه كان يتعمد الكذب حتى يحكم على حديثه بالوضع إذا انفرد.

الهاشمي، ويحتمل على بعد أن تكون جاءت لمحاربته فينصره اللَّه عليهم، ثم تكون وقعة بالمدائن بعد وقعة ري، وفي عاقر قوفا[1] وقعة صلبه يخبر عنها كل ناج، وتقبل الرايات السود حتى تنزل الماء، كذا في الخبر.

قال في (الإشاعة): ولعله ماء دجلة، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم هناك، فيهربون ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ثم يخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب، ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم بعض أهل البصرة قد تركوا السفياني، فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود يبعثهم إلى المهدي، ويقبل المهدي من الجهاز والسفياني من الكوفة بعد أن يبلغه خبر خسف جيشه، ولا يهوله ذلك إلى الشام - متعلق بيقبل - كأنهما يعني المهدي والسفياني فرسا رهان، فيسبقه الصخري فيقطع بعثاً آخر من الشام إلى المهدي، فيدركون المهدي بأرض الحجاز فيبايعونه بيعة المهدي ويقبلون معه إلى الشام.

تنبيه: جاء في بعض الروايات أن الجيش الذي يخسف به يبعث من الشام، وفي بعضها من العراق، قال ابن حجر كغيره: ولا منافاة، لأن البعث من العراق، لكنهم لما كانوا من أهل الشام نسبوا إليها في الرواية الأخرى، وفي رواية أن المهدي يقاتل هذا الجيش الثاني، عدد أهل بدر أصحاب المهدي يومئذ فَيُسْمَع صوت من السماء ألا إن أولياء اللَّه فلان يعني المهدي، فتكون الدبرة على أصحاب السفياني، فيقتلون لا يبقى منهم إلا الشريد، فيهربون إلى السفياني فيخبرونه.

---

(١) عقرقوف بفتح العين وسكون القاف وفتح الراء وضم القاف الثانية وسكون الواو وفاء: قرية من نواحي نهر عيسى ببغداد إلى جانبها تل عظيم يظهر للرائين من مسيرة يوم/ معجم البلدان (٢/ ٤٢).

ويمكن الجمع كما في «الإشاعة»: بأن بعضهم يبايعه وبعضهم يقاتله فيهربون، وأن الذين يقاتلون هم الذين يبعثهم صاحب المدينة الأمير من قبل السفياني إلى مكة كما مرت الإشارة إليه، ويؤيده أنه يقاتلهم في عدد أهل بدر، أجنتهم يومئذ البراذع، فإن هذه الصفات تناسب حالهم عند ابتداء البيعة، ثم إن السفياني يفسد في الأرض، ويظهر الكفر، حتى إنه يطاف بالمرأة وتجامع نهاراً في مسجد دمشق على مجلس شرب، حتى تأتي فخذ السفياني فتجلس عليه وهو في المحراب قاعد، فيقوم رجل مسلم من المسلمين فيقول: ويحكم أكفرتم بعد إيمانكم؟ إن هذا لا يحل، فيقوم إليه فيضرب عنقه في المسجد، ويقتل كل من شايعه، فعند ذلك ينادي مناد من السماء: أيها الناس إن اللّه قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم، وولاكم خير أمة محمد ﷺ - يعني يومئذ - فالحقوا به بمكة فإنه المهدي، واسمه أحمد بن عبد اللّه، ويسير المهدي بالجيوش حتى يصير بوادي القرى - وهو من المدينة على مرحلتين إلى جهة الشام - في هدوء ورفق، يلحقهم هناك ابن عمه الحسنى في اثني عشر ألفاً، فيقول له: يا ابن العم أنا أحق منك بهذا الجيش، أنا ابن الحسن وأنا المهدي، فيقول له: بل أنا المهدي، فيقول الحسني: هل من آية فأبايعك؟ فيومئ المهدي إلى الطير فيسقط على يده، ويغرس قضيباً يابساً في بقعة الأرض فيخضر ويورق، فيقول الحسني: يا ابن عمي هي لك، وهذا دليل واضح على أن المهدي من أولاد الحسين رضي الله عنه، وإنما قال الحسنى أنا أحق بهذا منك، لأنه ظن أن الحسن لكونه صار خليفة - كما مر - تكون الخلافة في نسله بخلاف الحسين، على أن بعض الناس قد بايع سيدنا الحسين، وأيضاً فإن الحسن قد نزل عن الخلافة ففوت حقه، بخلاف الحسين فإنه ما نال ما أراد، فحقه باق، فأعطاه اللّه الخلافة في أولاده.

فإن قيل هذا الحسني إن كان هو الذي قدم بالرايات السود، فقد مر أنه بعث بالبيعة من الكوفة، وأنه لا يقدم الحجاز وإنما يلقاه ببيت المقدس؟ وإن كان غيره فكيف ينازعه بعد أن بايعه أهل الحجاز كلها وأهل المشرق والعراق؟ والجواب كما في (الإشاعة): أنه إن قلنا أن القادم بالرايات أخوه كما في بعض الروايات فهذا غيره قطعاً، وحينئذ فوجه دعواه أن البيعة للمهدي إنما هي للمتصف بهذا الوصف لا الشخص بعينه، فيدعي أن البيعة له لأنه المهدي، فلما ظهر له أنه هو غير المهدي، وإنما المهدي هو ذاك بايعه، وإن قلنا أنه ابن عمه، فإن كان غير هذا الحسنى فالجواب ما مر، وإن كان هوفمعنى ملاقاته أنه يرسل إليه جماعة اثني عشر ألفاً أمداداً واحتياطاً، أن لا يكون هو المهدي فينازعونه على الخلافة، ويؤمر عليهم واحداً ويأمره بأن يمتحنه ويوكله في البيعة على التردد، فلما بايعوه صح أن يقال بعث له بالبيعة، وأن يقال لقيه مجازاً، كذا قاله، والله أعلم، فيبقى المهدي حتى إذا وصل - انتهى - إلى حد الشام الذي بين الشام والحجاز، أقام بها، فيقال له: انفذ، فيكره المجاوزة ويقول: أنا أكتب إلى ابن عمي - يعني الصخري - فإن خلع طاعتي فأنا صاحبكم، فإذا أتاه كتاب المهدي قال أصحابه: إن هذا المهدي قد ظهر، لتبايعنه أو لنقتلنك، فيبايعه ويسير إليه حتى ينزل بيت المقدس، فلا يترك المهدي بيد رجل من أهل الشام فتراً من الأرض إلا رده لأهل الذمة ورد المسلمين جميعاً إلى الجهاد، ثم يخرج رجل من كلب يقال له كنانة[1]، بعينه كوكب، في رهط من قومه، حتى يأتي الصخري فيقول: بايعناك ونصرناك، حتى إذا ملكت بايعت هذا الرجل؟ ويعيرونه، فيقولون: كساك الله قميصاً فخلعته، فيقول: ما ترون؟ أنقض العهد؟ فيقولون: نعم، ما يبقى عامرية أمها أكبر منك إلا لحقتك لا

(١) في حاشية الأصل/ قف على أمر كنانة.

يتخلف عنك ذات خف ولا ظلف، فيرحل وترحل معه عامر بأسرها، فيوجه إليهم المهدي راية، وأعظم راية في زمانه مائة رجل، فتصف كلب خيلها ورجلها وإبلها وغنمها، فإذا تسامت الخيلان ولّت كلب أدبارها، فيقتلونهم ويسبونهم، حتى تباع العذراء منهم بثمانية دراهم، ويؤخذ الصخري فيؤتى به أسيراً إلى المهدي، فيذبح على الصخرة المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي ببطن الوادي، على درج طور زيتاً المقنطرة التي على الوادي كما تذبح الشاة، وقد قال ﷺ : «**الخائب من خاب يومئذ من غنيمة كلب ولو بعقال، قيل: يا رسول اللّه كيف يغتنمون أموالهم ويسبون ذراريهم وهم مسلمون؟ قال** ﷺ : **يكفرون باستحلالهم الخمر والزنا**»[١] ويأتي الهاشمي بالرايات السود وسيفه على عاتقه ثمانية أشهر. وفي رواية: ثمانية عشر شهراً، يقتل ويمثل، حتى يقول الناس: معاذ اللّه أن يكون هذا من ولد فاطمة، ولوكان لرحمنا، يغريه اللّه ببني عباس وبني أمية ويكون لهم وقعة بأرض من أرض نصيبين ووقعة بحران، وشعارهم أمت أمت، وفي رواية بكش بكش والمعنى واحد، حتى يسلموها للمهدي.

فإن قيل: قد ورد في بعض الروايات أنه يحمل سيفه ثمانية أشهر، وفي بعضها ثمانية عشر شهراً، وفي بعضها اثنان وسبعون شهراً، وهي مدة ست سنين، وفي بعض الروايات أنه يسلم الرايات إلى المهدي ببيت المقدس، وفي أخرى أنه لا يبلغه حتى يموت، وفي أخرى فتلتقي رايات الهاشمي مع خيل السفياني فيكون بينهم مقتلة عظيمة، وتنهزم خيل

---

(١) روى نحوه أبو داود (٢/ ٥١٠) رقم ٤٢٨٦، والحاكم (٤/ ٤٧٨) رقم ٨٣٢٨، وقال الذهبي: أبو العوام عمران ضعفه غير واحد وكان خارجيا والطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٩٠) رقم ٩٣١ كلهم عن أم سلمة.

السفياني، ثم تكون الغلبة للسفياني، فيهرب الهاشمي ويأتي التميمي مستخفياً إلى بيت المقدس، يمهد للمهدي إذا خرج إلى الشام فما وجه الجمع؟.

فالجواب: عن الجمع بين الروايات أن رواية اثنين وسبعين باعتبار جميع مدته، ورواية ثمانية عشر شهراً باعتبار مدة ما بعد قتاله مع خيل السفياني واجتماع شعيب بن صالح، وثمانية باعتبار ما بعد نزوله الكوفة وبعثه بالبيعة إلى المهدي، وهذا جمع حسن لا بأس به كما في (الإشاعة).

وأما الجمع بين الروايات الأخر هو أن يقال: على بعد أن ضمير يموت راجع إلى السفياني، أويرجع إلى الهاشمي، ويكون القادم بالرايات التميمي، ونسبته إلى الهاشمي مجازاً للسبب، أو أنه يوصل الرايات وتفتح الشام ويموت قبل اجتماعه بقليل، على أن روايات قدومه بالرايات ووصوله إليه أكثر وأشهر، فتقدم عند عدم إمكان الجمع، والله أعلم، وإنما تتساقط إذا تعارضت، وكذلك روايات النصر والغلبة أكثر من روايات الهزيمة، فَتقُدَمَّ، ولو جمع فوجه الجمع أنه ينهزم في بعض الوقعات ثم تكون له الغلبة بعد ذلك.

قلت: وذكر في «التذكرة» أن المهدي يبايع مرتين قال: فإنه روى من حديث ابن مسعود ﷺ «أنه يخرج في آخر الزمان من المغرب الأقصى يمشي النصر بين يديه أربعين ميلاً، راياته بيض وصفر، فيها رقوم، فيها اسم الله الأعظم مكتوب، فلا تهزم له راية، وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له: ماسة من جبل المغرب، فيعقد هذه الرايات مع قوم أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]»[١] الحديث بطوله.

قال العلامة في (البهجة) قال بعضهم: إنه يخرج من المغرب، وأنه من أجل ذلك سمي بنو إدريس أنفسهم بالمهدية، طمعاً أن يكون منهم، انتهى.

ثم ذكر في حديث ابن مسعود: فيأتي الناس من كل جانب ومكان، فيبايعونه يومئذ بمكةوهو بين الركن والمقام وهو كاره.

قال القرطبي: وهذه المبايعة الثانية بعد البيعة الأولى التي بايعه الناس بالمغرب، ثم إن المهدي يقول: أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدوكم، فيجيبونه لا يعصون له أمراً، فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفياني ومن معه من كلب، ثم يبدد جيشه، ثم يؤخذ عروة السفياني على أعلى شجرة من بحيرة طبرية، قال: والخائب يومئذ من خاب من قتال كلب ولو بكلمة أوبتكبيرة أو بصيحة، فقال حذيفة يا رسول اللّٰه كيف يحل قتالهم وهم مسلمون؟ فذكر نحو ما تقدم.

وفي الحديث: «**لا تحشر أمتي حتى يخرج المهدي، يمده اللّٰه بثلاثة آلاف من الملائكة، ويخرج إليه الأبدال من الشام والنجباء من مصر وعصائب أهل الشرق، حتى يأتوا مكة، فيبايع له بين الركن والمقام، ثم يتوجه إلى الشام، وجبريل على مقدمته، وميكائيل على يساره، ومعه أهل الكهف أعوان له، فيفرح به أهل السماء والأرض، والطير والوحش والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته، وتمتد الأنهار وتُضعف الأرض أكلها، قال: فيقدم إلى الشام فيأخذ السفياني فيذبح تحت الشجرة التي**

(١) لم أقف عليه إلا عند القرطبي في التذكرة (٧٠٢).

أغصانها إلى بحيرة طبرية»[1].

وفي (البهجة) للعلامة: ثم يتوجه - يعني المهدي - إلى المدينة ومعه المؤمنون، إلى أن قال: ثم ينهزم السفياني إلى الشام، فيقصده المهدي فيذبحه عند عتبة بيت المقدس كما تذبح الشاة، ويغنمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بني كلب، ولا أكثر من تلك الغنيمة.

كذا رأيته في (البهجة)، وهو كما ترى وهم إن لم يكن غلطاً من الكتبة النساخ، والله أعلم.

فإن قلت: قد ذكرت هنا ثلاث روايات في قتل السفياني ومن المعلوم أنما الصحيح واحدة فما هي؟.

قلت: أما الرواية التي ذكرناها أولًا وهي أن السفياني يؤخذ على شجرة على بحيرة طبرية فليس فيها أنه يقتل على تلك الشجرة، وإنما فيها أنه يؤخذ عليها، والرواية الثانية: أنه يذبح تحت الشجرة، تفسير للرواية الأولى، أي يؤخذ على تلك الشجرة ويذبح تحتها، وأما الرواية الثالثة التي ذكرناها عن العلامة فهي إن لم تكن غلطاً من النساخ وهو الظاهر، وإلا وهم، وإنما الذي يذبح ثَمَّ الصخري كما مر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم تمهد الأرض للمهدي ويدخل في طاعته ملوك الأرض كلهم، ويبعث بعثاً إلى الهند، فيفتح ويؤتى بملوك الهند إليه مقفلين، وتنقل خزائنها إلى بيت المقدس، فتجعل حلية لبيت المقدس، ويمكث في ذلك سنين.

---

(١) لم أقف عليه بهذا السياق ووقفت على سياق آخر له عند أبي داود (٢/ ٥١٠) رقم ٤٢٨٦، وأحمد (٦/ ٣١٦) رقم ٢٦٧٣١ والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٥) رقم ١١٥٣، وذكره العسقلاني في القول المسدد (٨٤).

ومنها: الملحمة الكبرى: وذلك أن بعد هلاك السفياني يهادن المهدي الروم صلحاً آمناً تسع سنين، على ما في بعض الروايات، فيغزو المسلمون عدواً من وراء الروم فيغنمونهم وينصرفون، حتى ينزلوا بمرج ذي تلول - وهو موضع - فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل اللَّه غلب، فيتداولونها بينهم، فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منهم غير بعيد فيدقه، فتثور الروم إلى كاسر صليبهم فيقتلونه، فتثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتلون عن أخرهم، فتقول الروم إلى ملكهم: كفيناك حد العرب وقتلنا أبطالها، فما تنتصر، فيجمعون في مدة تسعة أشهر مقدار حمل امرأة، فيأتون تحت ثمانين غاية أي: راية، وهي بالغين المعجمة والياء التحتية ويروى بالموحدة، أي تحت رماح كالغابة، وفي لفظ: فيسيرون بثمانين بندا والمعنى واحد، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً، فينزلون بالأعماق - بالعين المهملة - أوبدابق - بوزن طابع بكسر الباء وفتحها هما موضعان قرب حلب وأنطاكية - فيخرج إليهم جلب من المدينة من أخيار أهل المدينة يومئذ، وهم الذين خرجوا مع المهدي، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم - يروى سبوا بضم السين بالبناء للمفعول، وفتحها على البناء للفاعل، والمعنى على الأول الذين سبيتموهم منا وخرجوا من ديننا وصاروا يقاتلوننا، وعلى الثاني، الذين سبوا أولادنا ونساءنا[١]، فيقول المسلمون: لا واللَّه لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فينهزم من المسلمين ثلاث لا يتوب اللَّه عليهم أبداً، ويقتل ثلاث هم أفضل الشهداء عند اللَّه[٢]، ويفتح ثلاث لا يفتنون أبداً، وفي رواية: فيشترط المسلمون شرطت الموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز

(١) في الأصل بعد ذلك كلمة (فينهزم من المسلمين) وأظنها مقحمة إذ لا معنى لها.
(٢) في حاشية الأصل/ قف على أفضل الشهداء عند اللَّه.

بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وكل غير غالب، ثم تشترط المسلمون شرطت الموت، - الشرطة بالضم طائفة من الجيش تقدم لقتال الموت - لا ترجع إلا غالبة - فيرجعون غير غالبين إلى ثلاثة أيام، فإذا كان اليوم الرابع نهد - أي نهض - إليهم بقية الإسلام، فيجعل الدبرة على الكفرة، فيقتتلون مقتلة لم ير مثلها، حتى أن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً، ويتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقى منهم إلا الرجل، فلا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة، ويكون لخمسين امرأة قيم واحد.

قوله: بجنباتهم - هو بالجيم فنون موحدة أي بنواحيهم. وقوله: لا يخلفهم بتشديد اللام أي لا يجعلهم خلفه أي لا يتجاوزهم حتى ينقطع عن الطيران ويموت من بُعْد مسافة المقتلة، والقيم هو الذي يقوم بمصالح البيت، واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

ثم يتبعونهم ضرباً وقتلًا حتى ينتهوا إلى قسطنطينية - أي الكبرى - قال في (عقد الدرر) لها سبعة أسوار الذي يلي البلد عشرة أذرع على ساحل البحر، وهو خليج يصب في البحر الرومي الذي طوله كما في «البهجة» خمسة آلاف ميل، وعرضه ستمائه ميل، ويخرج منه خليج إلى أرض بربر طوله ميل. قال في «الخريدة» مخرجه من المحيط، ثم يأخذ مشرقاً فيمر بشمالي الأندلس، ثم ببلاد الإفرنج إلى قسطنطينية، ويمتد ببلاد الجنوب، فيركز لواءه عند البحر ليتوضأ للفجر، فيتباعد الماء منه فيتبعه حتى يجوز من تلك الناحية، ثم يركزه وينادي: أيها الناس اعبروا، فإن اللّه عز وجل فلق لكم البحر كما فلقه لبني إسرائيل، فيجوزون، فيستقبلونها فيكبرون فتنهز[1] حيطانها، ثم يكبرون فتنهز، ويسقط في الثالثة منها ما بين اثني عشر برجاً،

---

(١) نهزه نهزا: دفعه وضربه... لسان العرب/ مادة: نهز.

فيفتحونها ويقيمون بها سنة حتى يبنوا المساجد، ثم يدخلون مدينة أخرى، فبينما هم يقسمون فيها المال بالأترسة[(١)]، إذا بصارخ: الدجال خلفكم في ذراريكم بالشام، فيرجعون، فإذا الأمر باطل، فالتارك ندم، ثم ينشئون ألف سفينة، ويركبون فيها من عكا، وهم الذين يركبون من مدينة عكا أهل المشرق والمغرب والحجاز والشام على قلب رجل واحد، فيسيرون إلى رومية.

وروي عن عبد اللّه بن بسر المازني قال لبعض أصحابه: يا ابن أخي لعلك تدرك فتح القسطنطينية، فإياك إن أدركت فتحها أن تترك غنيمتك منها، فإن بين فتحها وبين خروج الدجال سبع سنين، رواه نعيم بن حماد في الفتن .

ويستخرج - أي المهدي - كنز بيت المقدس[(٢)] وحليه من القسطنطينية الذي أخذها طاهر بن أسماء حين غزا بني إسرائيل، فسباهم وسبى حلي بيت المقدس، وأحرقها بالنيران وحمل منها في البحر ألفاً وسبعمائة سفينة حتى أوردها رومية.

قال حذيفة ﷺ : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**ليستخرجن المهدي ذلك حتى يرده إلى بيت المقدس**»[(٣)] قال في «عقد الدرر» رومية أم بلاد الروم، وكل من ملكها يقال له الباب، وهوالحاكم على دين النصرانية بمنزلة الخليفة على المسلمين، ليس في بلاد المسلمين مثلها، وقد ذكر

(١) الترس من السلاح المتوقى بها وجمعه أتراس وترس وتروس قال يعقوب: ولا تقل أترسة. لسان العرب: مادة ترس.
(٢) في حاشية الأصل/ قف على كنز بيت المقدس.
(٣) ذكره القرطبي في التفسير (١٠/ ١٩١) وفي التذكرة (٧٠٤) .

المؤرخون في صفتها عجائب لم تسمع في غيرها، فلتراجع، فيكبرون عليها أربع تكبيرات، فيسقط حائطها، فيقتلون ستمائة ألف، ويستخرجون منها حلي بيت المقدس، والتابوت[١] الذي فيه السكينة، ومائدة بني إسرائيل، ورضاضة الألواح - أي ألواح موسى - وحلة آدم، وعصا موسى، ومنبر سليمان، وقفيزين من المن الذي أنزله اللّه تعالى على بني إسرائيل، أشد بياضاً من اللبن، كذا في (الإشاعة).

ولا يخفى بُعْد ذلك مع ما تقدم أن التابوت يستخرجه المهدي من بحيرة طبرية أو من غار أنطاكية.

ومما ينبغي أن يعلم أن كتب الملاحم بعيدة عن الصحة[٢].

قال الإمام أحمد: ثلاثة كتب ليست لها أصول: كتب الملاحم، والمغازي، والتفاسير، وحمله الدارقطني على كتب مخصوصة في المغازي والتفاسير، وأما الملاحم فأبقاه على عمومه، نعم استثنى العلامة كغيره من الأئمة قتل الروم وفتح القسطنطينية على يد المهدي.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟** قالوا: نعم يا رسول اللّه، قال: «**لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، فإذا قالوا لا إله إلا اللّه واللّه أكبر سقط أحد جانبيها، ثم يقولون الثانية لا إله إلا اللّه واللّه أكبر، فيفرج لهم فيدخلونها فيقتسمون، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فيقول: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون**»[٣].

---

(١) في حاشية الأصل/ قف على أخذ المهدى لتابوت موسى.
(٢) تأمل هذا واستمسك بما تسنده الأدلة من روايات الملاحم والفتن.
(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٩٢٠ .

انتهى قال في «الإشاعة»: بعد أن ذكر فتح رومية «ثم يأتون مدينة يقال لها القاطع طولها ألف ميل، وعرضها خمس مائة ميل، ولها ستون وثلاثمائة باب[١]، يخرج من كل باب مائة ألف مقاتل، وهي على البحر، لا يحمل - يعني البحر - فيه جارية - أي سفينة - قيل: يا رسول اللَّه ولم لا يحمل فيه جارية؟ قال: لأنه ليس له قعر وإنما يمرون من خلجان من ذلك البحر جعلها اللَّه منافع لبني آدم لها قعور، فهي تحمل السفن، فيكبرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حائطها فيغنمونها، ثم يقيمون بها سبع سنين، ثم ينقلون منها إلى بيت المقدس فيبلغهم أن الدجال قد خرج من يهود أصبهان». أخرجه أبو عمرو الداراني في سننه.

وفي رواية «ثم يأتي -يعني المهدي- مدينة يقال لها القاطع وهي على البحر الأخضر المحيط بالدنيا ليس خلفه إلا أمر اللَّه عز وجل» فذكر نحو ما مر.

واعلم أنه ورد أن المهدي يدخل كل مدينة دخلها ذو القرنين ويصلحها، وأنه لا يبقى جبار إلا هلك، وقد ورد عنه ﷺ: «**ملك الدنيا مؤمنان وكافران أما المؤمنان فذو القرنين وسليمان، وأما الكافران فنمرود وبخت نصر، وسيملكها خامس من عترتي وهو المهدي**»[٢].

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**أصحاب الكهف أعوان المهدي**»[٣]. قال العلماء: حكمة تأخيرهم إلى هذه المدة ليحوزوا

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٤٦) رقم ٣١٩١٦ عن مجاهد قال: «لم يملك الدنيا كلها إلا أربعة: مسلمان وكافران، فأما المسلمان فسليمان بن داود وذو القرنين، وأما الكافران فبخت نصر والذي حاج إبراهيم في ربه»، ورواه بنحوه الطبري في التفسير (٣/ ٢٥) موقوفاً على مجاهد كذلك، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٣٣٦) موقوفاً على سفيان الثوري.

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٥٠٣) وضعف إسناده وعزاه إلى ابن مردويه في التفسير.

شرف الدخول في أمة محمد ﷺ إكراماً لهم.

قلت: وفي هذا نظر لا يخفى على ذي بصر، حيث أكرمهم اللَّه بذلك فلم لم يكرمهم بما هو أفضل من ذلك، وهو الاجتماع بسيدنا وسيد الكونين محمد ﷺ؟ ليفوزوا بشرف الصحبة والدخول في الأمة ورؤية المصطفى التي لا يعادلها في الدنيا شيء، والجهاد معه لكن للَّه حكم أخر يدق فهمها عن عباده إلا من منحه اللَّه تعالى نوراً فانجاب به عن قلبه الران، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم.

فإن كان الحديث ثابتاً فلا ريب أن في تأخيرهم لخروج المهدي حكمة يعجز فهم كثير من الخلق عن إدراكها، وقد يقال يمكن أن تكون في زمن المهدي الحاجة داعية لخروجهم أكثر من غير زمنه، لخفة الدين حينئذ، فإنه يخرج في انمحاق الدين، قيل: إنه لم يبق على وجه الأرض من المسلمين إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا عدة أهل بدر كما ورد، وإن كان الحديث لم يثبت فلا حاجة إلى هذا كله، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم بما هو كائن.

فائدة: ورد أن أول لواء يعقده المهدي يبعث به إلى الترك، قال في (الإشاعة): والظاهر أن هذه الفتوح تكون في مدة مهادنته الروم لأن بعد اشتغاله بهم لا يتفرغ لغيرهم، وأنه يبعث البعوث والسرايا، ونسبة دخول الآفاق إليه يكون مجازاً، وهذا محاولة منه لتوجيه هذا الكلام كما لا يخفى، واللَّه أعلم.

تنبيه: ورد أن الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر، وفي رواية سبع سنين.

وقال أبو داود في سننه: ورواية سبع سنين أصح من رواية سبعة

أشهر[١] ذكره في الإشاعة، وكذا من رواية سنة.

تتمة: اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي، ففي بعضها يملك خمساً أو سبعاً أو ستاً بالترديد، وفي بعضها تسعة عشر[٢] سنة وأشهراً، وفي بعضها عشرين وفي بعضها ثلاثين، وفي بعضها أربعين[٣] منها تسع سنين يهادن الروم فيها، قال في «القول المختصر» ويمكن الجمع - على تقدير صحة الكل - بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة، فيحمل الأكثر على أنه باعتبار جميع مدة الملك، والأقل على غاية الظهور، والأوسط على الأوسط، انتهى.

قال في (الإشاعة): ويدل على ما قاله وجوه:

الأول: أنه ﷺ بشر أمته - خصوصاً أهل بيته - ببشارات، وأن اللّه يعوضهم عن الظلم والجور قسطاً وعدلًا، واللائق بكرم اللّه أن يكون مدة

---

(١) أخرج أبو داود في سننه (٢/ ٥١٣) رقم ٤٢٩٥ عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ «الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر».
وأخرجه في رقم ٤٢٩٦ عن عبد الله بن بسر أن رسول الله ﷺ قال: «بين الملحمة وبين فتح المدينة ست سنين، ويخرج الدجال في السابعة». وقال أبو داود: هذا أصح من حديث عيسى.
وأخرج الرواية الأولى الترمذي (٤/ ٥٠٩) رقم ٢٢٣٨ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبي الله ﷺ فقال: «إن في أمتي المهدي، يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً -زيد الشاك- قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين. قال: فيجيء إليه رجل فيقول: يا مهدي، أعطني أعطني. قال: فيحثى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله».
الترمذي (٤/ ٥٠٦) رقم ٢٢٣٢ وقال: هذا حديث حسن.
وأخرجه أحمد (٣/ ٢١) رقم ١١١٧٩ .
والطبراني في الأوسط (٥/ ٣١١) رقم ٥٤٠٦ باختلاف في بعض الألفاظ، وكلمة ثمان بدلًا من سبع.
ولم أقف على بقية الروايات.

ذلك قدر ما ينسون فيه الظلم والجور والفتن، والسبع والتسع أقل من ذلك.

الثاني: أنه يفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان، ويدخل جميع الآفاق كما في بعض الروايات، ويبني المساجد والبلدان، ويحلي بيت المقدس، وهذا لا يمكن في مدة التسع.

الثالث: ورد أن الأعمار تطول في زمانه، وطولها مستلزم لطول، مدته، وإلا لا يكون طولها في زمنه، والتسع وما دونه ليست من الطول في شيء.

الرابع: أنه يهادن الروم تسع سنين، ويقيم بالقسطنطينية سنة، وبالقاطع سبعاً، ومدة المسير إليها مرتين، والرجوع في أثنائه يكون سنين، وقتاله السفياني ونقضه العهد بعد ثلاث سنين، وفتحه للهند وسائر البلدان يكون في سنين كثيرة، هذا ملخص كلامه، وأطال فليراجع.

تنبيهان: **الأول**: قال العلامة في «البهجة» كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، قال والصحيح بل الصواب أنه غيره، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات فعند ابن إسكاف مرضياً مسنداً إلى جابر رضي الله عنه **«من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر»**[(١)] ألا ترى أن الشارع أخبر به وبشر كما ثبت ذلك بالروايات الصحيحة المتقدمة.

قلت: ورد في بعض الأحاديث: **«لا مهدي إلا عيسى ابن مريم»**[(٢)] وهو ضعيف، ولو ثبت لوجب حمله على معنى لا ينافي وجود المهدي،

---

(١) جزء من حديث ذكر نحوه ابن حجر في لسان الميزان (٥/ ١٣٠) وحكم عليه بالوضع.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٠) رقم ٤٠٣٩ ، وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٦٨) رقم ٨٩٨ ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٨) رقم ٨٣٦٣ وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٥١٠) رقم ١٢٧ وقال: موضوع.

لأن أحاديثه كثيرة جداً، بل قد بلغت حد التواتر المعنوي، وتأويله أنه لا قول للمهدي إلا بمشورة عيسى، إن قلنا أنه وزيره، أو لا مهدي معصوماً مطلقاً إلا عيسى، ولا اعتبار بمن اغتر بالرواية المارة، فإن ذلك سهو من المعتمد ذلك، وقصور عن معرفة الأحاديث صحيحها من سقيمها، وإلا فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والشيعة أيضاً، لكنهم زعموا أنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه، أو أنه محمد العسكري كما مرت الإشارة إلى ذلك، والله أعلم.

الثاني: صح عن ابن سيرين أن «المهدي خير من أبي بكر وعمر قد كان يفضل الأنبياء»[1] وصح عنه «لا يفضل عليه أبو بكر وعمر» وهو وإن كان أخف من الأول فليس على ظاهره، لأن الأمة أجمعت على أنهما أفضل منه، بل ومن جميع الصحابة، - خلافاً للرافضة خذلهم الله - بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي، على أنه من كلام ابن سيرين ولم يذكر له سنداً فلا يصار إليه، بل الحق أن أبا بكر وعمر وبقية العشرة بل وبقية الصحابة أفضل من المهدي، وما ورد بخلاف ذلك فليس على ظاهره، نعم لنا صحابي أفضل من أبي بكر وعمر وهو عيسى ابن مريم عليه السلام كما سنبينه إن شاء الله تعالى، ثم يستمر سيدنا المهدي حتى يسلم الأمر لروح الله عيسى ابن مريم عليه السلام، ويصلي المهدي بعيسى صلاة واحدة وهي الفجر، ثم يستمر المهدي على الصلاة وراء سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الأمر إليه، ويكون معه حتى يقتل سيدنُا عيسى عدوَّ الله الدجال بباب لد كما يأتي، ثم يرجع سيدنا عيسى إلى بيت المقدس فيموت سيدنا المهدي فيصلي عليه روح الله عيسى عليه السلام، ويدفنه هناك، كما في «البهجة» والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) هذا يعارض عليه أهل السنة والجماعة من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما.

الفصل الثاني

في الدجال وما يتعلق به والكلام عليه في أربع مقامات

المقام الأول: في اسمه ونسبه ومولده .

فأما اسمه: فإنه صافي ابن صياد أو صائد، ومولده المدينة بناء على أن ابن صياد هو الدجال كما يأتي، وقيل إن الدجال شيطان موثق في بعض الجزائر، وهو من أولاد الشق الكاهن المشهور، وهو شق نفسه وكانت أمه جنية عشقت أباه فأولدها شقاً[1]، وكانت الشياطين تعمل له العجائب، فحبسه سليمان، وليس بشيء.

وأما لقبه فالمسيح بفتح الميم وكسر السين مخففة وبالحاء المهملة وسُمع مسيح بالتشديد قاله الأزهري على وزن فعيل فرقاً بينه وبين عيسى عليه السلام .

قال الغنيمي الشافعي في رسالته «الأجوبة المفيدة على الأسئلة العديدة» ما نصه: قال ابن دحية عن شيخه أبي القاسم عن أبي عمران موسى ابن عبد الرحمن قال: سمعت الحافظ أبا عمر ابن عبد البر يقول: ومنهم من قال ذلك بالخاء المعجمة، وذلك عند أهل العلم خطأ، ولذا ثبت عن رسول اللّه ﷺ أنه نطق بالحاء المهملة، ونقله الصحابة المبلغون عنه، وقال الراجز:

---

(١) شق كاهن مشهور في الجاهلية وهو سعد بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن عبقر بن أنمار بن نزار، وغالباً ما يرتبط اسمه باسم سطيح وهو كاهن كذلك، ولهما موقف مشهور في تأويل رؤيا لربيعة بن نصر أحد ملوك التبابعة في اليمن، وفيها بشرا بميلاد سيدنا محمد ﷺ وبانتشار دينه.

انظر ابن هشام السيرة النبوية (١/ ١١) .

إذا المسيح قتل المسيحا

يعني عيسى عليه السلام يقتل الدجال، انتهى ملخصاً، وقد بسط الكلام على ذلك فليراجع.

وأما صفته: فالدجال: مشتق من الدجل وهو الخلط واللبس والخدع، فمعنى الدجال الخداع الملبس على الناس، ومنه قوله ﷺ حين خطب إليه أبو بكر فاطمة رضي الله عنهما: «**إني وعدتها لعلي ولست بدجال**»(١) أي لست بخداع ولا ملبس عليك أمرك.

وأما تلقيبه بالمسيح، فقيل: لأن عينه الواحدة ممسوحة يقال: رجل مسيح الوجه إذا لم يبق على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوى، وقيل: لأنه يمسح الأرض: أي يقطعها.

وقال أبو الهيثم هو مسيح بوزن سكين، وهو الذي مسح خلقه وشوه، وزعم بعضهم: أن الدجال بالخاء المعجمة وعيسى بالمهملة.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: وبالغ القاضي ابن عربي(٢) فقال: ضل قوم قرروه بالخاء المعجمة، وشدد بعضهم السين، ليفرقوا بينه وبين المسيح ابن مريم عليه السلام، وقد فرق النبي ﷺ بقوله في الدجال: «**مسيح الضلالة**»(٣) فدل على أن عيسى مسيح الهدى، فأراد هؤلاء تعظيم

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٢٩) رقم ١٥٢٠٦ بلفظ: (هي لك يا علي لست بدجال). وقال: وحجر لا يعلم روى عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث، ورجاله ثقات، إلا أن حجراً لم يسمع من النبي ﷺ.

(٢) كذا بالأصل والصواب كما في الفتح (١٣/ ٩٤) (العربي).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩١) رقم ٧٨٩٢، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٢٣) رقم ٦٨١٢، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٤٣) رقم ٨٥٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤١٣) رقم ٥٠٦٠ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

عيسى فحرفوا الحديث.

قال في القاموس: اجتمع لنا في تسمية المسيح خمسون قولًا.

قلت: لم أر في كتب اللغة بعد الفحص التام والحرص على مراجعة هذه المادة أحداً ذكر أنه بالخاء، فقد راجعت القاموس، والصحاح، ولسان العرب، وغريب الهروي، ونهاية ابن الأثير، وتهذيب الأسماء واللغات، والله أعلم.

وأما وجه تسمية سيدنا عيسى عليه السلام مسيحاً لأنه لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، أو لأنه أخمص، ومنه في صفة النبي ﷺ «كان مسيح القدمين»[1] أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، أو لأنه يمسح الأرض ويقطعها.

المقام الثاني: في حليته وسيرته .

أما حليته فإنه رجل شاب، وفي رواية شيخ، وسندهما صحيح، جسمه أحمر، وفي رواية أبيض أمهق[2]، وفي رواية: آدم. قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): يمكن أن تكون أدمته صافية، وقد يوصف ذلك بالحمرة، لأن كثيراً من الأدم قد تحمر وجنتاه، جعد الرأس قطط، أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية، وجاء في رواية: أعور العين اليسرى وجاء

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية (٣٧) والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٥٥) رقم ٤١٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٤٨٧)، رقم ١٤٠٢٦ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم يسم.

(٢) المهق والمهقة: بياض في زرقة، وقيل: المهق والمهقة شدة البياض، وقيل: هما بياض الإنسان حتى يقبح جداً، وهو بياض سمج لا يخالطه صفرة ولا حمرة، لكن كلون الجص ونحوه، لسان العرب: مادة مهق.

في رواية أنه أعور العين مطموسة وليست حجراء وهذا معنى طافئة مهموزة[١].

قال في «فتح الباري» نقلًا عن القاضي عياض: الذي رويناه عن الأكثر وصححه الجمهور وجزم به الأخفش طافية بغير همز، ومعناه أنها ناتئة نتوء العنبة، قال: وضبطه بعض الشيوخ بالهمز وأنكره بعضهم، قال: ولا وجه لإنكاره، ثم جمع القاضي عياض بين الروايات بأن عينه اليمنى طافية بغير همز، وممسوحة أي ذهب ضوؤها، وهومعنى حديث أبي داود «مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء»[٢] أي ليست عالية ولا عميقة كما في الرواية الأخرى عنه، وهي الجاحظة التي كأنها كوكب وكأنها نخاعة في حائط، وهي الخضراء كما جاء ذلك في الأحاديث[٣] قال: وعلى هذا فهو أعور العينين معاً، فكل واحدة منهما عوراء، وذلك أن العور العيب، والأعور من كل شيء المعيب، وكلا عيني الدجال معيبة، إحداهما بذهاب نورها، والأخرى نئوءهاوخضرتها.

قال النووي: وهو في غاية الحسن. انتهى. وقد ورد أن «على عينه ظفرة غليظة»[٤] وهي لحمة تنبت عند الماق، وقيل لحمه تخرج في العين في الجانب الذي يلي الأنف، وهما متقاربان، قال في (فتح الباري): وقد ورد في كلتا عينيه أن عليها ظفرة[٥] وفي بعض الروايات عن أبي سعيد عند الإمام أحمد «**عينه جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في حائط مجصص، وعينه**

---

(١) أخرج أكثر هذه الأوصاف البخاري رقم ٣٤٤١، ٤٤٠٢، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧١٢٨، ومسلم رقم ٢٧٣ ، ٢٧٤، ٢٧٧ .

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٥١٩) رقم ٤٣٢٠ .

(٣) انظر المسند (٣/ ٧٩) رقم ١١٧٦٩ .

(٤) انظر المسند (٣/ ١١٥) رقم ١٢١٦٦ .

(٥) في الأصل/ طفرة في كل المواضع والمثبت هو الموافق للحديث.

اليسرى كأنها كوكب دري»(١).

وفي حديث أُبي عند الإمام أحمد أيضاً والطبراني «إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء»(٢) قال والذي يتحصل من مجموع الأخبار أن الصواب في طافية بغير همز، وصرح في حديث عبد اللّه بن مغفل(٣) وسمرة(٤) وأبي بكرة بأن عينه اليسرى ممسوحة والطافية غير الممسوحة، وأما الظفرة فجائز أن يكون في كل من عينيه، لأنه لا يضاد الطمس ولا النتوء، ويكون التي ذهب ضوؤها هي المطموسة يعني اليسرى والمعيبة، مع بقاء عينها هي البارزة، انتهى.

والدجال قصير أفحج أي متباعد ما بين الساقين، وقيل هو التداني بين صدور القدمين مع تباعد القدمين، وقيل: وهو الذي في رجليه اعوجاج، جُفال الشعر - بضم الجيم وتخفيف الفاء - أي كثيره - هجان، بكسر أوله وتخفيف الجيم، أبيض أقمر - أي شديد البياض ضخم، فيلمان - بفتح الفاء وسكون التحتانية - أي عظيم الجثة - كأن رأسه أغصان شجرة، أي شعر رأسه كثير متفرق قائم. وفي رواية أن رأسه من ورائه حبك، أي شعره منكسر من الجعودة كالماء والرمل إذا ضربته الريح. قال في النهاية: وهذا معنى ما مر أنه جعد قطط مكتوب بين عينيه (ك ف ر) حروفاً مقطعة يقرؤها

---

(١) انظر الحديث قبل السابق.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٢٣) رقم ٢١١٨٣ ، والطيالسي في المسند (٧٣) رقم ٥٤٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٦٣)، وذكره الهيثمي (٧/ ٦٥٠) رقم ١٢٥٠٨ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٣) الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٧) رقم ٤٥٨٠ وذكره الهيثمي (٧/ ٦٤٧) رقم ١٢٥٠١ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف لا يضر.

(٤) أحمد (٥/ ١٦) رقم ٢٠١٩٠ وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٣٢٥) رقم ١٣٩٧، والطبراني في الكبير (٧/ ١٨٨) رقم ٦٧٩٧، وذكره الهيثمي (٧/ ٦٥٥) رقم ١٢٥١٩ وقال: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد وثقه ابن حبان.

كل مسلم كاتب وغير كاتب، ولا يقرؤها الكافر، لا يولد له ولد، ولا يدخل المدينة ولا مكة، تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة، وسبعون ألفاً من يهود أصبهان عليهم التيجان، وكلهم ذو سيف محلى.

ومن صفاته: تنام عيناه ولا ينام قلبه، وأبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار، وأمه امرأة فرضاخية أي كثيرة اللحم طويلة الشفتين، له حمار أهلب، وهو المشعر الغليظ، ما بين أذنيه أربعون ذراعاً، يضع خطوه عند منتهى طرفه.

وقال أبو الطفيل عن بعض الصحابة: يخرج الدجال على حمار رجس رواه ابن أبي شيبة، وقال علي كرم اللّه وجهه: يخرج الدجال ومعه سبعون ألفاً من الحاكة قال بعضهم: هي موضع، على مقدمته أشعر - أي رجل كثير الشعر - يقول[١] بدو بدو، رواه الديلمي.

قوله: بدو بدو معناه بالفارسية أسرع أسرع. وعن علي كرم اللّه وجهه في صفة حماره: طول كل أذن أربعون ذراعاً، ما بين حافر حماره إلى الحافر الآخر مسيرة يوم وليلة، كذا في (الإشاعة).

وفي مرفوع ابن مسعود عند أبي نعيم في الفتن: «**بين أذني الدجال أربعون ذراعاً، وخطو حماره ثلاثة أيام، يخوض البحر كما يخوض أحدكم الساقية**»[٢] ورواه الحاكم وضعفه. «**تطوى له الأرض منهلا منهلا، يتناول السحاب بيمينه، ويسبق الشمس إلى مغيبها، يخوض البحر إلى كعبه**»[٣].

---

(١) معظم هذه الأوصاف في الصحيح. انظر مسلم رقم ٢٩٣٣، ٢٩٣٤، وابن ماجه (٢/ ١٣٥٩) رقم ٤٠٧٧ .

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٤٣) رقم ١٥٢٧ .

(٣) أخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩٦) رقم ٣٧٥١٥، وذكره الهندي في كنز العمال (١٤/ ٦١٢) رقم ٣٩٧٠٩ موقوفاً على عليّ، وقال: فيه حماد بن عمرو متروك، في الميزان: لا يعرف، وقال الأزدي: لا يحتج به.

وقد مر أنه قصيرفكيف يوصف هنا بهذا الطول؟ وتكلف بعضهم: أن قصره يحتمل أن يكون بالنظر إلى ضخامته، لأن ضخامته تقتضي أن يكون أطول من ذلك، وأنه قصير في نفس الأمر، ثم إذا أظهر الكفر وادعى الإلٰهية زاد طوله وضخامته ابتلاء من اللّٰه للعباد، وفتنة لهم ومحنة، وفيه بعد لا يخفى.

ففي سنن أبي داود عنه ﷺ أنه قال: «**إن المسيح الدجال قصيرأفحج جعد أعور مطموس العين**»(١) وفي مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن النبي ﷺ أنه قال: «**أما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى عريض المنخر فيه رفأ**»(٢) أي انحناء.

في صحيح مسلم من حديث تميم الداري في صفة الدجال حين رآه بالدير «**فإذا رجل أعظم إنساناً رأيناه قط خلقاً وأشد وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، وما بين ركبتيه إلى كتفيه بالحديد**»(٣). وفي صحيح مسلم أيضاً: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**»(٤).

واعلم أن العلماء اختلفوا في الدجال فقيل: إنه ليس بإنسان وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن، لا يعلم من أوثقه أهو سليمان أو غيره، فإذا أراد اللّٰه ظهوره فك عنه كل عام حلقة، وإذا أُبْرِزَ أتته أتان، عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعاً، فيضع على ظهرها منبرا من نحاس

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥١٩) رقم ٤٣٢٠، وأحمد (٥/ ٣٢٤) رقم ٢٢٨١٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٨٨) رقم ٣٧٤٥٨ عن الفلتان بن عاصم، باختلاف في بعض الألفاظ ، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٣٥) رقم ٨٦٠ .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤١٣) رقم ٥٠٦٠ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٢ مع اختلاف يسير .

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٣ .

فيقعد عليه، وتتبعه قبائل الجن يخرجون إليه بخزائن الأرض، والله أعلم.

وأما سيرته: فإنه يخرج أولًا فيدعي الإيمان والصلاح، ويدعو إلى الدين، فيتبع ويظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويعمل به، فيتبع ويحب على ذلك، ثم يدعي الإلـٰهية ويقول: أنا الله، فتغشى عينه وتقطع أذناه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على مسلم، فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من الإيمان(١)، هكذا رواه الطبراني.

وقال كعب الأحبار: يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقي ابتداء قبل خروجه، ثم يلتمس فلا يقدر عليه، ثم يرى عند المياه الذي عند نهر الكسوة، ثم يطلب فلا يدري أين توجه، ثم يظهر بالمشرق فيعطي الخلافة، ثم يظهر السحر، ثم يدعي النبوة فينصرف الناس عنه - يعني المسلمين - فيأتي النهر فيأمره أن يسيل فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن يسير فيسير، الحديث بطوله رواه نعيم بن حماد ويبعث الله له شياطين فيقولون له: استعن بنا على ما تريد، فيقول نعم، اذهبوا للناس فقولوا أنا ربهم، فيبثهم في الآفاق ويدعي الإلـٰهية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المقام الثالث: في خروجه وما يأتي به من الفتن والشبهات ومعرفة سيره في الأرض.

أما خروجه: فاعلم أنه يخرج من أرض المشرق من أرض خراسان، ومعه اليهود من أصبهان وغيرها، وقيل: يخرج من يهودية أصبهان، وقيل من

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٩١) وضعف إسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٥٥) رقم ١٢٥١٨ وقال: رواه الطبراني وفيه سعيد بن عمر الوراق، وهو متروك.

أرض كوثا بالكوفة، وأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب، وعن كعب: الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر[١]، وبين مولده ومخرجه أربعون سنة، أخرجه أبو نعيم من طريق كعب وفي الترمذي «أنه يخرج من خراسان»[٢] وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ مرفوعاً: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة**»[٣].

وفي الطبراني: «**يخرج الدجال من قبل أصبهان المشرق معه قومه وجوههم كالمجان**»[٤].

وفي الديلمي عن علي مرفوعاً: «**يخرج الدجال ومعه سبعون ألفاً من الحاكة على مقدمته**»[٥].

وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر مرفوعاً: «**يخرج الأعور الدجال من يهودية أصبهان ثم يخلق له عين، والأخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم، يشوي في الشمس سمكاً، ويتناول الطير من الجو، له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق والمغرب**»[٦].

---

(١) في حاشية الأصل/ قف على محل ولادة الدجال.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٠٩) رقم ٢٢٣٧، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٣٥٣) رقم ٤٠٧٢، وأحمد (١/ ٤) رقم ١٢ .

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٤ .

(٤) أخرج الطبراني في الكبير (١٨/ ١٥٤) رقم ٣٣٨ عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ «يخرج الدجال من قبل أصبهان». والأوسط (٧/ ١٧٢) رقم ٧١٧٩ .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٥٣) رقم ١٢٥١٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن محمد بن محمويه الجوهري ولم أعرفه.

(٥) ذكره الهندي في كنز العمال (١٤/ ٣٢٦) رقم ٣٨٨٢١ وعزاه للديلمي.

(٦) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٣) رقم ٨٦١١ باختلاف في بعض الألفاظ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر. وبلفظه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ١٠).

وأما فتنته: ففي الحديث «**ما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال. وما من نبي إلا وقد حذر قومه الدجال**»[١]. الحديث رواه الحاكم عن جار مرفوعاً.

وفي الحديث: «**أن قبل خروجه بثلاث سنين أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والسنة الثانية تسمك ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها ويهلك كل ذي ضرس وظلف**[٢].

ومن جملة فتنته «**أنه يسير معه جبلان، أحدهما فيه أشجار وأثمار وماء، وأحدهما فيه دخان يقول هذه الجنة وهذه النار**»[٣]. رواه الحاكم عن ابن عمر.

وعن حذيفة «أن معه جنة وناراً ورجالًا يقتلهم ثم يحييهم ومعه جبل ثريد ونهر ماء»[٤]، قال العلامة في «بهجته»: وقد ورد أنه إذا خرج يكون معه صورة جنة ونار يكون ذلك على طريق التخييل لا الحقيقة، ومن أدخله جنته كانت عليه ناراً ومن أدخله ناره كانت عليه جنة، ويكون معه جبال من خبز كالبرد[٥] ذكره الحافظ ابن حجر، قال العلامة: ويتسلط على كل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٦) رقم ٦٤ مع اختلاف يسير، وابن ماجه (٢/ ١٣٥٩) رقم ٤٠٧٧ .

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٣) رقم ٢٧٦٠٩ . والطبراني في الكبير (٢٤ / ١٦٠) رقم٤٠٧ وذكره الهيثمي (٧/ ٦٦٠) رقم ١٢٥٢٦ و(٦٦١) رقم ١٢٥٢٧ وقال: رواه كله أحمد والطبراني من طرق، وفيه شهر بن حوشب وفيه ضعف وقد وثق.

(٣) جزء من حديث أخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٣) رقم ٨٦١١ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر.

(٤) انظر تخريج الحديث السابق .

(٥) لقد وردت عدة روايات تفيد بمجموعها هذا الأمر منها في المسند (٣/ ٣٦٧) رقم ١٤٩٩٧ و(٥/ ٣٦٤) رقم ٢٣١٣٩ ، ويعارض هذا بل ربما يرده ما رواه البخاري رقم ٧١٢٢ ومسلم رقم ٢٩٣٩ واللفظ له عن المغيرة بن شعبة قال: «ما سأل أحد النبي ﷺ =

الحبوب والأقوات حتى الفول، خلافاً لمن استثناه مدعياً أن في رأسه ألفاً أومدة سوداء تشبه الألف، إذ هو كلام لا أصل له، قال: ولا يدع ماء إلا دخله ووردِه، ويدعو الناس إلى الإيمان به، وأنه ربهم وإلـٰههم، ويدخل البحر المالح في أعمق مكان منه فيصل الماء إلى حقويه، فيأخذه بيده منه السمك، ويمد يديه إلى السحاب، قال: ولا يبقى منه بلا فتنة إلا سبعة آلاف امرأة واثنا عشر ألف رجل على ما ورد. انتهى(١).

فإن قيل: قد ورد أنه يسلط على واحد ثم لا يقدر عليه ثانياً، وأنه يقول: لا يفعل بعدي بأحد من الناس، فكيف يقال: إن معه رجالًا يقتلهم؟.

فالجواب: أن هؤلاء الرجال إنما هم شياطين، وقتله إياهم وإحياؤه لهم إنما هو في رأي العين لا على الحقيقة. وأما قتل ذلك فعلى الحقيقة، والرجل هوالخضر كما يأتي، ومع الدجال جبال من خبز والناس في غاية الجهد إلا من اتبعه، ومعه نهران، قال ﷺ: «**أنا أعلم بهما منه، نهر يقول الجنة، ونهر يقول النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو في النار ومن أدخل الذي يسميه النار فهو في الجنة**»(٢). رواه الإمام أحمد وابن خزيمة والحاكم وغيرهم عن جابر رضي الله عنه. وفي رواية: «**أنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فأما إن أدرك ذلك واحد منكم فليأت النهر الذي يراه ناراً تأجج،**

= عن الدجال أكثر مما سألته، قال: وما سؤلك؟ قال: قلت: إنهم يقولون معه جبال من خبز ولحم ونهر من ماء. قال: هو أهون على الله من ذلك».

(١) في حاشية الأصل/ قف على من لا تلحقه فتنة الدجال من الرجال والنساء.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧) رقم ١٤٩٩٧ ، وذكره الهيثمي (٧/ ٦٥٩) رقم ١٢٥٢٥ وقال رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

ويغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب فإنه ماء بارد»[١]. وعند البخاري من حديث المغيرة بن شعبة: «**معه جبل خبز**»[٢] زاد مسلم في رواية: «**معه جبال خبز ولحم ونهر من ماء**»[٣] وفي رواية أبي نعيم عن ابن مسعود: «**معه جبل من مرق، وعراق اللحم، حار لا يبرد، وجبل من جنان وخضرة، وجبل من نار ودخان، يقول هذه جنتي وهذا طعامي وهذا شرابي**»[٤].

واعلم أن العلماء اختلفوا في هذه الجنة والنار، هل هي على سبيل الحقيقة أم تخييل؟ وقد ذكرنا أن العلامة قال: يكون ذلك على طريق التخييل لا الحقيقة. وقال ابن حبان في صحيحه: أنه تخييل، واستدل بحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين أنه قال: «**كنت أكثر من سؤال النبي ﷺ عن آية** - أي علامة - **الدجال، فقال لي: وما يضرك؟ قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز قال: هو أهون من ذلك**»[٥] قال: فمعناه أنه أهون على الله من أن يكون معه ذلك حقيقة، بل يرى ذلك وليس بحقيقة، ويدل له أيضاً الرواية السابقة أحدهما في رأي العين ماء أبيض الحديث. وقال جماعة منهم ابن العربي بل هي على ظاهرها امتحاناً من الله لعباده، وحملوا قوله ﷺ: «**هو أهون**» إلخ أي من أن يخاف منه، أو أن يضل الله به من يحبه.

قال في (الإشاعة): والتحقيق الأول، ويدل له مع ما تقدم قوله ﷺ: «**فمن أدرك ذلك منكم فليقع بالذي يراه أنها نار فإنه عذب بارد**»[٦] وبما في

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٤ .
(٢) سبق (٤٨٠) وهو في البخاري رقم ٧١٢٢ ، ومسلم رقم ٢٩٣٩ .
(٣) انظر تخريج الحديث السابق .
(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٤٤) رقم ١٥٢٧ .
(٥) انظر الحديث قبل السابق وما قبله .
(٦) سبق ص ٤٨١ .

رواية «فالنار روضة خضراء»[١] والله الموفق.

وأخرج أبو داود عن عمران ابن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع بالدجال فلينأ** -أي يبعد عنه- **فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات**»[٢].

وأخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان في حديث الدجال الطويل: « **فيأتي** -أي الدجال- **القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر لهم والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأشبعه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول: أخرجي ما فيك من كنز، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل**»[٣] الحديث.

وأخرج مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فيلقاه مسالح من مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الدجال الذي خرج، فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن لا تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال**

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨١) رقم ٨٦٢١ وهو حديث طويل وقال عنه الحاكم: هذا أعجب حديث في ذكر الدجال، تفرد به عطية بن سعد عن أبي سعيد الخدري ولم يحتج الشيخان بعطية وقال الذهبي: عطية ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٥١٩) رقم ٤٣١٩، وأحمد (٤/ ٤٣١) رقم ١٩٨٨٨، و(٤ / ٤٤١) رقم ١٩٩٨٢، والحاكم (٤/ ٥٧٦) رقم ٨٦١٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧.

الذي ذكر رسول اللَّه ﷺ، قال: فيأمر به الدجال فيشبح، فيقول خذوه فأشبحوه، فيوسع ظهره ضرباً، قال: فيقول: أما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيأمر به فينشر بالمنشار من فرقه حتى يفرق من رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول قم، فيستوي قائماً فيقول أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجز ما بين رقبته إلى ترقوته فلا يستطيع إليه سبيلًا، قال: فيأخذه بيده ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس إنما قذف به في النار، وإنما ألقي في الجنة، قال رسول اللَّه ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»(١).

قال في (التذكرة): يقال إن هذا الخضر عليه السلام.

وفي «البهجة» قد ثبت أن اللَّه تعالى لا يسلط الدجال على أحد بالقتل إلا على رجل واحد، يخرج إليه ذلك الرجل، وهو شاب حسن، فيقول له الدجال: أتؤمن بي وبألوهيتي؟ فيقول له: إنك اللعين الكذاب أو الدجال، فيقتله ويشقه نصفين، ويمشي الدجال بحماره بين الشقين، ويقول له: قم حياً بإذني، فيعود حياً، ثم يقول له: بعد ذلك أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا يقيناً، إنك اللعين.

قال إبراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم: إنه الخضر عليه السلام(٢)، لا أن ذلك الراوي إبراهيم أبو إسحاق السبيعي كما توهم القرطبي.

وزعم بعضهم أن الرجل من أصحاب الكهف، وقد مر أنهم يكونون

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٨ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٢) في حاشية الأصل/ على القول بحياة الخضر، وقد أخذنا في كتابنا (الجواب المحرر) عدم حياته الآن، فالتصحيح على رأى من زعم أنه حي. مؤلف

من أصحاب المهدي، وهوضعيف، والله أعلم.

وفي رواية قال: «**يأتي - يعني الدجال - وهومحرم عليه أن يدخل المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ**[١] **التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ فيقول الدجال، أرأيتم إن قتلت هذا أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه**»[٢]. خرجه البخاري.

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن النبي ﷺ: «**أن مع الدجال ملكين يشبهان نبيين من الأنبياء، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فيقول: ألست بربكم أحيي وأميت؟ فيقول أحدهما: كذبت، فلا يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه ويقول الآخر: صدقت وذلك فتنة**»[٣] أي يقول صدقت، فيسمع ذلك الناس، إنما قوله صدقت جواباً للدجال، وإنما هو تصديق لتكذيب صاحبه للدجال في زعمه أنه رب.

واعلم أن في خروج الدجال أحاديث كثيرة مختلفة، وأبسط حديث فيه حديث النواس عند مسلم وغيره، وحديث أبي أمامة عند ابن ماجه، وابن خزيمة والحاكم والضياء، وحديث أبي مسعود عند نعيم بن حماد والحاكم، وحديث أبي سعيد عند مسلم وعند البخاري معناه، وحديث أبي سعيد أيضاً

---

(١) في الأصل (الشياح) قلت: والشيّح نبات سُهْلي يتخذ من بعضه المكانس وهو من الأمرار له رائحة طيبة وطعم مر، وهو مرعي للخيل والنعم. لسان العرب/ مادة: شيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٧١٣٢ .

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده (١٥٠) رقم ١١٠٦ .

عند الحاكم، فلنسق هذه الأحاديث مساقاً واحداً، ثم نذكر وجه الجمع بين اختلافها بحسب الإمكان والتيسير، وقد نزيد بعض زيادات من غيرها.

فنقول: اعلم أن النبي ﷺ خطب فقال: **«إنه لم يكن في الأرض منذ ذرأ اللّه ذرية آدم** عليه السلام **أعظم من فتنة الدجال، وأن اللّه لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف منا ذلك، فقال: أنا من غيرالدجال أخوف عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه واللّه خليفتي عليكم وعلى كل مسلم، وإنه يخرج من خلة** - أي من طريق - **بين الشام والعراق، فيعبث أي يفسد يبعث السرايا والجنود يميناً وشمالاً وأن على مقدمته سبعين ألفاً من يهود أصبهان عليهم رجل أشعر يقول بدو بدو كما مر، فقال** ﷺ: **« يا عباد اللّه فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها نبي قلبي، إنه يبدو فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور وربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب، حروفاً مهجاه هكذا (ك ف ر) »**. كما جاء مصرحاً به في بعض الروايات وتقدم ذلك، **وأن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستعن باللّه، وليقرأ فواتح سورة الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنته كذا وكذا** وقد ذكرناها. **وأن معه اليسع** عليه السلام **لينذر الناس فيقول: «هذا المسيح الكذاب فاحذروه لعنه اللّه، ويعطيه اللّه من السرعة ما لا يلحقه الدجال»**[1].

---

(١) لقد وردت روايات كثيرة في خروج الدجال حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وهذا السياق الذي ساقه المصنف أكثر ألفاظه صحيحة، والبعض منها ضعيف، وقد مرت الكثير من الروايات والأحاديث التي تؤيد ذلك فلتراجع.

وفي رواية: «بين يديه رجلين ينذران أهل القرى كلما دخلا قرية أنذرا أهلها، فإذا خرجا منها دخلها أول أصحاب الدجال، ويدخل القرى كلها غير مكة والمدينة، فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريل بعثني اللَّه لأمنعه من حرم رسوله»[١].

وفي رواية: «أنه لا يبقى في الأرض شيء إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيه الملائكة بالسيوف صلتة، فيمر بمكة فإذا رأى ميكائيل ولى هارباً، ويصيح، فيخرج إليه من مكة منافقوها، ويمر بالمدينة كذلك، حتى إذا نزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة، فتتوجه قبله رجل من المؤمنين، ويقول لأصحابه: واللَّه لأنطلقن إلى هذا الرجل، فلأنظرن أهو الذي أنذرنا رسول اللَّه ﷺ أم لا؟ فيقول له أصحابه: لا ندعك تأتيه، ولوأنا نعلم أنه يقتلك إذا أتيته خلينا سبيلك، ولكن نخاف أن يفتنك فيأبى عليهم الرجل المؤمن إلا أن يأتيه، فينطلق يمشي حتى يأتي مسالخ الدجال - أي خفراءه وطلائعه - فيقولون له أين تعمد؟ فيقول اعمد إلى هذا الرجل الذي قد خرج، - وذكر ما قدمناه بحروفه إلى أن قال: فيرسلون إلى الدجال، أَنَّا قد أخذنا من يقول كذا وكذا فنقتله أو نرسله؟ قال: فيقول أرسلوه إليَّ، فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن عرفه لنعت رسول اللَّه ﷺ فيقول: أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول اللَّه ﷺ فيأمر به الدجال فيشبح، ثم يقول لتطيعني فيما أمرتك أو لأشقنك شقتين، فينادي المؤمن: أيها الناس هذا المسيح الدجال الكذاب، من عصاه فهو في الجنة ومن أطاعه فهو في النار، فيؤمر فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، فيقول له الدجال والذي أحلف به لتطيعني أو لأشقنك شقتين، فيقول: أنت المسيح الكذاب، فيؤمر به فينشر بالمنشار على ما قدمناه،

(١) انظر المستدرك (٤/ ٥٨) رقم ٨٦٢١ وتقدم قريباً.

وفي رواية - **فمد برجليه فوضع حديدة على عجب ذنبه فشقه شقتين، ويبعد بينهما قدر رمية الغرض، ثم يمشي الدجال بين القطعتين ويقول لأوليائه أرأيتم إن أحييته ألستم تعلمون أني ربكم؟ قالوا: بلى، فيضرب أحد شقيه أو الصعيد عنده ويقول له: قم، فيستوي قائماً، فلما رآه أولياؤه صدقوه وأيقنوا أنه ربهم وأجابوه واتبعوه، وقال للمؤمن ألا تؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ثم يأتي المدينة المشرفة فيجد بكل نقب من أنقابها ملكاً مسلطاً، فيأتي سبخة الجرف - وفي لفظ هذه السبخة - فينزل بمر قناة، فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، فتخلص المدينة وذلك اليوم يوم الخلاص»**[١]. رواه الإمام أحمد والحاكم عن محجن بن الأدرع فقالت أم شريك بنت أبي العكن يا رسول اللّه فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل وجلبهم بيت المقدس وإمامهم المهدي رجل صالح[٢].

وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث جابر مرفوعاً: «**فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً**»[٣] الحديث.

ثم إن الناس يشكون في أمر الدجال حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانياً، ويبادر إلى بيت المقدس، فإذا صعد عقبة أفيق ورفع ظلمه على المسلمين، فيوترون قسيهم لقتاله، فأقواهم من بَرَكَ، حتى إذا طال الحصار قال رجل: إلى متى هذا الحصار والجهد؟ اخرجوا إلى هذا العدو

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٣٨) رقم ٨٩٩٦ ورقم ١٨٩٩٧ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥)٩) رقم ٤٠٧٧ باختلاف يسير ومسلم رقم ٢٩٤٥ بلفظ مختصر جداً.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧) رقم ١٤٩٩٧ .

حتى يحكم اللَّه بيننا إما الشهادة وإما الفتح، فهل أنتم إلا بين إحدى الحسنيين؟ بين أن تستشهدوا أو يظفركم اللَّه عليهم؟ فيتبايعون على القتال بيعة يعلم اللَّه أنها الصدق عن أنفسهم، وذلك بعد ثلاث سنين شداد يصيب الناس فيها الجوع الشديد، وأن قوت المؤمن التهليل والتسبيح والتحميد، ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه، فينزل ابن مريم عليه السلام، فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لأمة، فيقولون من أنت؟ فيقول: أنا عبد اللَّه وكلمته عيسى، اختاروا إحدى ثلاث: أن يبعث اللَّه على الدجال وجنوده عذاباً جسيماً، أو يخسف بهم الأرض، أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم؟ فيقولون: هذا يا رسول اللَّه أشفي لصدورنا، فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعب، فينزلون إليهم فيسلطون عليهم هذه هذه[1]. وفي رواية: «**فبينما إمامهم - أي المهدي - قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم نبي اللَّه عيسى بن مريم عليه السلام للصبح فيرجع المهدي قهقري فيتقدم عيسى عليه السلام ليصلي بالناس ويقال له: يا روح اللَّه تقدم - أي يقول ذلك بعض من لم يحرم بالصلاة - إذن فيقول عليه السلام: ليتقدم إمامكم فيصلي لكم، ويضع عيسى يديه بين كتفيه فيقول: تقدم فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتح فيفتح ووراءه - أي الباب - الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلي وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وانطلق هارباً، فيقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب لد الشرقي - ولد بضم اللام المهملة بوزن مد بلد بناحية بيت المقدس بينه وبين الرملة مقدار فرسخ إلى جهة**

(١) أخرج نحوه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٤٦) رقم ١٥٢٧ وفي (٥٧٢) رقم ١٦٠١ .

دمشق متصل نخيله بنخيلها، فيقتله ويهزم اللّه اليهود»[١].

وفي رواية لمسلم وأحمد: «**فبينما هو - أي الدجال - كذلك إذ بعث اللّه المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهروذتين - بالذال المعجمة والمهملة أي مصبوغتين بالهرذ وهو شيء أصفر أوبالزعفران أو الورس - واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر** - أي الماء من شعره - **وإذا رفعه تحدر منه مثل الجمان** - أي بضم الجيم وتخفيف الميم حبات من الفضة يصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار - **فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلامات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»**[٢].

وفي رواية: «**ثم ينزل عيسى** عليه السلام **فينادي من السحر فيقول أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذب الخبيث؟ ويسمعون النداء: جاءكم الغوث، فيقولون هذا كلام رجل شبعان، وتشرق الأرض بنور ربها، وينزل عيسى ابن مريم ويقول: يا معشر المسلمين أحمدوا ربكم وسبحوه،** أي فإن الحمد والتسبيح قوتهم كما مر، **فيفعلون، ويريد أصحاب الدجال الفرار فيضيق اللّه عليهم الأرض، فإذا أتوا باب لد في نصف ساعة يوافقون عيسى، فإذا نظر الدجال عيسى يقول: أقيموا الصلاة خوفاً منه - أي من عيسى - ويقول: يا نبي اللّه قد أقيمت الصلاة، فيقول عيسى: يا عدو اللّه زعمت أنك رب العالمين فلمن تصلي؟ فيضربه بمقرعته، وفي رواية بحربته التي نزل بها من السماء، وفي رواية يذبحه بالسكين،** ولا منافاة في ذلك إذ كل ذلك سلاح لسيدنا عيسى عليه السلام **فيقتله»**[٣]. رواه الإمام أحمد عن جابر

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٩) رقم ٤٠٧٧ وبنحوه أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٢٩٥) رقم٤٨، وذكر نحوه الهندي في كنز العمال (١٤/ ٢٩٢) رقم ٣٨٧٤٢ .
(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧، وأحمد بنحوه (٤/١٨١) رقم ١٧٦٦٦ .
(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢١٦) رقم ١٧٩٣١ باختلاف في بعض الألفاظ عن عثمان بن أبي العاص .

مرفوعاً ولفظه «ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل حي، فينطلقون، فإذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح اللّه، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصلى بكم، فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه، فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء، فيمشي إليه فيقتله، حتى إن الشجر والحجر ينادي يا روح اللّه هذا يهودي، فلا يتركن ممن كان تبعه أحدا إلا قتله»[1] .

وفي «التذكرة» فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلي فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح» كما تقدم.

تنبيه: وجه الجمع بين هذه الروايات أن عيسى صلوات اللّه عليه ينزل أولًا بدمشق على المنارة البيضاء، وهي موجودة الآن - لست ساعات من النهار، ثم يأتي إلى بيت المقدس غوثاً للمسلمين، ويلحقهم في صلاة الصبح وقد أحرم المهدي، والناس كلهم أو بعضهم لم يحرم بعد، فيخرج إليه من لم يحرم بالصلاة فيأتي المهدي في الصلاة فيقهقر، ويقول لعيسى بعض الناس تقدم لما تقهقر المهدي، فيضع يده على كتف المهدي أن تقدم، ويقول للقائل: ليتقدم إمامكم، فيجيب المهدي بالفعل والقائل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله، ثم إذا أصبحوا شرد أصحاب الدجال فتضيق عليهم الأرض، فيدركهم بباب لد، فيصادف ذلك صلاة الظهر، فيتحيل اللعين إلى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة، فلما عرف أنه لا يتخلص من ذلك ذاب خوفاً منه كما يذوب الملح بالماء، فأدركه فقتله أو أنه ينشئ اللعين صلاة في غير وقتها، وهوأدل على ضلالته وجهالته باللّه،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧) رقم ١٤٩٩٧ .

ذكره في «الإشاعة» ثم قال: وهنا وجه آخر وهو: أقرب إلى التحقيق وهو أن الصلاة في الأيام القصار التي هي آخر آيام الدجال تقدر، فيحتمل أن يصادف التقدير ذلك الوقت، وعلى هذا فلا إشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار، وبين كونه يصلي بالناس صلاة العصر. انتهى.

وعندي في هذا الجمع نظر من وجوه:

الأول: في مسند الإمام أحمد عن جابر مرفوعاً «ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل حي فينطلقون فإذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح اللّه»(١) الحديث، فهذا صريح أنه يجتمع بهم قبل إقامة الصلاة ثم يقيمونها بعد ذلك كما لا يخفى، سيما وقد عطف بالفاء، وهي للترتيب، وأيضاً فإن السحر قبيل الصبح.

الثاني: في بعض الروايات «ثم ينزل ابن مريم بعد أن يجمع المهدي الناس لقتاله - أي الدجال -، فتعمهم ضبابة من غمام ثم ينكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى قد نزل، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء، والناس يريدون صلاة الصبح، ثم بعد الصلاة يتبعونه وقد فر»(٢) فهذا يدل على أنه ينزل على منارة دمشق الصبح فكيف يقال لست ساعات مضين من النهار؟ وفيه أيضاً أن الناس لم يكونوا أحرموا بالفجر بل يريدون ذلك، إلا أن يقال أحرم الإمام وبعض الناس ومعظم الناس لم يحرم بها بعد.

الثالث: قوله «يصلي بالناس صلاة العصر» المعروف عند أهل العلم أن عيسى عليه السلام يصلي وراء المهدي صلاة الفجر فقط، ثم يسلم له المهدي

---

(١) تقدم ص ٤٨٩ .
(٢) أخرج نحوه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٧٠) رقم ١٥٩٥ عن عبد الله بن عمرو .

الأمر ويصلي بالناس، فيكون أول صلاة يصليها بالناس الظهر فكيف يقول يصلي بالناس صلاة العصر؟

والجواب: أنه لا منافاة في كلام صاحب «الإشاعة» أويكون قد جمع بين الظهر والعصر تأخيراً لاشتغاله في طلب الدجال، فليحرر المقام، فإذا قتل الدجال انهزم جنوده الذين هم اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوراى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة إلا قال يا عبد الله هذا يهودي، وفي لفظ هذا دجالي فتعال اقتله، إلا الغرقد فإنها من شجر اليهود لا ينطق.

ففي مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله إلا الغرقد فإنه شجر اليهود»**(١). وفي البخاري نحوه، والله أعلم.

المقام الرابع: في سرعة سيره في الأرض ومدة لبثه فيها وكيفية النجاة منه.

أما سيره ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس من بلد إلا سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة»**(٢).

وورد أيضاً: **«يبلغ كل منهل إلا أربعة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، ومسجد الأقصى، ومسجد الطور، فيقتل وهو قاصد لبيت المقدس»**(٣)، وعند أبي نعيم في الفتن عن ابن مسعود مرفوعاً: **«خطو**

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٢٢ وبنحوه أخرجه البخاري رقم ٢٩٢٦ .
(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٣ والبخاري رقم ١٨٨١ .
(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٤) رقم ٢٣٧٣٣ وذكره الهيثمي (٧/ ٦٥٨) رقم ١٢٥٢٣ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

حماره ثلاثة أيام»(١).

وفي «البهجة» ورد أن خطو حماره ثلاثة أيام، وأنه لا يسخر له من الدواب إلا الحمار، وفي المستدرك صحيحاً «**له حمار ما بين أذنيه أربعون يمكث أربعين عاماً فيطأ كل منهل في كل سبعة أيام»**(٢).

وذكرالحافظ ابن حجر: سير الدجال ومجيئه دمشق عند بابها الشرقي وأمره السحاب بالمطر فيمطر والنهر أن يسيل فيسيل إليه وأن يرجع فيرجع، وأن ييبس فييبس، ويأمر جبل سيناء وجبل زيتا أن يتشحطا(٣)، ويثير الريح سحاباً من البحر يمر الأرض بأمره، ويخوض البحر ثلاث خوضات في اليوم فلا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيمد الطويلة في البحر فيبلغ قعره، فيخرج من الحيتان ما يريد، الحديث بطوله في مستدرك الحاكم(٤).

وأما مدة لبث الدجال في الأرض: ففي خبر النواس بن سمعان عند الترمذي قلنا يا رسول اللَّه وما لبثه في الأرض؟ قال: «**أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم** قلنا: يا رسول اللَّه فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: **لا، اقدروا له قدره،**

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٤٣) رقم ١٥٢٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٩٨).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٥) رقم ٨٦١٣ باختلاف يسير وتقديم وتأخير وليس فيه يمكث أربعين الحديث وقال عنه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) كذا في الأصل، والشَّخطُ والشَّحَطُ البعد، وشَحطن الدار تَشْحَطُ شَحطاً وشَحَطاً وشُحُوطاً: بعدت، وشواحط الأودية ما تباعد منها - لسان العرب/ مادة شحط.

(٤) روى هذا السياق نعيم بن حماد في الفتن عن كعب الأحبار (٢/ ٥٤٢) وعنه ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٩٢) وليس فيه (الحديث بطوله في مستدرك الحاكم).
ولم أقف عليه في المستدرك.

قلنا: يا رسول اللَّه وما سراعه في الأرض؟ قال: **كالغيث استدبرته الريح**»[١]. الحديث بطوله.

قال العلامة في «البهجة»: قال بعضهم وعلى قياس الصلاة الصوم والحج والعمرة وحول أنصاب الزكاة. انتهى.

وفي روايةعند الإمام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً: «**يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين فيبعث اللَّه عيسى بن مريم** عليه السلام **كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيطلبه فيهلكه**»[٢].

وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء «**أن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والسنة كالجمعة، وآخر أيامه كالشررة. يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بها الآخر حتى يمسي**»[٣].

وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث، فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن حتى لا يدروا كيف يمضي النهار، فيكون مضي النهار عندهم كمضي الساعة، والشهر كاليوم، والسنة كالشهر.

وقال بعضهم: بل هو على ظاهره، فقد ورد من حديث أنس عند الإمام أحمد والترمذي في أشراط الساعة «**حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر،**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٥)(٠) رقم ٢٩٣٧ ، وأبو داود (٢/ ٥٢٠) رقم ٤٣٢١، وابن ماجه (٢/ ١٣٥٦) رقم ٤٠٧٥ والترمذي (٤/ ٥١٠) رقم ٢٢٤٠ .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٦) رقم ٦٥٥٥ ، ومسلم رقم ٢٩٤٠ .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٣٥٩) رقم ٤٠٧٧، والحاكم (٤/ ٥٨٠) رقم ٨٦٢٠ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار»(١). قلت: وذكر بعض العلماء أن الصلاة تقدر في هذه الأيام أيضاً على قياس ما مر، ويأتي تحريره قريباً، والله أعلم.

والجواب عن اختلاف الحديثين إما بالترجيح وإما بالجمع، فإن رجحنا فحديث النواس عند الإمام أحمد ومسلم والترمذي، فهو أقوى لأنه أصح، وإن كان الثاني أيضاً في الصحيح فيقدم عليه، وإن جمعنا فطريق الجمع أن أيامه أربعون سنة، وتسمى السنين أياماً مجازاً، كما يقال أيام بني الزبير وأيام عمر بن الخطاب وأيام بني أمية.

ثم إن أول أيام سنته الأولى كسنة، وثانيها كشهر، وثالثها كجمعة، وباقي أيامها كأيامنا، ثم تناقص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة، وهكذا إلى أن تكون السنة كشهر، والشهر كجمعة، والجمعة كيوم، حتى يكون آخر أيامه بحيث يصبح أحدهم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي، فتكون السنة الأول مشتملة على مقدارسنين من سنيننا، وسنوه الأخيرة مقدار سنة من سنيننا، ويقربه رواية الحاكم، وأبي نعيم عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: **«إنه يقول: أنا رب العالمين، وهذه الشمس تجري بإذني، أفتريدون أن أحبسها؟ فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر، والشهر كالجمعة، ويقول: أتريدون أن أسيرها؟ فيجعل اليوم كالساعة»**(٢) الحديث.

---

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له (٤/ ٥٦٧) رقم ٢٣٣٢، وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (٢/ ٥٣٧) رقم ١٠٩٥٦ باختلاف في بعض الألفاظ من حديث أبي هريرة، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٥٦) رقم ٦٨٤٢ وبعضه في البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٤٣) رقم ١٥٢٧، وذكره ابن كثير في النهاية (١١٤) وصدَّره بقوله: خبر غريب ونبأ عجيب وعلق عليه بقوله: قال شيخنا الحافظ الذهبي: وهذا الحديث شبه موضوع، ولم أقف عليه في المستدرك.

فائدة: مر أنه ﷺ سئل عن الصلاة في اليوم الذي كالسنة أتكفينا فيه صلاة يوم واحد؟ قال: «**لا، ولكن اقدروا مقدار كل يوم فصلوا فيه خمس صلوات**»[١]. وتقدم، وقيس به اليومان الآخران، وسئل عن الأيام القصار فقالوا: وكيف نصلي يا رسول اللّه في تلك الأيام؟ قال: «**تقدرون فيها للصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال**»[٢].

قال في (الإشاعة) والظاهر أن التقدير هنا عكس الأول، بأن نصلي الخمس في مقدار يوم من هذه الأيام.

قلت: وهو منطوق الخبر، والظاهر أن صاحب «الإشاعة» ظن أن قوله كما تقدرونها في هذه الايام الطوال، أن الطوال هي أيام الدجال التي مر الكلام عليها، وليس كذلك، بل قوله ﷺ «كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال»، أي التي أنتم الآن فيها، هذا الذي يظهر، واللّه أعلم.

وأما كيفية النجاة منه، فإنه معلوم قطعاً أنه ليس برب، كيف وهو يأكل الطعام ويشرب الشراب؟ وهو لضعفه وخسته أعور، وهو جسم مرئي، وهذه كلها لا تجوز على الباري، نعم الرؤيا لكن في الآخرة كما ثبت ذلك[٣]، ولو كان له قوة لرد عينه وجعلها أحسن عين رؤيت في الدنيا، وقد علم مما مر أنه لا يدخل الحرمين، فينبغي لمن أدرك ذلك أن يلتجئ إلى أحدهما، أو إلى المسجد الأقصى، أو إلى مسجد الطور.

هذا وقد صح عن حضرة الرسالة «**أن من حفظ عشرة آيات من أول**

---

(١) تقدم ص ٥٩٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٩) رقم ٤٠٧٧، والطبراني في الكبير (٨/ ١٤٦) رقم ٧٦٤٤، والحاكم (٤/ ٥٨٠)، رقم ٨٦٢٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي .

(٣) لما رواه البخاري رقم ٤٥٨١ عن أبي سعيد الخدري ومسلم رقم ١٨٢ عن أبي هريرة.

سورة الكهف عصم من الدجال»[١].

وفي رواية «من آخر الكهف»[٢]، رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعاً، وقد ورد عن أبي أمامة مرفوعاً: «**من لقيه منكم فليتفل في وجهه**»[٣] رواه الطبراني.

ومما ينبغي للمؤمن أن يكثر من التلهيل والتسبيح والتكبير فإنه قوته إذاً كما مر.

واعلم أن أحاديث الدجال لا ينبغي الجهل بها، بل يجب العلم بها، وقد قال ابن ماجه سمعت الطنافسي يقول: سمعت المحاربي يقول: ينبغي أن يرفع الحديث - يعني حديث الدجال - إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكُتَّاب، وقد ورد أن من علامات خروجه «**نسيان ذكره على المنابر**»[٤].

وأخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر مرفوعاً: «**يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم**»[٥] فينبغي لكل

---

(١) رواه مسلم رقم ٨٠٩، وأبو داود (٢/ ٥٢٠) رقم ٤٣٢٣.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) جزء من حديث أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨٠) رقم ٨٦٢٠ والطبراني في الكبير (٨ / ١٤٦) رقم ٧٦٤٤ وتقدم قبل ثلاثة أحاديث.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٧١) رقم ١٦٧١٨، والشيباني في الآحاد والمثاني (٢/ ١٧٠) رقم ٩٠٧، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٠٢) رقم ٩٩٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٤٦) رقم ١٢٤٩٩، وقال: رواه عبد الله بن أحمد من رواية بقية عن صفوان بن عمر وهي صحيحة كما قال ابن معين وبقية رجاله ثقات.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧) رقم ١٤٩٩٧ بلفظ (خفقة) بدلا من (خفة)، والحاكم (٤/ ٥٧٥) رقم ٨٦١٣ واللفظ له وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

عالم لاسيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثر فيه اللغط أن يفشي أحاديث الدجال لتعرف، قد قرب واللَّه الميقات، وظهرت العلامات، واندرس العلم ومات، ونسي الدجال، فلا يذكر في ساعة من الساعات، فواللَّه إني في بعض الأيام لأتكلم في أحاديثه، وأحذر الحاضرين من فتنه، فإذا ببعض السفهاء الضالين قد خرج منكراً لذلك، فلقي بعض إخوانه الذين طمس اللَّه على بصيرته، فقال له: هل سمعت أن لنا ربين؟ فقال: لا، فقال: إن فلاناً يقول: إن رجلًا يأتي آخر الزمان، يقول للسماء أمطري فتمطر، ولا يفعل ذلك إلا رب العالمين، فلا شك في هذا إن أدرك أيام الدجال يكن من أوليائه، فنسأل اللَّه العافية.

خاتمة: اختلف الصحابة فمن بعدهم قديماً وحديثاً في الدجال هل هو ابن صياد أو غيره؟ ولكل أدلة، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري: مما يدل على أن ابن صياد هوالدجال ما خرج مسلم عن محمد بن المنكدر قال: «**رأيت جابر بن عبد اللَّه يحلف باللَّه أن ابن صياد الدجال، فقلت له: أتحلف ذلك؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ**»[1] وأخرجه أبو داود في سننه.

وفي (التذكرة) للقرطبي رحمه الله عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنه يقول: واللَّه ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد، أخرجه أبو داود وإسناده صحيح.

وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا ابن صياد قال: فنزلنا منزلًا فتفرق الناس فبقيت أنا وهو - أي

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٢٩ ، والبخاري رقم ٧٣٥٥ وأبو داود (٢/ ٥٢٤) رقم ٤٣٣١ .

ابن صياد - فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه، قال: وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي، فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة؟ قال: فرفعت لنا غنم، فانطلق بعس، فقال: اشرب أبا سعيد، فقلت: إن الحر شديد واللبن حار، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده، أو قال آخذ عن يده، فقال: أبا سعيد من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عنكم معشر الأنصار، ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ : **«هو كافر وأنا مسلم؟** أوليس قد قال رسول الله ﷺ: **«هو عقيم لا يولد له»** وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أوليس قد قال رسول الله ﷺ : **«لا يدخل المدينة ولا مكة»** وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟»[١].

وفي رواية: وقد حججت قال أبو سعيد: حتى كدت أن أعذره، ثم قال: أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن؟ قال: قلت له: تباً لك سائر اليوم، وقيل له: أيسرك أنك ذلك الرجل؟ فقال: لو عرض علي أن أكون أنا هو لم أكره، وفي لفظ: ما كرهت، قال أبو سعيد: فقلت له: تباً لك سائر اليوم»[٢]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقيت ابن صياد مرتين فذكر المرة الأولى قال: ثم لقيته أخرى وقد نفرت عينه، قال: فقلت: متى فعلت عينك ما ترى؟ قال: لا أدرى، قلت: لا تدرى وهي في رأسك؟ قال: إن شاء الله خلقها في عصاك هذه، قال: فنخر كأشد نخرة حمار سمعت، قال: فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصي كانت معي حتى تكسرت، وأما أنا فوالله ما شعرت، قال: وجاء ابن عمر حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها، فقالت: ما تريد إليه؟ أما إنه قد قال رسول الله ﷺ : **«إن**

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٢٧ .

(٢) نفس الحديث السابق .

أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه» وقال عمر لرسول الله ﷺ: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه؟ فقال ﷺ: **«إن يكن هو فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله»**[١] ذكره في التذكرة.

وأخرج أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال: «فقدنا ابن صياد يوم الحرة»[٢] وأخرج الترمذي عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً **«يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاماً لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما أعور، أضر شيء وأقله منفعة، تنام عينه ولا ينام قلبه»** ثم نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه فقال: **أبوه طوال ضرب اللحم كان أنفه منقار، وأمه امرأة طويلة اليدين»**. قال أبو بكرة: فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول الله ﷺ فيهما، فقلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا ولد، ثم ولد لنا غلام أعور، أضر شيء وأقله منفعة، تنام عينه ولا ينام قلبه، قال: فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل في الشمس في قطيفة، وله جمجمة، فكشفت عن رأسه فقال: ما قلتما؟ قلنا وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم تنام عيني ولا ينام قلبي»[٣]. قال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة، قال القرطبي: قلت: خرجه أبو داود الطيالسي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه.

وروي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن يهودياً أتى النبي ﷺ فسأله

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٢٤ باختلاف يسير.

(٢) أبو داود (٢/ ٥٢٤) رقم ٤٣٣٢ موقوفاً.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٥١٨) رقم ٢٢٤٨ ، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.

وأحمد (٥/ ٤٠) رقم ٢٠٤٣٤ و(٥/ ٤٩) رقم ٢٠٥٢١ والطيالسي في مسنده (١/ ١١٦) رقم ٨٦٥ .

عن أشياء، الحديث وفي آخره قال: «**أخبرني عن الدجال أمن ولد آدم هو أم من ولد إبليس قال: هو من ولد آدم وأنه على دينكم معشر اليهود**»[١] أو كما قال.

قال الحافظ ابن حجر: هذه الأحاديث كلها ليست نصاً ولا صريحاً في أن ابن صياد هو الدجال، لأن النبي ﷺ أتى المدينة، ثم لما أخبره تميم الداري جزم بأن الدجال هو ذلك المحبوس الذي رآه تميم، ويأتي حديثه. وأما حلف عمر عند النبي ﷺ فبناء على ظنه، وسكوت النبي ﷺ لأنه كان متردداً فيه.

وأما حديث أبي بكرة فقال البيهقي في الجواب عنه تفرد به على ابن زيد وليس بالقوي.

قال الحافظ ابن حجر: ويوهى حديثه أن أبا بكرة أسلم حين نزل من الطائف لما حوصرت سنة ثمان من الهجرة.

وفي حديث الصحيحين: أنه حين اجتمع به النبي ﷺ في النخل كان قد قارب الحلم[٢] فأين يدرك أبو بكرة زمان مولده بالمدينة، وهو لم يسكن المدينة إلا قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين؟ كيف يتأتى أن يكون في الزمن النبوي كالمحتلم؟ فالذي في الصحيحين هو المعتمد، ثم نقل البيهقي أنه ليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ على حلف عمر، فيحتمل أنه ﷺ كان يتوقف في أمره ثم أخبر من عند اللّه أنه غيره على ما تقتضيه قصة تميم الداري، قال ابن حجر: وقد توهم بعضهم أن حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم فرد، وليس كذلك، فقد رواه مع فاطمة بنت قيس أبو هريرة وعائشة وجابر.

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (٧٧٥) ولم أقف عليه فيما تحت يدي من مصادر أخرى.
(٢) البخاري رقم ٦١٧٣، ومسلم رقم ٢٢٤٩.

أما حديث أبي هريرة فأخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى. وأما حديث عائشة فهو في حديث فاطمة المذكور عند الشعبي قال: ثم لقيت القاسم بن محمد فقال: اشهد على عائشة حدثتني كما حدثت فاطمة بنت قيس، وأما حديث جابر فأخرجه أبو داود بسند صحيح، وأما حديث فاطمة بنت قيس فأخرجه مسلم وأبو داود بمعناه، والترمذي وابن ماجه، قال الترمذي: حسن صحيح ولفظ رواية مسلم. قالت: «**سمعت منادي رسول اللّه ﷺ ينادي الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول اللّه ﷺ، فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: هل تدرون لم جمعتكم؟ قالوا اللّه ورسوله أعلم، قال: إني واللّه ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلًا نصرانياً فجاء وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلًا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر فأرفؤا - أي بالهمز يعني لجأوا - إلى جزيرة حين مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة - وهو بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرها سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة فيها ركاب السفينة لقضاء الحوائج - قال: فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب - أي غليظ الشعر كثيرة**»[1].

وعند أبي داود: «**فإذا أنا بامرأة تجر شعرها قالوا: ويلك ما أنت قالت: الجساسة**»[2]، أي بفتح الجيم، وتشديد السين الأولى سميت بذلك لأنها تتجسس الأخبار، وقد روي عن ابن عمر وابن الأرقم أن هذه هي دابة الأرض التي تخرج آخر الزمان فتكلمهم كما يأتي، فقالت: انطلقوا إلى هذا

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٤٢ .
(٢) رواه أبو داود (٢/ ٥٢١) رقم ٤٣٢٥ والطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٧١) رقم ٩٢٢ .

الرجل في الدير فإنه إلى أخباركم بالأشواق فلما سمت لنا رجلًا فرقنا أي خفنا منها أن تكون شيطانه قال: فانطلقنا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً، مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبته إلى كعبه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قلنا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فأخبروه بالخبر، فقال: أخبروني عن نخل بيسان؟ بفتح الموحدة قرية بالشام جنوبي طبرية وناحية باليمامة، وهي المرادة في الحديث، بدليل ذكر النخيل هل يثمر؟ قلنا نعم، قال: أما إنها توشك أن لا تثمر قال: أخبروني عن بحيرة طبريا هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال: أخبروني عن عين زغر - بضم الزاي وفتح الغين المعجمة على وزن صرد - بلدة معروفة من الجانب القبلي من الشام بينها وبين بيت المقدس ثلاث فراسخ على طرف البحيرة، وزغر اسم أبي لوط عليه السلام كما في جامع الفنون في باب العيون منه- هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا نعم، هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قلنا قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا نعم قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم أني أنا المسيح، وأني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج، فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، وهما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها، وإن على كل نقب من أنقابها ملائكة يحرسونها. قال رسول اللّه ﷺ: «**وطعن بمخصرته - بكسر الميم عصا أو قضيب يكون مع الملك والخطيب يشيربها إذا خطب في المنبر، متعلق بطعن - هذه طيبة ثلاثاً - يعني المدينة - ألا هل كنت أحدثكم؟ قال الناس نعم، قال: فإنه**

أعجبني حديث تميم الداري لتوافق الذي كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة، إلا أنه في بحر الشام، أو في بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق. ما هو؟ وأومأ بيده أنه من قبل المشرق»[1].

قال القاضي عياض: لفظة ما زائدة صلة الكلام ليست نافية، والمراد إثبات أنه من قبل المشرق، وفي بعض طرق الحديث عند البيهقي أنه شيخ، وسنده صحيح.

قال البيهقي: فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد، وإن كان ابن صياد واحد الدجالين الكذابين الذين أخبر النبي ﷺ بخروجهم.

وكأن هؤلاء الذين يقولون: إن ابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جداً، إذ كيف يلتئم من كان في أثناء الحياة النبوية شبه المحتلم، ويجتمع به النبي ﷺ، أن يكون في آخرها شيخاً مسجوناً في جزيرة من جزائر البحر، موثقاً بالحديد، يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا؟

قال: وأما إسلام ابن صياد وحجه وجهاده، فليس فيه تصريح بأنه غير الدجال، لاحتمال أنه يختم له بالشر.

فقد أخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن حسان بن عبد الرحمن عن أبيه قال: لما فتحنا أصبهان كان بين عسكرنا وبين اليهودية فرسخ، فكنا نأتيها ونمتار منها، فأتيناها يوماً فإذا اليهود يدففون ويضربون، فسألت صديقاً لي منهم، فقال ملكنا الذي نستفتح به على العرب، يدخل الليلة،

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٤٢ باختلاف يسير في بعض الألفاظ .

فبت عنده على سطح فصليت، فلما طلعت الشمس إذ الوهج من قبل العسكر، فنظرت فإذا هو ابن صياد فدخل المدينة فلم يعد حتى الساعة.

قال الحافظ ابن حجر: وحسان بن عبد الرحمن ما عرفته والباقون ثقات، قال وقد أخرج أبو داود بسند صحيح عن جابر قال: «فقد ابن صياد يوم الحرة»[١] ورواه غيره بسند صحيح وخبر جعفر هذا يضعف خبر أنه مات بالمدينة وأنهم صلوا عليه وكشفوا عن وجهه، ولا يلتئم أيضاً مع خبر حسان بن عبد الرحمن المار، إذ فتح أصبهان كان في خلافة عمر كما أخرجه أبو نعيم في تاريخها، وبين قتل عمر رضي الله عنه ووقعة الحرة نحو أربعين سنة، وغاية ما يعتذر عنه أن القصة إنما شاهدها والد حسان بعد فتح أصبهان في هذه المدة، ويكون جواباً[٢] لما في قوله «لما فتحنا أصبهان» محذوف تقديره: صرت أتعاهدها وأتردد إليها، فجرت قصة ابن صياد المارة. وقد أخرج الطبراني في الأوسط من حديث فاطمة بنت قيس مرفوعاً: «**الدجال يخرج من يهودية أصبهان**»[٣].

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه «أنه يخرج من يهودية أصبهان»[٤]. قال أبو نعيم: كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان وإنما سميت اليهودية لأنها كانت تختص بسكنى اليهود، ولم تزل كذلك إلى زمن أيوب بن زياد، أمير مصر في زمن المهدي بن منصور العباسي،

---

(١) تقدم ص ٥٠١ .

(٢) بالأصل (جواب) والمثبت هو الصحيح.

(٣) الطبراني في الأوسط (٥/ ١٥٦) رقم ٤٩٣٠ عن أنس وأحمد (٣/ ٢٢٤) رقم ١٣٣٦٨ وانظر تخريج الحديث التالي.

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤) رقم ١٣٣٦٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٥١) رقم ١٢٥١٢ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق، وهو ثقة.

فسكنها المسلمون وبقيت لليهود منها قطعة، هذا ملخص كلام الحافظ ابن حجر مع ضم فوائد من كلام غيره.

وحاصل كلامه: أن الأصح أن الدجال غير ابن صياد، ووافقه في «الإشاعة» وإن وافق ابن صياد في كونه أعور من اليهود، وأنه ساكن في يهودية أصبهان، إلى غير ذلك، لكن أحاديث ابن صياد كلها محتملة، وحديث الجساسة نص فيقدم.

قال في «الإشاعة»: ومما يؤيد أنه غيره أن قصة تميم الداري متأخرة عن قصة ابن صياد، فهو كالناسخ له، كذا قال. قلت: لا مدخل هنا للنسخ أصلًا والله أعلم، قال: ويرجحه أنه غير ابن صياد أن النبي ﷺ حين إخباره أنه في بحر الشام أو اليمن لا بل قال من المشرق، كان ابن صياد بالمدينة، فلو كان هو لقال بل هو في المدينة.

قال: ويؤيـده ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جبير بن نفير وشريح ابن عبيد وعمرو الأسود وكثير بن مرة قالوا جميعاً: الدجال ليس هو إنسان، وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن، كما تقدم.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا لا يمكن مع كون الدجال هو ابن صياد، ولعل هؤلاء مع كونهم ثقات تلقوا ذلك من بعض كتب أهل الكتاب، انتهى.

قال القرطبي في (التذكرة): وقد استدل من قال من العلماء أن الدجال ليس ابن صياد بحديث الجساسة وما كان في معناه.

قال والصحيح أن ابن صياد هو الدجال، يدل له ما تقدم، ويبعد أن

يكون بالجزيرة ذلك الوقت ويكون بين أظهر الصحابة في وقت آخر، إلى أن فقدوه يوم الحرة.

وقد أخرج أبو داود في خبر الجساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «شهد جابر أنه هو ابن صياد، قلت: فإنه قد مات، قال: وإن مات؟ قلت: فإنه قد أسلم قال: وإن أسلم قلت: فإنه قد دخل المدينة قال: وإن دخل المدينة»[١].

قال: وذكر سيف بن عمر في كتاب «الفتوح والردة» ما ملخصه: أنه لما نزل المسلمون على السوس وأحاطوا بها وناشبوهم القتال، أشرف عليهم يوماً الرهبان والقسيسون، فقالوا: يا معشر العرب إن مما عهد علماؤنا وأولياؤنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال، فإن كان الدجال فيكم فتفتحونها وإلا فلا تعنوا بالحصار، قال: وصاف ابن صياد يومئذ مع النعمان في جنده، فأتى باب السوس غضبان فدقه برجله وقال: انفتح، فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وانفتحت الأبواب ودخل المسلمون، وقد تقدمت قصة ابن صياد مع أبي سعيد، فالذي حط عليه كلام القرطبي، أنه صاف ابن صياد.

وقال العلامة في «بهجته»: الذي اعتمده المحدثون بعد الخلاف الكبير أن الدجال هو ابن صياد اليهودي، الذي رآه رسول اللّه ﷺ بالمدينة ورآه تميم بالجزيرة مع الجساسة، انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر: وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وكون ابن صياد هو الدجال، أن الذي شافَهُ تميمٌ موثقاً هو الدجال بعينه،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٢٢) رقم ٤٣٢٨ .

وأن ابن صياد شيطانه ظهر في صورة الدجال تلك المدة التي قدر اللَّه تعالى خروجه فيها، واللَّه أعلم.

وزعم بعضهم أن الدجال هو ابن شق الكاهن أو هو شق نفسه كما تقدم، قال الحافظ ابن حجر: وهذا واهٍ.

وفي «البهجة» أن اسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود، قال يخرج آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات اللَّه، قالوا: ويرد الملك إلينا، وكذبوا في زعمهم، انتهى.

وفي «الإشاعة»: فإن قيل: كيف يحكم بكفر ابن صياد فضلًا عن كونه دجالًا بعد أن ثبت إسلامه وحجه وجهاده والأصل بقاؤه على الإسلام إلى الموت؟.

قلت: قوله في حديث أبي سعيد لا يكره أن يكون دجالًا، ولو عرض عليه ذلك لقبله يدل على عدم إسلامه في الباطن، إذ كيف يرضى المسلم أن يدعي الربوبية والنبوة؟ فهذا الذي جوز الحكم عليه بالكفر. انتهى.

قلت: حيث ثبت أن النبي ﷺ حكم عليه أنه الدجال. فلا محصل للسؤال، إذا هو أعلم بحقيقة الحال، واللَّه الموفق.

ولقد كنت جزمت أن الدجال هو ابن صياد تبعاً لأئمة الحديث، ومضى على ذلك مدة أفتي من سألنا عن الدجال بأنه ابن صياد، إلى أن ظهر لي أن الدجال هو الذي أخبر تميم عنه، وقرر المصطفى ذلك، وبلغه الصحابة، وأن ابن حجر كلامه في غاية الجودة من أن ابن صياد شيطان الدجال كما مر، على أن لي في ذلك وقفة، إذ ليس كون الدجال هو الذي في الجزيرة وأنه شيخ، وأن ابن صياد كالمحتلم، وأنه بين ظهراني الصحابة

بأعجب مما يأتي به الدجال من الفتن، فلعل هذا من ذلك واللَّه سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال، وإليه المرجع والمآل، لا نحصي ثناء عليه، عز جاره وجل ثناؤه، فنعوذ بك اللَّهم من فتنة الدجال، ومن مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، فأنت حسبنا وكفى.

* * *

الفصل الثالث

في نزول سيدنا عيسى عليه السلام

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»**(١) الحديث.

وفي رواية لمسلم عنه: **« واللَّه لينزلن ابن مريم حكماً عدلًا فليكسرن الصليب»**(٢) بنحوه.

وأخرج مسلم عن جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: إلا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللَّه هذه الأمة»**(٣).

وقال العلامة في «البهجة»: هو - أي نزول عيسى - ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] أي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة، ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً، ونوزع في الاستدلال بهذه الآية، وأن الضمير في قوله قبل موته ليهود، ويؤيده قراءة أبي قبل موتهم(٤).

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٤٤٨ ، ومسلم رقم ١٥٥ .

(٢) مسلم السابق.

(٣) مسلم السابق .

(٤) هذه قراءة غير صحيحة إذ لم ترد حتى في القراءة الشاذة.

وأما السنة فلا نزاع فيها، وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه متبع لهذه الشريعة المحمدية، وليس بصاحب شريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به ويتسلم الأمر من المهدي، ويكون المهدي مع أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي - كما مر - من جملة أتباعه، كما مر، ويصلي عيسى وراء المهدي صلاة الصبح - كما تقدم -، وذلك لا يقدح في نبوته، ويسلم المهدي الأمر لعيسى عليه السلام، وكل ما معه من تابوت بني إسرائيل، ويقتل الدجال كما مر - انتهى كلامه مخلصاً.

والكلام على سيدنا عيسى عليه السلام في ثلاث مقامات:

المقام الأول: في سيرته وحليته.

أما حليته: فعند البخاري من حديث عقيل بن خالد أنه «**أحمر أجعد عريض الصدر**»[١] وفي رواية: «**آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال، سبط الشعر ينطف**»[٢] بكسر الطاء المهملة أي يقطر ماء. زاد في رواية «**له لمة** - أي بكسر اللام وتشديد الميم - **أحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها**»[٣] بتشديد الجيم أي سرحها.

وفي رواية: «**لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء**»[٤] وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس**»[٥] زاد في حديث أبي هريرة بنحوه. «**كأنما**

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٤٣٨ .
(٢) البخاري رقم ٣٤٤١ .
(٣) البخاري رقم ٥٩٠٢ .
(٤) البخاري رقم ٣٤٤٠ .
(٥) البخاري رقم ٣٢٣٩ .

خرج من ديماس»[1] يعني الحمام ولا منافاة بين الحمرة والأدمة، لجواز أن تكون أدمته صافية، كما مر في صفة الدجال، لا يجد ريح نفسه - أي عيسى عليه السلام - كافر إلا مات.

وأما سيرته: فقد تقدم أنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويقتل القرد، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، ويتحد الدين فلا يعبد إلا اللَّه، ويترك الصدقة أي الزكاة، لعدم من يقبلها، وتظهر الكنوز في زمنه، ولا يرغب في اقتناء المال، ويرفع الشحناء والتباغض، وينزع سم كل ذي سم، حتى تلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم، ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها، ويملأ الأرض سلماً، وينعدم القتال، وتنبت الأرض نبتها كعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، وكذا الرمانة، وترخص الخيل لعدم القتال، ويغلو الثور لأن الأرض تحرث كلها، ويكون مقرراً لشريعة المصطفى ﷺ لا أنه رسول لهذه الأمة، ويكون قد علم بأمر اللَّه في السماء قبل أن ينزل وهو نبي.

وزعم بعض العلماء أن نزول عيسى عليه السلام يرفع التكليف، قالوا: لئلا يكون رسولًا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن اللَّه وينهاهم، وهذا مردود بالأخبار الواردة أنه مقرر لهذه الشريعة ومجدد لها، إذ هي آخر الشرائع، ونبينا ﷺ آخر الرسل، وأيضاً فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف، إلى أن لا يقال في الأرض اللَّه اللَّه، ذكره القرطبي في (التذكرة).

قلت: في زعم رفع التكليف خطأ بين لكل ذي لب، فإنا لو قلنا برفعه لكان الزنا ومصحفيه لا محذور فيها كبقية المحارم، إذ التكليف تحته الأحكام الخمسة، وهي الواجب، والمسنون، والحرام، والمكروه،

---

(١) رواه البخاري رقم ٣٣٩٤، ٣٤٣٧.

والمباح، فإذا رفعت هذه فلا بقاء لقوام العالم من غير شك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

واعلم أن عيسى عليه السلام من أمة نبينا محمد ﷺ، فهو صحابي، لأنه اجتمع به ﷺ ليلة الإسراء، واجتمع به في الطواف أيضاً، وقد ألغز في ذلك التاج السبكي فقال:

من باتفاق جميع الخلق أفضل من ... خير الصحاب أبي بكر ومن عمر
ومن علي ومن عثمان فهو فتى ... من أمة المصطفى المختار من مضر

قال في (الإشاعة) كالتذكرة أنه ﷺ قال: «**وتسلب قريش ملكها**»[١] قال ابن حجر الفقيه في (القول المختصر) وسبقه السخاوي في (القناعة) معنى ذلك لا يبقى لقريش اختصاص بشيء دون مراجعته، فلا يعارض ذلك خبر «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان**»[٢].

قال البرزنجي في (الإشاعة): ويدل لما قاله حديث جابر عند مسلم «فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»[٣] وعلى هذا فلا منافاة أن يكون المهدي هو الأمير حتى في زمن عيسى، ويكون مراجعته في الأمور لعيسى عليه السلام على سبيل التبرك.

فإن قيل: كيف يصح معنى حديث «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان» مع أنا نشاهد أن قريشاً لم تملك منذ قرون؟ قلنا: معنى هذا الحديث استحقاق الخلافة لقريش وإن ظلمها ظالم، ولا شك أن عيسى عليه السلام يظهر كمال العدل، فلا يجوز أن يأخذ حقهم، وبالله التوفيق، انتهى.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٩) رقم ٤٠٧٧ وتقدم.
(٢) رواه مسلم رقم ١٨٢٠ .
(٣) رواه مسلم رقم ١٥٦ .

وأقول: الذي يظهر لي أن قوله «لا يزال هذا الأمر» إلخ معناه ولو مراجعة، ولا شك أن قريشاً يراجعون، على أن الخوارج في زماننا هذا يزعمون أنهم نواب عن قريش، وأما سيدنا عيسى عليه السلام فلا ينبغي أن يقال أن الأمر في زمنه للمهدي، كيف وهو روح الله وكلمته، وذاك رجل مجتهد يصيب ويجوز عليه الخطأ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الأمر يكون لعيسى عليه السلام، نعم يكون المهدي من خواص أصحابه، بل وزيره، يراجعه في الأمور، ويصدر عنه الشورى، وعيسى عليه السلام مجدد ومقرر لشريعة نبينا عليه الصلاة والسلام، وهذا واضح، والله أعلم.

المقام الثاني: في وقت نزوله ومحله وما يجري على يديه من الملاحم

قد سبقت الروايات في محل نزوله والجمع بينهما، والحاصل أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين لست ساعات مضين من النهار، حتى يأتي مسجد دمشق، يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد، وكذا النصارى واليهود، كلهم يرجونه، حتى لو ألقى شيء لم يصب إلا رأس إنسان من كثرتهم، ويأتي مؤذن المسلمين، وصاحب بوق اليهود، وناقوس النصارى، فيقترعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين، وحينئذ يؤذن مؤذنهم، ويخرج اليهود والنصارى من المسجد، ويصلي بالمسلمين صلاة العصر، ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال، ويمشي وعليه السكينة، والأرض تقبض له، وما أدرك نفسه من كافر إلا وقتله، ويدرك حيث ما أدرك بصره، حتى يدرك بصره حصونهم وقرياتهم إلى أن يأتي بيت المقدس، فيجده مغلقاً قد حصره الدجال، فيصادف ذلك صلاة الصبح - كما مر - وتقدم قتله الدجال اللعين، وسيأتي هلاك يأجوج ومأجوج بدعائه.

المقام الثالث: في مدته ووفاته.

أما مدته فقد ورد في حديث أبي هريرة عند الطبراني وابن عساكر أن رسول اللّه ﷺ قال: «**ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة**»[١]. وعند الإمام أحمد وابن أبي شيبة وأبي داود وابن جرير وابن حبان عنه «**أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا ﷺ**»[٢].

وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «**ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة، إماماً عادلًا حكماً مقسطاً**»[٣].

وأخرج الإمام أحمد في (الزهد) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**يلبث عيسى بن مريـــم أربعيـــن سنة، لو يقول للبطحاء سيلي عسلًا لسالت**»[٤].

وفي (المنتظم) للإمام ابن الجوزي عن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ قال: « **ينزل عيسى بن مريم فيتزوج ويولد له**»[٥] ذكر بعضهم ولدين،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٣١) رقم ٥٤٦٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٥٢٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٧٧) رقم ١٣٧٨٩ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٦) رقم ٩٢٥٩ وليس فيه عند نبينا ﷺ وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٣٣) رقم ٦٨٢١ ، والطيالسي في مسنده (٣٣٥) رقم ٢٥٧٥ .

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٧٥) رقم ٢٤٥١١ ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩٠) رقم ٣٧٤٧٤ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٤٩٧) وذكره الهيثمي (٧/ ٦٥١) رقم ١٢٥١٢ وأحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢/ ٥٩٨) رقم ٣٨٣٨ .

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٨٠) رقم ٢٦٢٣ .

(٥) ذكره التبريزي في مشكاة المصابيح (٣/ ٩٦) رقم ٥٥٠٨ وقال: رواه ابن الجوزي في كتاب الوفاء وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩١٥) رقم ١٥٢٩ وقال: هذا حديث لا يصح والإفريقي ضعيف بمرة.

أحدهما يسميه موسى والآخر محمداً، وأن أمهما من يزد، قال: ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر، وكأن روايات أربعين وردت بإلغاء الكسر.

وورد في رواية «يمكث سبع سنين»[1] وجمع بعضهم أن سيدنا عيسى حين رفع كان عمره ثلاثاً وثلاثين، وينزل سبعاً، فهذه أربعون سنة.

قلت: وليس هذا بشيء، لما مر في حديث عائشة عند الإمام أحمد وغيره: «**فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة**»[2] فدل الحديث دلالة ظاهرة أن الأربعين بعد قتله الدجال، فلا بقى لذلك الجمع وجه.

وقد ذكر العلامة في «بهجته» أن الحافظ السيوطي قال: كنت أفتيت بأن ابن مريم يمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين، واستمريت على ذلك مدة من الزمان، حتى رأيت البيهقي اعتمد أن مكثه في الأرض أربعين سنة، معتمداً على ما أفاده الإمام أحمد في روايته بلفظ «ثم يمكث ابن مريم في الأرض بعد قتله الدجال»[3] وهذا هو المرجح، لأن زيادة الشقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل لما معه من زيادة العلم، ولأنه مثبت، والمثبت مقدم، انتهى.

وأخرج الإمام أحمد وابن جرير وابن عساكر عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، ويجمع الصلاة، ويعطي المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج، وينزل**

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٤٠ بلفظ: (ثم يمكث الناس سبع سنين).

(٢) سبق ص ٥١٦ .

(٣) سبق ص ٥١٦ .

الروحاء فيحج منها أو يعتمر أويجمعهما»(١). وعند مسلم وابن أبي شيبة عنه: **«ليهلن عيسى بن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنيهما جميعاً»**(٢).

قوله: بفج أي: الطريق، والروحاء مكان بين المدينة ووادي الصقر في طريق مكة.

وأخرج الحاكم وصححه وابن عساكر عنه: **«ليهبطن ابن مريم حكماً عدلًا وإماماً مقسطاً، وليسلكن فجا حاجاً أومعتمراً، وليأتين قبري حتى يسلم عليَّ ولأردنَّ عليه»**. قال أبو هريرة: أي بني أخي إذا رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام(٣).

وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال رسول اللَّه ﷺ: **«من أدرك عيسى منكم فليقرئه مني السلام»**(٤).

وأما وفاته: فقد أخرج البخاري في تاريخه والطبراني: **«يدفن ابن مريم مع رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه فيكون قبره رابعاً»**(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٠) رقم ٧٨٩٠، وابن جرير في تفسيره (٣/ ٢٨٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٤٩٥)، ومسلم رقم ١٣٥ باختلاف يسير.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٢٥٢، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩٤) رقم ٣٧٤٩٦.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٥١) رقم ٤١٦٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٤٩٣).

(٤) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨٧) رقم ٨٦٣٥ وقال: إسماعيل هذا أظنه ابن عباس ولم يحتجا به، وأحمد (٢/ ٢٩٨) رقم ٧٩٥٧، وذكره الهيثمي (٨/ ١٢) رقم ١٢٥٦٩ وقال: رواه أحمد بإسنادين مرفوع وهو هذا وموقوف ورجالهما رجال الصحيح.

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٦٢) رقم ٨٣٩ وقال: هذا لا يصح عندي ولا يتابع عليه.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٧٨) رقم ١٣٧٩٢ وقال: فيه عثمان بن الضحاك وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود.

وفي (المواهب اللدنية) للقسطلاني: بقى من البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى بن مريم، ويكون قبره الرابع.

ومر حديث ابن عمر[١] عند ابن الجوزي في (المنتظم): قال العلامة في «البهجة»: قال بعض مشايخنا وذكر رابع القبور لا ينافي قوله: معي في قبري، فإنه عبر بذلك لشدة القرب، إذ هو لقربه كأنه معه، أو بتقدير مضاف: أي في جانب قبري لينطبق الكلام ويتسق، فدل مجموع ما ذكرنا أنه يموت عليه السلام بالمدينة المنورة، قال بعضهم: ولعل موته عند حجه وزيارة النبي ﷺ، والله أعلم.

* * *

(١) تقدم ص ٥١٦ .

الفصل الرابع
في ذكر يأجوج ومأجوج وخروجهم[١] من الفتن العظام والمصائب الجسام

فنسأل اللّه أن يمن علينا بالتوفيق وأن يذيقنا حلاوة التحقيق، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وخروجهم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. وأما السنة: ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً: «**إن اللّه يوحي إلى عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال: أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث اللّه يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه ماء، ويحصرون عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار**»[٢]. الحديث.

وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات، طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم، وثلاث خسوفات، ونار تخرج من قعر عدن أبين**»[٣] الحديث رواه ابن ماجه عن حذيفة ابن أسيد والأحاديث في ذلك كثيرة.

---

(١) كذا بالأصل ولعلها هكذا (وما في خروجهم).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧ وتقدم.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٤٧/٢) رقم ٤٠٥٥، ومسلم رقم ٢٩٠١ باختلاف يسير.

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على خروجهم.

ولنتكلم عليهم في ثلاث مقامات:

المقام الأول: في نسبهم وفي ذلك أقوال شتى.

أحدهم أنهم من بني يافث بن نوح عليه السلام وبه جزم وهب بن منبه وغيره، واعتمده كثير من المتأخرين، قال الكسائي في (العرائس) أن يافث سار إلى المشرق، فولد له هناك خمسة أولاد، جوهر، ونبرش، وأشار، واسقويل، ومياشح، وهي أسماء أعجمية، فمن جوهر جميع الصقالبة والروم وأجناسهم، ومن مياشح جميع أصناف العجم، ومن أشار يأجوج ومأجوج وأجناسهم، ومن اسقويل جميع الترك، ومن نبرش الترك والفقجق، واليونان من ولد يافث، وكان عمره إلى أن قبضه اللّه أربع مائة سنة وخمساً وستين، انتهى.

وقيل: إنهم من الترك، قاله الضحاك. وقيل: يأجوج من الترك ومأجوج من الديلم .

وسمعت أستاذي العلامة الشيخ عبد القادر التغلبي طيب اللّه ثراه يقول: الترك من يأجوج ومأجوج، وكانت هذه الطائفة سارحة تفسد في الأرض، فجاء سيدنا اسكندر فسد عليهم، فتركت هذه الطائفة من خارج السد فسموا الترك، قرر ذلك لي مراراً، وسيأتي ذلك مأثوراً، واللّه أعلم.

وعن كعب الأحبار أنهم - أي يأجوج ومأجوج - من ولد آدم من غير حواء، وذلك أن آدم نام فاحتلم فامتزجت نطفته في التراب فخلق منها يأجوج ومأجوج[1]، ورد بأن الأنبياء لا يحتلمون، وأجيب بأن ذلك يفيض

---

(١) ذكر ذلك النووي في شرحه لمسلم حديث رقم ٣٧٩ عن كعب الأحبار ونقله عنه ابن =

من غير أن يتراءى له أنه يجامع، واعتمد الحافظ ابن حجر الأول، أي أنهم من ذرية نوح وإلا فأين كانوا حين الطوفان؟

وقال الإمام النووي في (الفتاوى): يأجوج ومأجوج أولاد آدم من غير حواء عند جماهير العلماء، فيكونون إخواننا لأب، قال الحافظ ابن حجر: لم يرد هذا عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار، ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح، ونوح من ذرية حواء قطعاً.

وكأن الحديث ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً وفيه ضعف «**ولد نوح سام، وحام، ويافث، فولد لسام العرب وفارس والروم، وولد لحام القبط والبربر والسودان، وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة**»[1] قال العلامة تبعاً للحافظ ابن حجر أنه ضعيف.

وفي رواية عبد الرزاق عن أبي قتادة قال: يأجوج ومأجوج اثنتان وعشرون قبيلة، بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو وهم الأتراك فبقوا دون السد.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق السدي من أثر قوي: الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج، خرجت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا

= كثير في التفسير (٣/ ١٤١) وعلق عليه بقوله: (وهذا قول غريب جداً لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد هنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، والله أعلم).

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٩) رقم ٨٤٢٩ باختلاف يسير في بعض الألفاظ وسكت عنه. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٥٧) رقم ٩٣٢ وقال: رواه البزار وفيه محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي عن أبيه/ فمحمد وثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم صدوق، وضعفه يحيى بن معين والبخاري، ويزيد بن سنان وثقه أبو حاتم فقال: محله الصدق، وقال البخاري مقارب الحديث وضعفه يحيى وجماعة.

خارجاً عنه.

وسئل علي كرم اللَّه وجهه عن الترك فقال: هم سيارة ليس لهم أصل، هم من يأجوج ومأجوج خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الأرض رواه ابن المنذر.

فائدة: قال العلامة في (البهجة) يأجوج ومأجوج علمان أعجميان ولذلك منعا من الصرف، ويجوز قراءتهما بالهمز وتركه بلا همز، من يج وماج إذا اضطرب، وذلك مناسب لشأنهم، وقد جاء أجوج من أجيج النار، بمعنى التهابها، أو الأج وهوسرعة العدو، أو الأجاج وهو الملوحة.

المقام الثاني: في حليتهم وكثرتهم.

أما حليتهم فأخرج ابن أبي حاتم من طريق شريح ابن عبيد عن كعب الأحبار قال: هم ثلاثة أصناف، صنف أجسادهم كالأرز، بفتح الهمزة وسكون الراء ثم زاي، هو شجر كبير جداً. قال في النهاية: هو شجر الأرزن وهو خشب معروف، وقيل شجر الصنوبر. ومنهم من هو أربعة أذرع في أربعة أذرع، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون الأخرى، ووقع في حديث حذيفة نحوه.

وأخرج هو والحاكم من طريق ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يأجوج ومأجوج شبرا شبرا، وشبرين شبرين، وأطولهم ثلاث أشبار.

وأخرج عن قتادة قال: يأجوج ومأجوج اثنان وعشرون قبيلة، وذكر الحديث المتقدم.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن خالد بن عبد اللَّه بن حرملة عن خالته مرفوعاً: «**إنكم لتقولون لا عدو، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى**

تقاتلوا يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه صغار العيون، صهب[١] الشعور من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة»[٢].

قوله: صهب الشعور أي: بين الحمار والسواد. قال العلامة: ورد أن منهم من يفترش أذنه طوله وعرضه سواء، ومنهم من هو كالأرزة الطويلة، ومنهم من له أربعة أعين، عينان في رأسه، وعينان في صدره، ومنهم من له رجل واحدة، ومنهم من هو ملبس شعراً كالبهائم، ومنهم من لا يشرب غير الدم شيئاً.

وقال الزهري: هم ثلاث أمم، منسك، وتأويل، وتاريس. فصنف منهم عرض أحدهم وطوله سواء، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى، وصنف منهم أمثال الأرز، أي الشجر الطويل.

وفيه حديث حذيفة قلت: يا رسول اللَّه صفهم لنا قال: «**ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأرز**» قال: قلت: يا رسول اللَّه ما الأرز؟ قال: «**شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء، ثم قال هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه**». **وذكر ما مرو زاد: ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه**[٣].

---

(١) الأصهب: الذي يعلو لونه صُهْبَةٌ، وهي كالشُّقْرة، والمعروف أن الصهبة مختصة بالشعر، وهي حمرة يعلوها سواد. النهاية في غريب الأثر/ مادة: صهب.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧١) رقم ٢٢٣٨٥، وفيه (الشعاف) بدل (الشعور) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٣) رقم ١٤٥٧٠ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٥٥) رقم ٣٨٥٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٣) رقم ١٢٥٧٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف.

وذكر بعضهم أن فيهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة يأكلون اللحوم نيَّة.

وأما كثرتهم: فقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه: **«أن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم من صلبه ألفاً من الذرية»**[1]. وعند النسائي من رواية عمرو بن أوس عن أبيه رفعه: **«إن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءوا ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً»**[2].

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه: أن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاءوا.

وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي وعبد بن حميد عن ابن عمر: أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ووراءهم ثلاث أمم، تاويل، وتاريس، ومنسك.

وأخرج عبيد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عمر أنه قال: الجن والإنس عشرة أجزاء تسعة أجزاء يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس.

وأخرج الحاكم وابن مردويه عن حذيفة مرفوعاً «يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربع مائة ألف رجل، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حملوا السلاح»[3].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٤٠) رقم ٦٨٢٨، وأخرج نحوه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٦٧) رقم ٨٥٩٨ عن عبد الله بن عمرو، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٣) رقم ١٢٥٧١ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٤٠٨) رقم ١١٣٣٤ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) جزء من حديث أخرج نحوه الحاكم (٤/ ٥٤٥) رقم ٨٥٢٦، و(٤/ ٥٣٦) رقم ٨٥٠٥ وقال في الموضعين: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وأخرج أبو الشيخ وابن المنذر من قول حسان بن عطية: هم - أي يأجوج ومأجوج - أمتان، كل أمة أربع مائة ألف أمة، لا تشبه واحدة الأخرى.

وقال مكحول: الأرض مسيرة مائة عام، ثمانون منها يأجوج ومأجوج، وهي أمتان، كل أمة أربعمائة ألف، أمة لا تشبه أمة أخرى.

وعند أبي الشيخ عن أبي أمامة: الدنيا سبعة أقاليم، فيأجوج ومأجوج ستة، والباقي إقليم واحد.

وعن خالد الأشج أن بني آدم وبني إبليس ثلاثة أثلاث، فثلثان بنو إبليس، وثلث بنو آدم، وبنو آدم ثلاثة أثلاث، ثلثان يأجوج ومأجوج، وثلث سائر الناس، والناس بعد ذلك ثلاثة أثلاث، ثلث الأندلس، وثلث الحبشة، وثلث سائر العرب والعجم.

وعند ابن أبي حاتم: الإنس عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء منها يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس.

وعند الحاكم وعبد الرزاق من قول ابن عمر: إن اللّه جزأ الملائكة والجن والإنس عشرة أجزاء، تسعة منهم الكروبيون والذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجَزَّأَ الجن والإنس عشرة أجزاء، فتسعة منهم الجن، فلا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة، وجَزَّأَ الإنس عشرة أجزاء فتسعة منهم يأجوج ومأجوج الحديث.

المقام الثالث: في خروجهم وإفسادهم وهلاكهم.

في الحديث المرفوع إلى رسول اللّه ﷺ «**أن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم**». وهو فيما أخرجه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم

وصححاه عن أبي هريرة رفعه في السد: «**يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذين عليهم ارجعوا فتخرقونه غداً فيعيده اللّه أشد ما كان، حتى إذا بلغ مدتهم وأراد اللّه أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء اللّه تعالى، واستثنى، قال: فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس**»[(١)]. الحديث.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قتادة ورجال بعضهم رجال الصحيح.

قال ابن العربي: في هذا الحديث ثلاث آيات.

الأولى: أن اللّه منعهم أن يوالوا الحفر ليلًا ونهاراً.

الثانية: منعهم أن يحالوا[(٢)] في الرقي على السد بالسلم والآلة، فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه، مع أنه ورد أن لهم أشجارا وزروعاً أوغير ذلك من الآلات.

الثالثة: أن صدهم أن يقولوا: إن شاء اللّه تعالى حتى يجيء الوقت المحدود. قال ابن حجر: وفيه أن فيهم أهل صناعات وأهل ولاية وسلاطة ورعية تطيع من فوقها، وفيهم من يعرف اللّه ويقر بقدرته ومشيئته، ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها.

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٥/٣١٣) رقم ٣١٥٣، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان (١٥/٢٤٢) رقم ٦٨٢٩، والحاكم (٤/٥٣٤) رقم ٨٥٠١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) كذا بالأصل وفي حاشيته (عبارة المؤلف في شرح الدرة: منعهم أن يحتالوا للرقى . . . إلخ».

ثم روي لكل من الاحتمالين حديثاً، فقال: عند عبد بن حميد من طريق كعب الأحبار نحو حديث أبي هريرة، وفيه «فإذا جاء الأمر ألقى على بعض ألسنتهم نأتي غداً إن شاء اللّه تعالى فيفرغ منه»[١].

وعند ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبي هريرة وفيه: «**يغدون فيجون عليه فيفتح**»[٢]. الحديث وسنده ضعيف. انتهى، وحاصل ما في «الإشاعة» أنه يحتمل أن يلقى إن شاء اللّه على لسان أحدهم، وهو أقوى، ويحتمل أن يسلم واحد منهم.

فائدة: قال ابن عبد البر في كتاب «الأمم» أجمعوا على أن يأجوج ومأجوج من ولد يافث بن نوح، ثم ختم الباب بأن النبي ﷺ سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك فقال ﷺ: «**جزت بهم ليلة أسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا**»[٣].

وفي مسلم من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وهلاكه على يد عيسى عليه السلام قال: «**ثم يأتيه يعني عيسى قوم وقد عصمهم اللّه من الدجال، فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هم كذلك إذ أوحى اللّه إلى عيسى أن قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث اللّه يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس، فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم ويضمون إليهم مواشيهم، فيشربون مياه الأرض، حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما**

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٣/ ١٠٩).

(٢) فتح الباري السابق.

(٣) جزء من حديث طويل أورده الطبري في تاريخه (١/ ٤٩)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١١٠) وقال عنه: حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبح أحد الكذابين الكبار الذي اعترفوا بوضع الحديث.

فيه حتى يتركوه يبساً، حتى أن من يمر بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان هاهنا ماء مرة، ويحصر عيسى نبي اللّه وأصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الحمار لأحدهم خير من مائة دينار»[(١)].

وفي رواية مسلم وغيره: «فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلم نقتل من في السماء فيرمون نشابهم إلى السماء فيردها اللّه عليهم مخضوبة دماً - للبلاء والفتنة - فيرغب نبي اللّه وأصحابه إلى اللّه فيرسل اللّه عليهم النغف بفتح النون والغين المعجمة ثم فاء وفي رواية داود كالنغف في أعناقهم، وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم - فيصبحون موتى كموت نفس واحدة، لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟ فيتجرد رجل منهم محتسباً نفسه قد وطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي يا معشر المسلمين: ألا أبشروا إن اللّه عز وجل قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعي إلا لحومهم، فتشكر منهم - بفتح الكاف أي تسمن - أحس ما شكرت عن شيء، وحتى إن دواب البحر تسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم، ويهبط نبي اللّه عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم - أي ريحهم من الجيف - فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم، فيستغيثون باللّه، فيبعث اللّه ريحاً يمانية غبراء فتصير على الناس غماً ودخاناً ويقع عليهم الزكمة ويكشف ما بهم بعد ثلاثة أيام وقد قذفت الأرض جيفهم في البحر»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧ باختلاف يسير.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧، والحاكم (٤/٥٣٧) رقم ٨٥٠٨ .

وفي رواية: «فيرغب نبي اللّه عيسى وأصحابه إلى اللّه فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللّه»[١]. وفي رواية: «فترميهم إلى البحر»[٢]. وفي رواية: «في النار»[٣] ولا منافاة، لأن البحر يسجر فيصير ناراً يوم القيامة، ثم يرسل اللّه مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة - أي كالمرآة - بحيث يرى الإنسان فيها وجهه من صفائها، قال القاضي عياض في «مشارق الأنوار»: يروى بالفاء والقاف وبالوجهين ضبطناه في مسلم عن متقني شيوخنا، وبهما ذكره أهل اللغة وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالمرآة، وقاله ثعلب وأبو زيد، وقال آخرون: هو بالفاء الإجانة الخضراء وقيل: الصحفة، وقيل: المحارة، وقيل: المصانع الممتلئة ماء. انتهى. وتفسير ابن عباس أظهر، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك. وروي: بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين.

***

(١) مسلم السابق، وابن ماجة (٢/ ١٣٥٦) رقم ٤٠٧٥، وأحمد (٤/ ١٨١) رقم ١٧٦٦٦.

(٢) كما في أحمد (١/ ٣٧٥) رقم ٣٥٥٦ بلفظ «فينزل اللّه عز وجل المطر فتجرف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر».

(٣) ذكره القرطبي في التذكرة (٧٩٢).

الفصل الخامس

خراب المدينة وخروج القحطاني

والجهجاه والهيثم والمقعد وغيرهم وكذا هدم الكعبة

ولنذكرهم على سبيل الاختصار:

فأما خراب المدينة فقد تقدمت الإشارة إليه. وأخرج أبو داود عن معاذ بن جبل مرفوعاً: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب**»(١) الحديث.

وروى الطبراني: «**سيبلغ البناء سلعاً، ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول: قد كانت هذه مرة عامرة، من طول الزمان وعفو الأثر**»(٢).

وأخرج الإمام أحمد نحوه بإسناد حسن(٣).

وأخرج أيضاً بسند رجاله ثقات «**المدينة يتركها أهلها وهي مرطبة، قالوا فمن يأكلها؟ وقال: يأكلها السباع والعوافي**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥١٣) رقم ٤٢٩٤، وأحمد (٥/ ٢٣٢) رقم ٢٢٠٧٦ مرفوعاً، والحاكم (٤/ ٤٦٧) رقم ٨٢٩٧ موقوفاً، وقال: هذا الحديث وإن كان موقوفاً إسناده صحيح على شرط الرجال ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٨٨) رقم ٥٥٩٧ من حديث سهل بن ضيف، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٩١) رقم (٥٩٢٥ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو متروك.

(٣) في (٥/ ٣٢) رقم ٢٠٣٦٢ عن محجن بن الأدرع.

(٤) أحمد (٢/ ٣٨٥) رقم ٨٩٨٧ عن أبي هريرة بلفظ «قال رسول الله ﷺ للمدينة: لتتركنها على خير ما كانت مذللة للعوافي والسباع» والحاكم (٤/ ٤٧٢) رقم ٨٣١١ باختلاف يسير وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: على شرط مسلم.

وفي الصحيحين: «**لتتركن المدينة على خير ما كانت، مذللة ثمارها، لا يغشاها إلا العوافي - الطير والسباع - وآخر من يحشر راعيان من مزينة**»(١) الحديث.

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند صحيح: «**أما والله لتدعنها مذللة أربعين عاماً للعوافي، أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع**»(٢).

وسبب خرابها والله أعلم أنهم يخرجون مع المهدي إلى الجهاد، ثم ترجف بمنافقيها وترميهم إلى الدجال، ولم يبق إلا المؤمنون المخلصون، فيهاجرون إلى بيت المقدس عند إمامهم، فقد ورد «ستكون هجرة، وخيار الناس يومئذ ألزمهم مهاجر إبراهيم»(٣)(٤) ومن بقي منهم تقبض الريح الطيبة أرواحهم فتبقى خاوية فهذا سبب خرابها.

---

(١) رواه البخاري رقم ١٨٧٤، بلفظ «يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العواف - يريد عوافي السباع والطير - وآخر من يحشر راعيان من مزينة» ومسلم رقم ١٣٨٩ بلفظ «ثم يخرج» بدلاً من «وآخر من يحشر» عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٣٦) رقم ٧٣١٨ والحاكم (٤/ ٤٧٢) رقم ٨٣١٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أبو داود (٢/ ٦) رقم ٢٤٨٢ عن عبد الله بن عمرو، وأحمد (٢/ ١٩٨) رقم ٦٨٧١ مع اختلاف يسير، والطبراني في الأوسط (٦/ ٤١) رقم ٦٧٩١ كلهم عن عبد الله بن عمرو.

(٤) في حاشية الأصل/ ومهاجر إبراهيم للأرض المقدسة، قال كعب الأحبار: إن إبراهيم خليل الله صلوات الله وسلامه عليه خرج من كوتا هاربا حتى نزل بالشام من ناحية فلسطين في الموضع المعروف الآن بوادي السبع وهو شاب لا مال له، فأثرى وكثر ماله وشاخ، فضاق على أهل الموضع موضعهم فقالوا له: تحول عنا، فتحول، فقال بعضهم: أتانا بلا مال فلو شاطرنا ماله؟ فكلموه في ذلك فقال: أتيتكم شاباً، ردوا عليَّ شبابي وأرد عليكم ما اكتسبته من أرضكم، فحجهم، ثم سار فجف ماؤهم، فلحقوه ليردوه فلم يفعل وأعطاهم سبع شياه، وأمرهم أن تقف كل شاة على بئر فيرد الماء، ففعلوا فرد الماء، فسمي وادي السبع لذلك، والله أعلم. مؤلف

وقد روى المرجاني في «أخبار المدينة» عن جابر مرفوعاً: «**ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها، حتى لا يكون إيمان إلا بها**»[١].

وأخرج النسائي عن أبي هريرة: «**آخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة**»[٢]. ورواه الترمذي بنحوه وقال: حسن غريب، ورواه ابن حبان بلفظ «**آخر قرية في الإسلام خراباً المدينة**»[٣] وصح «**إن الدين ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[٤] فهذه الأخبار بظاهرها تعارض الروايات والأخبار السابقة.

ووجه الجمع بينها أن الفتن تعم الدنيا كلها كما مر في خروج المهدي ويبقى أهل المدينة مع المهدي، فيأرز الدين - أي ينحشر - ويدخل إلى المدينة حينئذ لأنهم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق، ثم إنها تنفي خبثها زمن الدجال ويبقى فيها الإيمان الخالص، بخلاف بيت المقدس وغيرها من البلدان، فإنه يبقى فيهم أهل ذمة ومنافقون، لأنهم إنما يؤمنون بعد نزول عيسى، قلت: مر أن مكة تقذف منافقيها إلى الدجال، فالظاهر أنها كالمدينة، والله أعلم. وحديث جابر «حتى لا يكون إيمان إلا بها»[٥] أي إيمان خالص غير مشوب بنفاق، ثم إنه تجيء الريح الباردة فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، قيل: إن الريح تأتي من الشام فيكون أهل الشام يقبضون

---

(١) جزء من حديث رواه الحاكم (٤/ ٥٠) رقم ٨٤٠٠ وقال: صحيح على شرط مسلم وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٧٩).

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٧٢٠) رقم ٣٩١٩ واللفظ له وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ١٧٩) رقم ٦٧٧٦، ولم أقف عليه عند النسائي.

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) رواه البخاري رقم ١٨٧٦ بلفظ «إن الإيمان»، ومسلم رقم ١٤٧ عن أبي هريرة.

(٥) سبق في الصفحة السابقة.

قبل أن تصل إلى المدينة، أو من اليمن فكذلك، أو من كليهما كما جمع به، والأمر ظاهر فصدق أنه آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة، وهذا محط حديث أبي هريرة، فبمجرد موتهم تخرب، لأنه ليس فيها إلا المؤمنون، بخلاف غيرها فإنها تبقى عامرة بشرار الناس أشار إليه في «الإشاعة» وهو حسن.

وأما خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقعد وغيرهم. فأخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة مرفوعاً: «**ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويموت، فيستخلفون - أي بعد وفاة عيسى - بأمره رجلًا من بني تميم يقال له المقعد، فإذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال**»، ويبدأ النقص ليوافق ما يأتي من بقاء الدين مدة مديدة بعد عيسى[١] وعند الطبراني: «**لا تقوم الساعة حتى يملك الناس رجل من الموالي يقال له: الجهجاه**»[٢].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: «**لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك الناس رجل يقال له الجهجاه**»[٣].

وأخرج الشيخان عنه: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه**»[٤].

وأخرج الطبراني في الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس

---

(١) ذكره السيوطي في الحاوي (٢/ ٨٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٨٥) رقم ١٥٧ عن علياء السلمي، والشيباني في الآحاد والمثاني (١٠٠٣ رقم ١٤١٧وذكره الهيثمي (٥/ ٤٤٢) رقم ٩٢٥٥، وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه.

(٣) رواه مسلم رقم ٢٩١١ وليس فيه (الناس).

(٤) رواه البخاري رقم ٣٥١٧، ٧١١٧، ومسلم رقم ٢٩١٠ .

ابن جابر عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «**ستكون من بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج من أهل بيتي المهدي، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جوراً، ثم يؤَمَّرُ القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه**»(١).

وأخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى قال: بلغني أن المهدي يملك أربعة(٢) عشرة سنة ببيت المقدس ثم يموت، ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له، المنصور - أي وهو القحطاني(٣) - يمكث ببيت المقدس إحدى وعشرين سنة، ثم يقتل، ثم يملك المولى ويمكث ثلاث سنين ثم يقتل، ثم يملك بعده هشيم المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام.

والحاصل: أن الواجب اعتقاده ما دلت عليه الآثار الصحيحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وعيسى في زمانه ويصلي عيسى خلفه، وأنه المراد حيث أطلق المهدي، والمذكورون قبله لم يصح فيهم شيء، والذين بعده أمراء صالحون أيضاً، لكن ليسوا مثله فهو الأخير منهم كلهم في الحقيقة، وهو إمامهم وأفضلهم ويجب اعتقاد خروج الدجال ونزول سيدناعيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والله الموفق.

وأما هدم الكعبة وسلب حليها وإخراج كنزها: فقد أخرج الشيخان والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**»(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢، ٣٧٤) رقم ٩٣٧ عن قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ٢٨٢)، وذكره الهيثمي (٥/ ٣٤٤) رقم ٨٩٦٥ وقال: رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم.

(٢) كذا بالأصل والصواب (أربع عشرة).

(٣) في حاشية الأصل/ قف على أن اسم القحطاني منصور.

(٤) رواه البخاري رقم ١٥٩١، ١٥٩٦، ومسلم رقم ٢٩٠٩، والنسائي (٥/ ٢١٦) رقم ٢٩٠٤.

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر نحوه وزاد: «**ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها، فلكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع**[١] **يضرب عليها بمسحاته أو معوله**»[٢].

وأخرج الأزرقي عنه يجيش البحر بمن فيه من السودان ثم يسيلون سيل النمل، حتى ينتهي إلى الكعبة فيخربونها، والذي نفسي بيده إني لأنظر إلى صفته في كتاب اللّه تعالى أصيلع أفيدع قائماً يهدمها بمسحاته أو معوله.

وفي الصحيحين: «**كأني به أسود أفحج يهدمها حجراً حجراً**»[٣] أي ويتداولها أصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر. كما في حديث حذيفة مرفوعاً: «**كأني أنظر إلى حبشي أحمر الساقين، أزرق العينين، أفطس الأنف، كبير البطن، وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له ينقضونها حجراً حجراً ويتداولونها بينهم حتى يطرحوها في البحر**»[٤]. الحديث.

قوله: السويقتين، تصغير الساقين أي دقيق الساقين، والأصيلع تصغير الأصلع وهو من ذهب مقدم رأسه، والأفيدع تصغير الأفدع وهو من في يديه اعوجاج، وورد في بعض الروايات أصعل - أي صغير الرأس - وفي: بعضها أصمع أي صغير الأذنين، وقيل كبير الأذن، والأفحج: المتباعد الفخذين.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة: «**يبايع الرجل بين الركن**

---

(١) الفَدَعُ: زيغ بين القدمين وبين عظم الساق وكذلك في اليد، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها/ النهاية/ مادة: فدع.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠) رقم ٧٠٥٣، وذكره الهيثمي (٣/ ٦٤١) رقم ٥٧٧٤ وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن إسحاق وهو ثقة لكنه مدلس.

(٣) رواه البخاري رقم ١٥٩٥ وفيه (يقلعها) بدل (يهدمها) عن ابن عباس ولم أقف عليه في صحيح مسلم.

(٤) ذكره الألوسي في تفسيره (روح المعاني) (١٥/ ١٠١).

والمقام، ولن يستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه»[١]، ورواه بهذا اللفظ الأزرقي في (تاريخ مكة) والحاكم وصححه.

فإن قلت: قد تقدم أن المهدي هو الذي يخرج كنز الكعبة وهنا في هذا الحديث أن ذا السويقتين هو الذي يخرج كنزها؟.

قلت: لعمري إنه لسؤال وارد، ولم أر من تعرض لهذا الاعتراض ولا من نبه عليه من العلماء والحفاظ، ولعل الجواب عن هذا: أن المهدي يستخرج الكنز المذكور، ثم بعد استخراجه له يجمع مال فيه من الحجاج بعد ذلك في مدته ومدة سيدنا عيسى عليه السلام إلى حين خروج هذا الخبيث، فإن المدة قابلة لجمع أضعاف ذلك، سيما مع كثرة المال وكثرة الحجاج حينئذ، والله أعلم.

فإن قلت: هدم الكعبة وتسليط هذا الخبيث عليها ينافي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] وقد حمى الله هذا البيت من أصحاب الفيل ولم يكن قبلة فكيف يسلط عليه الحبشة بعد أن صار قبلة للمسلمين؟.

فالجواب: ما ذكره في «فتح الباري» وهو أن يقال: قد أشار النبي ﷺ للجواب في الحديث بقوله «ولن يستحل هذا البيت إلا أهله»[٢] ففي زمن

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٩١) رقم ٧٨٩٧، ٨٠٩٩، ٨٣٣٣ بلفظ «لرجل» بدل «الرجل» و«ستأتي» بدل «تجيء»، وابن حبان (١٥/ ٢٣٩) رقم ٦٨٢٧ والحاكم (٤/ ٤٩٩) رقم ٨٣٩٥ وفيه «تجيء» وذكره الهيثمي (٣/ ٦٤٢) رقم ٥٧٧٥ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) انظر الحديث السابق.

أصحاب الفيل ما كان أهله استحلوه فمنعه منهم، وأما الحبشة فلا يهدمونه إلا بعد استحلال أهله له مراراً، وقد استحله أهل الشام في زمن يزيد بأمره[١]، ثم الحجاج زمن عبد الملك بأمره، ومرت الإشارة إلى ذلك، ثم سلط اللَّه القرامطة فقتلوا من المسلمين في المطاف ما لا يحصى، وقلعوا الحجر ونقلوه لبلادهم، فلما وقع استحلاله من أهله مراراً مكن غيرهم من ذلك عقوبة لهم، على أنه ليس في الآية استمرار الأمن المذكور فيه، واللَّه أعلم.

خاتمة: اختلف العلماء في هدم الكعبة هل هو في زمن سيدنا عيسى عليه السلام أو بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى أحد يقول اللَّه؟ فعن كعب أنه زمن عيسى، وقيل زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج يحج الناس ويعتمرون كما ثبت ذلك، وأن عيسى عليه السلام يحج أو يعتمر أو يجمع بينهما، والظاهر أنه بعد عيسى عليه السلام.

وذكر الحافظ ابن حجر أنه وجد في كتاب «التيجان» لابن هشام أن عمر بن عامر كان ملكاً متوجاً وكان هناك معمراً، وأنه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا لما حضرته الوفاة: إن بلادكم ستخرب وأن للَّه في أهل اليمن سخطتين ورحمتين، فالسخطة الأولى هدم سد مأرب وخراب البلاد بسببه، والثانية غلبة الحبشة على اليمن، والرحمة الأولى بعثة نبي من تهامة اسمه محمد، يرسل بالرحمة ويغلب أهل الشرك، والثانية إذا خرب بيت اللَّه يبعث اللَّه رجلًا يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه، ويخرجهم حتى لا يكون في الدنيا إيمان إلا بأرض اليمن.

---

(١) في حاشية الأصل/ قف على من استحل الكعبة شرفها اللَّه في القديم والحديث.

قال الحافظ: إن ثبت هذا علم منه اسم القحطاني وسيرته وزمانه، واعترضه في «الإشاعة» بأنه ليس فيما ذكر أن ذلك هو القحطاني، ولم لا يجوز أن يكون شعيب بن صالح التميمي القادم بالرايات السود إلى المهدي؟ وأنه يرسل عيسى إليه حتى يأتيه الصريخ، ويؤيده كون لقبه المنصور، وبتقدير أن يكون هو إياه فجائز أن يكون قبل خلافته ويكون فيمن أرسله عيسى أميراً عليهم، أي: فإنه ورد أن الصريخ يأتي عيسى بذلك، فيبعث إليه طائفة ما بين الثمانية إلى التسعة فيكون هو أميرهم، وكونه رحمة لأهل اليمن لا يلزم أن يكون منهم، ويكفي رحمة لهم كونه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى إيمان إلا في أرض اليمن، ثم إن الحجاز من اليمن، ولذا يقال: إن الكعبة يمانية.

وأقول كون ذلك زمن عيسى عليه السلام وأنه هو الذي أرسله مع كون لا إيمان إلا في اليمن في غاية البعد، كيف وزمن عيسى لا يكون إلا إيمان خالص، والدين متحد كما مر؟ فليحرر.

فإن قيل: قد مر أن آخر ما يوجد الإيمان في المدينة وهنا قلتم في اليمن؟

قلنا: المدينة من اليمن، وقيل: إن هدم الكعبة بعد خروج الدابة، وقيل بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حتى لا ينقطع الحاج ولا يبقى في الأرض من يقول اللّه، ويؤيد هذا أن زمن عيسى عليه السلام كله زمن سلم وبركة وأمان وخير.

قلت: وهذا أليق بكرم اللّه سبحانه وتعالى، سيما والبيت قبلة الإسلام، والحج إليه أحد أركان الإسلام، فينبغي أن يبقى ببقاء المسلمين،

فإذا جاءت الريح الباردة الطيبة وقبضت المؤمنين فحينئذ يهدم البيت ويرتفع القرآن ولا يبقى في الأرض لا دين ولا إيمان.

قال العلامة في «البهجة» وعن الثقات من الحفاظ: يمكث الناس ما شاء الله في الخصب والدعة بعد يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة قالوا: ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين، فيخربون مكة ويهدمون الكعبة، ثم لا تعمر بعدها أبداً، وهم الذين يستخرجون كنز فرعون وقارون بمصر، قالوا: فيجتمع المسلمون فيقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعباءة، فهذا بين أن هدم الكعبة بعد الآيات كلها.

تتمة: ورد في الحديث أنه ﷺ قال: «**حجوا قبل أن لا تحجوا، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين مكانه بالأمس**»[1]. والله أعلم.

* * *

(١) روى الحاكم (١/ ٦١٧) رقم ١٦٤٦ عن الحارث بن سويد قال: «سمعت عليًا ﷺ يقول: حجوا قبل أن لا تحجوا، فكأني أنظر إلى حبشي أصمع أفدع بيده معول، يهدمها حجراً حجراً، فقلت له: شيء تقوله برأيك أم سمعته من رسول الله ﷺ؟ لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ولكني سمعته من نبيكم ﷺ».
ورواه البيهقي في سننه الكبرى (٤/ ٣٤٠) رقم ٨٤٨٠ .
وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٣٩٦) وقال: وهذا يرويه حصين بن عمر عن الأعمش، ولحصين غير هذا من الحديث وعامة أحاديثه معاضيل.

الفصل السادس

في طلوع الشمس من مغربها

وهو ثابت بالسنة الصحيحة والأخبار الصريحة، بل وبالكتاب المنزل على النبي المرسل، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية [الأنعام:١٥٨] أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنها طلوع الشمس من مغربها.

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حفظت من رسول الله ﷺ: **«أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً منها»**[١].

وفي مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»**[٢]. وفي بعض طريق البخاري **«حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها»**[٣] الحديث.

وأخرج مسلم عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال يوماً: **«أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى**

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٤١ .

(٢) مسلم رقم ١٥٧ .

(٣) البخاري رقم ٤٦٣٥ عن أبي هريرة.

مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال: لها ارجعي من حيث جئت، فترجع طالعة من مطلعها تجري لا تستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذلك تحت العرش، فيقال لها: ارجعي ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال عليه السلام: أتدرون متى ذلكم؟ حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الآية»[(١)].

وأخرج الإمام أحمد وعبد الرزاق وعبد بن حميد والستة غير الترمذي وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ثم قرأ الآية**»[(٢)].

وأخرج ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال: سألت رسول اللّه ﷺ ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال: «**تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين**»[(٣)] وهو وابن أبي حاتم عن ابن عباس مرفوعاً: «**تطول قدر ثلاث ليال**»[(٤)].

وعند البيهقي عن عبد اللّه ابن عمرو: «**قدر ليلتين أو ثلاث، فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا، ولا يرون إلا قد قامت النجوم مكانها، ثم يرقدون ثم يقومون، ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقص، فيضطجعون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتطاول عليهم**

---

(١) مسلم رقم ١٥٩ باختلاف يسير جداً.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٥٠) رقم ٨٥٨٣، والبخاري رقم ٤٦٣٦ .

(٣) ذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٢٥٩) وقال: رواه ابن مردويه وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٩١).

الليل، فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، فيفزع الناس وهاج بعضهم في بعض فقالوا: ما هذا فيفزعون إلى المساجد، فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس، فبينما هم ينتظرون طلوعها من المشرق، إذ هي طالعة عليهم من مغربها، فيضج الناس ضجة واحدة، حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها»(١).

وأخرج ابن مردويه وغيره عن أنس مرفوعاً: «**صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنازير، تطوى الدواوين، وتجف الأقلام، لا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**»(٢).

وعند البيهقي: فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الأحمر فلا يقبل منهم ويقال لو كان بالأمس(٣).

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**لا تزال الشمس تجري من مشرقها إلى مغربها، حتى يأتي الوقت الذي جعل الله لتوبة عباده، فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع، فلا يؤذن لهما، فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس، وليلتين للقمر، فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس وهم بقية أهل الأرض وحملة القرآن، يقرأ كل رجل منهم ورده في تلك الليلة، حتى إذا فرغ منه نظر فإذا ليلته على حالها، فيعود ويقرأ ورده، فإذا فرغ نظر فإذا ليلته على حالها، فلا يعرف ذلك إلا حملة القرآن، فينادي بعضهم بعضاً، فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع**

---

(١) ذكره نحوه ابن كثير في التفسير (٢/ ٢٥٩) وروى نحوه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٥٨) رقم ٣٤٩٥٨ باختصار.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٩٤) عن أنس.

(٣) السيوطي السابق (٣/ ٣٩٤، ٣٩٥).

والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة، ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال، ثم يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر، فيقول: إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فتطلعا منه فإنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور، فتبكي الشمس والقمر خوف يوم القيامة وخوف الموت، فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما، فبينما الناس كذلك يتضرعون إلى الله تعالى والغافلون في غفلاتهم إذ نادى مناد: ألا إن باب التوبة قد أغلق، والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فنظر الناس فإذا بهما أسودان كالعكمين لا ضوء بهما ولا نور، فذلك قوله ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]»[١].

قوله: كالعكمين تثنية عكم، وهو الغرارة أي الغرارتين العظيمتين ومنه يقال لمن شد الغرائر على الجمل العكام، وفي حديث أم زرع **«عكومها رداح»**[٢] والله أعلم. فيرتفعان: أي الشمس والقمر مثل البعيرين المقرونين ينازع كل منهما صاحبه استباقاً، ويتصايح أهل الدنيا، وتذهل الأمهات عن أولادها، وتضع كل ذات حمل حملها. فأما الصالحون والأبرار فإنهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة، وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة، فإذا بلغت الشمس والقمر سرة السماء وهو منتصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب، فلا يغربهما في مغاربهما - أي مغارب طلوعهما - ذلك اليوم، وهي أي المطالع جهة المشرق ولكن يغربهما في مغاربهما اللذان في باب التوبة، فإن الله خلق باب التوبة فهو من أبواب الجنة، له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر، ما بين المصراع إلى المصراع مسيرة أربعين

---

(١) السيوطي السابق (٣/ ٣٩٧)، وأشار إليه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٥٩) وذكر أنه منكر بل موضوع إن ادُّعي أنه مرفوع.

(٢) رواه البخاري رقم ٥١٨٩، ومسلم رقم ٣٤٤٨ عن عائشة.

عاماً للراكب المسرع، فذلك الباب مفتوح منذ خلق اللّه خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربها، ولم يتب عبد من عباد اللّه توبة نصوحاً من لدن آدم إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترتفع إلى اللّه، قيل: أي قال معاذ: يا رسول اللّه وما التوبة النصوح؟ قال: أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب فيهرب إلى اللّه منه ثم لا يعود إليه حتى يعود اللبن في الضرع، قال: فيغربهما جبريل في ذلك ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل، فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة، ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان يجري لهما قبل ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨] فقال أبي بن كعب: يا رسول اللّه فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا؟ قال: إن الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك، وأما الناس فإنهم حيث رأوا ما رأوا من تلك الآية وعظمها يلحون على الدنيا فيعمرونها، ويجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار، ويبنون فيها البنيان، وأما الدنيا فلو أنتج رجل مهراً لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور(١).

قلت: وذكر نحو ذلك القرطبي في (التذكرة) عن الثعلبي وغيره من المفسرين عن أبي هريرة.

تنبيهات: الأول تقدم في حديث مسلم «**أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها**»(٢) واستشكل بأنه لو كان طلوع الشمس قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه ولا الفساق توبتهم كما مر من أن باب التوبة يغلق،

---

(١) السيوطي وابن كثير في التفسير وانظر كلام ابن كثير عنه في الحاشية قبل السابقة.
(٢) سبق ص ٥٤١ .

ومن المعلوم أنه ينفعهم زمن عيسى قطعاً، وإلا لما صار الدين واحداً ولا كان في نزوله كبير فائدة، وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين في الجواب عن ذلك، والجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب والحاصل كما في «البهجة» للعلامة أنه أجيب عن ذلك بجوابين.

أحدهما للبيهقي قال: إن كان في علم اللَّه أن طلوع الشمس سابقاً احتمل أن يكون المراد نفي قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من مغربها، فإذا انقرضوا وتطاول الزمن وعاد بعضهم إلى الكفرعاد تكليف الإيمان بالغيب، وإن كان في علم اللَّه أن طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمرو آيات أخر غير الدجال ونزول عيسى، أي وخروج المهدي إذ هو سابق عليها قطعاً، قال العلامة عن الأخير: يعني كون طلوع الشمس بعد نزول عيسى وأن المراد بالآيات آيات أخر هو المعتمد لما مر من أن باب التوبة يغلق من حين طلوع الشمس إلى يوم القيامة، مع أنه قدم في (بهجته) طلوع الشمس من مغربها أولًا ثم خروج الدابة ثم المهدي إلخ.

الجواب الثاني: أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت سيدنا عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، وأما خروج الدابة فإنه يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.

قال الحاكم: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه، والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلًا

للمقصود من إغلاق باب التوبة.

قال العلامة: وهذا الكلام في غاية التحقيق، جدير بأن يتلقى بالقبول لما فيه من التوفيق، قد قرره الحفاظ الأعلام وعلماء الإسلام.

وقال في محل آخر من بهجته: قد ذكر المحققون أن باب التوبة يغلق بطلوع الشمس من مغربها، وهو غير الغلق بالغرغرة، فمن كان على شيء بعده استمر له ذلك فلا يتغير حاله، كافراً كان أو عاصياً، فلا يقبل إسلام الكافر ولا توبة العاصي، ولا يكتب عمل بعد ذلك لارتفاع الصحف وجفاف الأقلام، ولم يفتح يعني باب التوبة بعد ذلك. وإن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة.

قال بعضهم والحكمة في طلوع الشمس من مغربها: إن إبراهيم عليه السلام قال للنمرود: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وإن السحرة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن فيطلعها اللّه يوماً من المغرب ليُرِيَ المنكرين قدرته، وأن الشمس في ملكه، إن شاء أطلعها من المشرق أو المغرب أولا ولا.

الثاني: قد مر في حديث أنس عند ابن مردويه وغيره «**أن الدواوين تطوى والأقلام تجف ولا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة**»[1] وفي كلام العلامة ولا يكتب عمل بعد ذلك، وفي هذا عندي نظر، لاحتمال أن يحدث على أحد المؤمنين تغير حال من اقتراف ذنب أوارتداد ونحوهما.

والجواب عن ذلك: أن كل من كان من أهل الإيمان والمعاصي لا

(١) سبق ص ٥٠٦ .

يتغير حاله إذ ذاك، وإذا عملوا عملًا فأجسامهم تشهد عليهم كما رأيته مأثوراً عن عائشة رضي الله عنها ويأتي قريباً وفيه «وخلصت الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال»[١] رواه عبد بن حميد والطبري بسند صحيح عنها، والله أعلم.

الثالث: قد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما **«يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة**[٢].

وروى عبد بن حميد عنه **«يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة»**[٣].

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمرو: **«لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومائة سنة بعد نزول عيسى بن مريم وبعد الدجال»**[٤]. وروى عبد بن حميد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران فيقول أحدهما للآخر: متى ولدت؟ فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها»**[٥].

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه الآيات كلها في ثمانية أشهر، وعن أبي العالية في ستة أشهر، وقد مر لو أن رجلًا أنتج

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٤٠٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٠٦، ٥٠٧) رقم ٣٧٥٩٩، ٣٧٦٠٩ بزيادة يسيرة، ونعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٤٣، ٦٤٧، ٦٤٨) رقم ١٧٩٨، ١٨١٩، ١٨٢٢ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٠٦) رقم ٣٧٦٠٠، ونعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٧٠٢) رقم ١٩٧٩، و(٦٥٦) رقم ١٨٤٩ .

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) رواه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٩٩) رقم ١٦٦٧، و(٦٩٦) رقم ١٩٧٢ موقوفاً على عبد الله بن عمرو.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٩٤) .

مهراً لم يركبه حتى ينفخ في الصور، وجمع الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» وتبعه السخاوي في «القناعة» والبرزنجي في «الإشاعة» بما حاصله: أن المدة عشرين ومائة سنة، لكنها تمر مراً سريعاً كمقدار عشرين ومائة شهراً، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رفعه: «**لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر**» الحديث وفيه: «**اليوم كالساعة**»[1] وعلى هذا يكون تقارب الزمان وتعاصر الأيام مرتين، مرة في زمن الدجال ثم ترجع بركة الأرض وطول الأيام إلى حالها، ثم تتناقص بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام إلى أن تصير في آخر الدنيا إلى ما ذكر، والله أعلم.

قلت: وأحسن من هذا ما ذكره الطيبي: أن الآيات - أي أمارات الساعة - على قسمين، قسم يدل على قربها، وقسم يدل على حصولها، وأن من الأول الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج، ومأجوج والخسوف، ومن الثاني الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس، فيكون المراد بالمدة الطويلة باعتبار الأول والقصيرة باعتبار الثاني، لكن الخبر ناطق بأن العشرين ومائة سنة بعد طلوع الشمس.

تتمة: ذكر الحليمي أن أول الآيات الدجال، ثم نزول عيسى، ثم طلوع الشمس من مغربها. قلت: والصواب عندي أن أول الآيات خروج المهدي، ثم الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، إلى آخرها على نسق ما ذكرنا. وأما خروج السفياني فإنه وإن كان قبل خروج المهدي لكن لم يعد العلماء خروجه آية، وإنما هو علامة لخروج المهدي، والله الموفق.

---

(١) تقدم ص ٤٩٥ .

الرابع: من التنبيهات زعم جماعة من العلماء أنه إنما يمتنع قبول الإيمان والتوبة وقت طلوع الشمس أي في تلك الحالة، وأما من تاب بعد ذلك أو أسلم قُبِلَ ذلك منه، قال الحافظ ابن حجر: في «فتح الباري» ما حاصله: الذي دلت عليه الأحاديث الثابتة الصحاح والحسان أن قبول التوبة مغيا بطلوع الشمس من مغربها، ومفهومها أنها بعد ذلك لا تقبل، بل قد جاء في بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند الإمام أحمد والطبري والطبراني عن مالك بن يخامر، ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد اللّه ابن عمرو رفعوه: «**لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل**»[1] وفي حديث ابن عباس عن ابن مردويه السابق «**فإذا أغلق ذلك الباب لم تقبل بعد ذلك توبة ولا تنفع حسنة**»[2]. وعند نعيم بن حماد عن ابن عمر فيناديهم مناد: يا أيها الذين آمنوا قد قبل منكم، ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة، وجفت الأقلام وطويت الصحف، ومن طريق يزيد بن شريح وكثير بن مرة: إذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها وترفع الحفظة وتؤمر الملائكة أن لا يكتبوا عملًا، وأخرج عبد بن حميد والطبري بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها «**إذا أخرجت أول الآيات - تعني طلوع الشمس من المغرب - طرحت الأقلام، وطويت الصحف، وخلصت الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال**»[3]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الآية التي تختم

(١) جزء من حديث رواه أحمد (١/ ١٩٢) رقم ١٦٧١، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٨١) رقم ٨٩٥، والأوسط (١/ ٢٣) رقم ٥٩، وفي مسند الشاميين (٢/ ٤٣٥) رقم ١٦٤٩ وذكره الهيثمي (٥/ ٤٥٦) رقم ٩٢٨٠ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط والصغير... والبزار... ورجال أحمد ثقات.

(٢) سبق ص ٥٤٣ .

(٣) سبق ص ٥٤٨ .

الأعمال بها طلوع الشمس من مغربها، قال: فهذه آثار يشد بعضها بعضاً، متفقة على أنه إذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك، ولا يختص ذلك بطلوعها، بل يمتد إلى يوم القيامة، ويؤيده ما يأتي أن إبليس يخر ساجداً وأن الدابة تقتله، فإنه لا يموت إلا عند الفراغ من العمل، واللّه أعلم.

* * *

الفصل السابع

في خروج الدابة

وهو ثابت بالكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ الآية [النمل: ٨٢] وأما السنة فهي كثيرة جداً، والكلام عليها في ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: في حليتها في حديث حذيفة أن النبي ﷺ قال: «**دابة الأرض طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب**»[(١)]. وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**تخرج دابة الأرض من أجياد، فيبلغ صدرها الركن اليماني، ولم يخرج ذنبها بعد، وهي دابة ذات قوائم**»[(٢)]. وفي حديث حذيفة يرفعه: «**أول ما يبدو منها رأسها معلمة ذات وبر وريش**»[(٣)] وقال الإمام علي كرم اللّه وجهه: تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها. وروي: فلا يخرج إلا رأسها فيبلغ عنان السماء وتبلغ السحاب. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير، وقال ابن جرير: رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل، وعنقها

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٣ ونعيم بن حماد في الفتن (٥/ ١١٠٨) وذكره القرطبي في التذكرة (٦٩٣) وقال: وهذه الأسانيد عن حذيفة في عدة أوراق ظاهرة الوضع والاختلاف.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٢) والقرطبي في التذكرة/ ٧٨٤، وروى ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٠٧) رقم ٣٧٦٠٧ أوله موقوفاً على عائشة.

(٣) انظر الحديث قبل السابق.

عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب تيس، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام قال كعب: صوتها صوت حمار.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن لها عنقاً مشرفاً - أي طويلًا - يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب، ولها وجه كوجه الإنسان، ومنقار كمنقار الطير، ذات وبر وزغب.

وعن علي كرم الله وجهه أنه قيل له: إن ناساً يزعمون أنك دابة الأرض، فقال والله إن لدابة الأرض ريشاً وزغباً، وما لي ريش ولا زغب، وإن لها حافراً، وإنها لتخرج حفر الفرس الجواد ثلاثاً وما خرج ثلثاها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سيمة، وسيماها من هذه الأمة أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين، وتكلمهم بكلامهم.

قوله: ذات زغب، أي عليها زغب، وهو صغار الريش أول ما يطلع، قاله في النهاية.

قوله: الأيل هو بفتح الهمزة وكسر التحتانية مشددة وبضم وفتح الوعل بفتح العين وهو تيس الجبل.

قوله: وفيها من كل أمة سيمة أي علامة. وفي الميزان للذهبي، عن جابر الجعفي أنه كان يقول: دابة الأرض علي بن أبي طالب، قال: وكان جابر الجعفي شيعياً يرى الرجعة، أي أن علياً يرجع إلى الدنيا[١].

---

(١) في الكلام على أوصاف الدابة الواردة هنا وغيرها يقول صاحب تفسير البحر المحيط (واختلفوا في ماهيتها وشكلها ومحل خروجها وعدد خروجها ومقدار ما تخرج منها وما =

قال الإمام أبو حنيفة: ما لقيت أحداً أكذب من جابر الجعفي ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح.

وقال الشافعي: أخبرني سفيان بن عيينة قال: كنا في منزل جابر الجعفي فتكلم بشيء فنزلنا خوفاً أن يقع علينا السقف، ومع ذلك روي له أبو داود والترمذي وابن ماجه، ووفاته سنة ست وستين ومائة.

المقصد الثاني: في سيرتها.

في أواخر مستدرك الحاكم «أن معها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام، لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب، تضرب المؤمن بالعصا وتكتب في وجهه مؤمن وتطبع بالخاتم الكَافِرَ وتكتب في وجهه كافر»[1] كذا رواه عن أبي هريرة ﷺ قال العلماء: تبعاً للحديث النبوي إن معها عصا موسى وخاتم سليمان عليهم الصلاة والسلام، وتنادي بأعلى صوتها ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] وتسم الناس - المؤمن والكافر - فأما المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري، ويكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء، ويكتب بين عينيه كافر، وفي رواية: فتلقى المؤمن فتسمه في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه، وتسم الكافر نكتة يسود لها وجهه. وفي رواية: فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون

= تفعل بالناس، وما الذي تخرج به اختلافاً مضطربا معارضا بعضه بعضا ويكذب بعضه بعضا، فأطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح وتضييع لزمان نقله).
ويقول الرازي في التفسير (واعلم أن لا دلالة في الكتاب في شأن هذه الأمور، فإن صح الخبر فيه عن الرسول ﷺ قبل، وإلا لم يلتفت إليه).

(١) رواه الحاكم (٤/ ٥٣٢) رقم ٨٤٩٤، والترمذي (٥/ ٣٤٠) رقم ٣١٨٧ وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجة (٢/ ١٣٥١) رقم ٤٠٦٦، وأحمد (٢/ ٢٩٥) رقم ٧٩٢٤.

فيقولون لهذا يا مؤمن، ولهذا يا كافر، ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي؟ فيقبل عليها فتسمه في وجهه، ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال، ويصطحبون في الأمصار، يعرف المؤمنُ الكافرَ، وبالعكس، حتى إن المؤمن ليقول للكافر يا كافر اقض حقي، والكافر يقول للمؤمن يا مؤمن اقض حقي، وتستقبل المشرق. فتصرخ صرخة تنفذها، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذها، ثم المغرب واليمن كذلك، ولا يبقى مؤمن إلا نكتت في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه.

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا يلبثون - يعني الناس - بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها، وجفت الأقلام وطويت الصحف، لا يقبل من أحد توبة، ويخر إبليس ساجداً ينادي! إلهي مرني أن أسجد لمن شئت، وتجتمع إليه الشياطين فتقول: يا سيدنا إلى من تفزع؟ فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى يوم البعث، فأنظرني إلى يوم الوقت المعلوم، وقد طلعت الشمس من مغربها، وهذا يوم الوقت المعلوم، وتصير الشياطين ظاهرة في الأرض، حتى يقول الرجل هذا قريني الذي كان يغويني، فالحمد لله الذي أخزاه ولا يزال إبليس ساجداً باكياً حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد»[1].

تنبيه: في سؤال إبليس أن ينظر ليوم البعث مكر وخداع وجهل برب

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٥٤) رقم ٨٤٣ مرفوعاً وأخرج نحوه الطبراني في الأوسط (١/ ٣٦) رقم ٩٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦) رقم ١٢٥٧٨، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه إسحاق بن إبراهيم بن زبريق وهو ضعيف.

العالمين، فإنه حاول أن لا يذوق طعم الموت، لأن يوم البعث ليس بيوم موت، وإنما هو يوم بعث ونشور، وبعث من في القبور، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يقبض إذ ذاك إبليس أو غيره، وإنما ذلك يوم الجزاء؟ والله أعلم.

وفي (العرائس) عن كعب الأحبار: أن إبليس إنما يذوق طعم الموت يوم الحشر، قال: ينزل إليه ملك الموت وقد لبس ثياب السخط والغضب ومعه أعوان لا تحصى كثرتهم، وله قوة لا تطاق، وبأس لا يذاق، ومعه سبعون ألفاً من الملائكة، قد مُلِئوا غيظاً، ومع كل واحد سلسلة من سلاسل لظى، وغل من أغلالها، فنعوذ بالله من نكالها، ويأمر الله تعالى مالكاً بفتح أبواب النيران وبتسعيرها مع الخزان، وينزل ملك الموت في صورة لو نظر إليه أهل السموات السبع لماتوا، ولو نظر إليه أهل الأرض لتفطرت مرائرهم من الفزع، قال: فينتهي إلى إبليس - لعنه الله - ويزجره فيصيح صيحة لوسمعها أهل الدنيا لماتوا منها، فيهرب إلى المشرق، فيجد ملك الموت أمامه، فيغوص في البحر فلا يقبله، فلا يزال يهرب في الأرض حتى يقف عند قبر آدم عليه السلام فيقول: من أجلك جعلت في هذا الحال، وبسببك ذقت هذا النكال، فليتك لم تخلق، قال: فعند ذلك يسقيه ملك الموت كأساً ممزوجاً بالعذاب الشديد، فيذوق من العذاب عند موته عدد ما أغوى من أولاد آدم أضعافاً مضاعفة، فيخر لعنه الله، مرة يتمرغ بالتراب، ومرة يصرخ من هول العذاب، ومرة يهرب من المشرق إلى المغرب، حتى يأتي إلى الموضع الذي أهبطه الله فيه يوم طرد، وهو دست ميساة[(١)] وفي «حياة

---

(١) في حاشية الأصل/ عبارة الخطيب: وإبليس بالأيلة وقيل ببيان بالبصرة على أميال.
قلت: ولعلها (دستميان) بفتح الدال، وهي كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب/ انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٤٥٥).

الحيوان» بجدة، قاله كعب وفي تاريخ الحنبلي أنه أهبط بأيلة، فيجد الملائكة قد نصبت له الكلاليب والخطاطيف، وصارت الأرض كالجمرة، فيصير في أشد عذاب ونكال وخزي ووبال، فتخرج روحه الخبيثة إلى مقرها الخبيث، وتستريح الأرض منه، كذا ذكره الكسائي، قلت والأول أصح، لأنه رواه الحاكم في المستدرك ونعيم في الفتن عن ابن مسعود ﷺ، فهو في حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي، وغاية ما ذكره كعب الأحبار أن يكون تلقاه من كتب أهل الكتاب، ونحن معاشر المسلمين لا نرى الاحتجاج بكلامهم، إلا ما وافق الشريعة الغراء، والله الموفق.

المقصد الثالث: في خروجها.

أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي الطفيل عن أبي سرعة عن النبي ﷺ قال: **«يكون للدابة ثلاث خرجات في الدهر، تخرج في أول خرجة في أقصى اليمن منتشراً ذكرها بالبادية، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم بينما الناس يوماً في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله - يعني المسجد الحرام - لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد من الركن الأسود وباب بني مخزوم، فيرفض الناس عنها شتى، وتثبت عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله فتنفض عن رأسها التراب، فتجلو عن وجوههم حتى كأنهم الكواكب الدرية»**[1] الحديث وفي «الإشاعة» **«لها ثلاث خرجات في الدهر، فتخرج خرجة في أقصى البادية، وفي رواية في**

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٣٠) رقم ٨٤٩٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد أو هو أبين حديث في ذكر دابة الأرض ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: طلحه بن عمرو الحضرمي ضعفوه وتركه أحمد والطبراني في الكبير (٣/ ١٧٣) رقم ٣٠٣٥ عن أبي (سريحة) وليس (سرعة) باختلاف يسير جداً، وذكره الهيثمي (٨/ ١٥) رقم ١٢٥٧٦ وقال: رواه الطبراني وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك.

أقصى اليمن، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تمكث زماناً طويلًا، ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ثم بينما الناس في أعظم المساجد»[١] الحديث.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أنها تخرج من بعض أودية تهامة»[٢] أي وهذا في بعض خرجاتها والأول في خرجتها الأخيرة، وعن أبي هريرة وابن عمر «أن رسول اللَّه ﷺ أراه المكان الذي تخرج منه الدابة»[٣].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خروجها من الصفا ليلة مني، فيصبحون بين رأسها وذنبها لا يدحض داحض ولا يخرج خارج، حتى إذا فرغت مما أمر اللَّه، فهلك من هلك ونجا من نجا كان أول خطوة تضعها بأنطاكية، وفي بعضها من مدينة قوم لوط، وفي بعضها من وراء مكة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**بئس الشعب شعب أجياد قالها مرتين أو ثلاثة**[٤]» قالوا: وما ذاك يا رسول اللَّه قال: «**تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من في الخافقين**»[٥] وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذهب بي رسول اللَّه ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا بأرض

---

(١) انظر تخريج الحديث السابق ورواه باختلاف يسير الطيالسي في مسنده (١/ ١٤٤) رقم ١٠٦٩، والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٦٢) رقم ٣٤ .

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٦٥) رقم ١٨٦٢ موقوفاً ورواه الطبري في التفسير (١٠/ ١٣) موقوفاً على قتادة.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (١٠/ ٦٧) رقم ٥٧٠٣، وذكره الهيثمي (٨/ ١٤) رقم ١٢٥٧٥ وقال: رواه أبو يعلى وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

(٤) كذا بالأصل والصواب (ثلاثا).

(٥) رواه البغوي في تفسيره (١/ ١٧٧، وأبو السعود في التفسير (٦/ ٣٠١، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣١٦) رقم ١٠٧٥ آخره فقط وقال: روى عنه عبد الرزاق قال: أحمد منكر الحديث.

يابسة حولها رمل فقال ﷺ: «**تخرج الدابة من هذا الموضع**»[1] ووجه الجمع من هذه الروايات من وجهين:

أحدهما: أن لها ثلاث خرجات، ففي بعضها تخرج من مدينة قوم لوط، ويصدق عليها أنها من أقصى البادية، وفي بعضها تخرج من بعض أودية تهامة، ويصدق عليها أنها من وراء مكة ومن اليمن، لأن الحجاز يمانية ومن ثم قيل: الكعبة اليمانية، وفي المرة الأخرى تخرج من مكة وهي من عظم جثتها وطولها يمكن أن تخرج من بين المروة والصفا وأجياد، فإنها تمتد مقدار ثلاثة أيام وأكثر، وحينئذ يصدق عليها أنها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجياد ومن المسجد، أي ومن البادية التي بالقرب من مكة في حديث بريدة.

والوجه الثاني أنها تخرج من جميع تلك الأماكن في آن واحد خرقاً للعادة في صورة متباينة، على أنه ورد في رواية كما في «حياة الحيوان» أنه يخرج من كل بلدة دابة، مما هو مبثوث نوعها في الأرض، فليست بواحدة فيكون قوله «دابة» اسم جنس، والله أعلم.

فائدة: ذكر في «حياة الحيوان» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن دابة الأرض هي الثعبان الذي كان في جوف الكعبة واختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام، وأن الطائر حين اختطفها ألقاها بالحجون فالتقمتها الأرض، فهي الدابة التي تخرج تكلم الناس وتخرج عند الصفا. انتهى. وذلك على ما ذكر ابن عبد البر في «التمهيد» عن عمرو بن دينار قال: لما

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٣) رقم ٤٠٦٧، وقال: في الزوائد هذا إسناد ضعيف لأن خالد ابن عبيد، قال البخاري: في حديثه نظر، وقال ابن حبان والحاكم: يحدث عن أنس بأحاديث موضوعة وأحمد (٥/ ٣٥٧) رقم ٢٣٠٧٣، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ١٦١) رقم ٥٥٤ .

أرادت قريش بناء الكعبة خرجت منها حية، فحالت بينهم وبينها، فجاء طائر أبيض فأخذها ورمي بها في أجياد، وقال ابن إسحاق: قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من شأن الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة بسببها، شعر:

عجبت لما تصوبت العقاب ... إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش ... وأحياناً يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدت ... تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الزجر جاءت ... عقاب تثلئب ولها انصباب
فضمتها إليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس لها حجاب
فقمنا حاشدين إلى بناء ... لنا منه القواعد والتراب
غداة ترفع التأسيس منه ... وليس على مسوينا ثياب
أعز به المليك بني لوي ... فليس لأصله منهم ذهاب
فبوأنا المليك بذاك عزاً ... وعند الله يلتمس الثواب

والله أعلم

* * *

الفصل الثامن
في خروج الدخان

وهو ثابت بالكتاب والسنة.

أما الكتاب فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] قال ابن عباس، وابن عمر والحسن وزيد بن علي: هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمنين منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ولم يأت بعد وهو آت.

وأما السنة فأخرج مسلم عن حذيفة بن أسيد قال: طلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذكرون؟ قالوا الساعة يا رسول الله، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر منها الدخان**»[١]. ورواه الترمذي وابن ماجه، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً وفي حديث حذيفة وأن من أشراط الساعة دخان يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث في الأرض أربعين يوماً فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران، يخرج الدخان من فمه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره[٢]، وقيل: إن الدخان مر، وأنه الجوع الذي كان حال بين إبصار قريش وبين السماء.

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٠١ بلفظ «تذاكرون» بدلًا من «تذكرون» والترمذي (٤/ ٤٧٧) رقم ٢١٨٣، وابن ماجه (٢/ ١٣٤١) رقم ٤٠٤١ باختلاف يسير.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير (١١/ ٢٢٤) وعنه نقله ابن كثير في التفسير (٤/ ١٧٦) وقال بعد أن نقل كلاما للطبري يدل على عدم وثوقه بصحته: وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث ههنا فإنه موضوع بهذا السند.

ففي الصحيحين قال مسروق: كنا عند ابن مسعود جلوساً وهومضطجع بيننا فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن قصاصاً عند أبواب كندة يقول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] أنه دخان يأتي قبل يوم القيامة يأخذ بأنفاس الكفار والمنافقين وأسماعهم وأجسادهم، ويأخذ المؤمنين منه مثل الزكام؟ فجلس ابن مسعود وهو غضبان فقال: يا أيها الناس اتقوا اللَّه، من علم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لا يعلم فليقل اللَّه أعلم، فإن اللَّه تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] وسأحدثكم عن ذلك، أن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام دعا عليهم رسول اللَّه ﷺ فقال: «**اللَّهم سبع سنين كسني يوسف عليه الصلاة والسلام، فأصابهم من الجهد والجوع ما أكلوا به العظام والميتة والجلود، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، من ظلمة أبصارهم من شدة الجوع، فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بالطاعة وصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع اللَّه لهم فإنهم لك مطيعون، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] فدعا فكشف، فقال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥] أي إلى كفركم**»[١].

قال العلامة: كلام ابن مسعود موافق لظاهر الآية، فلا دليل فيها للجمهور، وإنما الدليل لهم من السنة، ولعل ذلك لم يبلغ ابن مسعود حين أنكر ذلك، على أنه ورد عن ابن مسعود أنه كان يقول: هما دخانان، مضى واحد والذي بقى يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر فينشق مسامعه، فيبعث اللَّه عند ذلك الريح

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٨٢١، ٤٨٢٢، باختلاف في بعض الألفاظ ومسلم رقم ٢٧٩٨ .

الجنوب[١] من اليمن فتقبض روح كل مؤمن، ويبقى شرار الناس.

وأخرج الإمام أحمد ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام، فلا تبقى على وجه الأرض أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقولون: ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دارٌ رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور**»[٢]. واستشكل بأنه قد تقدم أن الدابة تقتل إبليس، والجواب أنه ليس فيه أن الذي يظهر لهم إبليس، بل يجوز أن يكون شيطاناً آخر غير إبليس من ذريته.

وأخرج الإمام أحمد ومسلم والترمذي من حديث النواس بن سمعان «فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر - أي يتسافدون تسافد الحمر جمع حمار - فعليهم تقوم الساعة»[٣].

وفي حديث ابن مسعود: «إن المؤمنين يتمتعون بعد خروج الدابة أربعين سنة، ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفار يتهارجون في الطريق كالبهائم، وفيه - فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد أحد من نكاح، ثم يعقم اللَّه النساء ثلاثين سنة ويكونون كلهم أولاد زنا،

---

(١) الجنوب: الريح التي تقابل الشَّمال، وهي ريح حارة وتهب في كل وقت، وقيل الجنوب في كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة. لسان العرب/ مادة: جنب بتصرف يسير.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٩٤٠ باختلاف يسير، وأحمد (٢/ ١٦٦) رقم ٦٥٥٥ عن عبد اللَّه بن عمرو.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٩٣٧، وأحمد (٤/ ١٨١) رقم ١٧٦٦٦ .

شرار الناس وعليهم تقوم الساعة»(١).

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة ﷺ «أن اللَّه يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته»(٢).

فإن قيل: تقدم أن الريح تأتي من قبل الشام وهنا: أنها من قبل اليمن **والجواب**: ما ذكره المناوي في تخريج أحاديث المصابيح بأنهما رِيحان، شامية ويمانية.

وأخرج الإمام أحمد بسند قوي عن أنس ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا اللَّه»**(٣) وهو عند مسلم بلفظ: **«حتى لا يقال في الأرض اللَّه اللَّه»**(٤). واللَّه أعلم.

* * *

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٦٣) رقم ١٨٥٧، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٦) رقم ٨٥٩٠ وقال: محمد بن ثابت بن أسلم البناني من أعز البصريين وأولاد التابعين إلا أن عبد الوهاب بن الحسين مجهول: وقال الذهبي: ذا موضوع والسلام.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٧٧، والحاكم (٤/ ٥٠٢) رقم ٨٤٠٦.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٨) رقم ١٣٨٦٠.

(٤) أخرجه مسلم رقم ١٤٨.

الفصل التاسع
في رفع القرآن العظيم
وكلام الله القديم من المصاحف والصدور

وهي من معضلات الأمور، فيالها من مصيبة ما أعظمها، وخيبة ما أوخمها.

أخرج الديلمي عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: «يسري على كتاب الله ليل فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف إلا نسخت»[١]. قال العلامة في «بهجته»: قرر الأئمة أنه يرفع أولًا من المصاحف، وذلك أنهم يبيتون فيصبحون وليس فيها حرف مكتوب، ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لأعجل زمن حتى لا يكون منه شيء محفوظ، حتى يقول الحافظ للآخر: وقد سأله الآخر كنت أحفظ شيئاً نسيته، لا أدري ما هو، وفي الحديث: **«أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه، وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع»**. قيل: وكيف يرفع ما في صدور الرجال؟ قال: **يسري عليهم ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا إله إلا الله»**[٢].

وعند الديلمي من حديث ابن عمر مرفوعاً: **«لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء، له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول عز**

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٣٦) مرفوعاً، وذكر أحاديث أخرى توافقه.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٨)، والألوسي في روح المعاني (٢٠/ ٢١) وعزياه لابن أبي حاتم وأخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٥٣٠) رقم ٣٣٤١ من أول قوله: «أكثروا تلاوة القرآن» موقوفا على ابن مسعود.

وجل: مالك؟ فيقول منك خرجت وإليك أعود، أتلى فلا يعمل بي»(١).

وعند ابن ماجه من حديث حذيفة مرفوعاً: «**يدرس الإسلام حتى ما يدرى ما صيام وما صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسري على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية**»(٢). الحديث.

وأخرج السنجري عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن والقرآن**»(٣).

وأخرج ابن ماجه بسند قوي والحاكم والبيهقي والضياء عن حذيفة رضي الله عنه قال: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا ندرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى طوائف من الناس - الشيخ والعجوز - يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها**»(٤). والله أعلم.

* * *

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٤/ ٢٣٣) رقم ٣٨٥٢٧ والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٣٥ موقوفاً.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٤) رقم ٤٠٤٩، بزيادة «كما يدرس وشي الثوب».
والحاكم (٤/ ٥٢٠) رقم ٨٤٦٠ وقال: هذا صحيح على شرط مسلم، و(٤/ ٥٨٧) رقم ٨٦٣٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) ذكره الهندي (١٤/ ٢٢٣) رقم ٣٨٤٨٩ بلفظ: «الساعة» بدل «القيامة».

(٤) انظر الحديث قبل السابق.

الفصل العاشر

في النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم وهي آخر العلامات

أخرج الإمام أحمد والبخاري عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد الحوت**»[١] الحديث.

وأخرج الستة غير البخاري عن حذيفة بن أسد مرفوعاً: «**لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات -وذكرها- قال: وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»[٢]. ويروى: «**نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر**»[٣] وفي لفظ «**من قعر عدن أبين**»[٤] وأبين بوزن أحمر اسم الملك الذي بناها.

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنهما وكذا أبو داود والحاكم وأبو نعيم: «**ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم**

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٣٢٩ باختلاف يسير جداً وأحمد واللفظ له (٣/ ١٠٨) رقم ٢٠٧٦ .

(٢) سبق ص ٥٢٠ .

(٣) رواه أبو داود (٢/ ٥١٧) رقم ٤٣١١، والترمذي (٤/ ٤٧٧) رقم ٢١٨٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
ويلاحظ أن المصنف قد أورده بصيغة التمريض وهو إيراد غير دقيق هنا.

(٤) ابن ماجه (٢/ ١٣٤٧) رقم ٤٠٥٥، والطبراني في الكبير (٣/ ١٧٢) رقم ٣٠٣١، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٠٠) رقم ٣٧٥٤٢ .

إذا قالوا، وتأكل من تخلف»(١).

قوله: تقذرهم نفس اللَّه: هو من المتشابه والإيمان به واجب بالمعنى الذي أراده اللَّه سبحانه، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس قال: يا رسول اللَّه، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام**»(٢). أي: وهذا هو المراد بمهاجر إبراهيم.

وأخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «**لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة، في واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم، تأكل الأنفس والأموال، تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام، تطير طير الريح والسحاب، حرها بالليل أشد من حرها بالنهار، ولها بين السماء والأرض دوي كدوي الرعد القاصف، هي من رؤوس الخلائق أدنى من العرش، قيل: يا رسول اللَّه أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات؟ قال: وأين المؤمنون والمؤمنات؟ يومئذ هم شر من الحمر، يتسافدون كما يتسافد البهائم، وليس فيهم رجل يقول مه مه**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٨) رقم ٦٨٧١، وأبو داود (٢/ ٦) رقم ٢٤٨٢، والحاكم (٤/ ٥٣٣) رقم ٨٤٩٧ وسكت عنه.

(٢) رواه أحمد (٢/ ١١٩) رقم ٦٠٠٢ و(٢/ ٨) رقم ٤٥٣٦، و(٢/ ٥٣) رقم ٥١٤٦، والترمذي (٤/ ٤٩٨) رقم ٢٢٣ بلفظ «نحو» بدل «بحر» وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٩٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/ ٢٦٧)، وذكره الهندي في كنز العمال (١٤/ ٣٤٥) رقم ٣٨٨٨٦ وعزاه للطبراني وابن عساكر ولم أقف عليه في معاجم الطبراني الثلاثة.

وأخرج البغوي والبارودي وابن قانع وابن حبان: «**يوشك أن تخرج نار من حبس سيل، تسير سير بطئة الإبل، تسير بالنهار وتقيم بالليل، تغدو وتروح يقال: غدت النار أيها الناس فاغدو، قالت: أي من القيلولة، أيها الناس فقيلوا، راحت النار أيها الناس فروحوا، من أدركته أكلته**»[١].

وإن قيل: ما وجه الجمع بين كونها تخرج من قعر عدن ومن برهوت ومن حبس سيل.

فالجواب: أنها تخرج من برهوت، ويقال له وادي النار، وهي في قعر عدن وعدن على ساحل البحر، فالعبارات مآلها واحد، وتمر بحبس سيل أيضاً، والخطاب مع أهل المدينة، وحبس سيل قريب من المدينة، فوصول النار إليها يكون قبل وصولها المدينة، فصح أن يقال لهم تخرج نار من حبس سيل.

تتمة: مر أن أهل الأرض يكفرون ويعبدون الأوثان وأنه لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس.

ففي مسلم كالمسند: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض اللَّه اللَّه**»[٢]. وفي المستدرك بسند صحيح عن عائشة مرفوعاً: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، ويبعث اللَّه ريحاً طيبة فتتوفى من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من خير، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون على**

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٤٣) رقم ٥٦٩٦، وابن حبان (١٥/ ٢٥٤) رقم ٦٨٤٠، الطبراني في الكبير (٢/ ٤٢) رقم ١٢٢٩، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٢٣٣) رقم ٩٣٤، وذكره الهيثمي (٨/ ٢٤) رقم ١٢٦٠١ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة.

(٢) سبق ص ٥٦٤ .

دين آبائهم»[١].

وفي مرفوع ابن عمر: **«لا تقوم الساعة حتى يبعث اللّه ريحاً لا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من خير إلا قبضته، ويلحق كل قوم بما كان يعبد آباؤهم في الجاهلية، ويبقى عجاج من الناس لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر، يتناكحون في الطرق، فإذا كان ذلك اشتد غضب اللّه على أهل الأرض فأقام الساعة»**[٢]. وفي المستدرك عند الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً: **«وحتى تؤخذ المرأة جهاراً نهاراً تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد»**[٣] وفي لفظ: **«حتى ينكح أحدكم أمه، فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول لو تنحيتها عن الطريق قليلاً، فذلك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم»**[٤].

قال القرطبي في «التذكرة» عن بعض العلماء: إذا أراد اللّه انقراض الدنيا وتمام لياليها، وقربت النفخة، خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم وتقيل، حتى يجتمع الخلق بالمحشر، الإنس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وحشاش الأرض، وكل من له روح... ثم ذكر النفخة إلى آخره.

فائدة: ذكر القرطبي أيضاً أن الحشر أربع، حشران في الدنيا،

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٩٢) رقم ٨٦٥٠ وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرجه في (٤/ ٤٩٤) رقم ٨٣٨١ بزيادة وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وله شاهد في صحيح مسلم رقم ٢٩٠٧ .

(٢) رواه الحاكم (٤/ ٥٠٣) رقم ٨٤٠٧ موقوفاً على عبد اللّه بن عمرو.

(٣) رواه الحاكم (٤/ ٥٤١) رقم ٨٥١٦ بتقديم وتأخير بعض الكلمات وصححه، وقال الذهبي: الخبر شبه خرافة.

(٤) انظر تخريج الحديث السابق وليس فيه «حتى ينكح أحدكم أمه».

وحشران في الآخرة، فاللذان في الدنيا المذكور في سورة الحشر، وهو حشر اليهود إلى الشام، والثاني الحشر المذكور في أشراط الساعة، في حديث أنس في مسائل عبد الله بن سلام النبيَّ ﷺ لما أسلم وفيها: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**»(١) وفيه حديث ابن عمر عند الحاكم مرفوعاً: «**تبعث على أهل المشرق نار فتحشرهم إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، ويكون لها ما سقط منهم وتخلف، وتسوقهم سوق الجمل الكبير**»(٢).

قال الحافظ ابن حجر: وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، لأن ابتداء خروجها من عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق.

قال القرطبي: وأما اللذان في الآخرة فحشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعاً، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] وحشرهم إلى الجنة والنار.

قال الحافظ ابن حجر عن الأول - يعني المذكور في سورة الحشر - ليس حشراً مستقلاً، فإن المراد حشر كل موجود يومئذ، والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة - أي وهم يهود - وهذا وقع كثير، كما وقع لبني أمية حين أخرجهم ابن الزبير من المدينة إلى جهة الشام، وأجيب بأن المراد ما سمي حشراً على لسان الشارع، وقد سمى الله الأول حشراً، والله أعلم.

---

(١) تقدم ص ٥٦٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩١) رقم ٨٦٤٧ عن عبد الله بن عمرو والطبراني في الأوسط (٨/ ٩٩) رقم ٨٠٩٢، بلفظ «الكسير» بدل «الكبير».
وذكره الهيثمي (٨/ ٢٤) رقم ١٢٦٠٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات.

تنبيه: اختلف العلماء هل الحشر يوم القيامة أم قبله؟ قال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض وقواه بحديث حذيفة بن أسد[1]: أن هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة، يحشر الناس إلى الشام، وأما الحشر من القبور فهو على ما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في الصحيحين وغيرهما مرفوعاً «**أنكم تحشرون حفاة عراة غرلا**»[2].

وقال الحكيم الترمذي والغزالي: هو يوم القيامة ويدل له حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيحين وغيرهما: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»[3] فالحديث كالتفسير لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧].

قال الحافظ ابن حجر: ويؤيد حديث أبي ذر عند الإمام أحمد والنسائي والبيهقي حدثني الصادق المصدوق: «**أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج، فوج يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم**»[4] الحديث. ثم اختلفوا على هذا القول بين حديث أبي ذر وحديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهو أنكم تحشرون حفاة الحديث.

---

(١) تقدم ص ٥٦٧ .

(٢) رواه البخاري رقم ٣٣٤٩، ٦٥٢٧، ومسلم رقم ٢٨٥٩ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

(٣) رواه البخاري رقم ٦٥٢٢ بلفظ «وثلاثة على بعير وأربعة على بعير» ثم بقية الحديث، ومسلم رقم ٢٨٦١ .

(٤) رواه أحمد (٥/ ١٦٤) رقم ٢١٤٩٤، والنسائي (٤/ ١١٦) رقم ٢٠٨٦، والحاكم (٤/ ٦٠٨) رقم ٨٦٨٥ وقال: حديث صحيح الإسناد إلى الوليد بن جميع ولم يخرجاه، والطبراني في الأوسط (٨/ ٢١٤) رقم ٨٤٣٧ .

فقال الإسماعيلي: الحشر يعبر به عن النشر أيضاً لاتصاله به، وهو - أي النشر - إخراج الناس من قبورهم فيخرجون حفاة عراة يساقون ويجمعون إلى الموقف للحساب، ثم يحشر المتقون ركباناً على الإبل، والمجرمون على وجوههم. وقال غيره: يخرجون من القبور على ما في حديث أبي هريرة.

وقال بعضهم: حمل الحشر على هذا قوي من وجوه:

أحدها: أنه إذا أطلق الحشر يراد به شرعاً الحشر من القبور ما لم يخصه دليل.

الثاني: التقسيم المذكور في الخبر لا يستقيم في الحشر إلى أرض الشام، لأن المهاجر لابد أن يكون راغباً أو راهباً أو جامعاً بين الصفتين.

الثالث: حشر البقية على ما ذكر وإلجاء النار إلى تلك الجهة وملازمتها حتى لا تفارقهم، قول لم يرد به التوقيف وليس لنا أن نحكم بتسليط النار في الدنيا على أهل الشقوة من غير توقيف.

الرابع: أن الحديث يفسر بعضه بعضا، وقد وقع في حديث أبي هريرة بلفظ ثلثا على الدواب، وثلثاً ينسلون على أقدامهم، وثلثا على وجوههم، قال: ونرى هذا التقسيم نظير التقسيم الذي في سورة الواقعة ﴿كُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ فقوله في الحديث «**راغبين راهبين**» يريد عموم المؤمنين المخلطين عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم أصحاب الميمنة، وقوله «اثنان على بعير» إلى آخره، يريد السابقين وهم أفاضل المؤمنين ركباناً، وقوله: «وتحشر بقيتهم النار» يريد أصحاب المشأمة، فيحتمل أن البعير يحمل دفعة واحدة، لأنه يكون من بديع قدرة اللّه تعالى، فيقوى على ما يقوى عليه عشرة من بعران الدنيا، ويحتمل أن يتعاقبوه، انتهى ملخصاً. وانتصر

القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي، بأن حديث أبي هريرة «تقيل معهم وتبيت وتصبح وتمسي» يؤيد ما ذكر أن المراد به الحشر في الدنيا إلى الشام، لأن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا، وقوله «اثنان على بعير إلى عشرة» يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد، يركب بعض، ويمشي بعض وذلك لقلة الظهر كما في بعض الأحاديث، انتهى ملخصاً، ورجح هذا الطيبي وتعقب ذلك البعض، وأجاب عن أول وجوه ترجيحه بأن الدليل المخصص ثابت، فقد ورد في عدة أحاديث وقوع الحشر في الدنيا إلى جهة الشام، وذكر حديث حذيفة السابق، وحديث معاوية ابن حيدة رفعه «أنكم محشورون» ونحى بيده إلى الشام، رجالًا وركباناً وتجرون على وجوهكم أخرجه الترمذي والنسائي وسنده قوي.

وحديث: **«ستكون هجرة بعد هجرة، وتنحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ولا يبقى في الأرض إلا شرارها، تلفظهم أرضوهم، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا»**[١].
أخرجه الإمام أحمد وسنده لا بأس به، إلى أن قال: فليس المراد بهذه النار نار الآخرة كما زعمه المعترض، وإلا لقيل تحشر بقيتهم إلى النار، وقد قال تحشر بقيتهم النار، فأضاف الحشر إليها، وأجاب عن الثاني: أن التقسيم المذكور في الحديث أن الذي في الحديث ورد على القصد من الخلاص من الفتن، فمن اغتنم الفرصة سار على فسحة من الظَّهر، ويسرة في الزاد، راغباً فيما يستقبله، راهباً فيما يستدبره، وهؤلاء هم الصنف الأول في الحديث، ومن توانى حتى قل الظهر، وضاق أن يسعهم لركوبهم اشتركوا وركبوا عقبة، فيحصل اشتراك اثنين في البعير، وكذا الثلاثة، وأما الأربعة فالظاهر من حالهم التعاقب لا غير، وسكت عما فوقها إشارة إلى أنها هي

---

(١) سبق ص ٥٦٧ .

المنتهى في ذلك، وهؤلاء هم الصنف الثاني في الحديث، وأما الصنف[1] الثالث: فعبر عنه بقوله (تحشر بقيتهم النار) إشارة إلى أنهم عجزوا عن تحصيل ما يركبون، ولم يقع في الحديث بيان حالهم، بل يحتمل أنهم يمشون أو يسحبون فراراً من النار، ويؤيد ذلك ما وقع في آخر حديث أبي ذر الذي تقدم، وفي الحديث: أنهم سألوا عن السبب في مشي المذكورين فقال: تلقى الآفة على الظهر حتى لا يبقى ذات ظهر، حتى أن الرجل ليعطى الحديقة المعجبة بالشارف - الناقة المسن ذات القتب - أي: يشتريها بالبستان الكريم، لهوان العقار الذي عزم على الرحيل عنه، وعزة الظهر الذي يوصله إلى مقصوده، وهذا لائق بحال الدنيا دون الآخرة مؤكد لما ذهب إليه الخطابي وغيره.

وأجاب عن الثالث: أنه تبين بشواهد الحديث أنه ليس المراد بالنار نار الآخرة، وإنما هي نار تخرج من الدنيا أنذر النبي ﷺ بخروجها وذكر صفة ما تفعل في الأحاديث المذكورة.

وأجاب عن الرابع: أن حديث أبي هريرة من رواية علي بن زيد الذي استدل به المعترض مع ضعفه لا يخالف حديث الباب، لأنه موافق لحديث أبي ذر في لفظه، وقد تبين من حديث أبي ذر ما دل على أنه في الدنيا لا بعد البعث في الحشر إلى الموقف، إذ لا حديقة هناك ولا آفة تلقى على الظهر، ووقع حديث على ابن زيد المذكور عند الإمام أحمد «**أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك**»[2] وأرض الموقف مستوية، ولا عوج فيها ولا أمتا، ولا حدب ولا شوك، قال: وهذا ما سنح لي على سبيل الاجتهاد، ثم

---

(١) في الأصل (النصف).

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٤) رقم ٨٦٣٢ والترمذي (٥/ ٣٠٥) رقم ٣١٤٢ وقال: هذا حديث حسن. عن أبي هريرة.

رأيت في صحيح البخاري في باب الحشر «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق»[١] فعلمت من ذلك أن الذي ذهب إليه الإمام التوربشتي هو الحق الذي لا محيد عنه - يعني أن ذلك يوم القيامة - انتهى كلام الطيبي مع تلخيص قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) بعد نقله ما تقدم عن الطيبي: قلت: لم أقف في شيء من طرق الحديث الذي خرجه البخاري على لفظ يوم القيامة في صحيحه ولا غيره، وكذا هو عند مسلم والإسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة، ثم اختار هو أنه يتعين كون ذلك في الدنيا لما وقع فيه أن الظهر يقل لما يلقى عليه من الآفة، وأن الرجل يشتري الشارف الواحد بالحديقة المعجبة، فإن ذلك ظاهر جداً في أنه من أحوال الدنيا، قال في «الإشاعة» فثبت أن الحق أن النار قبل يوم القيامة.

قلت: وهو كما قال، وبالله التوفيق.

خاتمة عظيمة النفع جسيمة الوقع لمن كان له قلب أو ألقى السمع:

اعلم أن في إخفاء علم الساعة عن العباد كما مر فوائد عظيمة، وعوائد جسيمة، وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها، فكان ذلك أدعى للطاعة وأزجر عن المعصية والفظاعة، وتقدم قول العلامة: قد احتج كثير من العلماء عن تعيين قرب زمانها بأحاديث لا تخلو من نظر.

قلت: أما قرب الساعة فحق، وأما التعيين فلا لأحد منه علم سوى عالم الغيب والشهادة، قال العلامة: فمنهم أي ممن خاض في علمها وأنها قربت من قال بقي لها كذا، ومنهم من قال يخرج الدجال على رأس كذا، وتطلع الشمس على رأس كذا، فجاء الحافظ السيوطي ورد ذلك كله في كتاب «الكشف».

---

(١) سبق ص ٥٧٢ .

قلت: وهو كتاب لطيف لا يبلغ كراسة.

قال العلامة: وذكر هو تقريباً أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أقل أو أزيد، قال العلامة: وهذا أيضاً مردود لأن كل من تكلم بذلك فهوظن وحسبان لا يقوم عليه من الوحي برهان، لكن الشارع صلوات اللّه وسلامه عليه ذكر لقرب الساعة علامات وأشراط، واللّه أعلم.

قال السيوطي في «الكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف» الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة، وذلك لأنه ورد من طريق أن مدة الدنيا من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة سبعة آلاف سنة وأن النبي ﷺ بعث في آخر الألف السادسة، وورد أن الدجال يخرج على رأس مائة سنة، وينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ويمكث في الأرض أربعين سنة، وأن الناس يمكثون في الأرض بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، وأن ما بين النفختين أربعين عاماً، إلى أن قال: ولا يمكن أن تكون المدة ألفاً وخمسمائة سنة أصلًا، ثم ذكر حديث أبي هريرة عند الحكيم الترمذي قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها، فهم في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم**» وساق بقية الحديث وفيه: «**وأطولهم مكثاً فيها من يمكث فيها مثل الدنيا منذ يوم خلقت إلى يوم أقيلت وذلك سبعة آلاف سنة**»(١).

قلت: ذكر الحافظ ابن رجب في كتابه «صفة النار» أن هذا الحديث

---

(١) جزء من حديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٢٦) والهندي في كنز العمال (١٤/ ٥٣٦) رقم ٣٩٥٤٩، والغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٣١٢) وقال عنه العراقي: سنده ضعيف بلفظ «أفنيت» بدل «أقيلت» وانظر حكم المصنف عليه.

خرجه ابن أبي حاتم وغيره وخرجه الإسماعيلي مطولًا، وقال الدارقطني في كتاب «المختلف»: هو حديث منكر، وذكر علله، والله أعلم.

وذكر السيوطي حديث أنس عند ابن عساكر وغيره، أن النبي ﷺ قال: **«من قضى حاجة لأخيه المسلم في الله خالصاً، كتب له عمر الدنيا، سبعة آلاف سنة صيام نهارها وقيام ليلها»**(١). وذكر حديث أنس أيضاً مرفوعاً عند ابن عدي: **«عمر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾**(٢) **[الحج: ٤٧]»**. وذكر حديث عمر بن مجعد عند الطبراني في «الكبير» قال: رأيت رؤيا قصصتها على رسول الله ﷺ فذكر المنام، وفيه: فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درج وأنت في أعلاها درجة، فقال رسول الله ﷺ: **«أما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلى درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفاً»**(٣). أخرجه البيهقي في الدلائل والسهيلي في الروض الأنف.

قال السهيلي: هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد فقد روي موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق صحاح أنه قال: **«الدنيا سبعة أيام كل يوم**

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ١٣٣) باختلاف يسير في كلمات يسيرة وذكره الهندي في كنز العمال (٦/ ٤٤٤) رقم ١٦٤٥٩ وقال: ابن عساكر عن أنس وفيه الحسين بن داود البلخي، قال الخطيب: ليس بثقة حديثه موضوع.

(٢) ذكره الصديقي في «تذكرة الموضوعات» (١٨١٥) ونقل عن السيوطي في اللآلئ أنه موضوع ثم عقب على ذلك بقوله: له شواهد ولو بأسانيد ضعاف ولم أقف عليه عند ابن عدي.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣٠٢) رقم ٨١٤٦ وذكره الهيثمي (٧/ ٣٧٩) رقم ١١٧٢ وقال: رواه الطبراني وفيه سليمان بن عطاء القرشي وهو ضعيف. والسهيلي في الروض الأنف (١/ ٢٥٠).

مقدار ألف سنة وبعث رسول الله ﷺ في آخرها»[١]. قال أبو جعفر الطبري هذا الأصل، وعضده بآثار وذكر أدلة وآثاراً إلى أن قال: وينزل عيسى ابن مريم فيقتله - يعني الدجال - فيقيمون أربعين سنة لا يموت فيها أحد ولا يمرض، ويقول الرجل لغنمه ودوابه: اذهبوا فارعوا، وتمر الماشية بين الزرعين لا تأكل منه سنبلة، والحيات والعقارب لا تؤذي أحداً، والسبع على أبواب الدور لا يؤذي أحداً، ويأخذ الرجل المؤمن القمح فيبذره بلا حرث، فيجيء منه سبع مائة مد فيمكثون في ذلك حتى ينكسر سد يأجوج ومأجوج، فيموجون ويفسدون، فيبعث الله إليهم دابة فتدخل في آذانهم فيصبحون موتى أجمعين»[٢] وذكر بقية الحديث. رواه الحاكم عن ابن مسعود مرفوعاً.

وأخرج الإمام أحمد في (الزهد) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يلبث عيسى ابن مريم في الأرض أربعين سنة، لو يقول للبطاح سيلي عسلًا لسالت، وقد قدمناه إلى أن قال: وبعد عيسى يتولى أمراء صالحون منهم يقال له القحطاني، يتولى إحدى وعشرين سنة، وتعرض لبقيتهم إلى طلوع الشمس من المغرب عشرين سنة أيضاً، إن لم تكن أكثر، فهذه مائة وعشرون سنة والدجال يمكث أربعين سنة، والله أعلم.

وقال بعضهم: إن الساعة تقوم سنة سبع بعد أربعمائة وألف أخذاً من قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [الزخرف: ٦٦] وقوله: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فإن عدة حروف بغتة ألف وأربعمائة وسبع قال: فيحتمل خروج المهدي على رأس المائة احتمالًا قويا بل قبل المائة، إذ

---

(١) السهيلي - السابق، وذكره كذلك صاحب (تذكرة الموضوعات) (١٨١٥).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٠٠)، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٧٩) رقم ١٦١٩، ولم أقف عليه في المستدرك.

الدجال يخرج في خلافته وهو يخرج على رأس المائة، ويحتمل أن يتأخر للمائة[١] الثانية، ولا يفوتها قطعاً وإذا تأخر فلابد أن يبعث اللّه على رأس هذه المائة من يحيي للأمة أمر دينها كما ورد في حديث مشهور[٢]. قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته:

والشرط في ذلك أن تمضي المائة ... وهو على حياته بين الفئة
يشار بالعلم إلى مقامه ... وينصر السنة في كلامه
وأن يكون في حديث قد روي ... من أهل بيت المصطفى وهو قوي

والمختار الذي لا محيد عنه أن علم ذلك مفوض لعالم الغيب والشهادة، ليس لأحد من ذلك علم[٣]، واللّه أعلم.

نعم أخرج نعيم عن محمد بن الحنفية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه قال: يقوم المهدي سنة مائتين، وأخرج أيضاً عن جعفر الصادق مثله، وأخرج أيضاً عن أبي قبيل قال: اجتماع الناس على المهدي سنة أربع ومائتين، وهذا لو صح لم يلزمنا، لكونه لم يصدر عن المعصوم ﷺ، نعم قد يستروح له، ولكن التحقيق أن ذلك منفرد به اللّه بعلمه لا غير، واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

(١) هذا رجم بالغيب، فلا يعلم متى الساعة إلا اللّه تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، ولم يبين القرآن والسنة إلا أمارات الساعة فقط، فكل قول يزيد على ذلك فهو قول بلا علم، بل ويتنافى مع صريح القرآن والسنة.

(٢) روى أبو داود (٢/ ٥١٢) رقم ٤٢٩١ عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «إن اللّه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، ورواه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣٢٣) رقم ٦٥٢٧، والحاكم (٤/ ٥٦٧) رقم ٨٥٩٢، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٨١) رقم ٧٤٠ وقال بعد تصحيحه: وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث.

(٣) رحم اللّه الإمام السفاريني فكان يكفيه هذا ويضرب صفحاً عن كل الأقوال السابقة في تعيين وقت قيام الساعة.

الفصل الحادي عشر

في نفخة الفزع

وما يكون فيها من تغير انتظام هذا العالم وفساد انتظامه

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] أي من رجوع ومرد، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ[١] مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فسر الزمخشري المستثنى في هذه الآية بمن ثبت اللّه قلبه من الملائكة، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل غير ذلك، وإنما يحصل الفزع لشدة ما يقع من الهول عند تلك النفخة، لأنه إذا نفخ في الصور نفخة الفزع تزلزلت الأرض، وتحركت السماء، وتناثرت النجوم، وتفجرت البحار، وذهلت المراضع، ووضعت الحوامل، وعطلت العشار - أي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر تركت هملًا بلا راع - واختلطت الإنس والجن والدواب والوحوش، وماج بعضهم في بعض، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] وفي البغوي عن أُبي ابن كعب قال: ست آيات قبل يوم القيامة، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت، وفزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحش، وماج بعضهم في بعض، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] اختلطت ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أهملت ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ

---

(١) في الأصل ﴿ونفخ في الصور ففزع﴾ والمثبت هو الصواب.

سُجِّرَتۡ﴾ قال ابن عباس: أوقدت فصارت ناراً تضرم، قال أبي: قالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وانشقت السماء انشقاقة واحدة إلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم، انتهى.

ولنذكر أموراً تحصل عند نفخة الفزع من تغير انتظام هذا العالم. **الأول: فيما يصيب الأرض**، قد جاء فيها آيات، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: ١] أي شدة الحركة على الحالة الهائلة حتى ينهدم كل بناء على وجه الأرض، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] أي تحركت حركة شديدة لقيام الساعة. قال ابن عباس رضي الله عنهما هي عند النفخة الأولى، وعليه جمهور المفسرين، وأخرج البغوي في تفسيره عن أبي هريرة مرفوعاً: «**تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً**»(١). وأخرجه مسلم في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾ [الواقعة: ٤] أي رجت وزلزلت وحركت تحريكاً شديداً حتى ينهدم كل بناء على وجهها، قال المفسرون: ترتج كما يرتج الصبي في المهد، حتى ينهدم كل ما عليها، وينكسر كل شيء عليها من الجبال. وقال الثعلبي: تكون كالسفينة الموسوقة في البحر، تضربها الأمواج وتقلبها الرياح، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦] قال البغوي: يوم ترجف الراجفة

---

(١) أخرجه مسلم رقم ١٠١٣ بزيادة كلمات يسيرة والبغوي في التفسير (٥٠١).

يعني الرجفة الأولى تتزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع الخلق، تتبعها الرادفة، هي النفخة الثانية ردفت الأولى، وبينهما أربعون سنة، قال قتادة: هما صيحتان، فالأولى تميت كل شيء، والأخرى تحيي كل شيء بإذن اللَّه تعالى.

وقال العلامة: ترجف الراجفة أي تهد الأرض بالبناء على الناس، وتذهل المراضع وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع، حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها وأدبارها فترجع ويولي الناس هاربين مدبرين. انتهى.

ومنها قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] قال البغوي: أي مرة بعد مرة، زلزلت فكسر بعضها بعضاً، فينكسر كل شيء على ظهرها، من جبال وبناء وشجر، فلم يبق على ظهرها شيء.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] قال المفسرون: أي رفعت من جميع جهاتها مع الجبال بما يشاؤه اللَّه تعالى من ريح أو ملائكة، والمعنى كسرتا كسرة واحدة، فصارتا أرضاً مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا.

تتمة: ذكر ابن أبي الدنيا حديثاً مرسلًا أن الأرض تزلزلت على عهد رسول اللَّه ﷺ فوضع يده عليها ثم قال: «**اسكني فإنه لم يأن لك بعد ثم التفت إلى أصحابه فقال: إن ربكم يستعتبكم فاعتبوه**»[1] أي فارجعوا إليه وتوبوا مما لعلكم اقترفتموه من الذنوب ثم تزلزلت بالناس على عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة إلا عن شيء

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٩) رقم ١٨، وذكره ابن حجر في في تلخيص الحبير (٢/ ٩٤) في نهاية كلامه على حديث رقم ٧١٠ وقال: هذا مرسل ضعيف.

أحدثتموه، والذي نفسي بيده إن عادت لا أساكنكم فيها أبداً، وفي (مناقب عمر) لابن أبي الدنيا: أن الأرض تزلزت على عهد عمر فضرب يده عليها وقال: ما لك ما لك؟ أما إنه لو كانت القيامة حدثت أخبارها، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة فليس فيها ذراع ولا شبر إلا وهو ينطق**»[١].

وذكر ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة رضي الله عنها هو ورجل آخر فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمور، وضربوا بالمعازف، غار اللَّه عز وجل في سمائه، فقال للأرض: تزلزلي بهم، فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم، قال: يا أم المؤمين أعذاباً لهم قالت: بل موعظة ورحمة للمؤمين ونكالًا وعذاباً وسخطاً على الكافرين. فقال أنس: ما سمعت حديثاً بعد رسول اللَّه ﷺ أنا أشد فرحاً مني بهذا الحديث[٢].

وقال كعب: إنما تزلزل الأرض إذا عمل فيها بالمعاصي، فترعد فرقاً من الرب جل جلاله أن يطلع عليها، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار أما بعد: فإن هذا الرجف شيء يعاتب اللَّه عز وجل به العباد.

فإن قيل: فما لنا نرى بعض الأرض تزلزل دون بعض؟ فالجواب: ما نقله العلامة في «البهجة» عن وهب، أن ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالًا صغاراً فقال: ما أنت؟ فقال: أنا قاف، قال: فما هذه الجبال التي حولك؟ قال: هي عروقي، وليست مدينة إلا وفيها عرق منها، فإذا أراد اللَّه أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك المدينة.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٣٠) رقم ١٩ وفي آخره «بالناس».

(٢) رواه الحاكم (٥/ ٥٦١) رقم ٨٥٧٥ وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: بل أحسبه موضوعاً.

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق الله تعالى جبلًا يقال له قاف محيط بالأرض، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل، فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها، فمن ثم تحرك القرية دون القرية(١)، والله أعلم.

الأمر الثاني: فيما يصيب الجبال.

وقد جاء في ذلك آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥] أي فتت فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول - وقال الكلبي: معنى بست أي صيرت على وجه الأرض، وقال مجاهد: لتت لتاً، وقال الحسن: قلعت من أصولها فذهبت، واختلف المفسرون في تفسير الهباء، فقال ابن عباس: أنه ما يرى في شعاع الشمس في الصورة اللطيفة حين تدخل الكوة، وقيل: الرماد يطير من النار إذا اضطرمت، فإذا وقع لم يكن شيئاً.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤] فسر الثعلبي الكثيب بالرمل المجتمع، والمهيل بالسيال المتناثر إذا مسه تتابع، وقوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] قال البغوي: كالصوف المندوف، وقال الثعلبي: إن أول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلًا، ثم عهنا منفوشاً، وهو الصوف المصبوغ، فلا يقال العهن إلا للمصبوغ، ثم هباء منثوراً.

---

(١) روى هذا الأثر ابن أبي الدنيا في (العقوبات) (٣٢) رقم ٢٢ وذكره الإمام ابن كثير في التفسير(٤/ ٢٨٢) وعلق عليه قائلًا: روى عن بعض السلف أنهم قالوا: ق جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف، وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨] قال العلامة عن بعض المفسرين: معناه أنها إذا كانت الجبال هباء منبثاً يسير اللّه ذلك الغبار بين السماء والأرض كالسحاب، قال وظاهر كلام الزمخشري أنها تسير كالسحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد، وهي تمر مراً حثيثاً كما يمر السحاب. قال الرازي: وليس في الآية ما يدل إلى أين تسير، فيحتمل أن يقال: إن اللّه عز وجل يسيرها إلى الموضع الذي يريده، ولم يبين ذلك الموضع لخلقه قال: والحق أن اللّه تعالى يسيرها إلى العدم، لقوله تعالى: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه:١٠٥]. قال العلامة: قلت أحسن من هنا وأظهر أن يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ:٢٠] قال مكي: أي لا شيء، كما أن السراب لا شيء.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه:١٠٥-١٠٧] قال الفخر: وصف اللّه سبحانه وتعالى الأرض بأوصاف، أحدها: كونها قاعاً وهو المكان المطمئن من الأرض، وقيل: منتقع الماء، وثانيها: صفصفا، وهو الذي لا نبات عليه، وقيل: إن القاع والصفصف الأرض الملساء المستوية، وثالثها ورابعها: كونها لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، قال الزمخشري: الأمت النتوء اليسير والعوج ظاهر، ويحصل بهذه الأربعة أوصاف أن الأرض تكون في ذلك اليوم ملساء خالية من الارتفاع والانخفاض وأنواع الانحراف والاعوجاج، وقال في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف:٤٧] أي ظاهرة ليس عليها من العمارات ولا من الجبال والأشجار شيء، فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها، وهو المراد بقوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه:١٠٧].

فائدة: في تبديل الأرض وأين يكون الناس يومئذ؟ قال العلامة: اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [إبراهيم:٤٨] ما المراد بالتبديل هل هو تبديل ذات أم تبديل صفات؟ قال البيضاوي: التبديل يكون في الذات، كقولك بدلت الدراهم بالدنانير، وعليه قوله: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء:٥٦] قلت: قد نص الإمام أحمد نور اللَّه ضريحه في «الأجوبة القرآنية» ما نصه: قالت الزنادقة في قوله ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ فما بال جلودهم التي قد عصت احترقت وأبدلهم اللَّه جلوداً غيرها؟ فلا نرى إلا أن اللَّه عز وجل يعذب جلوداً لم تذنب حين يقول: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ فشكوا في القرآن وزعموا أنه متناقض.

قال: فقلت إن قول اللَّه عز وجل ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ليس يعني جلوداً غير جلودهم، وإنما معنى ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ تبديلها تجديدها، لأن جلودهم إذا نضجت جددها اللَّه، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام، ووجوه كثيرة وخواطر يعلِّمُها اللَّه العلماءَ. انتهى. بحروفه، ومنه يعلم ما في ما ذكر.

قال البيضاوي وفي الصفة كقولك: بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وغيرت شكلها، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠] والآية تحتملها. قال الجلال السيوطي: اختلفت الأحاديث والآثار في الأرض المبدلة، وقد وقع الخلاف قديماً للسلف في ذلك، وهل التبديل تغيير ذاتها أو صفاتها فقط، انتهى، فالقائلون بأنه تبديل ذات، منهم ابن مسعود قال: تبدل الأرض كلها ناراً يوم القيامة.

قال كعب الأحبار وأبي بن كعب تصير السموات جنات، ويصير مكان البحر ناراً، وتبدل الأرض غيرها - أي مما لم يكن بحاراً - فقد ورد

أن ما يصير ناراً من البحر يعود على بقية الأرض فيدعها جمرة واحدة من نار، فإن قيل: في هذا حجة لمن زعم أن الجان لم تخلق بعد؛ لأن السموات حيث قلتم أنها هي الجنة، فالجنة غير موجودة الآن وكذا النار؟

فالجواب أن السموات تضاف إلى الجنة كما أن البحار تضاف إلى النار، لا أن الجنة هي السموات، بل السموات تصير من جملة الجنة، وأن البحار تصير ناراً وتضاف إلى النار، فتكون من جملة النار، والله الموفق.

وعن علي كرم الله وجهه: تبدل الأرض أرضاً من فضة، والسموات سموات من ذهب، وقال ابن جرير ومحمد بن كعب: تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه، لحديث الشيخين من مرفوع أبي سعيد الخدري **«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر - جمع سفرة - نزلًا لأهل الجنة»**[1] النزل هو الطعام الذي يؤتى به الضيف أول نزوله، وسيأتي، وفي (الإرشاد) تبدل الأرض يوم القيامة خبزة فيأكل المؤمن من بين رجليه ويشرب من الحوض.

وقال عكرمة: تبدل الأرض أرضاً بيضاء مثل الخبزة، يأكل منها أهل الإسلام حتى يفرغوا من الحساب، قال الحافظ ابن حجر: يستفاد منه أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع زمن الموقف.

والقائلون بأنه تبديل صفة منهم ابن عباس وغيره قالوا: تبديل السموات ذهاب شمسها وقمرها وانكدار نجومها، وتبديل الأرض ذهاب جبالها وأنهارها وأشجارها.

أخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ

---

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٢٠، ومسلم رقم ٢٧٩٢ .

ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] قال: يزاد فيها وينقص وتذهب آكامها من أماكنها وجبالها وأوديتها وشجرها وما فيها، وتمد مد الأديم العكاظي[١] أرضاً بيضاء مثل الخبزة الفضة لم يسفك فيها دم، ولم تعمل فيها خطيئة، والسموات تذهب شمسها وقمرها، ويدل لهذا حديث أبي هريرة «**تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا، ثم يزجر اللَّه الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها**»[٢] وهو ظاهر ما في حديث مسلم عن سهيل بن سعد «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد**»[٣].

قوله: عفراء العفر بياض يقرب إلى الحمرة، والنقي بكسر القاف هو الحواري.

وقوله: ليس فيها علم لأحد، أي ليس لأحد فيها علامة أو سكن أو بناء أو أثر.

وفي شعب الإيمان للبيهقي في قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] قال: «تصير الأرض غبرة في وجوه الكفار»[٤].

---

(١) يقال: أديم عكاظي منسوب إلى عكاظ، وسمي به لأن العرب كانت تجتمع كل سنة فيعكظ بعضها بعضاً بالمفاخرة والتناشد، أي يَدْعَكُ ويَعْرُكُ.
كتاب العين - للفراهيدي مادة عكظ.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال/ ٢٦٦) رقم ٣٦، وإسحاق ابن راهويه في مسنده (١/ ٨٤) رقم ١٠، وذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ١٩٦، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٥٧ .

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٧٩٠ .

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٣) رقم ٣٨٤٧ و(٢/ ٥٥٩) رقم ٣٨٩٩ موقوفاً على أبي بن كعب بلفظ : «يصيران غبرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين».

واختلفوا في التبديل هل هو قبل يوم الحساب أم بعده؟ فقيل: قبل يوم الحساب، وقيل: والناس على الصراط، الحديث. مسلم عن عائشة رضي الله عنها قلت: «**يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى:** ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] **فأين يكون الناس؟ قال: على الصراط**»(١). وفي الترمذي عنها قلت: «**أين الناس يا رسول الله قال: على جسر جهنم**»(٢).

وأخرج عنها أيضاً وقال: حسن صحيح قالت: «**يا رسول الله قال الله:** ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] **فأين يكون المؤمنون يومئذ؟ قال: على الصراط يا عائشة**»(٣).

وأخرج مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاءه حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد. وذكر الحديث وفيه: فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال ﷺ: «**في الظلمة دون الجسر**»»(٤). قال العلامة: هذا حاصل ما قاله كل من الفريقين.

ووجه الجمع بين القولين ما أشار إليه صاحب «الإفصاح» من أنه لا تعارض بين هذه الآثار، فإن الأرض والسموات تبدل مرتين، الأولى: أنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق، فتنتشر كواكبها، وتكسف شمسها وقمرها، وتصير كالمهل، ثم تكشط عن رؤوسهم، ثم تُسَيِّر الجبال، ثم تموج الأرض، ثم تصير البحار نيراناً، ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧١٩، وأحمد (٦/ ٣٥) رقم ٢٤١١٥ .

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٢) رقم ٣٢٤١ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٣٧٢) رقم ٣٢٤٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٣١٥، وابن حبان (١٦/ ٤٠٠) رقم ٧٤٢٢، وابن خزيمة (١/ ١١٦) رقم ٢٣٢ .

فتصير الهيئة غير الهيئة، والبنية غير البنية، ثم إذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء، ودحيت الأرض، وبدلت السماء سماء أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:٦٩] وبدلت الأرض، وتمد مد الأديم العكاظي، وأعيدت كما كانت، فيها القبور، والبشر على ظهرها وفي بطنها، وتبدل الأرض تبديلًا ثانياً، وذلك إذا وقفوا في المحشر فتبدل لهم الأرض التي يقال لها الساهرة، يحاسبون عليها، وهي أرض عفراء، وهي البيضاء من فضة، لم يسفك عليها دم حرام قط، ولا جرى عليها ظلم قط، وحينئذ يقوم الناس على الصراط، وهو لا يسع جميع الخلائق، وإن كان قد يروى «أن مسافته ألف سنة صعوداً وألف سنة هبوطاً، وألف سنة استواء»[1] لأن الخلق أكثر من ذلك، فيقوم من فضل منهم عن الصراط على متن جهنم، وهي كالهالة الجامدة، وهي الأرض التي قال عبد الله: أنها أرض من نار يعرق فيها البشر، فإذا حوسب الناس عليها - أعني الساهرة - وجاوزوا الصراط وحصل أهل الجنان من وراء الصراط، وأهل النار في النار، وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون، بدلت الأرض كقرصة النقي[2]، فأكلوا من تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت خبزة واحدة - أي قرصاً واحداً - يأكل منه جميع الخلق ممن دخل الجنة، وأدمهم زيادة كبد ثور الجنة، وزيادة كبد النون.

قال الحافظ ابن حجر: لا تنافي بين أحاديث تبديل الأرض وأحاديث مدها والزيادة فيها والنقص منها، لأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا، لكن أرض الموقف غيرها، فإنهم يزجرون من أرض الدنيا بعد تغييرها بما ذكر

---

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (٢١٥).

(٢) النقاوة: أفضل ما انتقيت من الشيء، وقرصة النقي يعني الخبز الحُوَّاري. لسان العرب/ مادة: نقا.

إلى أرض الموقف، قال: ولا تنافي أيضاً بين أحاديث مصيرها خبزة وناراً وغباراً، بل يجمع بأن بعضها يصير خبزة وبعضها ناراً وبعضها غباراً، وأن النار هي أرض البحر خاصة، لكن مر أن الأرض تصير كلها ناراً يوم القيامة، وقد يجاب كما في «البهجة» بأن أرض البحر تكون ناراً في الابتداء بطريق الأصالة، ثم البقية بالتبعية، انتهى، وتعقب البدر العيني الحافظ ابن حجر بأن لفظ الحديث «تكون الأرض يوم القيامة خبزة»، وفيما قال - يعني ابن حجر - ارتكاب المجاز، فلا يصار إليه إلا عند تعذر الحقيقة، ولا تعذر هنا من كون الأرض خبزة، لأن القدرة صالحة لذلك، قال بل الجواب الثاني هنا أن يقال: إن المراد من كون الأرض ناراً هي أرض البحر كما في حديث أبي ابن كعب ﷺ تصير السموات جفانا[1] ويصير مكان البحر ناراً، وتصير الأرض خبزة، والمراد من كونها غبرة الجبال، فإنها بعد أن تدك تصير غباراً في وجوه الكفار، انتهى، فعلى كلام العيني أن السموات تصير جفانا[1] كما في الحديث، ولعل المراد من ذهب أو كالذهب ليجمع بين الأحاديث، والأرض خبزة، أي بيضاء كالفضة، والجبال غباراً ومكان البحار ناراً، والله أعلم.

الأمر الثالث: فيما يصيب السماء وفيها آيات، منها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٤] قال عكرمة: كالزيت وقيل: القار المذاب، وقيل: ما أذيب من الفضة والنحاس.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩] قال مجاهد: تدور دوراً، وقال قتادة: مورها تحركها، والضحاك استدارتها، وقيل: تتكفأ تكفؤ السفينة حتى تذهب ولا تكون شيئاً.

---

(١) كذا بالأصل في الموضعين ولعلها (جنانا).

وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] قال بعض المفسرين انشقاقها في المحشر وأنها تصير أبواباً لنزول الملائكة، وقال ابن جرير: تذوب السماء فتصير ذائبة حمراء كالدهن الذائب حين يصيبها حر جهنم، وقال مكي في تفسير ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] وذلك يوم القيامة، يكون لونها لون الورد الأحمر، هو تفسير ابن عباس: وأما الدهان فقال مجاهد والضحاك: الدهان والدهن شيء واحد، وقيل: الدهان الجلد الأحمر، وقال زيد بن أسلم: وتكون كعكر الزيت، وقوله: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦] أي ضعيفة مسترخية بعد إحكامها وقوتها ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٧] أي جوانبها وحافاتها، - واحده رجىً مقصور - وذلك أن السماء مسكن الملائكة، فإذا انشقت انتقلوا إلى جوانبها وقال الضحاك: تكون الملائكة على حافاتها حين يأمرهم الرب جل جلاله فيحيطون بالأرض ومن عليها.

الرابع فيما يصيب الشمس والقمر: قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] أي كسفت وذهب ضوؤها وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه **«أن ذلك بعد نفخة الفزع وقبل قيام الساعة»**(١) وهو قول أبي بن كعب، وبه قال بعضهم، وظاهر كلام جمع من المفسرين أن ذلك يوم القيامة، قال ابن عباس: تكويرها إدخالها في العرش، ولا شك أن ذلك لا يكون إلا في يوم القيامة، فهي موجودة فيه، ثم يذهب بها بعد ذلك إما إلى إدخالها في العرش، كما قال ابن عباس والضحاك، أو إلى النار، كما قال الزمخشري يروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ

---

(١) ما ورد في هذا هو ما رواه البخاري رقم ٣٢٠٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة».

جَهَنَّمَ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٨] قال بعضهم: يؤخذ بالشمس والقمر فيلقيان في جهنم، وقال عطاء بن يسار يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار اللَّه الكبرى، وقال علي وابن عباس: يدخلان في نور الحجب. وفي البغوي عن ابن عباس: يكور اللَّه الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر، ثم يبعث عليها ريحاً دبوراً فتضرمها فتصير ناراً.

فإن قلت: قدر مر أنه يذهب بالشمس والقمر إلى العرش وأنه يذهب بهما إلى البحر، وأنه يذهب بهما إلى الحجب وأنه يذهب بهما إلى النار فهل هذا إلا كالتناقض؟.

قلت: الأمر دائر أنه يذهب بهما إلى أحد شيئين، إما إلى النار، وإما إلى العرش، وأما البحر فإنه داخل في النار على رأي من زعم أنه النار، أو يصير ناراً ويضاف إلى النار، وأما الحجب فإنها داخلة في كونهما يكوران ويذهب بهما إلى العرش، فإنا نعني بالحجب هي ما دون العرش، فظهر ما قلنا إنه يذهب بهما إما إلى العرش، ولا فرق بين أن يكورا ويدخلا فيه، أو يدخلا في نور حجبه أو إلى النار.

والجمع بين القولين بأن يكوران[1] في النار أولا ليراهما من عبدهما من دون اللَّه تبكيتاً لهم وصغاراً وهواناً، ثم يذهب بهما إلى العرش، هذا ما يظهر، واللَّه أعلم.

وقد أشار إلى بعضه في «البهجة» وذكر الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة»: أنه اجتمع جماعة من الكبراء والفضلاء يوماً فقرأ قارئ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾

(١) هكذا بالأصل والصواب (يكورا).

[التكوير: ١ - ٣] حتى بلغ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] وفي الجماعة الإمام أبو الفداء ابن عقيل، فقال له قائل: يا سيدي هب أنه نشر الموتى للبعث والحساب، وزوج النفوس بقرنائها للثواب والعقاب، فما الحكمة في هدم الأبنية وتسيير الجبال، ودك الأرض، وفطر السماء، ونثر النجوم، وتخريب هذا العالم، وتكوير شمسه وخسف قمره؟ فقال الإمام ابن عقيل على البديهة: إنما بنى لهم الدار للسكنى والتمتع، وجعلها وما فيها للاعتبار والتفكر والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار خربها لانتقال الساكن عنها، فأراد أن يعلمهم بأن في إحالة الأحوال، وإظهار تلك الأهوال، وإبداء ذلك الصنع العظيم، بياناً لكمال قدرته، ونهاية حكمته وعظمة ربوبيته، وعز جلاله وعظم شأنه، وتكذيباً لأهل الإلحاد وزنادقة المنجمين وعباد الكواكب والشمس والقمر والأوثان، ليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، فإذا رأوا منار آلهتهم قد انهدم، وأن معبوداتهم قد انتشرت، والأفلاك التي زعموا أنها وما حوته هي الأرباب المتولية على هذا العالم قد تشققت وانفطرت، ظهرت حينئذ فضائحهم، وتبين كذبهم، وظهر أن العالم مربوب محدث مدبر، له رب يصرفه كيف يشاء، تكذيباً لملاحدة الفلاسفة القائلين بقدمه، فكم للَّه من حكمة لهدم هذه الدار، ودلالة على عظيم قدرته وعزته وسلطانه وانفراده بالربوبية، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره، وإذعانها لمشيئته، فتبارك اللَّه.

الخامس فيما يصيب النجوم: قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢] ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] ومعناهما سقوط الكواكب إلى الأرض، وقد جاء أنها تسقط عند موت الملائكة الذين كانوا يحبسونها وهي معلقة بين السماء والأرض، وفي حديث أبي هريرة ﵁ إذا صارت السماء كالمهل تتناثر النجوم وتسقط شمسها وقمرها.

السادس فيما يصيب البحار: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار:٣] أي فاضت وملئت، قال الضحاك والربيع بن خيثم وغيرهما: تفجيرها فيضها. وقال الغزالي: قد تفجر بعضها في بعض حتى امتلأ عالم الهواء ماء، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦] وهو بمعنى الأول عند الضحاك والربيع، وقال مجاهد: فجر بعضها على بعض فاختلط العذب والملح فصارت بحراً واحداً، وقاله الضحاك أيضاً، ومقاتل، وقيل معنى سجرت: يبست حتى لم يبق من مائها قطرة، قاله الحسن وقتادة، وقيل معنى سجرت: أضرمت ناراً، قال ابن عباس ووهب وسفيان وابن عطية وابن زيد وفي (البهجة) للعلامة: يمكن الجمع بين الأقوال المتقدمة بأن يقال: إن البحار تفيض أولا لكثرة فيضها تصير بحراً واحداً، ثم تنشف حتى لا تبقى منها قطرة، ثم بعد ذلك يضرم مكانها ناراً، وفي ذلك آيات دالات على كمال قدرته ووجوب وحدانيته، لا إله إلا هو الفعال لما يريد. وفي تفسير مكي عن ابن عباس: جهنم في البحر الأخضر، تكور الشمس والقمر فيه، والله أعلم.

* * *

الفصل الثاني عشر
في نفخة الصعق

وفيها هلاك كل شيء، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨] وقد فسر الصعق بالموت. قال الفخر: لا شبهة عند أهل الإسلام في أن اللَّه خلق قرناً ينفخ فيه ملك من الملائكة، وذلك القرن يسمى بالصور على ما ذكر اللَّه في مواضع من القرآن، وقال في «التذكرة» والصور قرن من نور يجعل فيه أرواح الخلائق، وقال مجاهد: كالبوق، ذكره البخاري، وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن صاحبي الصور بأيديهما أو في أيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران**»(١). وأخرج الترمذي عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «**قرن ينفخ فيه**»(٢). قال الترمذي: حديث حسن وأخرج الترمذي أيضاً وحسنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ**» فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فقال لهم: «**قولوا حسبنا اللَّه ونعم الوكيل**»(٣). وروي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**ما**

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٢/ ١٤٢٨) رقم ٤٢٧٣ وقال: في الزوائد إسناده ضعيف لضعف حجاج ابن أرطاة وعطية العوفي.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٢٠) رقم ٢٤٣٠ وقال: هذا حديث حسن وأخرج نحوه أحمد (٢/ ١٦٢) رقم ٦٥٠٧ و(٢/ ١٩٢) رقم ٦٨٠٥ .

(٣) رواه الترمذي (٤/ ٦٢٠) رقم ٢٤٣١ وقال: هذا حديث حسن، وفي (٥/ ٣٧٢) رقم ٣٢٤٣ باختلاف يسير وزيادة، وقال: هذا حديث حسن.

أطرق صاحب الصور مذ وكل به مستعداً يحد العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد طرفه كأن عينيه كوكبان دريان»(١). خرجه أبو الحسن بن صخر في فوائده وغيره.

وأخرج ابن المبارك ومؤمل بن إسماعيل وعلي بن معبد عن ابن مسعود حديثاً فيه: «**ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى خلق في السموات والأرض إلا مات إلا ما شاء ربك»**(٢). الحديث وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] فمقتضى هذه الآية هلاك كل شيء إلا هو سبحانه قال العلامة: وهو قول في المسألة، قالوا: إن اللّه يفني كل شيء حتى الجنة والنار، ولا يبقى شيء سواه، قالوا: وهو معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد:٣] قال الغزالي: حدثني من لا أشك في علمه ومعرفته أن الاستثناء في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨] واقع عليه سبحانه خاصة، ولو كان ثم أحد لأجابه سبحانه حين يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦] فيقول: لك يا واحد يا قهار.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً: «**يقبض اللّه الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين الملوك»**(٣). وأخرج مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**يطوي اللّه السموات يوم القيامة ثم**

---

(١) ذكره الألوسي في روح المعاني (٢٠/ ٣٠) مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/٢٥٣) وعزاه لأبي الشيخ ذاكراً تصحيحه له وابن مردويه..

(٢) جزء من حديث روى نحوه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣١٤) رقم ٣٥٥ وصحح إسناده، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٦٠).

(٣) رواه البخاري رقم ٤٨١٢، ٦٥١٩ بلفظ «أين ملوك الأرض» ومسلم رقم ٢٧٨٧.

يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[١]. والحق في المسألة: أن ثم شيئاً لم تخلق للفناء بل للبقاء، وقد نص على ذلك إمام السنة الإمام أحمد طيب اللّه ثراه، حيث قال: خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها، خلقهم اللّه عز وجل، ثم خلق لهما الخلق، لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً، قال: فإن احتج محتج بقول اللّه تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] ونحو هذا من متشابه القرآن، فالجواب أن كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك فهالك، والجنة والنار خلقهما اللّه للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور خلقن للبقاء، ولم يكتب عليهن الفناء ولا الموت، قال فمن قال خلاف ذلك فهو مبتدع، انتهى وقد أطال في «حادي الأرواح» في الرد على زاعمي ذلك فراجعه إن شئت، واللّه سبحانه وتعالى أعلم[٢].

* * *

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧٨٨ .

(٢) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة.

الكتاب الثالث

في المحشر وما يتعلق به إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار

وفيه ثمانية أبواب

الباب الأول

في نفخة البعث

وقد جاء في الكتاب العزيز آيات كلها تدل على نفخة البعث، منها: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨].

قال الكلبي وغيره: هي نفخة البعث، والناقور فاعول من النقر.

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ٤١، ٤٢] الآية.

قال المفسرون: المنادى هو إسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور وينادي: يا أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

وقيل: ينفخ إسرافيل، وينادي جبريل.

والمكان القريب: صخرة بيت المقدس، قاله جماعة من المفسرين، وهي وسط الأرض. وقيل: وسط الأرض مكة المشرفة.

وقال علماء الهيئة: وسط الأرض جزيرة أرين، قالوا: هي نقطة الأرض كلها قفرها ومعمورها، وإذا توسطت الشمس الحمل لم يكن في هذه الجزيرة ظل لشيء قائم، وهي أعدل الأرض هواءً، واعتدل ليلها ونهارها طول الدهر لا يزيد ولا ينقص، ولا ينقص من شجرها ورقة.

قالوا: وكاد أن لا يموت فيها إنسان إلا على مائة عام. وفي هذه الجزيرة أعاجيب شتى ليس هذا محل ذكرها، والله أعلم.

وتقدم أن بين النفختين أربعين عاماً.

قال بعضهم: اتفقت الروايات على ذلك.

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون عاماً؟ قال: أبيت[1] . . . الحديث.

وقول أبي هريرة: أبيت، فيه تأويلات:

فقيل: أبيت، أي امتنعت من بيان ذلك لكم.

وقيل: أبيت أن أسأل النبي ﷺ عن ذلك.

وقال الغزالي: حدثني من لا أشك في علمه، ومعرفته أن سر ذلك وأمره لا يعلمه إلا الله تعالى، لأنه من أسرار الربوبية.

وفي حديث: «**أن بين النفختين أربعين عاماً**»[2].

وفي تفسير الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير سورة الزمر: أن الله تعالى يرسل مطراً على الأرض، فينزل عليها أربعين يوماً حتى يكون

---

(١) مسلم رقم ٢٩٥٥ .

(٢) جزء من حديث أخرجه ابن منده في الإيمان (٢/ ٧٩٤) وقد أورده ابن حجر في فتح الباري وضعفه، وهذا الجزم الوارد في هذه الرواية يخالف ما جاء في الحديث الصحيح السابق، وقد أخرج الطبري في التفسير (١١/ ٢٧) عن قتادة «ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» قال نبي الله: بين النفختين أربعون، قال: قال أصحابه فما سألناه عن ذلك ولا زادنا على ذلك غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة».

فوقهم اثني عشر ذراعاً، فيأمر الله عز وجل الأجساد أن تنبت كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت، قال الله تعالى: ليحيي حملة العرش، ليحيى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثم يدعو الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نوراً، والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعاً، ثم يلقيها في الصور، ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كلها كأنها النحل، قد ملأت ما بين السماء والأرض، ثم يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها، فتدخل الأرواح من الخياشيم، ثم تمشي مشي السم في اللديغ، ثم تشقق الأرض، عنهم سراعاً، فأنا أول من تنشق عنه الأرض فتخرجون منها إلى ربكم تنسلون[١].

وفي الثعلبي في تفسير سورة الأعراف، وفي تفسير ابن عطية عن أبي هريرة وابن عباس ﷺ: «إذا مات الناس كلهم في النفخة أمطر عليهم أربعين عاماً كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان، فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما

(١) جزء من حديث الصور الطويل رواه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٢٢)، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٢/ ٢٩٦) وقال عنه: هذا حديث مشهور وهو غريب جدا ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء.

يجده النائم إذا استيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢].

وأما قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، ففي كونه من كلام الله على لسان الكفار أو من كلامه على لسان الملائكة؟ قولانِ للمفسرين:

قال مجاهد: إن للكافرين هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم، فإذا صيح بأهل القبور قاموا مذعورين عجلين ينظرون ما يراد بهم.

تنبيه:

اختلف الناس هل البعث إعادة بعد تفريق أو إيجاد معدوم؟

قال التفتازاني في «شرح عقائد النسفي» والبعث: هو أن الله يبعث الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها حق، وذكر آيات تدل على ذلك، ثم قال: وأنكره الفلاسفة بناء على امتناع إعادة المعدوم بعينه، وهو أنه لا دليل لهم عليه يعتد به، غير مضر بالمقصود؛ لأن مرادنا أن الله تعالى يجمع الأجزاء الأصلية للإنسان، ويعيد روحه إليه سواء سمي إعادة المعدوم بعينه أو لم يسم، وبهذا يسقط ما قالوا: إنه لو أكل إنسان إنساناً بحيث صار جزءاً منه، فتلك الأجزاء إما أن تعاد فيهما، وهو محال، أو في أحدهما فلا يكون الآخر معاداً بجميع أجزائه، وذلك لأن المعاد إنما هو الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره، والأجزاء المأكولة فضلة في الأكل لا أصليه. انتهى.

وتقدم الكلام على ذلك مبيناً.

قال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الذين يغرقون في البحر، وتقتسم لحومهم

الحيتان ولا يبقى منهم شيء إلا العظام، فتلقيها الأمواج إلى الساحل، فتمكث حيناً، ثم تصير نخرة، ثم تمر بها الإبل فتأكلها، ثم تسير الإبل فتبعر، ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه، ثم تخمد تلك النار فتجيء الريح فتلقي ذلك الرماد على الأرض، فإذا جاءت النفخة: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، يخرج أولئك وأهل القبور سواء».

وقال العلامة: قال العلماء: إن الله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء، وبطن الأرض، وما أصاب النار - النيران - منها بالحرق، والمياه بالغرق، وما أبلته الشمس، وذرته الرياح فإذا جمعها، وأكمل كل بدن منها ولم يبق إلا الأرواح نفخ في الصور وأمر إسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح إلى جسدها ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

هذا وقد دل على قيام الناس من الأجداث، الكتاب والسنة، وإجماع الأمة.

قال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] والمراد يقومون من مصارعهم حيث كانوا في سائر أقطار الأرض.

وأول من ينشق عنه القبر النبي ﷺ.

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع**»(١).

وفي البخاري: «**أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا**

(١) مسلم رقم ٢٢٧٨، وأبو داود (٢/ ٦٣٠) رقم ٤٦٧٣.

بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ متعلق بالعرش فلا أدري أكذلك كان، أم بعد النفخة؟»[١].
وفي بعض ألفاظ البخاري: «**فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور؟**»[٢].

وأخرج الحكيم الترمذي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**خرج النبي ﷺ ويمينه على أبي بكر، وشماله على عمر فقال: هكذا نبعث يوم القيامة**»[٣].

وفي الثعلبي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «**ثم تنشق عنكم الأرض، وأول من تنشق عنه الأرض أنا، فتنسلون سراعاً إلى ربكم عن سن الثلاثين**»[٤].

وفي لفظ: «**كأنكم أبناء ثلاث وثلاثين، مهطعين إلى الداعي، فتقفون في موقف واحد سبعين عاماً حفاة عراة غرلا بهما، لا ينظر الله إليكم، ولا يقضي بينكم، فتبكي الخلائق حتى تنقطع الدموع ويلجمهم العرق...**»[٥]. الحديث.

وفي حديث علي بن معبد: «**فتخرجون منها شباباً كلكم أبناء ثلاث وثلاثين..**»[٦].

---

(١) البخاري رقم ٤٨١٣ وفيه «أنا» بعد «فإذا».
(٢) البخاري رقم ٣٣٩٨، ٤٦٣٨ .
(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٦١٢) رقم ٣٦٦٩، والحاكم (٤/ ٣١٢) رقم ٧٧٤٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: سعيد بن سلمة ضعفوه.
(٤) جزء من حديث الصور الطويل، انظر التعليق عليه ص ٦٠٥ .
(٥) جزء من حديث الصور الطويل، انظر التعليق عليه ص ٦٠٥ .
(٦) أخرج نحوه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٥٦) رقم ٦٠٤ عن المقداد بن الأسود، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٥٥) والهيثمي (١٠/ ٣٠٣) رقم ١٨٣٢٦ وقال: رواه الطبراني وفيه يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وهو ضعيف وفيه توثيق لين.

وفي البهجة للعلامة: اللسان يومئذ بالسريانية.

قلت: ويحتاج إلى توقيف ثابت عن المعصوم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

الباب الثاني
في الحشر

وهو لغة: الجمع، تقول: حشرت الناس إذا جمعتهم.

والمراد به في القيامة: جمع الأجزاء بعد التفرق مع إحياء الأبدان بعد موتها، هذا مذهب الجمهور.

وزعم بعضهم: أن الحشر هو الإيجاد والإحياء بعد الإعدام عند البعث، وأجمع أهل السنة أن الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها، تقدمت الإشارة إلى ذلك.

واعلم أن موضع الحشر هو الأرض بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤] أي على ظهر الأرض.

والعرب تسمي الفلاة وظهر الأرض ساهرة، لأن فيها نوم الحيوان، وسهره.

قال ابن عباس والحسن وعكرمة: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] أي على الأرض.

وقال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد**»(١) أي ليس فيها سكن أو بناء أو

(١) سبق ص ٥٨٩.

أثر لأحد وقيل معناه: أنها لم توطأ قبل ذلك. والحديث في الصحيحين عن سهل بن سعد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: «**إنكم ملاقو الله حفاة، عراةً، غرلًا**»(١). زاد في رواية: «مشاة»(٢).

وفي رواية قال: قام فينا رسول الله ﷺ [خطيباً] بموعظة، فقال: «**أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة، عراة، غرلا، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ألا وإن أول الخلائق يكسى إبراهيم عليه السلام، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨] قال: فيقال لي: «إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**»(٣) زاد في رواية: «فأقول: سحقاً سحقاً»(٤).

رواه الشيخان، ورواه الترمذي(٥)، والنسائي(٦) بنحوه.

قال الحافظ المنذري: «الغرل بضم الغين المعجمة، وإسكان الراء،

---

(١) البخاري رقم ٦٥٢٥، ومسلم رقم ٢٨٦٠.
(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٢٤، وأحمد (١/ ٢٢٠) رقم ١٩١٣.
(٣) أخرجه البخاري رقم ٣٣٤٩، ٤٦٢٥، ٤٧٤٠، ٦٥٢٦ بزيادة بعض الألفاظ اليسيرة واختلاف في أخرى، ومسلم رقم ٢٨٦٠.
(٤) البخاري رقم ٦٥٨٤، ومسلم ٢٣٠٤.
(٥) الترمذي (٤/ ٦١٥) رقم ٣٤٢٣.
(٦) النسائي في سننه (٤/ ١١٧) رقم ٢٠٨٧.

جمع أغرل: الأقلف».

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «**يحشر الناس حفاة، عراة، غرلا» فقالت عائشة: فقلت الرجال والنساء جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك**(١).

وفي لفظ: «**من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(٢).

وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة**». فقالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله، واسوأتاه، ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «**شغل الناس**»، قلت: ما شغلهم؟ قال: «**نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر، ومثاقيل الخردل**»(٣).

وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن سودة بنت زمعة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث الناس حفاة عراة، غرلًا قد ألجمهم العرق، وبلغ شحوم الآذان**». فقلت: يبصر بعضنا بعضاً؟ فقال: «**شغل الناس**» ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(٤) [عبس: ٣٧].

واعلم أن الكفار يحشرون على وجوههم. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ الآية [الفرقان: ٣٤].

---

(١) البخاري رقم ٦٥٢٧، ومسلم رقم ٢١٩٤ باختلاف يسير.
(٢) مسلم السابق.
(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٥٤) رقم ٨٣٣ بلفظ «الصحف» بدل «الصحائف»، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٠١) رقم ١٨٣٢٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن موسى بن أبي عياش وهو ثقة.
(٤) رواه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٤) رقم ٩١، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٠١) رقم ١٨٣٢٢، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عباس وهو ثقة.

وقال: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ الآية [الفرقان: ٣٤]. أيحشر الكافر على وجهه؟ قال ﷺ: **«أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه؟»** قال قتادة: حين بلغه: **«بلى وعزة ربنا»**[١] رواه البخاري ومسلم.

وأخرج الترمذي، وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **«يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم»** قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: **«إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»**[٢].

وتقدم الكلام على هذا الحديث.

وأخرج البزار عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: **«يبعث الله يوم القيامة ناساً في صور الذر، يطؤهم الناس بأقدامهم، فيقال: ما هؤلاء الذي في صور الذر؟ فيقال: هؤلاء المتكبرون في الدنيا»**[٣].

وعند الترمذي، والنسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: **«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال**

---

(١) رواه البخاري رقم ٤٧٦٠، ومسلم رقم ٢٨٠٦ بزيادة «يوم القيامة» بعد وجه الثانية.

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٣٠٥) رقم ٣١٤٢، وأحمد (٢/ ٣٥٤) رقم ٨٦٣٢، و(٢/ ٣٦٣) رقم ٨٧٤٠ وتقدم.

(٣) ذكره الهيثمي (١٠/ ٦٠٤) رقم ١٨٣٢٧ وقال: رواه البزار، وفيه القاسم بن عبد الله العمري وهو متروك.

يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: بُوْلَس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»(١) قال الترمذي: حديث حسن.

ورواه الإمام أحمد في (الزهد) عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ بلفظ: «**يجاء بالجبارين، والمتكبرين يوم القيامة رجال في صورة الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله عز وجل حتى يقضى بين الناس**» قال: «**ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار**» قيل: يا رسول الله، وما نار الأنيار؟ قال: «**عصارة أهل النار**»(٢) ورواه صاحب الترغيب والترهيب(٣).

وأخرج مسلم عن ابن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل - هو مالك بن مرارة الرهاوي - : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً؟ فقال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(٤).

هذا الحديث وإن كان خارجاً عن الباب إلا أن له مناسبة ظاهرة، لأنه في معرض النهي عن التكبر، ولهذا بطل تأويل من زعم أن المراد بالكبر هنا الكبر عن الإيمان، أو أنه إذا مات لا يكون في قلبه كبر حين دخوله الجنة، بل المراد بالكبر هو: الارتفاع عن الناس واحتقارهم.

ويجاب عن مفهوم الحديث بما ذكره القاضي عياض، وغيره من

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٥٥) رقم ٢٤٩٢، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٢/ ١٧٩) رقم ٦٦٧٧ .

(٢) رواه أحمد في الزهد (٢٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٤٢).

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري (٣/ ٣٥٥) رقم ٤٤١٨ بلفظ الترمذي.

(٤) مسلم رقم ٩١، وروى نحوه الترمذي (٤/ ٣٦١) رقم ١٩٩٩ .

المحققين: أنه لا يدخلها دون مجازاة، أو لا يدخلها مع أول الداخلين.

وأما قوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال».

قيل: جميل هنا بمعنى مُجْمِل، ككريم وسميع بمعنى مُكْرِم ومُسْمِع.

وقال القشيري: معناه جليل.

وقيل معناه: ذو النور والبهجة، أي مالكها.

وقيل: جميل الأفعال بكم والنظر إليكم، يكلفكم اليسير ويعين عليه، ويثيب عليه الجزيل، ويعفو عن الكثير.

وقال النوري: هذا الاسم ورد في هذا الحديث الصحيح وورد أيضاً في حديث الأسماء[١]، وفي إسناده مقال والمختار جواز إطلاقه على الله سبحانه، ومن العلماء من منعه. وهذا المنع ممنوع.

قال العلماء: ما ورد الشرع بإطلاقه في أسمائه وصفاته أطلقناه، وما منع الشرع منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم يقض فيه بحكم.

ذكر نحو هذا إمام الحرمين الجويني ثم قال: ولا يشترط في جواز الإطلاق ورود ما يقطع به في الشرع ولكن ما يقتضي العمل به، وأطال في «حياة الحيوان» والله أعلم.

* * *

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٢٦٩) رقم ٣٨٦١، وقال: في الزوائد لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء اللّه الحسنى من هذا الوجه ولا من غيره غير ابن ماجه والترمذي، قال: وإسناده طريق ابن ماجه ضعيف لضعف عبد الملك بن محمد.

فصل

واعلم أن العبد يبعث على ما مات عليه، ففي صحيح مسلم عن جابر ﷺ مرفوعاً: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»[١].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه لما احتضر دعا بثياب جدد يلبسها ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها**»[٢] رواه أبو داود، والحاكم وصححه.

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن معاذ بن جبل ﷺ أنه دفن أمه في ثياب جدد، وقال: «حسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها». وعن عمر بن الخطاب ﷺ نحوه.

قال القرطبي: هذه الأحاديث معارضة لحديث الحشر عراة، فبعضهم قال: بظاهره، والأكثر حملوها على الشهيد الذي أمر أن يدفن بثيابه التي قتل فيها، وأن أبا سعيد سمع الحديث في الشهيد فحمله على العموم.

وقال البيهقي: يجمع بأن بعضهم يحشر عارياً، وبعضهم بثيابه، أو يخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر.

وقال الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب): قد قال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة أن المراد بقوله: يبعث في ثيابه التي مات

(١) مسلم رقم ٢٨٧٨ .

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٢٠٧) رقم ٣١١٤، والحاكم (١/ ٤٩٠) رقم ١٢٦٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

فيها. أي في أعماله، قال الهروي: وهذا الحديث كحديثه الآخر، يبعث العبد على ما مات عليه. قال: وليس قول من ذهب إلى الأكفان بشيء؛ لأن الميت إنما يكفن بعد الموت. انتهى.

وأخرج الشيخان: أن شارب الخمر يبعث والكوز معلق في عنقه، والقدح بيده، وهو أنتن من كل جيفة على الأرض، يلعنه كل من يمر به من الخلق[(١)].

وفي الصحيح: «**المقتول في سبيل الله يأتي يوم القيامة، وجرحه يشخب دماً، اللون لون دم، والريح ريح المسك**»[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه: «**ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت، ولا في قبورهم، ولا في منشرهم، وهم يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾**[(٣)] **[فاطر: ٣٤]**».

وذكر الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ

---

(١) لم أقف على هذا اللفظ في الصحيحين أو غيرهما، وذكر نحوه أو قريباً منه العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٦٣) رقم ٧٠١ فقد قال فيه: وفي الدرر الفاخرة للغزالي «يبعث السكران سكراناً يوم القيامة، والزامر زامراً، وشارب الخمر والكوز معلق في عنقه، وكل أحد على الحال الذي صده في الدنيا عن سبيل الله».

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٤٦١) رقم ٩٨٤ عن أبي هريرة بلفظ «والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً، اللون لون الدم والريح ريح المسك» والبخاري رقم ٢٨٠٣، ومسلم رقم ١٨٧٦.

(٣) روى الطبراني في الأوسط (٩/ ١٧١) رقم ٩٤٤٥ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا عند القبر» وذكره الهيثمي (١٠/ ٨٩) رقم ١٦٨٠٧، وقال رواه الطبراني في الأوسط ورقم ١٦٨٠٨ وقال: وفي الرواية الأولى يحيى الحماني وفي الأخرى مجاشع بن عمرو وكلاهما ضعيف.

وَفۡدٗا﴾ [مريم: ٨٥] عن علي كرم الله وجهه قال: والذي نفسي بيده إن المتقين إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب. والوفد: القوم الركبان يفدون على الملك. والسوق: القوم يساقون على أرجلهم.

وقال ابن عباس: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم: ٨٥] قال: ركباناً.

﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ [مريم: ٨٦] قال: عطاشاً. وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم، وأبو يعلى، وابن حبان مرفوعاً: «**يبعث الله يوم القيامة قوماً من قبورهم تأجج أفواههم ناراً**». فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**ألم تر أن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ﴾**(١) [النساء: ١٠]».

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**ما من أمير عشرة إلا أتى يوم القيامة مغلولًا، لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل**»(٢).

وأخرج أبو يعلى، والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من**

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (١٣/ ٣٥٧) رقم ٧٤٤٠، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٣٧٧) رقم ٥٥٦٦ وذكره الهيثمي (٧/ ٥٥) رقم ١٠٩١٥ وقال رواه أبو يعلى والطبراني وفيه زياد ابن المنذر وهو كذاب.

(٢) أحمد (٥/ ٢٨٥) رقم ٢٢٥١٦، وأخرج نحوه باختلاف يسير في (٢/ ٤٣١) رقم ٩٥٧٠، و(٥/ ٢٦٧) رقم ٢٢٣٥٤ ورواه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٢) رقم ٥٣٨٨ من حديث سعد ابن عبادة، وذكره الهيثمي (٥/ ٣٧٠) رقم ٩٠٣٥ وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني وفيه رجل لم يسم وبقية أحد إسنادي أحمد رجالهما رجال الصحيح.

نار، ومن قال في القرآن من غير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار»(١).

وفي الجملة: فالناس مختلفون، فكل يحشر على حاله بحسب عمله.

وروى محمد بن نصر المروزي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنيعهم في الصلاة» وفسره بعض رواته بقبض شماله بيمينه، والانحناء هكذا» وبإسناده عن أبي صالح السمان قال: «يبعث الناس يوم القيامة هكذا، ووضع إحدى يديه على الأخرى».

نقله ابن رجب في كتابه «الذل والانكسار» والله سبحانه وتعالى الموفق.

* * *

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٤/ ٤٥٨) رقم ٢٥٨٥، وأخرج الطبراني في الكبير (١١/ ١٤٥) رقم ١١٣١٠، والأوسط (٢/ ٣٨٢) رقم ٢٢٩٠ أوله المتعلق بالعلم، وذكره الهيثمي (١/ ٤٠٠) رقم ٧٤١ وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير باختصار... ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

الباب الثالث

في الوقوف في المحشر

وشدة ما يلقاه الناس من الأهوال في تلك المحال(١)

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧]

وقال: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨] أي زمراً زمراً.

قال أبو هريرة ﷺ: «إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة، وطائر، وإنسان».

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]. يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر.

قال العلامة: والحاصل أن الله تعالى يجمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين، حتى لا يدري الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام.

وفي تفسير مكي: يحشر الناس يوم القيامة على أرض قد مدها الله تعالى مد الأديم العكاظي، فهم في ضيق مقامهم فيها كضيق سهام اجتمعت في كنانتها، فالسعيد يومئذ من يجد لقدمه مقاماً، قال: وأكثر الأقدام يومئذ بعضها على بعض.

---

(١) هكذا في الأصل ولعلها (الأحوال).

لطيفة:

ذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده عن وهب بن منبه قال: إذا قامت القيامة - الساعة - صرخت الحجارة صراخ النساء، وقطرت العضاة(١) دماً.

فائدة:

اختلف العلماء في تسمية يوم البعث والحشر يوم القيامة على أربعة أقوال:

الأول: لوجود أمور المحشر، والوقوف، ونحوهما فيه.

الثاني: لقيام الخلق كلهم من قبورهم إليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣].

الثالث: لقيام الناس لرب العالمين، كما روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] قال: يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**»(٢).

قال ابن عمر رضي الله عنهما: يقومون مائة سنة.

ويروى عن كعب: يقومون ثلاثمائة سنة.

الرابع: لقيام الروح والملائكة صفاً، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

قال العلماء رحمهم الله تعالى: اعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته، لكنها قيامة صغرى.

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٦٢، والبخاري رقم ٦٥٣١.

(٢) في الأصل (العصاة) ولعل المثبت هو الصحيح، إذ هو الوارد، كما في الحلية (٤/ ٦٣).

قال القرطبي: القيامة قيامتان، صغرى، وكبرى، فالصغرى ما تقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه، وانقطاع سعيه، وحصوله على عمله.

والكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة.

قال: والدليل على أن كل من مات فقد قامت قيامته قول المعصوم ﷺ لقوم من الأعراب سألوه عن الساعة فنظر إلى أحدث إنسان فقال: «**إن يعش هذا يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم**»(١) خرجه مسلم وغيره.

وقال الشاعر:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي ... غداة أَقَلَّ الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا ... خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كأنهم لم يعرفوا قط سيرتي ... غداة أتى يومي علي وساعتي

تنبيه:

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في مقدار مدة الوقوف بالمحشر وذلك لورود الآثار في ذلك.

تقدم قول ابن عمر، وكعب رضي الله عنهم.

وقال مكي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] روى «أن الناس يقومون حتى يلجمهم العرق، فيقومون مقدار أربعين عاماً»(٢). وأخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة.

---

(١) البخاري رقم ٦٥١١، ومسلم رقم ٢٩٥٢ وفيه (لم) بدل (حتى).

(٢) روى نحوه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٠٣) رقم ٢٧٩ عن ابن مسعود وذكره الجرجاني في تاريخ جرجان (٣٥٠، ٣٥٤)، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ١٣١)، ولم أقف عليه عند البيهقي في الشعب والسنن الكبرى.

وقال ابن مسعود: يمكثون أربعين سنة رافعين رؤوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجمهم العرق، كل بر وفاجر، قال: فينادي منادٍ أليس عدلًا من ربكم أنه خلقكم ثم صوركم ثم رزقكم، ثم توليتم غيره أن يولي كل عبد منكم ما تولى في الدنيا؟ فيقولون: بلى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «يقومون سبعين عاماً».

وقيل: مقداره: ألف سنة.

أخرج الطبراني أن ابن عمر رضي الله عنهما سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال له: **«أما مقام الناس بين يدي رب العالمين فألف سنة لا يؤذن لهم»**[1].

وأخرج البيهقي عنه مرفوعاً: **«يمكثون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا يكلمون»**[2].

وقيل مقداره: خمسون ألف سنة.

أخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، قال: **«كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم؟»**[3].

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٤٢) عن عبد الله بن عمرو، والهيثمي (١٠/ ٦١٠) رقم ١٨٣٤٩ وقال: رواه الطبراني وفيه هشام بن بلال ولم أعرفه وبقية رجاله وثقوا، ولم أقف عليه عند الطبراني.

(٢) ذكره السيوطي في البدور السافرة (١٠٨) رقم ٢٨٢ وعزاه للبيهقي ولم أقف عليه عند البيهقي.

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٦١٦) رقم ٨٧٠٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي (٧/ ٢٨٥) رقم ١١٤٧٦ وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وأخرج الإمام أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما طول هذا اليوم؟ فقال: «**والذي نفسي بيده، إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا**»(١).

وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ما قدر طول يوم القيامة على المؤمن إلا كقدر ما بين الظهر إلى العصر»(٢).

وأخرج ابن المبارك، والطبراني، وابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً قال: «**يجمعون يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ فيقومون، فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابتليتنا فصبرنا، ووليت الأموال والسلطان غيرنا، فيقول الله: صدقتم، فيدخلون الجنة قبل الأغنياء بزمن، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان، قالوا: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: يوضع لهم كراسي من نور ويظلل عليهم الغمام، ويكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٧٥) رقم ١١٧٣٥، أبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٧) رقم ١٣٩٠، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٢٩) رقم ٧٣٣٤ والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٢٤) ضمن كلامه على حديث رقم ٣٦١ وذكره الهيثمي (١٠/ ٦١٠) رقم ١٨٣٤٧ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ١٥٨) رقم ٢٨٣ وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأخرج نحوه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٢٥) رقم ٣٦٢ . .

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٣٥) رقم ٧٤١٩ عن عبد الله بن عمرو وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٨) رقم ٣٤٠٢٨، و(٧/ ١٢٨) رقم ٣٤٧١٥، وابن المبارك في الزهد (٢٢٦) رقم ٦٤٣، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦١١) رقم ١٨٣٥٠ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي كثير الزبيدي وهو ثقة.

فتحصل لنا ستة أقوال في المسألة: أربعون عاماً، أو سبعون، أو ألف، أو خمسون ألفاً، أو مائة عام، أو ثلاثمائة.

والظاهر أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص على حسب الأعمال، بدليل كونه على المؤمنين أخف من الصلاة المكتوبة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

لطيفة:

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن يوم القيامة أمن الدنيا هو أم من الآخرة؟

قال: صدر ذلك اليوم من الدنيا، وآخره من الآخرة، والله الموفق.

وأخرج ابن المبارك عن كعب قال: لو أن رجلًا كان له مثل عمل سبعين نبياً لخشي أن لا ينجو من ذلك اليوم.

وأخرج الإمام أحمد عن عتبة بن عبد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رجلًا يجر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرماً في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة**»(١).

وأخرج البيهقي عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] قال: تشخص فيه فلا ترد إليهم ﴿مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٣]. إلى الداعي عامدين إليه ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٥) رقم ١٧٦٨٦، ورقم ١٧٦٨٧، والطبراني في الكبير (٣/ ١٢٢) رقم ٣-٣، وفي مسند الشاميين (٢/ ١٧٥) رقم ١١٣٨، وذكره الهيثمي (١/ ٢١١) رقم ١٥٥ وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

قال: انتزعت قلوبهم حتى صارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا ترجع إلى أماكنها.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**»(١).

وفي بعض ألفاظ الصحيح: «**سبعين باعاً**»(٢).

وأخرج مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل أو ميلين، قال: فتصهرهم الشمس فيكون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاماً**»(٣).

وفي رواية له: «**تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**»، قال سليم بن عامر: والله ما أدري ما يعني بالميل؟ مسافة الأرض، أو الميل الذي تكحل به العين، **قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه**»(٤).

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني، وابن حبان في صحيحه، والحاكم

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٥٣٢، ومسلم رقم ٢٨٦٣ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) في مسلم رقم ٢٨٦٣ .

(٣) مسلم رقم ٢٨٦٤ بزيادة (العرق) قبل إلجاما، واختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) انظر تخريج الحديث السابق.

وقال صحيح الإسناد، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه، ومنهم من يبلغ نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ إلى العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يبلغ وسط فيه، وأشار بيده ألجمها فاه، رأيت رسول الله ﷺ يشير هكذا، ومنهم من يغطيه عرقه، وضرب بيده وأشار، وأمر يده فوق رأسه من غير أن يصيب الرأس، دوَّر راحته يميناً وشمالًا»**(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها كواعبها وأكوابها، والذي نفس عبد الله بيده إن الرجل ليفيض عرقاً حتى يسيح في الأرض قامته، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب».

قالوا: مم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: مما يرى الناس. رواه الطبراني بإسناد جيد قوي.

وعنه مرفوعاً: **«إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول: يا رب أرحني ولو إلى النار»**(٢).

رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد، وأبو يعلى وابن حبان بلفظ: «إن الكافر ليلجمه العرق...» الحديث.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٧) رقم ١٧٤٧٥ وليس فيه «وأمر يده فوق رأسه» إلى آخره، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٥٥) رقم ٦٠٢، وفي مسند الشاميين/ ٣٢٥) رقم ٥٧٣، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٢٤) رقم ٧٣٢٩، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦١٥) رقم ٨٧٠٤ بلفظ المصنف، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن حبان (١٦/ ٣٣٠) رقم ٧٣٣٥، والطبراني في الكبير (١٠/ ٩٩) رقم ١٠٠٨٣، وفي الأوسط (٨/ ٣٦٣) رقم ٨٨٨١، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٣٩٨) رقم ٤٩٨٣ .

والحاكم عن جابر وصححه بلفظ: «إن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول: يا رب إرسالك بي إلى النار أهون عليَّ مما أجد، وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين٦] **مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة، فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب**»[٢].

رواه أبو يعلى بإسناد صحيح، وابن حبان في صحيحه.

قلت: وهو سابع الأقوال لأنه أفاد أن مدة الوقوف نصف يوم من خمسين ألف سنة، فيكون مقدار الوقوف خمسة وعشرين ألف سنة، والله أعلم.

فائدة:

قال الحافظ المنذري رحمه الله: «قد صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» انتهى. فيكونون قد سلموا من تلك الأهوال الشديدة والأحوال المكيدة، وفي ذلك مزية للفقر وأهله[٣].

ففي مسند الإمام أحمد عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**قمت على باب الجنة، فإذا عامة من يدخلها الفقراء إلا أن أصحاب الجد** -

---

(١) الحاكم (٤/ ٦٢٠) رقم ٨٧٢٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: الفضل واه، وروى نحوه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢١٠).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (١٠/ ٤١٥) رقم ٦٠٢٥ وليس فيه «يوم» في أوله، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٢٨) رقم ٧٣٣٣، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦١٠) رقم ١٨٣٤٨ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن عبد الله بن خالد وهو ثقة.

(٣) في حاشية الأصل/ قف على مزية الفقر وأهله.

أي الحظ والثروة والمال - محبوسون، إلا أهل النار فقد أمر بهم إلى النار»(١). الحديث متفق عليه.

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفاً»**(٢).

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **«يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»**(٣).

وقال ﷺ: **«الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس»**(٤).

وقال ﷺ: **«ما من ذي غنى إلا يود يوم القيامة لو كان إنما أوتي قوتاً»**(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٠٩) رقم ٢١٨٧٤، والبخاري رقم ٥١٩٦، ٦٥٤٧ بلفظ «المساكين» بدل الفقراء، ومسلم رقم ٢٧٣٦.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٩٧٩، وأحمد (٢/ ١٦٩) رقم ٦٥٧٨، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٥٣) رقم ٦٧٨ بلفظ «بسبعين أو أربعين».

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٦) رقم ٧٩٣٣، و(٢/ ٣٤٣) رقم ٨٥٠٣ بلفظ «المسلمين» بدل «المؤمنين» والترمذي (٤/ ٥٧٨) رقم ٢٣٥٤ بلفظ «الفقراء المسلمين» وقال: هذا حديث صحيح، والطبراني في الأوسط (١/ ٣٣) رقم ٨٤، وابن أبي شيبة (٧/ ٨٥) رقم ٣٤٣٨٧.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٩٤) رقم ٧١٨١ عن شداد بن أوس والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٤٠) رقم ١٠٥٠٩، وابن المبارك في الزهد (١٩٩) رقم ٥٦٨.
وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٨٢٨) رقم ١٨٣٥ وقال: قال الحافظ ابن حجر باطل موضوع.

(٥) رواه أحمد (٣/ ١٦٧) رقم ١٢٧٣٣، و(٣/ ١١٧) رقم ١٢١٨٤، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٣٥٤) رقم ٤٣٤١ كلام عن أنس باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وعبد بن حميد في مسنده (٣٧٠) رقم ١٢٣٥ وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٣٥) رقم ٥٧ وقال: في إسناده نفيع عن أنس ونفيع متروك.

وقال ﷺ: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله عز وجل إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا، فيقول: وعزتي وجلالي، ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي، ولكن لما أعددت لك من الكرامة، اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، فمن أطعمك أو كساك يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك**»(١).

ذكر ذلك جميعه الإمام ابن الجوزي في (التبصرة).

وقال فيها: قيل لموسى عليه السلام إذا رأيت الفقر مقبلًا فقل مرحباً بشعار الصالحين.

وأخرج ابن أبي الدنيا، والطبراني من طرق أحدها صحيح واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء**». **قال: وينزل الله عز وجل** - أي نزولًا يليق بذاته المقدسة عن الشبيه، والمثيل، فمذهب أهل الحق التسليم بما أخبر لا كما يخطر للبشر، ومرور نحو هذا كما جاء من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل، ولا تمثيل، كما قال شيخ الإسلام قدس الله روحه: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، فالمشبه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً. انتهى - «**في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: يا أيها الناس، ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم، وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولي كل أناس منكم ما كانوا يعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلًا من ربكم؟ قالوا: بلى، فينطلق كل قوم إلى ما كانوا**

---

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ١٩٦) وقال عنه العراقي: أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بإسناد ضعيف.

يعبدون ويتولون في الدنيا، قال: فينطلقون، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، والأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون». قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطانا، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان ويبقى محمد ﷺ وأمته فيتمثل لهم الرب تبارك وتعالى، فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟. قال: فيقولون: إن لنا إلهاً ما رأيناه فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال: فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساقه فيخر كل من كان يسجد لله في الدنيا، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي - أي قرون - البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون، ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]. ثم يقول: ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم(١)» الحديث.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني بسند جيد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يلق ابن آدم شيئاً منذ خلقه الله أشد عليه من الموت، ثم إن الموت أهون مما بعده، وإنهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدة حتى يلجمهم العرق، حتى إن السفن لو أجريت(٢) فيه لجرت»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٧) رقم ٩٧٦٣ باختلاف يسير في بعض الكمات، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٢٠) رقم ١٨٣٥٢، ١٨٣٥٣ وقال: رواه كله الطبراني من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة.

(٢) في الأصل (أجيرت) وفي حاشية الأصل أيضاً: لعله أجريت بتقديم الراء على الياء، انتهى، كاتبه سعيد.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٧٧) رقم ١٩٧٦ واللفظ له، وأحمد (٣/ ١٥٤) رقم ١٢٥٨٨ وليس فيه «وإنهم ليلقون» إلى آخره، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٠٥) رقم ١٨٣٣١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد، ورواه أحمد باختصار عنه ولم يشك في رفعه وإسناده جيد.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه تعلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»(١).

وقد نظم بعضهم هذا وأحسن فقال:

رويناحديثاً في الصحيحين سبعة ... يظلهم المولى بخير ظلال
إمام له عدل ومن في عبادة ... نشأ بالتقى لله لا بضلال
ومن قلبه يهوى المساجد دائماً ... تعلقه فيها بغير زوال
وشخصان في الله الكريم تحابا ... بحال افتراق منهما ووصال
ومتصدق أخفى التصدق لم يكن ... بما أنفقت يمناه علم شمال
وإني أخاف الله من قال عندما ... دعت ذات مال منصب وجمال
ومن ذكر الرب المهيمن خالياً ... ففاضت به عيناه خوف نكال
فأكرم بهم من سبعة طيب الثنا ... وأكرم بها في القوم سبع خصال

وأخرج الإمام أحمد، والحاكم عن سهل بن حنيف مرفوعاً: «**من أعان مجاهداً في سبيل الله، أو غارماً في عسرته، أو مكاتباً في رقبته أظله الله يوم لا ظل إلا ظله**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦، ومسلم رقم ١٠٣١ بلفظ «معلق» بدل «تعلق».

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٨٧) رقم ١٦٠٢٩، ١٦٠٣٠ والحاكم (٢/ ٩٩) رقم ٢٤٤٨، و(٢/ ٢٣٦) رقم ٢٨٦٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: بل عمرو رافضي متروك، ورواه الطبراني في الكبير (٦/ ٨٦) رقم ٥٥٩٠، ٥٥٩١، وابن أبي شيبة (٤/ ٢٣٠) رقم ١٩٥٥٤، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٥) =

وأخرج الطبراني عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«من أطعم الجائع حتى يشبع أظله الله تحت ظل عرشه»**[(١)].

وفي الحديث: **«من أنظر معسراً أظله الله يوم القيامة»**[(٢)]. أو كما قال.

وفي حديث جابر عند الطبراني مرفوعاً: **«من كفل يتيماً، أو أرملة أظله الله في ظله يوم القيامة»**[(٣)].

وأخرج الطبراني وابن عدي والأصبهاني عن أبي هريرة مرفوعاً: **«أوحى الله إلى إبراهيم الخليل عليه السلام يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل منازل الأبرار، وأن كلمتي سبقت لمن أحسن خلقه أن أظله تحت عرشي، وأن أسكنه في حظيرة قدسي، وأدنيه من جواري»**[(٤)].

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: **«أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟ الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، ويحكمون**

= رقم ٤٢٧٧، وذكره الهيثمي (٤/ ٤٣٩) رقم ٧٢٤٤ وقال: رواه أحمد وفيه عبيد الله ابن سهل بن حنيف ولم أعرفه، وبقية رجاله حديثهم حسن، وفي (٥/ ٥١٥) رقم ٩٤٦٣ وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه عبد الله بن سهل بن حنيف ولم أعرفه، وعبد الله بن محمد بن عقيل حديثه حسن.

(١) ذكره ابن حجر في الأمالي المطلقة (١١٠) وقال: هذا حديث غريب.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٣٠٠٦ عن عبادة، والترمذي (٣/ ٥٩٩) رقم ١٣٠٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأحمد (٢/ ٣٥٩) رقم ٨٦٩٦.

(٣) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٩/ ١١٧) رقم ٩٢٩٢ وليس فيه «يوم القيامة» وذكره الهيثمي (٣/ ١١٤) رقم ٤٠٦٦ وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه الخليل بن مرة وفيه كلام.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣١٥) رقم ٦٥٠٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/ ٢٢٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٤٦) رقم ١٢٦٦٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي وهو ضعيف.

للناس حكمهم لأنفسهم»[١].

وفي الحديث: «الحزين - يعني في الدنيا - في ظل الله...»[٢].

قلت: والمراد الحزين من أجل الله؛ لأن قلبه محزون، ولبه خاضع لجلال الله وعظمته، وأما المحزون على الدنيا فهو ساخط على الله، لأنه غير راض بما قسم الله.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرضينا بقضائه، فإن العبد ليس له حيلة في دفع القضاء إلا التسليم، والرضا، ولي في المعنى:

ما لي على مر القضا من حيلة غير الرضا
أنا في الهوى عبد وما للعبد أن يتعرضا

فنسأل الله الرضا بالقضاء.

وفي الحديث: «ثلاثة في ظل العرش: واصل الرحم يزيد الله في رزقه ويمد في أجله، وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتاماً صغاراً فقالت: لا أتزوج أقيم على أيتامي حتى يموتوا، أو يغنيهم الله[٣] وعبد صنع طعاماً

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٦٧) رقم ٢٤٤٢٤، بزيادة بعض الألفاظ و(٦/ ٦٩) رقم ٢٤٤٤٣، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٥٠٤) رقم ١١١٣٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٦)، وذكره ابن حجر في الأمالي المطلقة (١١٣) وقال: هذا حديث غريب... ولم أره إلا من حديث ابن لهيعة وحاله معروف وذكره في (٢٠٣) وقال: وابن لهيعة وإن كان سيء الحفظ فحديثه أولى بالقبول.

(٢) جزء من حديث أخرجه الحاكم (٤/ ٣٦٦) رقم ٧٩٤١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وفي (١/ ٥٣٣) رقم ١٣٩٥ وقال: هذا حديث رواته عن آخرهم ثقات، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٥) رقم ٩٢٩١ كلهم عن أبي ذر.

(٣) في حاشية الأصل/ قف على كفالة المرأة أيتامها وفضل ذلك.

فأضافه ضيفه، وأحسن نفقته فدعا عليه اليتيم والمسكين فأطعمه»[١].

وأخرج الطبراني والديلمي عن أبي أمامة ﵁ مرفوعاً: «**ثلاثة في ظل الله يوم القيامة: رجل حيث توجه علم أن الله تعالى معه، ورجل دعته امرأة إلى نفسها فتركها من خشية الله، ورجل يحب الناس لجلال الله**»[٢].

وأخرج الديلمي عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً: «**حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه**»[٣].

وأخرج الأصبهاني، والديلمي عن أنس مرفوعاً: «**التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة**»[٤].

والديلمي، وابن شاهين عن عمر بن الخطاب ﵁ مرفوعاً: «**يصيح صائح يوم القيامة: أين الذين عادوا المرضى في الدنيا؟ فيجلسون على منابر من نور يحدثون الله، والناس في الحساب**»[٥].

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٥/ ٨١٦) رقم ٤٣٢٤٣، وعزاه لأبي الشيخ في الثواب والأصبهاني في مسند الفردوس، وذكره كذلك المناوي في فيض القدير (٣/ ٣١٨) وقال: فيه حفص بن عبد الرحمن قال الذهبي. مضطرب الحديث.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٠) رقم ٧٩٣٥، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣٧) وقال: وقد دل القرآن على هذا المعنى في مواضع متعددة، والهيثمي (١٠/ ٤٩٦) رقم ١٨٠١٧ وقال: رواه الطبراني وفيه بشر بن نمير وهو متروك.

(٣) ذكره السيوطي في البدور السافرة (١٣٠) رقم ٣٦٠ وعزاه للديلمي.

(٤) ذكره ابن حجر في الأمالي المطلقة/ ١٠٩ وقال: هذا حديث غريب فُرِّد به يحيى بن شبيب وهو منكر الحديث متهم عند الأئمة، والهندي في كنز العمال (٤/ ٧) رقم ٩٢١٨، والألباني في السلسلة الضعيفة رقم ٢٤٠٥ وقال: موضوع.

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/ ١٤٩)، و(٤٣/ ٨٣)، وذكره الهندي في كنز العمال (٦/ ٣٨٨) رقم ١٦١٩٢ وقال: ابن عساكر عن عمر، الشيرازي في الألقاب والرافعي عن ابن عمر.

والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: **«بشر المدلجين [إلى المساجد] في الظلم بمنابر من نور يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزعون»**(١).

ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: **«إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين العرش، هم الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما ولوا»**(٢).

وعنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **«يقول الله يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»**(٣).

والإمام أحمد وابن حبان، والترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: **«المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء»**(٤).

وفي مرفوع ابن عمر: **«إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عليها قباب من در، ثم ينادي مناد أين الفقهاء، وأين الأئمة والمؤذنون؟ اجلسوا على هذه فلا روع عليكم ولا خوف حتى يفرغ الله فيما بينه وبين**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١٤٢) رقم ٧٦٣٣، و(٨/ ٢٩٣) رقم ٨١٢٥، وفي مسند الشاميين (٢/ ١٢٣) رقم ١٠٣٣، وذكره الهيثمي (٢/ ١٤٩) رقم ٢٠٨٦ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه سلمة العبسي عن رجل من أهله بينه، ولم أجد بيته ولم أجد من ذكرهما.

(٢) مسلم رقم ١٨٢٧ بلفظ «عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»، وأحمد (٢/ ١٦٠) رقم ٦٤٩٢، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٣٣٧) رقم ٤٤٨٥ .

(٣) مسلم رقم ٢٥٦٦، وأحمد (٢/ ٣٧٠) رقم ٨٨١٨ .

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٩ باختلاف في بعض الألفاظ، ونحوه الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٣٤١) رقم ٢٤٣٣، والحاكم (٤/ ١٨٧) رقم ٧٣١٦ وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

العباد من الحساب»[١].

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**إن لله عباداً اختصهم لنفسه لقضاء حوائج الناس، وآل على نفسه ألا يعذبهم بالنار، فإذا كان يوم القيامة أجلسوا على منابر من نور يحادثون الله، والناس في الحساب»**[٢].

تنبيه:

قال صاحب «مطامح الأفهام»: إظلال الله تعالى لهم: عبارة عن أنه سبحانه يقيهم أهوال المحشر ويعصمهم من حر الشمس حينئذ، ويحمهم من شدة العطش الذي يصيب الخلق يومئذ، والله أعلم[٣].

* * *

---

(١) ذكره السيوطي في البدور السافرة (١٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/٣٥٨) رقم ١٣٣٣٤ بسياق آخر وهو «إن للّه عز وجل خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب اللّه»، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٢٥) وذكره الهيثمي (٨/ ٣٥٠) رقم ١٣٧١٠ وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن أيوب وضعفه الجمهور وحسن حديثه الترمذي، وأحمد بن طارق الراوي عنه لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة.

فصل: في الشفاعة العظمى

قال شيخ الإسلام في «الواسطية»: وللنبي ﷺ ثلاث شفاعات، أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه ﷺ كما يأتي.

والثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

فهاتان خاصتان له ﷺ.

الثالثة: يشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم من عباد الله الصالحين، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

وبعضهم أوصل الشفاعات المختص بها ﷺ إلى عشر، والله أعلم.

وقد مر مقدار الوقوف ، وأن الشمس تدنو من رؤوس الخلائق مقدار ميل، وما يصيبهم من العرق من شدة الهول، وعظم حر الشمس يومئذ.

وقد قال بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض، وأذابت الجوامد، ونشفت الأنهار، فإذا حصل ذلك الكرب العظيم، والبلاء الجسيم لجميع الخلق من إنس وجن، ووحش وطير، والعقول قد ذهلت، وطال مقامهم، واشتد زحامهم، وسكبت العبرات، وذهبت الإشارات، احتاجوا لشفاعة سيد العالم، وصفوة بني آدم، وهي الشفاعة الكبرى التي وعده بها أرحم الراحمين، وهي تعم الخلائق أجمعين، وتنقذهم من طول الوقوف، وشدة الحر،

والزحمة في تلك الصفوف، ومن الفزع من ذلك اليوم، والقلق وعظم العطش، وكثرة العرق، وهي المشار إليها في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

قاله جماعة من علماء التفسير، بل زعم الواحدي أنه قد أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة، وثم نزاع طويل لسنا بصدد بيانه.

إذا علمت ذلك، فقد أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة ﵁ قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ وما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه، وما بلغنا؟ فقال: - وفي بعضها فيقول: - إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.**

فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا[١]؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي، نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد.

فيأتوني، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من

(١) في الأصل بغلنا وهو خطأ.

أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر و كما بين مكة وبُصرى»[(١)].

تنبيهات:

الأول: قول إبراهيم عليه السلام: «وإني كذبت ثلاث كذبات» ليس هي في نفس الأمر كذبات، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين، ومن ثم جاء في بعض الروايات: «**والله ما جادل بهن إلا عن دين الله**»[(٢)] هي:

قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله لامرأته حين مرَّ على ذلك الملك: هي أختي.

وهذه ليست بكذبات، وإنما هي صور يخيل لمن لم يمعن النظر في ذلك أنها كذبات، وإلا فقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] إنما هو تنبيه لهم لعلهم أن يعلموا أن ذلك الصنم لا يفعل شيئاً، وإذا جزمت عقولهم أنه لا قدرة له على فعل شيء بطل أن يكون رباً يعبد بالضرورة، فقال سيدنا الخليل لهم: إن الكبير غضب على الصغار لكونها تعبد معه وذلك ليعتبروا أن المعبود بحق يغضب بعبادة غيره مما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.

---

(١) رواه البخاري رقم ٤٧١٢ باختلاف في ألفاظ يسيرة جداً ومسلم رقم ١٩٤، والترمذي (٤/ ٦٢٢) رقم ٢٤٣٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٢/ ٤٣٥) رقم ٩٦٢١، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣٨٠) رقم ٦٤٦٥.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه أحمد (١/ ٢٨١) رقم ٢٥٤٦ بلفظ «والله إن حاول بهن عن دين الله»، والترمذي بلفظ «ما منها كذبة إلا ماحل بها عن دين الله» (٥/ ٣٠٨) رقم ٣١٤٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿فاسألوهم﴾ كأنه يقول لهم: أنتم في غرور بعبادتكم من لا يدفع عن نفسه، ولا قدرة له على النطق ليخبركم عمن فعل به ما فعل، ويا سبحان الله إذا كان لا يدفع البأس عن نفسه فكيف يدفعه عن غيره؟

على أن الكسائي قرأ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ ووقف على فعله ثم قال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ أي فعله من فعله، وأنت خبير أن الوجه في القراءة الأولى، والله أعلم.

وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] إنما أراد الفرار من حضور عيدهم ومناكرهم، وعكوفهم على الأصنام، ولو قيل: إن سيدنا الخليل لما نظر نظرة في النجوم فقال: أيها الملك الكريم أنت بحالي عليم، فهؤلاء عبادك ضلوا وأضلوا، وعكفوا على أصنامهم وولوا، وما منهم ذو فطنة ولب سليم، وأنا لا أقدر على منعهم من عبادة الأصنام فإني سقيم لكان له وجه، والله الموفق.

وقوله عليه السلام لما أتاه أعوان ذلك الملك، وكان عادته إذا أعجبته امرأة إن كانت ذات بعل قتله وأخذها، وإن لم تكن ذات بعل أخذها، فقالوا لإبراهيم ما تكون هذه لك؟ فقال: هي أختي، وقد صدق فإنها أخته في الإسلام.

وقال البغوي: هذه تأويلات لا حاجة إليها، إذ يجوز أن يكون الله أذن له في ذلك لقصد الصلاح، وتوبيخهم والاحتجاج عليهم، كما أذن ليوسف عليه السلام في قصة الصواع، ولسنا بصدد تحرير هذا المقام، وفي هذه الإشارة ما يفصح عن المراد، والله أعلم.

التنبيه الثاني: زعم الغزالي في «الدرة الفاخرة» أن بين إتيان أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحاً ألف سنة، وكذلك كل نبي بينه وبين الذي يليه

ألف سنة.

وهذا باطل، ومن ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم أقف لذلك على أصل. قال: وقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها فلا يغتر بشيء منها. انتهى.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «**ثم يأتوني، فإذا جاءوني خرجت حتى آتي قدام العرش فأخر ساجداً، فلا أزال ساجداً حتى يبعث الله ملكاً، فيأخذ بعضدي فيرفعني، فيقول الله عز وجل أنت محمد؟ فأقول نعم، وهو أعلم، فيقول: ما شأنك؟ فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك، واقض بينهم، قال: فيقول: قد شفعتك إيتهم واقض بينهم - قال** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **فأنصرف حتى أقف مع الناس فبينما نحن ووقوف إذ سمعنا حساً من السماء شديداً فهالنا، فنزل أهل سماء الدنيا بمثل من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض لنورهم، فأخذوا مصافهم، فقلنا أفيكم ربنا؟ فقالوا: لا، وهو آت، ثم ينزل أهل السموات على قدر ذلك على التضعيف حتى ينزل الجبار في ظلل من الغمام والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم، يقولون: سبحان الملك ذي الملكوت، رب العرش والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس، رب الملائكة والروح، قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والسلطان والعظمة، سبحانه أبداً أبداً، فنزل جل ذكره، ويحمل عرشه ثمانية يومئذ، وهم الآن أربعة، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والسموات في حجزهم، والعرش على منكبهم، فيضع الله جل ذكره كرسيه حيث شاء من الأرض، ثم ينادي نداءً يسمعه الخلائق: يا معشر الجن والإنس، إني أنصتُّ منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع كلامكم وأبصر**

أعمالكم، فأنصتوا لي فإنما هي صحائفكم وأعمالكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. . .»(١).

تنبيه:

أورد الفخر على نزول الملائكة سؤالًا، وهو أنه قد ثبت أن الأرض بالقياس إلى السماء كحلقة في فلاة من الأرض، فكيف بالقياس إلى العرش والكرسي، فملائكة هذه المواضع بأسرها أين يسعها؟

وأجاب بعض المفسرين عن ذلك: بأن الملائكة تكون في الغمام. انتهى.

قلت: يرد أن الكرسي يضعه الله جل ذكره حيث شاء من الأرض مع أن السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة.

فالاحسن في الجواب: ما أجاب به «العلامة» أن الله تعالى يزيد في سعة الأرض كيف شاء، إذ هو على كل شيء قدير، وأمره بين الكاف والنون: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧] والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم يؤتى بالجنة والنار إلى المحشر كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠، ٩١].

ومعنى أزلفت: قربت من المحشر حتى يراها كل أحد من أهل المحشر، وبروز النار: ظهورها في المحشر وانكشافها، وعند ذلك يكون

---

(١) جزء من حديث الصور وقد سبق في (٦٠٥) وأخرجه كذلك إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٨٤) رقم ١٠ والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٩٦) رقم ٣٦ .

الفزع الأكبر، لأن الله تعالى يأمر بالجنة فتزخرف وتزلف، ويؤتى بها ولها نسيم طيب أعبق ما يكون، فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام - كما يأتي - فترد النفوس، وتحيا القلوب إلا من كانت أعمالهم خبيثة، فيمنعون ريحها، فتوضع عن يمين العرش، ثم يأمر بإتيان النار، فيؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام، في كل زمام سبعون ألف حلقة، لو جمع حديد الدنيا كله ما عدل منها حلقة واحدة، ولها شهيق وزفير، ورعد وشرر، ودخان يفور حتى يسد الأفق ظلمته، وتتفلت من أيدي الخزنة، ولم يقدر على إمساكها أحد لعظم شأنها، حتى يجثو كل من بالموقف على ركبتيه، حتى المرسلين، ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بالعرش، وكل منهم يقول: نفسي، نفسي.

وفي تفسير الثعلبي، عن أبي سعيد ﷺ قال: لما نزلت ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] تغير لونه ﷺ وعرف ذلك في وجهه حتى اشتد على أصحابه، ثم قال: **«أقرأني جبريل ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ إلى قوله: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢١-٢٣]»**.

قيل له: كيف يجاء بها؟

قال: **«يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع، ثم أتعرض لجهنم، فتقول: ما لي وما لك يا محمد، فقد حرم الله لحمك عليَّ، فلا يبقى أحد إلا قال: نفسي نفسي، وأن محمداً ﷺ يقول: يا رب أمتي أمتي»**(١). أخرجه ابن أبي حاتم.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥١١، ٥١٢) والقرطبي في التفسير (٢٠/ ٥٠) وابن رجب في التخويف من النار ٢٢٩٠ وعزاه لابن أبي حاتم، وعلق عليه بما نقله المصنف.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «صفة النار» وفيه الوصالي شيخ صالح، لا يحفظ الحديث فكثرت المناكير في حديثه.

وأخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»**(١).

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «صفة النار»: وخرجه الترمذي موقوفاً على ابن مسعود، ورجح وقفه العقيلي والدارقطني.

وأخرج أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: **«إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضاً، وخزنتها يكفونها**(٢)**، وهي تقول: وعزة ربي ليخلين بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقاً واحداً، فيقولون من أزواجك؟ فيتقول: كل متكبر جبار»**(٣).

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **«يخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان يبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطلق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين»**(٤).

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٨٤٢، والترمذي (٤/ ٧٠١) رقم ٢٥٧٣ مرفوعاً والطبراني في الكبير (١٠/ ١٩٢) رقم ١٠٤٢٨ .

(٢) في الأصل/ يلقونها.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٣٧٩) رقم ١١٤٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧١٩) رقم ١٨٦١٢ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا إلا أن ابن إسحاق مدلس.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٦) رقم ٨٤١١، والترمذي (٤/ ٧٠١) رقم ٢٥٧٤ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

قال الحافظ ابن رجب: صححه الترمذي.

وفي رواية عند الإمام أحمد: «ومن قتل نفساً بغير نفس بدل المصورين»[١].

وعند البزار: «**يخرج عنق من النار يتكلم بلسان طلق ذلق، لها عينان يبصران، ولها لسان يتكلم، فتقول: إني أمرت بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار، وبمن قتل نفساً بغير نفس، فينطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام**»[٢][٣].

وخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة ﵁ قال: يؤتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، آخذ كل زمام سبعون ألف ملك، وهي تمايل عليهم حتى توقف عن يمين العرش، ويلقي الله عليها الذل يومئذ، فيوحي إليها: ما هذا الذل؟ فتقول: يا رب أخاف أن يكون فيَّ نقمة، فيوحي الله إليها: إنما خلقتك نقمة، وليس لي فيك نقمة، فيوحي الله إليها فتزفر زفرة لا تبقي دمعة في عين إلا جرت، ثم تزفر أخرى فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل، إلا صعق إلا نبيكم نبي الرحمة يقول: يا رب أمتي ﷺ[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠) رقم ١١٣٧٢، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٣٧٥) رقم ١١٣٨، والطبراني في الأوسط (١/ ١٠٣) رقم ٣١٨.
وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٢٠) رقم ١٨٦١٣، ١٨٦١٤ وقال رواه البزار واللفظ له وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحوه والطبراني في الأوسط وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح.
(٢) انظر الحديث السابق.
(٣) في حاشية الأصل/ قف على من يدخل النار قبل الناس بخمسمائة عام.
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (١١٦) رقم ١٨٢ .

ثم إن الناس يعرضون على ربهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] وقال: ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]، وقال: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

قال الفخر في تفسير الصف وجوه:

أحدها: أن تعرض الخلق على الله تعالى صفاً واحداً ظاهرين بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً.

ثانيها: لا يبعد أن يكونوا صفوفاً يقف بعضهم وراء بعض، كالصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض.

وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله: ﴿صفا﴾ كقوله ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧].

قلت: ويدل لهذا أي كونهم صفوفاً، ما مر في الحديث السابق: «اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فمن أطعمك أو كساك...»[١] الحديث. وبما يأتي: «أقيموا عبادي صفوفاً».

ثالثها: أن يكونوا قياماً كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا[٢] اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج: ٣٦] أي قائمة، انتهى.

وأخرج ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: «**يعرض[٣] الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما**

(١) سبق ص ٦٣٠ .

(٢) في الأصل (واذكروا) وفي الحاشية: الآية (فاذكروا).

(٣) في الأصل/ تعرض.

العرضة الثالثة فتطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله»[١].

وفي لفظ: **«فتطاير الكتب في الأيمان والشمائل»**[٢].

قال الحكيم الترمذي: الجدال للأعداء أي الكفار، يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوا نجوا وقامت حجتهم، والمعاذير لله يعتذر إلى آدم وإلى أنبيائه، ويقيم حجته عندهم على الاعداء ثم يبعث بهم إلى النار، والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر، يخلو بهم - جل ذكره - فيعاتب من يريد عتابه في تلك الخلوات حتى يذوق وبال الحياء والخجل، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم.

فيا له من مقام ما أعظمه ووبال ما أجسمه، فيا من إذا وقف بين يدي أحد ملوك الأرض ارفض عرقاً، وارتعد فرقاً، فكيف حالك إذا وقفت بين يدي ملك الملوك؟ وعاتبك بما فعلته حتى على الظنون والشكوك؟ فلا هنأ الله لعبد عيشاً علم ذلك فالتذ بمعصية الله، ولقد قلت ارتجالًا:

إذا ما تذكرت الجزا يوم عرضتي ... على خالقي ضاقت عليَّ مذاهبي
فلم أدر ما رد الجواب وما الذي ... أقول ورب العالمين معاتبي
فوا أسفى يوم الحساب إذا بدت ... قبائح أفعالي وكل معايبي
وعاتبني ربي لديه وقال لي ... لك الويل إني كنت لست بغايبي
أما تستحي مني أما كنت تختشي ... أما كان أولى أن تكون مراقبي

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٠) رقم ٤٢٧٧، والترمذي (٤/ ٦١٧) رقم ٢٤٢٥ وقال: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى، وأحمد (٤/ ٤١٤) رقم ١٩٧٣٠.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٧١، وبنحوه أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢١٦).

أما كنت تدري أنني بك عالم أما خفت من غضبي وشر عواقبي
فما حيلتي واخجلتي من جرائمي إذا كنت فذاً ندَّ عني صوابي
وصارمني خلي ومل مودتي ومرَّ وخلاني أعز حبايبي
سوى المصطفى ذخري وحظي وبغيتي ورحمة ربي ملجأي في معاطبي
عليه صلاة الله ما هبت الصبا وما ناح ولهان لكثر المصائب
كذا الآل والأصحاب ما ناح بلبل وغرَّد شحرورٌ بصوت مناسبي

وأخرج الإمام الحافظ ابن مندة في (التوحيد) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه رفعه قال: **«إن الله ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير قطيع: يا عبادي إني أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، أحضروا حجتكم، ويسروا جواباً فإنكم مسئولون ومحاسبون، يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب»**[1].

وأخرج أبو داود، وابن حبان، عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: **«إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»**[2][3].

وأخرج أبو يعلى بسند رجاله ثقات عن أبي سعيد رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضاً، وخزنتها يكفونها وهي تقول: وعزة ربي ليخلين بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقاً واحداً، فيقولون: من أزواجك؟**

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٠٠) والقرطبي في التذكرة (٢٨٩)، والألوسي في روح المعاني (١٥/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٠٥) رقم ٤٩٤٨، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ١٣٥) رقم ٥٨١٨ وأحمد في (٥/ ١٩٤) رقم ٢١٧٣٩ وابن عدي في الكامل (٣/ ٨٣) في ترجمة داود بن عمرو رقم ٦٢٦ وقال عنه حديثه مقارب، وقال يحيى: ثقة وقال في آخر الترجمة: ولا أرى برواياته بأساً.

(٣) في حاشية الأصل/ قف على أن أهل الموقف ينادون بأسماء آبائهم.

فتقول: كل متكبر جبار، فتخرج لسانها، فتلتقطهم من بين ظهراني الناس فتقذفهم في جوفها، ثم كذلك، فيقولون: من أزواجك؟ فتقول: كل مختال فخور، فتلتقطهم بلسانها، فتقذفهم في جوفها، ثم تتأخر، ويقضى بين الناس»(١). وتقدم معناه.

وظاهر هذا أن هؤلاء يلقون في النار بغير حساب، لأنهم تكبروا على خلق الله في دار الدنيا.

وفي الحديث القدسي: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار**»(٢) رواه الإمام أحمد، وأبو داود وابن ماجه.

وعند مسلم، وأبي داود، وابن ماجه: «**ألقيته في جهنم**»(٣).

وأخرج الحاكم: «**الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي قصمته**»(٤) وقال: صحيح على شرط مسلم.

وأخرج الإمام أحمد، والحاكم، وابن ماجه: «**ما من رجل يتعاظم في نفسه، ويختال في مشيته، إلا لقي الله وهو عليه غضبان**»(٥).

---

(١) سبق ص ٦٤٦.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤١٤) رقم ٩٣٤٨ بلفظ «قذفته» بدل «ألقيته» وأبو داود (٢/ ٤٥٦) رقم ٤٠٩٠، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٧) رقم ٤١٧٤ بلفظ المصنف.

(٣) انظر تخريج الحديث السابق، ولم أقف عليه عند مسلم.

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ١٢٩) رقم ٢٠٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) رواه أحمد (٢/ ١١٨) رقم ٥٩٩٥ بلفظ: «من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي اللَّه وهو عليه غضبان» عن ابن عمر والحاكم (١/ ١٢٨) رقم ٢٠١ بلفظ المصنف وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط مسلم، والبخاري في الأدب المفرد (١٩٣) رقم ٥٤٩ بلفظ أحمد.

واعلم أن الكبر مذموم شرعاً وعقلًا، فأما الشرع فقد ذكرنا قطرة من بحر لجي، مما ورد في الكبر، وفي الإشارة ما يغني عن العبارة.

وأما العقل: فإن كل إنسان يعلم أن الكبر مذموم، وأن صاحبه من الأجر محروم، ومن ثم قال بعض الفضلاء: «الكبر والخيلاء يكسيان الرذائل، ويسلبان الفضائل».

وقال الأحنف بن قيس: «ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه».

ورأى أفلاطون رجلًا يختال في مشيته فقال: جعلني الله مثلك في نفسك، ولا جعلني مثلك في نفسي.

وقال الأحنف بين قيس: عجبت لمن خرج من مجرى البول مرتين كيف يتكبر.

ومرَّ بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار، وهو يختال بمشيته، فقال له مالك: يا بني لو تركت هذا الخيلاء لكان أجمل لك، قال: أوما تعرفني؟ قال: أعرفك معرفة جيدة، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وبين ذلك تحمل العذرة، فأحنى الفتى برأسه، وكف عما كان عليه.

والكبر يوجب المقت، ومن مقته رجاله لم يستقم حاله.

وقيل: لا يتكبر إلا كل وضيع.

ولله در القائل:

قولًا لأحمق يلوي التيه أجذعه ... لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة ... للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقال الآخر:

تواضع إذا ما كان قدرك عالياً ... فإن انخفاض المرء من شيمة الفضل
ولا تعجبن من عالم متواضع ... يخاطبه طفل فيصغى إلى الطفل
فإن رسول الله كلَّم نملة ... وأن إله العرش أوحى إلى النحل

ولسنا بصدد الكشف عن قبائح الكبر، ولكن ذكرنا ما ذكرنا للمناسبة، والشيء بالشيء يذكر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

فصل

ثم يؤتى بالصحف، وتؤخذ باليمين والشمال.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير: ١٠].

قال الثعلبي: أي التي فيها أعمال بني آدم نشرت للحساب، وإنما يؤتى بالصحف إلزاماً للعباد، ورفعاً للجدل والعناد.

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

قال العلامة: معنى طائرة: عمله.

وقال مقاتل، والكلبي: خيره وشره معه لا يفارقه وهو عين الأول.

وأخرج العقيلي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الكتب كلها تحت العرش فإذا كان يوم القيامة يبعث الله ريحاً فتطيرها بالأيمان والشمائل، أول خط فيها: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا﴾[1] [الإسراء: ١٤]**».

قال قتادة: سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

وقال تعالى: ﴿فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا﴾[2] [الإسراء: ٧١].

---

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ٤٦٦) في ترجمة يغنم بن سالم رقم ٢١٠١، وقال عنه: منكر الحديث.

(٢) في حاشية الأصل/ هذه الآية في الإسراء (فمن أوتي كتابه) وليس فيها (وأما) ولهذا أصلحتها. انتهى

والفتيل: هو القشر الذي في شق النواة، وهذا يضرب مثلًا للشيء الحقير.

وذكر مجاهد عن ابن عباس: أن المراد بالفتيل الوسخ الذي يظهر بفتل الإنسان إبهامه بسبابته.

قال العلامة: وإنما خص القراءة بمن أوتي كتابه بيمينه دون من أوتيه بشماله، لأن أهل الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملًا على المهلكات العظيمة، والقبائح الكاملة، فيستولي الخوف والدهش على قلوبهم، ويثقل لسانهم، فيعجزون عن القراءة الكاملة، وأما أصحاب اليمين إذا طالعوها ألْفَوها على الكمال، فيقرءون كتابهم على أحسن الوجوه وأتمها، ثم لم يقنع أحدهم بقراءته، بل يقول لأهل المحشر: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]. قاله الفخر.

وأخرج الديلمي مرفوعاً: عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس عليه(١). وقاله ابن مسعود.

وخرج مكي في تفسيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، كيف يحاسب حساباً يسيراً؟ قال: يؤتى العبد كتابه بيمينه، فيقرأ سيئاته ويقرأ الناس حسناته، ثم يحول الصحيفة فيحول الله حسناته، فيقرؤها الناس، فيقولون: ما كان لهذا العبد من سيئة؟ فهذا تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾(٢) [الانشقاق: ٧-٩].

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٤/٣٦٩) برقم ٣٨٩٧١، وعزاه للديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (١٢/٥٠٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمعت النبي ﷺ يقول: اللهم حاسبني حساباً يسيراً قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في سيئاته فيتجاوز عنه وإنه من نوقش الحساب يومئذ هلك»، وذكره الألوسي في روح المعاني (١٥/١٢٢) بلفظ المصنف.

أهله هم أهل الجنة كما في البهجة.

وأخرج الترمذي وحسنه وابن حبان والبيهقي والبزار، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، قال: «**يدعى الرجل فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعاً، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه، فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم آتنا بهذا وبارك لنا في هذا، حتى يأتيهم فيقول: أبشروا فإن لكل واحد منكم مثل هذا، وأما الكافر فيسود وجهه، ويمد في جسمه ستون ذراعاً، ويجعل على رأسه تاج من نار فيراه أصحابه، فيقولون: اللهم إنا نعوذ بك من هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، فيأتيهم، فيقولون: اللهم أخزه، فيقول: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا**»(١).

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: «**أما عند ثلاث فلا، عند الميزان حتى يعلم أيثقل أم يخف، وعند تطاير الكتب، فإما أن يعطى بيمينه أو بشماله، وحين يخرج عنق من النار**»(٢) الحديث.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٢) رقم ٣١٣٦ وفيه في الكافر «ويمد له في جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم فيلبس تاجاً فيراه» الحديث وقال هذا حديث حسن غريب وكذلك ابن حبان (٦/ ٣٤٦) رقم ٧٣٤٩، والحاكم (٢/ ٢٦٥) رقم ٢٩٥٥ وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣) رقم ٦١٤٤.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١١٠) رقم ٢٤٨٣٧ بزيادة ألفاظ يسيرة، وأخرج نحوه الحاكم (٤/ ٦٢٢) رقم ٨٧٢٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة ووافقه الذهبي.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠-١٢] أي يدعو بالويل والثبور ويصلى حر السعير.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦].

يتمنى إذ ذاك أن لا يؤتى كتابه لما فيه من العظائم والقبائح، ويود أن لا يدري ما حسابه، لما يلقى من شدة الخجل وبروز الفضائح، فنسأل الله العظيم أن يسددنا، ويوفقنا لما يرضيه عنا، لو تفكرت النفوس فيما بين يديها أو تذكرت حسابها فيما لها وعليها، لبعث حزنها بريد دمعها كل وقت إليها، فيا لله العجب من جد عند الأنفس كالهزل، ولقد أحسن من قال:

ومن عجب الأشياء أنك تعلم ... بأنك مأخوذ بما تتجرم
وأنت على ما أنت فيه مقصر ... ولا مقلع عما عليك يحرم
كأنك في يوم القيامة أمِنٌ ... إذا برزت للمجرمين جهنم
فلا تغترر بالعمر إن طال واعتبر ... فإنك لا تدري متى يتصرم
وتسكن بيتاً غير بيتك مظلماً ... وما فيه مشروب ولا فيه مطعم
وتترك ما قد كنت فيه محكماً ... وغيرك فيه لو علمت المحكم
وتأتي غداً من بعد يسرك معسراً ... وما لك دينار ولا لك درهم
فإن كنت قد قدمت من قبل صالحاً ... فإنك من هول القيامة تسلم
فكن مقلعاً وارجع إلى الله واغتنم ... بقاءك في الدنيا فمحياك مغنم

أما يحق البكاء لمن قد مضى زمانه؟ أما يحق البكاء لمن قد ذهب أوانه؟ أما يحق البكاء لمن طال عصيانه؟ نهاره في المعاصي فقد زاد خسرانه، وليله في الخطايا فقد خف ميزانه، وبين يديه الحشر العنيف فيه

ذله وهوانه، والحساب العسير ينشر فيه ديوانه، والموقف الطويل فيه غمومه وأحزانه، والجحيم الشديد فيه من العذاب ألوانه، ذكر العرض أجرى دموع الخائفين، وهول الحساب قلقل أفئدة التائبين.

سأل رجل ذا النون ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال: ذكر المقام وقلة الزاد، وخوف الحساب.

ولم لا تذوب أبدان العباد، وتذهل عقولهم والعرض على الله تعالى أمامهم، وقراءة كتبهم بين أيديهم، والملائكة وقوف ينتظرون أمر الجبار في الأخيار والأشرار، فمثل القوم هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم.

إخواني: قد شملت الغفلة الخلائق حتى سترت عنهم وجوه الحقائق، فصار اليقين عندهم كالظنون، فالعاقل يفعل فعل المجنون.

ولله در القائل:

يا أيها الراقد كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته ... حظاً إذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة العرض لكم موعد

فنسأل الله العظيم أن يوقظنا وأحبابنا من سنة الغفلة، وأن يستعملنا فيما يرضيه عنا بمنه وكرمه.

فوائد:

الأولى: قال ابن المسيب: الذي يأخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطي كتابه.

وقيل: تنزع من صدره إلى خلف ظهره.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠].

قال: تجعل شماله وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

الثانية: يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بأن تخلع، أو يدخلها من صدره، أو تلوى، ويعطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من أمامه، ويعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامه.

الثالثة: ورد أن أول[١] من يأخذ كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد[٢] واسمه عبد الله، وهو أول من يدخل الجنة من هذه الأمة، وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة، كما بينت ذلك في كتابي: «تحبير الوفي في سيرة المصطفى».

وروي أن أول من يأخذ كتابه بشماله الأسود أخو أبي سلمة المذكور[٣]، روي أنه يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده، فيأخذه بشماله من وراء ظهره.

قلت: وذلك لأن أبا سلمة رضي الله عنه لما أراد الهجرة رحّل لزوجته أم سلمة - إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها - بعيره، ثم حملها عليه، وحمل معها ابنها سلمة بن أبي سلمة في حجرها، ثم خرج بها يقود بها بعيره، فرأته رجال بني المغيرة، فقاموا إليه وقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت

(١) في حاشية الأصل/ قف على أول من يعطى كتابه بيمينه ويدخل الجنة.
(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الأوائل (٨٢) رقم ٨٢ .
(٣) انظر السابق.

صاحبتك هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟ فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوها منه، وغضبت عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابنه سلمة بينهم حتى خلعوا يده[١].

القصة بتمامها في السيرة، فجوزي الأسود بأن خلع الله يده كما خلع يد الغلام، فالجزاء من جنس العمل.

ولقد أشرت لأمر هذين الأخوين، والتفاوت بينهما في المرتبتين في قولي:

سل الراحم المولي العناية والهدى ... وقف باب مولاك الكريم ووحدي
وكن خائفاً من مكره وارج عفوه ... وجد على فعل المكارم تسعد
ولا تغترر يا ذا المحامد والنهى ... بأسلافك الماضين أهل التهجد
أبو سلمة الأعلى أخو الأسود الشقي ... كذلك أبو لهب قرابة أحمد

قال القرطبي في (التذكرة): إذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤمر بها بعد البعث حوسبوا بها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب؛ لأن الناس إذا بعثوا لم يكونوا ذاكرين لأعمالهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ[٢] يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]. فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف، وقاموا فيه ما شاء الله، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فَيُؤْتَوْنَهَا، فمنهم من

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣١٥، البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٦٩).
(٢) في الأصل (ويوم) والمثبت هو الصحيح.

يؤتى كتابه بيمينه، وهم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله، أو وراء ظهره فأولئك هم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كتابه، ويعلم خطأه وصوابه.

وأنشدوا في ذلك:

مثل وقوفك يوم العرض عرياناً ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيراناً
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضباناً
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولن تنكر قراءته ... اقرأ من عرف الأشياء عرفاناً
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنار عطشاناً
فالمشركون غداً في النار في لهب ... والمؤمنون بدار الخلد سكاناً

ومن قصيدة طويلة من كلام الإمام المحقق ابن القيم أودعها في كتابه «طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين» وهي عظيمة اشتملت على جُلِّ أحكام الموقف فمنها:

ويا ليت شعري كيف حالك عندما ... تطاير كتب العالمين وتقسم
أتأخذ باليمنى كتابك أم بيسـ ... ـراك خلف الظهر منك تسلم
وتقرأ فيها كل شيء عملته ... فيشرق منك الوجه أو هو يظلم
تقول كتابي هاؤم فاقرءوه ... يبشر بالجنات حقاً ويعلم
وإن تكن الأخرى فإنك قائل ... ألا ليتني لم أوته فهو مغرم

ولعمري: إن المقام بتلك المحال والزحام بين النساء والرجال، وقد اشتد الزحام، وطال المقام، وصفت الأقدام، وجمع الخاص والعام، إنه لمن المصائب العظام، والنوائب الجسام، وحري من صور نفسه في ذلك الجمع الغفير أن يترك الطعام، ولذيذ المنام، ويتشبث بذيال المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

فيا من غفل عن آخرته حتى اشتعل الرأس شيباً، وحال سواد لمته، تذكر وقوفك بين يدي الله عرياناً، وقد ضاق بك الفضا ونزل بك مر القضا، وظهرت جرائمك على رءوس الأشهاد، ونودي ها فلان قد خسر وخاب، وسلك به غير طريق العباد، فيا لها من خجلة ما أعظمها بين يدي الجبار، فحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل.

ولقد كنت قلت في هذا المعنى مستغيثاً[١] بالنبي ﷺ من هول ذلك وأشكو له.

إليك أشكو رسول الله من وجلي ... نأى شبابي سدى واحتاط بي أجلي
نأى الشباب وجاء الشيب يخبرني ... بأنني راحل للقبر واخجلي
ضيعت عمري سدى في اللهو وأسفى ... حتى دنا الموت مني وانقضى أملي
حتى متى أصحب التسويف في سفري ... وفي حضوري وعمري باد في مللي
إذا عزمت على فعل الرشاد دنا ... من الفؤاد مناد الهم والكسل
أشكو لمولاي تقصيري ولهوي في ... دار البلاء وما لاقيت من عللي
وما اعتراني من الخطب العظيم وما ... أحل بي من ضروب الحزن والنكل
واخجلتي من مقام لست أنكره ... إذا بدا لي على روس الملا زللي
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي ... إني أتيت بلا علم ولا عملي
حسبي افتقاري وذلي ثم مسكنتي ... وطول حزني وحبي سيد الرسل
محمد المصطفى المبعوث من مضر ... المرتضى سيد الآتين والأُوَلي

---

(١) رحم الله الإمام السفاريني ما كان أغناه عن إيراد مثل هذه العبارات، فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال أبو بكر «قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله عز وجل» انظر الهيثمي/ مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٦) رقم ١٧٢٧٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.

صلى عليه إله العرش ما صدحت ... ورق الحمام على الأغصان بالزجل[1]
كذا الصحابة والآل الكرام ومن ... نحا طريقتهم من سائر المللي
وكن إلهي معيني إنني وجل ... لولا اعتقادي بأن الله نعم ولي
محمد الحنبلي يرجو الخلاص إذا ... ما حاسب الناس ذاك الواحد الأزلي

* * *

(١) في حاشية الأصل/ النظم القديم هنا:
صلى عليه إلاه العرش ما صدحت ... ورق الحمام وما القول القديم تُلى

الباب الرابع

في ذكر الحساب وما يلقاه العالم من شدة البأس والعقاب

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وقال في حق أعدائه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٨].

قال الثعلبي: الحساب: تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم على ما قد نسوه من ذلك.

يدل على هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وقال بعضهم: معنى كونه تعالى محاسباً لخلقه أنه يعلمهم ما لهم وما عليهم.

أخرج الترمذي عن أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**»(١). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦١٢) رقم ١٤١٧، وليس فيه «أربع» وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه في (٤/ ٦١٢) رقم ٢٤١٦ بلفظ «حتى يسأل عن خمس» وتقديم وتأخير عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال: هذا حديث غريب، والدارمي (١/ ١٤٤) رقم ٥٣٧ و(١٤٥) رقم ٥٣٩، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ٣٥١) رقم ٧٤٣٤.

يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت حتى يقال إنك جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»(١).

قال الحافظ ابن رجب في كتابه: «شرح الأربعين النووية»: لما بلغ معاوية هذا الحديث بكى حتى غشي عليه، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١٥، ١٦] انتهى.

فدل هذا الحديث الشريف أن أول من يحاسب هؤلاء الثلاثة أشخاص، لأنهم مراءون، ولا شك أن الرياء مذموم(٢)، وصاحبه من أبواب الخير محروم.

أخرج الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) رواه مسلم رقم ١٩٠٥ باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ، وأحمد (٢/ ٣٢١) رقم ٨٢٦٠، والنسائي في سننه (٦/ ٢٣) رقم ٣١٣٧.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على فضائح الرياء.

مرفوعاً: «**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»(١) يعني ريحها.

وأخرج الترمذي عن كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار**»(٢).

وخرجه ابن ماجه بمعناه من حديث ابن عمر وحذيفة وجابر رضي الله عنهم.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة، والدين والتمكين في الأرض، من عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب**»(٣).

ولسنا بصدد بيان مذام الرياء، ويكفي فيه أنه شرك، فإن الرياء هو الشرك الأصغر كما ثبت ذلك(٤)، والله الموفق.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من أمر الحساب.

قال ﷺ: «**من نوقش - في - الحساب عذب**». قالت عائشة رضي الله عنها

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٨) رقم ٨٤٣٨، وأبو داود (٢/ ٣٤٦) رقم ٣٦٦٤، وابن ماجه (١/ ٩٢) رقم ٢٥٢ وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١/ ٦١) وقال عنه العراقي: أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند جيد.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢) رقم ٢٦٥٤، وابن ماجه (١/ ٩٣) رقم ٢٥٣، ٢٥٤، و(٩٦) رقم ٢٦٠ باختلاف في بعض الألفاظ، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٧٨) رقم ٧٧، والحاكم (١/ ١٦١) رقم ٢٩٣ وتكلم عنه بما يدل على قبوله ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٤) رقم ٢١٢٦٠، ورقم ٢١٢٥٨، ٢١٢٦٢، والحاكم (٤/ ٣٤٦) رقم ٧٨٦٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرج الحاكم (١/ ٤٤) عن معاذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اليسير من الرياء شرك...» وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين... وهذا إسناد مصري ولا يحفظ له علة ووافقه الذهبي.

فقلت: أليس يقول الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٧-٩]. فقال: «**إنما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**»[1]. رواه البخاري ومسلم عنها.

وعند البزار، والطبراني عن ابن الزبير رضي الله عنهما نحوه مرفوعاً.

وعن عتبة بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أن رجلًا يخر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت في مرضاة الله عز وجل لحقره يوم القيامة**»[2] رواه الطبراني.

قال الحافظ المنذري: رواته ثقات إلا بقية.

قلت: يعضده ما رواه الإمام أحمد رضي الله عنه بإسناد صحيح عن محمد ابن أبي عميرة رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ رفعه: «**لو أن رجلًا خر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في طاعة الله عز وجل لحقره ذلك اليوم، ولود أنه لو رد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب**»[3].

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين، ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم من الله عز وجل فيقول الله لأصغر نعمة - أحسبه قال في ديوان النعم - خذي ثمنك من عمله الصالح، فتستوعب عمله الصالح فإذا أراد الله أن يرحم عبداً قال: يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك، وتجاوزت عن سيئاتك**

---

(١) رواه البخاري رقم ١٠٣، ٤٩٣٩، ٦٥٣٦ باختلاف يسير ومسلم رقم ٢٨٧٦ .

(٢) أخرجه الطبراني (١٧/ ١٢٢) رقم ٣٠٣ باختلاف يسير وسبق.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٥) رقم ١٧٦٨٦ .

أحسبه قال: ووهبت لك نعمي»[١].

وأخرج الحاكم وصححه عن جابر ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: **«خرج من عندي خليلي جبريل آنفاً، فقال: يا محمد، والذي بعثك بالحق إن لله عبداً من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر، عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج له عيناً عذبة بعرض الأصبع تُبَضُّ بماء عذب، فيستنقع في أسفل الجبل، وشجرة رمان تخرج في كل ليلة رمانة يتعبد يومه، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء، وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلًا حتى يبعثه وهو ساجد، قال: ففعل، فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا**[٢] **فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقول له الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب بل بعملي فيقول: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب بل بعملي فيقول: قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله، فيوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد فضلًا عليه، فيقول: أدخلوا عبدي النار، فيجر إلى النار، فينادي: رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول: ردوه، فيوقف بين يديه، فيقول: يا عبدي من خلقك ولم تك شيئاً؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: من قواك لعبادة خمسمائة سنة؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: من أنزلك في جبل وسط**

---

(١) أخرج نحوه مختصراً ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٠٥) رقم ٣٤٥٤٦ عن ابن مسعود ﷺ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٤٧) رقم ١٨٤٣٤ وقال: رواه البزار وفيه صالح المري وهو ضعيف.

(٢) في الأصل (خرجنا).

اللجة، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما تخرج مرة في السنة، وسألته أن يقبضك ساجداً ففعل؟ فيقول: أنت يا رب، قال: فذلك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة قال جبريل: إنما الأشياء برحمة الله يا محمد»(١).

ولقد قلت مرتجلًا أشير لتقصيري عن شكر نعمه التي منَّ بها عليَّ:

عسى رحمة المولى الوسيعة في غد تكون لنا حصناً من النار يا عدي
فإن لم تكن لي رحمة الله ملجأ فإني في تلك المصارع مرتدي
فوا أسفى إن لم تكن لي فإنني على فرط تقصيري مع الله معتدي
وكم نعمة لله ضيعت شكرها وقابلتها بالبطش بالرجل واليدي
وفي بصري ما لو أقمت مجاهداً مدى الدهر يا كل المنى في تهجدي
لما كان هذا غير في جنب شكره كما جاء في نص الحديث المسدد
روينا حديثاً يا منى العين مسندا يشير لهذا فاتبع ذاك تهتدي

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: **«سددوا وقاربوا، وأبشروا فإنه لن يدخل أحداً الجنة عمله»**. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **« ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»**(٢).

ورواه الإمام أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظ: **«لن يدخل الجنة أحد**

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٧٨) رقم ٧٦٣٧ بزيادة بعض العبارات وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، فإن سليمان ابن هرم العابد من زهاد أهل الشام والليث بن سعد لا يروي عن المجهولين.
وتعقبه الذهبي فقال: لا والله وسليمان بن هرم غير معتمد.

(٢) رواه البخاري رقم ٦٤٦٧ بلفظ «بمغفرة ورحمة» بدل «برحمته» ومسلم رقم ٢٨١٨ بلفظ «برحمة».

إلا برحمة الله ». قلنا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» وقال بيده فوق رأسه[١].

قلت: فهم بعض أشياخي من حديث الصحيحين هذا من قول النبي ﷺ عند إملائه لنا حديث البخاري هذا من صحيحه، قال: قوله ﷺ «**إلا أن يتغمدني الله برحمته**» أي فأدخل الجنة بعملي، فقلت له: حيث تغمده الله برحمته أي عمل له أدخله الجنة؟ قال: هذا مفهوم الحديث، قلت: بل المراد لن أدخل الجنة إلا أن يتغمدني الله برحمته، فيكون الاستثناء راجعاً[٢] لدخول الجنة - حسب - فتكأكأ الشيخ حفظه الله تعالى، ولم يُبد جواباً مع عدم ارتضاه لما قلنا.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم، فكيف أنا منهم؟ فقال له: رسول الله ﷺ: «**يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك**». فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ : «**ما لك؟ ألا تقرأ كتاب الله؟** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ **[الأنبياء: ٤٧]** فقال

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٥٢) رقم ١١٥٠٤، و(٢/ ٢٥٦) رقم ٧٤٧٣ باختلاف يسير جداً عن أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني في الكبير (١/ ١٨٧) رقم ٤٩٣ عن أسامة بن شريك، وعبد ابن حميد في مسنده (٢٨١) رقم ٨٩٢ عن أبي سعيد.

(٢) في الأصل (راجع) والمثبت هو الصواب.

الرجل: يا رسول الله، ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبيده - أشهدك أنهم أحرار»[١].

قال الترمذي: حديث غريب.

لكن قال الحافظ المنذري: إسناده يعني الترمذي وإسناد الإمام أحمد متصلان ورواته ثقات، وفيه عبد الرحمن بن غزوان، يكنى أبا نوح، ثقة احتج به البخاري، وبقية رجال الإمام أحمد احتج بهم البخاري ومسلم.

قلت: فيكون هذا الحديث صحيحاً والله أعلم.

وقال ﷺ لوصيف له «**لولا القصاص لضربتك بهذا السواك**»[٢]. رواه أبو يعلى بإسناد جيد.

وأخرج البزار بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**من ضرب مملوكه سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة**»[٣].

وأخرج الإمام أحمد بسند حسن عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر العباد يوم القيامة أو قال الناس عراة غرلًا بهما**». قال: قلنا يا رسول الله وما بهما؟ قال: «**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الديان أنا الملك،**

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٨٠) رقم ٢٦٤٤، والترمذي (٥/ ٣٢٠) رقم ٣١٦٥ وقال: هذا حديث غريب.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٣٦٠) رقم ٦٩٢٨، والطبراني في الكبير (٢١/ ٣٧٦) رقم ٨٨٩ باختلاف في بعض الألفاظ عن أم سلمة، وذكره الهيثمي في عده مواضع (١٠/ ٦٤٠) رقم ١٨٤١١ وقال: روى هذا كله أبو يعلى والطبراني بنحوه... وإسناده جيد عند أبي يعلى والطبراني.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢/ ١٢٠) رقم ١٤٤٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٤٠) رقم ١٨٤١٣ وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط وإسنادهما حسن.

لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة». قال: قلنا: كيف، وإنما نأتي الله عز وجل عراة غرلًا بهماً؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»[١].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه ﷺ أنه قال: «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»[٢].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟** قالوا: لا، قال: «**فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟** قالوا: لا، قال: «**فوالذي نفسي بيده لا تضارون برؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، فيلقى العبد ربه فيقول: أي فل؟** يعني فلاناً، بمعنى يا فلان حذفت منه الألف والنون لغير ترخيم، قاله الأزهري، وغيره، انتهى «**ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس؟** أي بمثناة فوق، فراء ساكنة، فهمزة مفتوحة، أي تصير رئيساً. وتربع: أي تأخذ ما يأخذه كبير الجيش وهو ربع المغانم، ويقال له المرباع، قاله المنذري، **فيقول بلى يا رب، فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فذكر مثل**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥) رقم ١٦٠٨٥، وابن عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني (٤/ ٧٩) رقم ٢٠٣٤، والبخاري في الأدب المفرد (٣٣٧) رقم ٩٧٠.

(٢) البخاري رقم ٦٥٣٤، ومسلم رقم ٢٥٨١.

الأول، وكذا الثالث، فيقول للثالث: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: أي رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذاً، ثم يقول: الآن نبعث شاهداً عليك، فيتفكر في نفسه من هذا الذي يشهد عليَّ؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»(١).

وأخرج البخاري عنه أيضاً قال: إن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **«هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **«هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟** قالوا: لا، قال: **«فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم؟ فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم؟ فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان - أي وهو نبت له شوك معقف - فقال ﷺ : «هل رأيتم شوك السعدان؟** قالوا: نعم، قال: **«فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل»**. أي يصرع، وقيل: يقطع، قال المنذري: المعنى أنه يقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار، انتهى،

---

(١) مسلم رقم ٢٩٦٨ .

ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم فيعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على التاء أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا. أي بضم التاء وكسر المهملة فشين معجمة أي احترقوا، وقال الهيثم: هو أن تذهب النار الجلد وتبدي العظم، انتهى. «**فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة**» أي بكسر الحاء المهملة هي بزر البقول والرياحين وقيل: بزر العشب، وقل: نبت في الحشيش صغير، وقيل: جميع بزور النبات، وقيل: بزر ما ينبت من غير بذر، وما بذر تفتح حاؤه، ذكره الحافظ المنذري «**في حميل السيل**» أي زبد السيل، وما يلقيه على شاطئه وهو بفتح الحاء المهملة وكسر الميم «**ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد**»[1] الحديث.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ وذكر الحديث وفيه: «**فإذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام، والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغبر أهل الكتاب**». أي بقاياهم وهو بغين معجمة مضمومة فموحدة مشددة مفتوحة جميع غابر، «**فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا**

(١) البخاري رقم ٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧ .

تبغون؟ فيقولون: يا ربنا عطشنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً - مرتين أو ثلاثاً- حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقه واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الصراط على جسر جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم. . .»[١] الحديث.

تنبيه:

قد تقدم أن أول من يحاسب العلماء والمغازون وأرباب الأموال والسعة، ومما ينبغي أن يعلم أن أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة.

أخرج ابن المبارك وأبو داود والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، يقول الله لملائكته: انظروا لصلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان ينقص منها شيئاً قال الله: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا**

---

(١) رواه البخاري رقم ٤٥٨١، ومسلم رقم ١٨٣ .

لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك»[١].

وأخرج النسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول ما يحاسب عليه العبد صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء**»[٢].

فإن قيل: قد ورد في التنزيل أن الناس لا يسألون، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].

فالجواب: أن هذه معارض بقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

ويجاب عن الآية الكريمة: بأنهم لا يسألون سؤال استفهام لأنه تعالى عالم بكل أعمالهم، وإنما يسألون سؤال تقرير، فيقال لهم: فعلتم كذا، قاله في «البهجة».

قال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم، لأن الله تعالى حفظها عليهم وكتبتها الملائكة.

وأجيب بأنهم لا يسألون سؤال استفهام بل سؤال تقرير.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٢٠) رقم ٩١٥ باختلاف وزيادة ونقص في بعض الألفاظ، وأبو داود (١/ ٢٩٠) رقم ٨٦٤ باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ، والترمذي (٢/ ٢٦٩) رقم ٤١٣، وقال: حديث حسن غريب والحاكم (١/ ٣٩٤) رقم ٩٦٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والنسائي (١/ ٢٣٣) رقم ٤٦٦، وابن ماجه (١/ ٤٥٨) رقم ١٤٢٥ .

(٢) أخرجه النسائي (٧/ ٨٣) رقم ٣٩٩١، وفي السنن الكبرى (٢/ ٢٨٥) رقم ٣٤٥٣، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٢٨٥) رقم ٥٤١٤، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٩١) رقم ١٠٤٢٥ بتقديم وتأخير وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٠٩) رقم ٨٢٦ وذكر له شواهد صحيحة.

وقيل: يسألون في موطن دون موطن، رواه عكرمة عن ابن عباس.

نظيره قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] وفي آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

فللناس يوم القيامة حالات، والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات، ومن ثم قال إمام أهل السنة سيدنا الإمام أحمد أعلى الله شأنه في الدارين، في أجوبته القرآنية، قال في كلامه على هذه الآية الكريمة: أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون، ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، فذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ الآية [السجدة: ١٢] فإذا أذن لهم في الكلام تكلموا واختصموا، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٨] أي عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٨] يعني في الدنيا، فإن العذاب مع هذا القول كائن، انتهى.

فائدة: اختلف العلماء عن المسئول عنه، والمسئول.

فقال ابن عباس: عن لا إله إلا الله، وقال الضحاك: عن خطاياهم.

وقال القرطبي: عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

قال الفخر: ولا معنى لقول من يقول: إن السؤال إنما يكون عن

الكفر والإيمان بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الأعمال، لأن اللفظ عام يتناول الكل، والضمير في قوله: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ عائد على جميع المكلفين، الأنبياء وغيرهم، ومما يدل على سؤالهم صريحاً قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

قال: فهذه الآية تدل على أنه تعالى يحاسب كل عباده، لأنهم لا يخرجون عن أن يكونوا مرسلين أو مرسلًا إليهم، ويبطل قول من زعم أنه لا حساب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الكفار، انتهى.

قال العلامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يمكن الجواب أن يقال: لا حساب على الأنبياء حساب مناقشة.

قال النسفي في (بحر الكلام): الأنبياء لا حساب عليهم، وكذلك أطفال المؤمنين، والعشرة المبشرة بالجنة، هذا في حساب المناقشة.

قلت: الحديث المار يدل على أن كل من لم يدخل النار لا يناقش في الحساب، فإن من نوقش الحساب عذب، وأما حساب العرض فلا يمتنع حتى على الأنبياء وغيرهم، وهو أن يقال: فعلت كذا، وعفوت عنك، وحساب المناقشة لم فعلت كذا؟

وقال القرطبي: وهذا العموم يعني عموم الآية مخصوص بأحاديث: من يدخل الجنة بغير حساب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقال شيخ مشايخنا الإمام العلامة المتقن «شيخ الإسلام محمد الأنصاري الخزرجي الحنبلي المعروف بالبلباني» قدس الله روحه في عقيدته ما نصه: ويحاسب المسلمون المكلفون إلا من شاء الله أن يدخل الجنة بغير حساب، وكل مكلف مسئول، ويسأل من شاء من الرسل عن

تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل، قال: فالكفار لا يحاسبون فلا توزن صحائفهم، وإن فعل كافر قربة من نحو عتق أو صدقة أو ظلمه مسلم، رجونا له أن يخفف عنه العذاب. انتهى.

ولعل مراده غير عذاب الكفر، وأما عذاب الكفر فلا.

وقال شيخ الإسلام قدس الله روحه في «عقيدته الواسطية»: ويحاسب الله الخلق، ويخلو بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، قال: وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها، ويقررون بها. انتهى.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما من عبد يخطو خطوة إلا ويسأل عنها ما أراد بها.

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «**إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة أن يقال له: ألم أصحح جسمك، وأرويك من الماء البارد؟ والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد**»[١] أخرجه البغوي.

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي وأبو نعيم عن الحسن مرفوعاً: «**ثلاث لا يحاسب بهن العبد، ظل خوص يستظل به، وكسرة يشتد بها صلبه،**

(١) أخرجه البغوي في تفسيره (١/ ٥١٩) وليس فيه «والذي نفسي بيده» إلى آخره، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٣٦٤) رقم ٧٣٦٤ والحاكم (٤/ ١٥٣) رقم ٧٢٠٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط (١/ ٢٦) رقم ٦٢، والترمذي (٥/ ٤٤٨) رقم ٣٣٥٨ وقال: هذا حديث غريب.

وثوب يواري به عورته»[١].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨]. قال: الأمن والصحة[٢].

ويروى: «أشد الناس حساباً: الصحيح الفارغ»[٣] وما كثر مال رجل إلا كثر حسابه.

والحاصل: أن العبد يسأل عن كل شيء.

ولقد أحسن من قال في ذلك:

ولو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا ... ونسأل بعده عن كل شيء

والظاهر أنه أراد بكل شيء لم يرد الشرع باستثنائه، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد (١٢)، وهناد في الزهد (٣١٧) باختلاف يسير في بعض الألفاظ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٦) رقم ١٠٣٦٨ بلفظ «خص يستظل به» وتقديم وتأخير، والطبري في تفسيره (١٢/ ٦٨٠ موقوفاً على الحسن وقتادة.

(٢) رواه هناد في الزهد (٣٦٤) عن ابن مسعود مرفوعاً، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٤٩) رقم ٤٦١٥ موقوفاً، والبغوي في التفسير (١/ ٥١٩)، وذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ٧٠٤).
وأخرجه الطبري في التفسير (١٢/ ٦٨٠ موقوفاً على سفيان والشعبي.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد موقوفاً على معاوية بن قرة (٤٦٧) رقم ١٣٢٦، والخطيب كذلك في اقتضاء العلم العمل (١٠٣) رقم ١٧٥ .

مطلب
أول خلق اللّه تعالى يحاسب يوم القيامة الدواب والبهائم
فصل في حساب البهائم

قال يحيى بن جعدة: أول خلق الله تعالى يحاسب يوم القيامة الدواب والهوام حتى يقضي الله بينها، حتى لا يذهب شيء بظلامة، ثم يجعلها تراباً، ثم يبعث الثقلين - الإنس والجن - فيحاسبهم، فيومئذ يتمنى الكافر ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

وذكر نحوه البغوي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وأخرجه الحاكم عن ابن عمرو قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحشر الله الخلائق - الإنس والجن، والدواب والوحوش - فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب حتى يقضي للشاة الجماء من القرناء بنطحتها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها: كوني تراباً، فيراها الكافر فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[1] [النبأ: ٤٠].

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن أبي هريرة قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة - البهائم والدواب والطير وكل شيء - فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول: كوني تراباً، فذلك حين يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

وقال مقاتل: يجمع الله الوحوش والهوام والطير، فيقضي بينهم حتى

---

(١) رواه الطبري في التفسير (١٢/ ٤١٨)، والبغوي في التفسير (١/ ٣١٨) موقوفاً.

يقضي للجماء من القرناء ثم يقول لهم: أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم، وكنتم مطيعين أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي كنتم، كونوا تراباً، فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً يتمنى، فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير، وكنت اليوم تراباً.

تنبيه:

ذكر البغوي عن عبد الله بن ذكوان قال: إذا قضى الله بين الناس وأمر أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار قيل لسائر الأمم ولمؤمني الجن عودوا تراباً، فيعودون تراباً، فحينئذ يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠] وبه قال ليث ابن سليم: مؤمنوا الجن يعودون تراباً.

قلت: والحق أن الجن كالإنس يدخل مؤمنهم الجنة وكافرهم النار.

قال الإمام العلامة شمس الدين محمد بن مفلح الراميني الحنبلي طيب الله ثراه في كتابه «الفروع» ما نصه: الجن مكلفون في الجملة إجماعاً، ويدخل كافرهم النار إجماعاً، ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقاً لمالك والشافعي، لا أنه يصير تراباً كالبهائم، وثوابه النجاة من النار، خلافاً لأبي حنيفة. وأطال.

وقال شيخ مشايخنا العلامة بدر الدين البلباني في «عقيدته»: والجن مكلفون يدخل مؤمنهم الجنة، وكافرهم النار انتهى.

وقال العلامة في «البهجة»: وبعضهم جعل مؤمني الجن كالبهائم في أنه إذا حاسبهم الله تعالى يعودون تراباً، والصواب لا.

وقال في موضع آخر: وقال بعضهم: لا ثواب للجن إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم، وهو قول أبي حنيفة، حكاه عنه ابن حزم إلى أن قال: والصواب أنهم يثابون على الطاعة، ويعاقبون

على المعصية وهو قول: ابن أبي ليلى ومالك، ونقل عن الأوزاعي، وأبي يوسف ومحمد، وهو مذهب أحمد والشافعي، وسئل ابن عباس هل لهم ثواب؟ فقال: نعم لهم ثواب وعليهم عقاب.

وعن عمر بن عبد العزيز: أن مؤمني الجن حول الجنة.

وقال الضحاك: يأكلون في الجنة ويشربون.

وقال مجاهد: يدخلونها ولكن لا يأكون ولا يشربون، ويلهمون التسبيح والتقديس، فيجدون فيه ما يجد أهل الجنة من لذيذ الطعام والشراب.

وقال بعض العلماء: إنا نراهم في الجنة، ولا يرونا عكس الدنيا. انتهى.

وأخرج الإمام أحمد، وأبو نعيم عن عمران الجوني قال: حدثت أن البهائم إذا رأت بني آدم قد تصدعوا من بين يدي الله صنفين، صنفاً إلى الجنة، وصنفاً إلى النار، تناديهم البهائم: الحمد لله الذي لم يجعلنا اليوم مثلكم، لا جنة نرجو، ولا عقاب نخاف.

وأخرج البخاري عن ابن عمر مرفوعاً: «**دخلت امرأة النار في هرة، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»(١).

فظهر أنه يقتص من الإنسان للبهائم.

وأخرج مسلم، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء -أي التي لا قرن- لها من الشاة القرناء**»(٢).

---

(١) البخاري رقم ٣٤٨٢، ومسلم رقم ٢٦١٩ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٥٨٢، والترمذي (٤/ ٦١٤) رقم ٢٤٢٠ وأحمد (٢/ ٣٧٢) رقم ٨٨٣٤، و(٤١١) رقم ٩٣٢٢ .

ورواه الإمام أحمد بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: «**يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء، وحتى للذرة من الذرة**»[١]. ورواته رواة الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا**»[٢]. وإسناده حسن. ورواه أيضاً هو وأبو يعلى عن أبي سعيد.

إذا علمت ذلك تبين لك أن حشر البهائم حق، وقد جرى بين العلماء في ذلك نزاع، وها نحن نذكر طرفاً من ذلك مبرهنين ومحققين على ما نعتمد عليه إن شاء الله تعالى.

قال ابن دحية في كتابه «الآيات البينات» اختلف الناس في حشر البهائم، وفي جريان القصاص بينها، فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: لا تجوز المقاصة بين البهائم لأنها غير مكلفة، وما ورد في ذلك من الأخبار نحو قوله ﷺ: «**يقتص للجماء من القرناء، ويسأل العود لم خدش العود**»[٣]. فعلى سبيل المثال والإخبار عن شدة التقصي في الحساب، وأنه لابد أن يقتص للمظلوم من الظالم.

وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: يجرى القصاص بينها، ويحتمل أنها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا.

---

(١) أحمد (٢/ ٣٦٣) رقم ٨٧٤١ باختلاف يسير جداً.

(٢) أحمد (٢/ ٣٩٠) رقم ٩٠٦٠، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٣٠) رقم ١٤٠٠ .

(٣) ذكره القرطبي في التذكرة (٣٠٨) في معرض حديثه عن القصاص يوم القيامة وقال في ذلك «وعضدوا ذلك بما روى في غير الصحيح» وذكر ذلك في التفسير (٦/ ٣٨٤)، وذكره كذلك منبهاً على عدم صحته الشوكاني في فتح القدير (٢/ ١٦٤).

قال ابن دحية: وهذا جار على مقتضى العقل والنقل، لأن البهيمة تعرف النفع والضر، فتفر من العصا وتقبل للعلف، وينزجر الكلب إذا زجر وإذا انشلى[١] استشلى، والطير والوحش تفر من الجوارح استدفاعاً لشـرها.

فإن قيل: القصاص انتقام والبهائم ليست مكلفة.

فالجواب: أنها ليست بمكلفة لكن الله تعالى يفعل في ملكه ما أراد، كما يسلط عليهم في الدنيا التسخير لبني آدم، والذبح لما يؤكل منها، ولا اعتراض عليه سبحانه، وأيضاً فإن البهائم إنما يقتص لبعضها من بعض، لا أنها لا تطالب بارتكاب نهي ولا مخالفة أمر، لأن هذا مما خص الله به العقلاء، ولما كثر النزاع في ذلك وكان فيه نوع إشكال على العقول نظرنا، فإذا هو سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] فنظرنا في القرآن فإذا فيه: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾ [التكوير: ٥] والحشر هو الجمع كما مر، ونظرنا في السنة فإذا هي مشحونة من الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة في ذلك مما ذكرناه آنفاً، فتحققنا أن الحق الذي لا محيد عنه، هو القول بما صرحت به السنة الغراء ولا التفات لمن خالفها.

قلت: وإذا تأمل العاقل في أحوال الحيوان انكشف له عن حقيقة ذلك ولاح له البرهان، فانظر في حال النملة كيف تحمل قوتها وتدخره لزمن الشتاء، وانظر إلى النحلة تجد أمراً يذهل العقول، فإنها تجني من الأنوار والأزهار، وتتنزه عن النجاسات والأقذار، وتطيع لواحد من جملتها وهو

---

(١) في المصباح المنير قال: أشليت الكلب وغيره إشلاء دعوته، وأشليته على الصيد مثل أغريته وزنا ومعنى. المصباح المنير مادة: شلا.

أكبرها شخصاً، وهو أميرها، ثم انظر إلى ما ألهمها الله من العدل والإنصاف، فإن كبيرها يقتل كل من وقع على نجاسة أو خالف أمراً أمر به، ثم تأمل في بنيانها بيتها من الشمع واختيارهـا الشكـل المسـدس لأنه أوسع الأشكال وأحواها، وكم في ذلك من حكمة تدق على فهم كل ذي فهم.

حكاية:

وروى أبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت عند كعب الأحبار وهو عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كعب: يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شيء قرأته في كتب الأنبياء - عليهم السلام - أن هامة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت: السلام عليك يا نبي الله، فقال: وعليك السلام، يا هامة أخبريني كيف لا تأكلين من الزرع؟ قالت: يا نبي الله إن آدم أخرج من الجنة بسببه، فقال: فكيف لا تشربين الماء؟ قالت: لأن الله غرق قوم نوح فيه، فمن أجل ذلك لا أشربه، فقال لها سليمان: كيف تركت العمران وسكنت الخراب؟ قالت: لأن الخراب ميراث الله، فأنا أسكن ميراث الله، قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨] فالدنيا ميراث الله كلها.

قال سليمان: فما صياحك في الدور إذا مررت عنها؟

قالت: أقول: ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد؟

قال: فما بالك لا تخرجين في النهار؟

قالت: من ظلم بني آدم أنفسهم.

قال: فأخبريني ما تقولين في صياحك؟

قالت: أقول تزودوا يا غافلين، وتهيئوا لسفركم، سبحان خالق النور.

قال سليمان: ليس في الطيور طير أنصح لابن آدم، وأشفق عليه من الهامة، وما على قلوب الجهال أبغض منها.

فانظر كيف تعرف أن أمام الناس شدائد.

وذكر في «حياة الحيوان» أن سيدنا سليمان عليه السلام مر على حمامة تغرد، فقال: أتدرون ما تقول هذه الحمامة؟

فقالوا: لا، فقال: إنها تقول:

يا ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لما خلقوا

وليتهم إذا علموا عملوا بما علموا

وأنشدت في ذلك ارتجالًا أبياتاً منها:

يا ذا النهى قد جاء في خبر نرويه عمن قبلنا سبقوا

إن ابن داود النبي رأى حمامة قد حفها الورق

تقول في تغريد نغمتها يا ليت هذا الخلق ما خلقوا

والحاصل: أن الله سبحانه وتعالى له حِكَمٌ يدق فهمها عن إدراك أولى الألباب.

فالواجب على كل موفق التسليم للنصوص الواردة في الكتاب العظيم، وفي سنة نبيه الكريم، حيث ثبتت عنه ﷺ بالأسانيد المقبولة، فإن طابقت العقل فبها ونعمت، وإلا علمنا أن ذلك العقل التي[1] لم يدرك كنه

(١) كذا بالأصل.

ذلك إنما لم يدرك ذلك لانحراف فيه، لا أن الحديث الثابت عن حضرة الرسالة يُرَد لعدم قبول عقل بعض الناس له، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

فصل في حساب الناس والإتيان بالشهود

قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

قال ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما: يسأل الناس جميعاً عما أجابوا المرسلين، والمرسلين عما بلغوا.

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

قال المفسرون: يعني الكتب التي فيها أعمال العباد.

وجيء بالنبيين: يسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الشهداء هنا: هم الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة إذا جحد أممهم، وقيل: الحفظة الموكلون بالعبد، وقيل: الذين يستشهدون في طاعة الله.

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

قال مكي: المراد به البر والفاجر.

وقال الضحاك: المشركون.

واختلفوا في السائق فقيل: ملك، وهو قول جل المفسرين كابن عباس وغيره.

وقيل: قرينها من الشياطين، وقد يستأنس له بخبر الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن**، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «**وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني**

إلا بخير»[١].

وأكثر الروايات فأسلم بالنصب أي فإنه أي قريني أسلم، وقيل: فأسلم بالرفع على أنه فعل مضارع أي فأسلم منه، والأول أظهر بدليل تمام الحديث: «**فلا يأمرني إلا بخير**».

وقال ابن عباس وجمع من المفسرين: المراد بالشهيد العمل.

وقال الضحاك: إنه من أنفسهم الأيدي والأرجل.

وقال مجاهد: السائق والشهيد ملكان.

إذا علم هذا فذكر العلماء رحمهم الله تعالى أن أول من يسأل اللوح المحفوظ، فإسرافيل، فجبريل، ثم أصحاب الشرائع.

وأخرج أبو الشيخ: أول من يحاسب يوم القيامة اللوح المحفوظ يدعى به ترعد فرائصه فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: إسرافيل، فيدعى إسرافيل ترعد فرائصه فيقال له: هل بلغك اللوح؟ فإذا قال: نعم، قال اللوح: الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب.

وأخرج أيضاً قال: إذا كان يوم القيامة دعي إسرافيل ترعد فرائصه فيقال ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: بلغت جبريل، فيدعى جبريل ترعد فرائصه، فيقال: ما فعلت فيما بلغك إسرافيل؟ فيقول: بلغت الرسل، فيؤتى بالرسل فيقال: ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغنا الناس، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ

---

(١) مسلم رقم ٢٨١٤، والدارمي في سننه (٢/ ٣٩٦) رقم ٢٧٣٤ .

ﭐلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] وفي رواية: فيقول جبريل: بلغت محمداً، فيأمر الله أن يقدم محمد بالرفق واللين، فتأتيه الملائكة مع جبريل وميكائيل وإسرافيل، فيقولون: أجب ربك عز وجل فيقول جبريل: يا محمد، تداركني فإن محبتي معك إنما كانت لأجل هذا اليوم، قال: فيأتي النبي ﷺ ويسجد بين يدي الله، فيقول الله لي: ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تشفع، فيقول الله: هل بلغك جبريل؟ فأقول: نعم، فيقول الله: وما صنعت بها؟ فأقول: بلغتها إلى أمتي، قال: فيأمر الله حتى تقدم أمتي[(١)]. الخبر وفي النفس منه شيء.

وأخرج البخاري، والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدعى نوح يوم القيامة فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم فتدعى أمته، فيقال لهم: هل بلغكم نوح؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا أحد. فيقال: من يشهد لك؟ فيقول محمد ﷺ وأمته، فذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٣]**».

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «**أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود - أي طلب وتمنى - أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه**»[(٢)].

---

(١) في الأحاديث الصحيحة ما يغنى عن هذا الكلام غير المسند، وانظر تعليق المصنف عليه.

(٢) البخاري رقم ٣٣٣٩، ٤٤٨٧، ٧٣٤٩، والترمذي (٥/ ٢٠٧) رقم ٢٩٦١، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٢) رقم ٤٢٨٤، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٩٢) رقم ١١٠٠٧ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (٢/ ٨)، وذكره ابن كثير في التفسير (١/ ٢٥٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٤٩) وعزياه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

قوله: «على كوم» هو الشيء المرتفع.

قال المفسرون: تشهد أمة محمد يوم القيامة للأنبياء على أممهم بالتبليغ، فيقول الله لهم: شهدتم على من لم تحضروا، فيقولون: أي ربنا أنت أعلم، جاءنا رسولك ونزل إلينا كتابك، فنحن نشهد بما عهدت إلينا وأعلمتنا به، فيقول الله: صدقتم.

وفي خطبته ﷺ في حجة الوداع: «**إنكم تسألون عني فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: «**اللهم اشهد**»[1]. صلى الله عليه وسلم[2].

* * *

(١) جزء من حديث رواه مسلم رقم ١٢١٨ .

(٢) في حاشية الأصل/ بلغ مقابلة.

فصل في شهادة الأعضاء والأزمنة والأمكنة

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ [فصلت: ٢١].

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: **«تدرون مم أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين عليك شهوداً، فيختم على فيه، ويقال لأركانه انطقي، فتنطق بأعماله فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل»**[١] أي أجادل وأخاصم وأدفع.

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: **«إن[٢] أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال»**[٣].

وأخرج ابن جرير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: يدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله، فيجحده ويقول: أي رب

---

(١) مسلم رقم ٢٩٦٩ بزيادة بعض الكلمات، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٥٨) رقم ٧٣٥٨.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على أول عضو من الإنسان يشهد.

(٣) رواه أحمد (٤/ ١٥١) رقم ١٧٤١٢، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٤٣٠) رقم ١٦٣٥، وفي الكبير (١٧/ ٣٣٣) رقم ٩٢١ وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٣٦) رقم ١٨٣٩٩ وقال: رواه أحمد والطبراني وإسنادهما جيد.

وعزتك لقد كتب عليَّ هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا، فيقول: لا وعزتك فإذا فعل ذلك ختم على فيه[(١)].

قال أبو موسى: فإني أحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمين، ثم تلى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وأخرج الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «**تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام[(٢)] وإن أول ما يتكلم من الآدمي فخذه**»[(٣)].

فهذا الحديث لم يبين أي فخذي المرء ينطق أولًا، والذي قبله أن أول ما ينطق من الإنسان فخذه اليمين، والذي قبله الشمال، ولعل ذلك يختلف باختلاف الأشخاص على أن حديث عقبة جزم بأن أول ما يتكلم من الإنسان فخذه من الرجل الشمال، وحديث أبي موسى لم يجزم، بل قال أحسب، وأيضاً حديث عقبة صرح برفعه إلى النبي ﷺ، ولا كذلك أبي موسى.

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٠/ ٤٥٧ موقوفاً على أبي موسى.

(٢) في حاشية الأصل/ هو بالكسر، ما يوضع على فم الإبريق ليصفي به ما فيه، فعال من الفدم وهو الشد. انتهى لغة. قلت وجاء في النهاية: الفدام ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه، أي أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم، فشبه ذلك بالفدام، وقيل كان سقاة الأعاجم إذا سقوا فدَّموا أفواههم أي غطوها. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة: فدم.

(٣) جزء من حديث رواه أحمد (٥/ ٣) رقم ٢٠٠٣٦ بلفظ «تحشرون ههنا وأومأ بيده إلى نحو الشام مشاة وركبانا وعلى وجوهكم تعرضون على الله تعالى، وعلى أفواهكم الفدام، وأول ما يعرب عن أحدكم فخذه» والطبراني في الكبير (١٩/ ٤٢٦) رقم ١٠٣٦ بنحو حديث أحمد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٣٦) رقم ١٨٤٠٠ وقال: رواه أحمد في حديث طويل ورجاله ثقات.

نعم هو في حكم المرفوع إلا أن حديث عقبة مقدم هنا على حديث أبي موسى لما ذكرنا، ولم أدر ما حكمة نطق الفخذ أولًا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصور نفسك أيها المغرور في ذلك المقام، وتأمل في حالتك إذا اشتد الزحام، ونطق أعضاؤك بما لممت به في غابر الأيام، فيا لها من ساعة ما أفظعها، وهتيكة ما أشنعها، شهدت عليك أعضاؤك بما عملت من الجرائم، ونطقت بذلك أبعاضك بما فعلت من المظالم وانتهكت من المحارم، فهذه لعمري الحسرة العظيمة والمصيبة الجسيمة.

وأنشدوا:

خليلي ما أقضي وما أنا قائل ... إذا جئت عن نفس بنفسي أجادل
وقد وضع الرحمن في الحشر عدله ... وسيق جميع الناس واليوم باسل
وجيء بجرم النار خاضعة له ... وتلت عروس عندها ومجادل
فيا ليت شعري ذلك اليوم هل أنا ... أسامح أم أجزي بما أنا فاعل
فإن أكُ مجزياً فعدل وحجة ... وإن يكُ غفران ففضل ونائل
فيا خير مأمول ويا خير راحم ... ويا خير من ترجى لديه الوسائل
تعطف على العاصين واغفر ذنوبهم ... فعفوك مأمول وجودك شامل
وصل على خير الأنام محمد ... صلاة بها تعطيه ما هو آمل

وقلت في المعنى:

كفى حسرة يا نفس لو كنت تعلمي ... شهادة أعضائي بما كنت تجرمي
ونادى مناد الحق ها أنت شاهد ... عليك وقد ختم العظيم على فمي
فوا خجلتي يا نفس في ذلك الملا ... إذا قيل هذا قد أتى بمحرم
فيا نفس توبي واتقي الله وارجعي ... وصومي وصلي واحفظي الله تسلمي

وقومي على الطاعات وارعي حدود من يراك وتوبي واتقي الله واندمي
ونوحي على الذنب القديم الذي مضى لعلك يا نفس لدى الله ترحمي
وإن كنت نفسي فاذكري الله واحذري محارمه طرا وصلي وسلمي
على المصطفى الهادي الأمين وآله وأصحابه ما عنَّ لي في ترنمي

قال المفسرون في قوله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] أنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد، فيقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فيقول الله لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] أنهم شركاء، ثم يختم على أفواههم، وتشهد جوارحهم بالكفر.

وأخرج أبو يعلى، والحاكم وصححه عن أبي سعيد ﵁ مرفوعاً: **«إذا كان يوم القيامة عير(١) الكافر بعمله، فيجحد ويخاصم، فيقال: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك وعشيرتك فيقول: كذبوا، فيقول: احلفوا فيحلفون ويصمتهم الله، ويشهد عليهم ألسنتهم فيدخلهم النار»**(٢).

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي وابن حبان، والبيهقي عن أبي هريرة ﵁ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] **أي تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على**

(١) في الأصل (يمر) وعند أبي يعلى (عُرِّف) وعند الحاكم (عير).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/٥٢٧) رقم ١٣٩٢، والحاكم (٤/٦٤٨) رقم ٨٧٩٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: على شرط مسلم.

ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا، فذلك أخبارها»[١].

وأخرج الطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «**تحفظوا**[٢] **من الأرض فإنها أمكم، وأنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة»**[٣].

وأخرج أبو نعيم عن معقل بن يسار مرفوعاً: «**ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادي فيه: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل غداً شهيد، فاعمل فيَّ خيراً أشهد لك به غداً، فإني لو قد مضيت لم ترني أبداً، ويقول الليل مثل ذلك»**[٤].

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه قال لعبد الرحمن: إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد يوم القيامة»[٥].

فائدة:

أخرج الأصبهاني في ترغيبه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤) رقم ٨٨٥٤ بزيادة بعض العبارات، والترمذي (٥/ ٤٤٦) رقم ٣٣٥٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٦/ ٥٢٠) رقم ١١٦٩٣، وابن حبان (١٦/ ٣٦٠) رقم ٧٣٦٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٦٤) رقم ٧٢٩٨.

(٢) في حاشية الأصل/ قف على ورود الخبر بأن الأرض أم البشر.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ٦٥) رقم ٤٥٩٦ عن ربيعة الجرشي وذكره الهيثمي (١/ ٥٥٠) رقم ١٢٤٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠٣، وذكره القرطبي في التذكره (٣٣١) وقال: غريب من حديث معاوية، تفرد عنه زيد العمي ولا أعلمه مرفوعاً عن النبي إلا بهذا الإسناد.

(٥) رواه البخاري رقم ٦٠٩.

حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب»[١].

وهذه بشارة عظيمة، فنسأل الله سبحانه أن يرزقنا توبة نصوحاً تمحو ما تقدمها من الذنوب والخطايا بمنه وفضله.

* * *

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤/ ١٧)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٨) رقم ٤٧٥٦ وصدره بصيغة التمريض.

فصل

في حساب المؤمن ومن يكلمه الله ومن لا يكلمه

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

قال حبر القرآن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه، فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته، فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته، فيرد عليه حسناته ويعذبه بسيئاته.

وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيعرض عليه صغارها ويخبأ عليه كبارها فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وهو يقر ليس ينكر، وهو مشفق من الكبائر أن تجيء، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: إن لي ذنوباً لا أراها هنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»**(١).

وفي الصحيحين: **«يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فينادى به على رؤوس الأشهاد:** ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ

---

(١) أخرجه مسلم رقم ١٩٠، والترمذي (٤/ ٧١٣) رقم ٢٥٩٦، وأحمد (٥/ ١٥٧) رقم ٢١٤٣٠.

﴿ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١)] [هود: ١٨]».

وأخرج البيهقي عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيستر ربه بينه وبين الناس، فيرى خيراً، فيقول: قد قبلت، ويرى شراً، فيقول: قد غفرت، فيسجد عند الخير والشر، فيقول الناس: طوبى لهذا العبد الذي لم يعمل شراً قط»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «**ليأتين ناس يوم القيامة ودوا أنهم استكثروا من السيئات، قيل: من هم؟ قال: الذين بدل الله سيئاتهم حسنات**»[(٣)].

وأخرج أبو نعيم عن بلال بن سعد قال: إن الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وإن تاب منها.

وأخرج الشيخان عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب يحجبه ولا ترجمان يترجم له، فيقول: أو لم أوتك مالاً؟ فيقول: بلى، فيقول: أو لم أرسل إليك رسولاً؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، وينظر عن يساره فلا يرى إلا النار، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار، فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة**»[(٤)].

قال العلماء: ذلك يكون على الصراط والنار محيطة به.

---

(١) رواه البخاري رقم ٢٤٤١، ومسلم رقم ٢٧٦٨ بزيادة يسيرة عن ابن عمر.

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (١٤/ ٦٢٧) رقم ٣٩٧٤٨، وعزاه للبيهقي وقال: هذا موقوف ولا يقوله إلا توقيفاً.

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٨١) رقم ٧٦٤٣، وقال: إسناده صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البخاري رقم ١٤١٣، ومسلم رقم ١٠١٦ باختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قال أعرابي: يا رسول الله، من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: الله قال: نجونا ورب الكعبة، قال: «وكيف يا أعرابي؟» قال: لأن الكريم إذا قدر عفا»[١].

وما أحسن ما قيل من الحكم المدونة: الكريم إذا قدر غفر، وإذا زللت معه ستر.

ومنها: ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام.

فائدة:

ذكر القرطبي في «التذكرة»: أن الله سبحانه وتعالى يكلم المسلمين عند الحساب من غير ترجمان إكراماً لهم، ولا يكلم الكافرين بل تحاسبهم الملائكة إهانة لهم، وتمييزاً عن أهل الكرامة.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إماماً ما يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفيَ له، وإلا لم يف له، ورجل يبايع رجلًا سلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى كذا وكذا فصدقه ولم يعط بها**»[٢].

فشمل هذا الحديث هؤلاء الثلاثة أشخاص.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٤٦) رقم ٢٦٢، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله/ ٣٩) رقم ٢٥، وذكره الشوكاني في كشف الخفاء (٢/ ٩٢٠) رقم ١٩٢٥ وقال: قال البيهقي وفيه محمد بن زكريا الغلابي، متروك، ويشبه أن يكون موضوعاً، ولكنه مشهور - يعني بين الزهاد ونحوهم - وأنا أبرأ من عهدته، يعني لا أقول بوضعه ولا بثبوته.

(٢) رواه البخاري رقم ٢٣٥٨، ٧٢١٢، ومسلم رقم ١٠٨ باختلاف في بعض الألفاظ.

فالأول: في غاية البخل والشح لأنه منع فضل ماء بالطريق، فلا شك أن هذا من أعداء الله، حيث منع ما لم يحتج إليه من هو محتاجاً إليه، والبخيل عدو الله من غير شك، فقبح الله البخل وأهله، ورحم الله أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز - قدس الله روحه - حيث قالت: أف للبخل لو كان قميصاً ما لبسته، أو كان طريقاً ما سلكته.

والثاني: في الغدر، ولا شك أن الغدر مذموم، وصاحبه من الخيرات محروم.

قال بعض العلماء: رب غادر لا تظفر يداه بغادر، وضاقت عليه من موارد الحركات فسيحات المصادر، وطوقه غدره طوق خزي، فهو على فكه غير قادر، وأوقعه في خطة خسف وورطة حتف، فماله من قوة ولا ناصر.

والثالث: الحلف بالله كذباً لا سيما بعد العصر، وهذا معلوم قبحه، فنسأل الله العافية.

وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل - أي فقير - مستكبر**»[1].

فلا شك أن هؤلاء الثلاثة أشخاص بالغوا في القبح، فإن الزنا من حيث هو قبيح، لكن من الشيخ الكبير الذي قد انطفت شهوته ولم يحمله على فعل هذه الكبيرة إلا مجرد العناد والحماقة أقبح، وكذلك الكذب إنما يحمل عليه الحاجة والطمع والخوف، ونحو هذه الأمور، ومن المعلوم أن

---

(١) رواه مسلم رقم ١٠٧، وأحمد (٢/ ٤٨٠) رقم ١٠٢٣٢ .

الملك لا يفتقر لشيء من هذه الأشياء، فالكذب قبيح ومن الملك أقبح، لكونه إنما فعله لعناده وحماقته، وكذلك الكبر قبيح، ومن الفقير الذي لم تتوفر له الأسباب الحاملة على الكبر أقبح، نعم إن تكبر الفقير على المتكبر بمعنى أنه لم ينخفض له من أجل دنياه، بل تنزه والتجأ إلى الله، فهذا من مكارم الأخلاق التي يحمد عليها من فعلها، فنسأل الله أن يمن علينا بالتوفيق لما يرضيه عنا بمنه وكرمه.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن سلمان رضي الله عنه مرفوعاً: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**»(١).

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني - بسند جيد - عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من ولي من أمور الناس شيئاً، فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة**»(٢). ومن هذا كثير، والله الموفق.

* * *

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٦) رقم ٦١١١ بلفظ «أشيمط» وفي الأوسط (٥/ ٣٦٧) رقم ٥٥٧٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٢٠) رقم ٤٨٥٢ .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٨) رقم ٢٢١٢٩ والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٢) رقم ٣١٦، وابن الجعد في مسنده/ ٣٣٦) رقم ٢٣٠٩ باختلاف يسير، وروى نحوه الحاكم (٤/ ١٠٥) رقم ٧٠٢٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإسناده شامي صحيح ووافقه الذهبي.

فصل

في سرعة الحساب وفيمن يدخل الجنة بغير حساب

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

روي أنه تعالى يحاسب الخلق في قدر حلب شاة، وفي مقدار فواق ناقة، وروي في مقدار لمحة، ذكره الزمخشري في كشافه.

قال الحسن: حسابه أسرع من لمح البصر، حكاه الثعلبي عنه.

وقيل: لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلائق يوم القيامة؟ قال: كما يرزقهم في يوم واحد.

وفي الحديث: «**لا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار**»[1].

قال بعضهم: من غريب حكم الآخرة أن الرجل يؤتى به إلى الله فيوقفه، وتوزن حسناته وسيئاته، وهو يظن أن الله لم يحاسب أحداً سواه، وقد حاسب في تلك اللحظة آلاف ألوف، وما لا يمكن حصره.

قال العلامة: قلت لعل السر في هذا وتقريبه للعقول، إن معنى الحساب قال المفسرون: تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم على ما قد نسوه.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٠/ ٤٩٥)، وذكره ابن كثير في التفسير (٣/ ٤١٨) والحاكم (٢/ ٤٣٦) رقم ٣٥١٦ موقوفاً على ابن مسعود وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قال: وهذا قريب للعقل جداً بأن يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب في لحظة واحدة. انتهى.

قلت: والحق أنه سبحانه يحاسبهم حساباً حقيقياً. وتوزن أعمالهم وزناً حسياً، ويخلو الباري عز وجل بكل عبد من عباده المؤمنين، ويقرره عن أعماله كما نطق بذلك الحديث الصحيح، والنص الصريح الثابت عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وأي حساب يصدر من الله لعباده حيث جعلتم الحساب مجرد خواطر وأوهام وتخيلات تمر بالأفهام؟

وقد قدمنا أن السماوات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، مع أنه ينزله الباري فيضعه حيث شاء من الأرض، فهذا العقل قد يرده لعدم تدبره، مع أن الحق ما صح به الحديث الثابت، فالذي ندين الله به التسليم لجميع ما صح عنه ﷺ، وتلقي جميع ذلك بالقبول من غير طعن في شيء مما ثبت عنه ﷺ، ونحمله على حقيقته، ونكل معنى ما أشكل من ذلك إلى الله، وأما هذه التخيلات، أي أن الله سبحانه إذا حاسب واحداً من خلقه فقد حاسب جميع الناس والخلائق، فالحامل عليه مجرد قصور عقول من لا يسلم للشريعة المطهرة، وأما من سلم لها فقد زال عنه الإشكال، واتضح له الحال، فهو إذا سمع حديث المصطفى ﷺ هش له فرحاً، ورقص قلبه له طرباً، لأنه كلام طبيب القلوب المرضي ﷺ.

وأخرج البزار والطبراني بإسناد صحيح عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«من نوقش الحساب هلك»**[1].

---

(١) رواه البخاري رقم ٤٩٣٩، ومسلم رقم ٢٨٧٦ عن عائشة رضي الله عنها، والبزار في مسنده (٦/ ١٦٠) رقم ٢١٩٨، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٨١) رقم ٦٦٧٦.

وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من نوقش الحساب عذب**» **فقلت: أليس يقول الله**: ﴿فَأَمَّا[١] مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝﴾ [الانشقاق: ٧-٩] فقال: إنما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك»[٢].

وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «**اللهم حاسبني حساباً يسيراً**». فلما انصرف - أي فرغ من صلاته - قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «**أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن يكفر عنه من سيئاته حتى الشوكة يشاكها**»[٣].

وأخرج الإمام أحمد في الزهد: «أوحى الله إلى داود أنذر عبادي الصديقين فلا يعجبون بأنفسهم، ولا يتكلون على أعمالهم، فإنه ليس أحد من عبادي أنصُبُه للحساب وأقيم عليه عدلي إلا عذبته من غير أن أظلمه».

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن ينجي أحداً منكم عمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»[٤].

وأخرجا أيضاً عن عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ قال: «**سددوا، وقاربوا،**

---

(١) في الأصل/ (وأما) والمثبت هو الصواب.

(٢) سبق ص ٦٦٦ .

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨) رقم ٢٤٢٦١ بلفظ «تشوكه» وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٧٢) رقم ٧٣٧٢، والحاكم (٤/ ٦٢٣) رقم ٨٧٢٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البخاري رقم ٥٦٧٣، ومسلم رقم ٢٨١٦ واللفظ له.

وأبشروا فإنه لا يدخل الجنة أحداً عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»**(١).

واستشكل هذا بقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وأجيب بحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، وأما أصل دخولها والخلود فيها فبرحمة الله جل وعز، بدليل ما روي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«تجوزون على الصراط بعفو الله، وتدخلون الجنة برحمة الله، وتقتسمون المنازل بأعمالكم»**(٢).

فنسأل الله بنور ذاته المقدسة أن يدخلنا الجنة برحمته، وأن يمن علينا بالنظر إلى وجهه من غير سابقة عذاب ولا محنة، إنه جواد كريم، رؤوف رحيم.

واعلم أن طائفة من هذه الأمة الشريفة تدخل الجنة بغير حساب، وذلك قبل حساب الخلق ووضع الموازين وأخذ الصحف.

فقد أخرج الشيخان عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: **«عرضت علي الأمم يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد، والنبي معه الرهط، فرأيت سواداً كثيراً، فرجوت أن يكون أمتي، فقيل هذا موسى ﷺ وقومه، ثم قيل انظر، فرأيت سواداً كثيراً فقيل لي: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة**

---

(١) سبق ص ٦٦٩ .

(٢) أخرجه هناد في الزهد (١٩٨) رقم ٣٢٣ موقوفاً على ابن مسعود وأخرج نحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٧٤) موقوفاً على عون بن عبد الله.

بغير حساب». فتفرق الناس، ولم يبين لهم رسول الله ﷺ فتذاكر أصحابه، فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكنا قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء أبناؤنا فقال رسول الله ﷺ: **«هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»** فقام عكاشة بن محصن فقال: أنا منهم يا رسول الله؟ وفي لفظ: ادع الله أن أكون منهم قال: **«نعم»** ثم قام آخر فقال: أنا منهم؟ فقال: **«سبقك بها عكاشة»**[1].

قال الإمام المحقق في كتابه: «الداء والدواء» قوله ﷺ: **«سبقك بها عكاشة»** لم يرد أن عكاشة وحده أحق بذلك ممن عداه من الصحابة، ولكن لو دعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب، وربما قام من لم يستحق أن يكون منهم فكان الإمساك أولى. انتهى.

فلا يفهم من هذا يعني قوله ﷺ: **«سبقك بها عكاشة»** أن عكاشة اختص بذلك دون غيره، بل لا يريد أن الرجل الذي سأل المصطفى ﷺ ليس من الذين يدخلون الجنة بغير حساب، كيف وهو كما فسره بعض العلماء أنه سعد بن عبادة، وأياديه في الإسلام مشهورة، ومناقبه أمام رسول الله مأثورة، ومن تأمل حاله لا سيما ما صدر منه يوم أحد وما تكلف، علم أنه أحق بذلك من كثير من الناس، بل نظير هذا ما ذكره الإمام المحقق قول سيدنا حذيفة رضي الله عنه لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنشدك الله هل سماني لك رسول الله ﷺ يعني في المنافقين؟ قال: لا، ولا أزكي بعدك أحداً.

قال المحقق في «الداء والدواء»: سمعت شيخ الإسلام قدس الله

---

(١) رواه البخاري رقم ٥٧٥٢، ومسلم رقم ٢٠٠ بزيادة بعض الكلمات.

روحه يقول: ليس مراده - أي حذيفة إني لا أبرئ غيرك من النفاق - بل المراد إني لا أفتح عليَّ هذا الباب، فكل من سألني هل سماني لك رسول الله ﷺ فأزكيه. انتهى.

فهذا نظير ما تقدم، وإلا فحاشا أن يكون حذيفة رضي الله عنه لا يبرئ أكابر الصحابة من النفاق، كيف وقد جزم المعصوم لكثير منهم بالجنة كالعشرة، وعبد الله بن سلام، والسبطين، وأبي سفيان بن الحارث، وغيرهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعين ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي**»[1].

قوله: «وثلاث حثيات من حثيات ربي» قال في «مشارق الأنوار»: «ويروى حفنات بالفتح وهو الغرف ملء اليدين، وقيل: الحثية باليد، والحفنة باليدين».

وأخرج الإمام أحمد والبزار والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ربي أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب**». فقال عمر: يا رسول الله، هلا استزدته؟ قال: «**قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا**». فقال عمر: فهلا استزدته؟ قال: «**قد استزدته فأعطاني هكذا**» وفرج بين يديه وبسط باعيه

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٢٦) رقم ٢٤٣٧ بلفظ «حثياته» وقال: هذا حديث حسن غريب وابن ماجه (٢/ ١٤٣٣) رقم ٤٢٨٦ .

وحثا، قال هشام: هذا من الله لا يدرى ما عدده[١].

وأخرج الطبراني والبيهقي عن عمرو بن حزم الأنصاري رضي الله عنه قال: تغيب عنا رسول الله ﷺ ثلاثاً لا يخرج إلا إلى صلاة مكتوبة ثم يرجع، فلما كان يوم الرابع خرج إلينا، فقلنا: يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه حدث حدث، قال: «**لم يحدث إلا خير، إن ربي وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم، وإني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيد، فوجدت ربي ماجداً كريماً، فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفا. قلت: يا رب، وتبلغ أمتي هذا؟ قال: أكمل لك العدد من الأعراب**»[٢].

ففي هذين الحديثين أن مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا، وعامة الأحاديث سواهما مع كل ألف من السبعين ألفاً سبعون ألفاً.

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب**». فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله زدنا قال: «**وهكذا**»، فقال عمر: يا أبا بكر إن شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة[٣].

ومن هنا يعلم أن في هذا الحديث حذفاً تقديره: وهكذا ثلاثاً أي

---

(١) أخرجه أحمد (١/١٩٧) رقم ١٧٠٦، والبزار في مسنده (٦/ ٢٣٤) رقم ٢٢٦٨، والطبراني في مسند الشاميين (٤/ ٣٨٢) رقم ٣٦١٣ بشيء من الاختصار، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٥٨) رقم ١٨٧١٣ وقال: رواه أحمد والبزار بنحوه والطبراني بنحوه وفي أسانيدهم القاسم بن مهران عن موسى ابن عبيد، وموسى ذكره ابن حبان في الثقات والقاسم بن مهران ذكره الذهبي في الميزان وباقي رجال إسناده محتج بهم في الصحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٥١) رقم ٢٦٨، ونحوه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٠٤) رقم ٧٧١ وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥٤٧ وقال عنه العراقي: فيه موسى بن عبيدة الرندي ضعيف.

(٣) رواه أحمد (٣/ ١٩٣) رقم ١٣٠٣ باختلاف، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٤٤)، وذكره الهيثمي (١٠/ ٧٥٦) رقم ١٨٧٠٧ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات على ضعف في أبي خلال الراس قليل.

ثلاث حثيات بدليل قول عمر: إن شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة، وقد جاء ذلك مصرحاً في رواية، والله أعلم.

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أنس مرفوعاً قال: «**إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دماً، فازدحموا على باب الجنة، فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء، كانوا أحياءً يرزقون، ثم ينادي مناد: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، ثم ينادى مناد الثانية: ليقم من أجره على الله، فليدخل الجنة.** قال: ومن الذي أجره على الله؟ قال: «**العافون عن الناس، ثم ينادى الثالثة: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة فقام كذا وكذا ألفاً، فدخلوها بغير حساب**»[1].

وفي مرفوع أسماء بنت يزيد: «**يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فيقوم مناد فينادي: أين الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء؟ فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: أين الذين كانت** ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ **[السجدة: ١٦] فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: ليقم الذين كانوا** ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ **[النور: ٣٧] فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون**»[2]. رواه ابن أبي الدنيا وغيره.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٨٥) رقم ١٩٩٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٨٧) وذكره الهيثمي (٥/ ٥٣٦) رقم ٩٥٣٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط في حديث طويل... وفي إسناده الفضل بن يسار، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه وبقية رجاله ثقات، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢١١) وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن.

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٥/ ١٧٩) رقم ٢٣٠٥، وهناد في الزهد (١٣٤) رقم ٣٦، والبيهقي في شعب الإيمان في مواضع متفرقة باختلاف في بعضها في (٣/ ١٦٩) رقم ٣٢٤٤ عن أسماء بنت يزيد، وفي (١٧٠) رقم ٣٢٤٦ عن عقبة بن عامر وفي (١/ ٤٥٣) رقم ٦٩٣ موقوفاً على الحسن.

وذكر الإمام الحافظ ابن رجب في كتابه «لطائف المعارف» قال: قد روي أن المتهجدين يدخلون الجنة بغير حساب. فذكر عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق سيعلم الخلائق اليوم من أولى بالكرم**»(١). فذكر الحديث.

قال الحافظ ابن رجب في (اللطائف): ويروى -يعني هذا الحديث- عن شهر بن حوشب عن ابن عباس من قوله.

ويروى نحوه من حديث أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة ابن عامر مرفوعاً وموقوفاً.

ويروى نحوه أيضاً عن عبادة بن الصامت وربيعة الحرشي والحسن وكعب من قولهم.

قال في (اللطائف): قال بعض السلف: قيام الليل يهون طول قيام يوم القيامة.

قال: وإذا كان أهله يسبقون إلى الجنة بغير حساب، فقد استراح أهله من طول الوقوف للحساب. والله أعلم.

وأخرج البزار عن زيد بن أرقم مرفوعاً: «**ما ابتلي عبد بعد ذهاب دينه بأشد من بصره، ومن ابتلي ببصره فصبر حتى يلقى الله لقي الله ولا حساب عليه**»(٢).

---

(١) انظر تخريج الحديث السابق وانظر ابن رجب في لطائف المعارف (٤٣).

(٢) ذكره الهيثمي (٣/ ٤٢) رقم ٣٨٤١ وقال: روه البزار وفيه جابر الجعفي وفيه كلام كثير وقد وثق.

وأخرج البخاري عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة**»[١]. يريد عينيه.

وفي حديث جابر: «من مات في طريق مكة ذاهباً أو راجعاً لم يعرض، ولم يحاسب»[٢].

وفي حديث أبي هريرة: يا رسول الله، هل فينا رجل يدخل الجنة بغير حساب؟ قال: «**نعم كل رحيم صبور**»[٣].

وفي حديث أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً: «**طالب العلم، والمرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب**»[٤].

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**إن شدة الجوع لا تصيب الجائع إذا احتسب**»[٥].

---

(١) رواه البخاري رقم ٥٦٥٣ .

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (١/ ٣٤٢) في ترجمة إسحاق بن بشر أبو يعقوب الكاهلي ترجمة رقم ١٧٢ قال عنه أبو بكر بن أبي شيبة وموسى بن هارون الحمال: إنه كذاب، وفي آخر الترجمة قال: وهو في عداد من يضع الحديث على أنه قد روى عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من مات في هذا الوجه من حاج أو معتمر لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة».
سنن الدارقطني (٢/ ٢٩٧) رقم ٢٨٧، والطبراني في الأوسط (٥/ ٣٠٥) رقم ٥٣٨٨، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٧٩) رقم ٤٦٠٨ وذكره الهيثمي (٣/ ٣٧٨) رقم ٥٢٧٣ وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وفي إسناد الطبراني محمد بن صالح العدوي ولم أجد من ذكره وبقية رجاله رجال الصحيح، وإسناد أبي يعلى فيه عائذ بن بشير وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٢٦٦)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٨٦)

(٤) ذكره الهندي في كنز العمال (١٠/ ١٦٠) رقم ٢٨٨٢٨، والألباني في السلسلة الضعيفة رقم ٣٢٥٣ وقال: موضوع.

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ١٥٥) في ترجمة محمد بن الفضل بن العباس رقم ١١٨٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٤٢).

وحديث أنس مرفوعاً: «**من مشي في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة عبادة سبعين حسنة، فإن قضيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب**»(١).

وعائشة مرفوعاً: «**من ربى صبياً حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله**»(٢).

وعطاء مرفوعاً: «**ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة إلا وقي عذاب القبر، وفتنة القبر ولقي الله ولا حساب عليه**»(٣). وتقدم، والله أعلم.

* * *

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٣٤٤) رقم ٣٣٥٢ بلفظ «من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة يخطوها سبعين حسنة» والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٧٨) في ترجمة عبد الرحيم بن زيد العمي بزيادة «ومحا عنه سبعين سيئة» وقال: لا يتابع عليه ولا على كثير من حديثه، وذكره الهيثمي (٨/ ٣٤٨) رقم ١٣٧٠٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحيم بن زيد العمي وهو متروك.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٢٩) رقم ٤٨٦٥، وفي الصغير (٢/ ٢٣) رقم ٧١١، وذكره الهيثمي (٨/ ٢٩٢) رقم ١٣٥٠٦ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه سليمان بن داود الشاذكوني وهو ضعيف. وابن عدي في الكامل (٣/ ٢٩٨) وقال: منكر بهذا الإسناد ولعل البلاء فيه من أبي عمير هذا فإنه ضعيف.

(٣) روى الترمذي (٣/ ٣٨٦) رقم ١٠٧٤ عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر» وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (٢/ ١٦٩) رقم ٦٥٨٢ والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٦٨) رقم ٣١٠٧، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٢٦٩) رقم ٥٥٩٥ بلفظ «برئ من فتنة القبر أو قال وقي فتنة القبر وكتب شهيداً».

الباب الخامس في الميزان

قال القرطبي في (تذكرته): قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها. انتهى.

قال العلامة البلباني في عقيدته: ونؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، وله لسان وكفتان توزن بهما صحائف الأعمال.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: توزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة. انتهى.

وقال العلامة في بهجته: الصحيح بأن المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل، خلافاً لبعضهم. انتهى.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦، ٧] أي راضٍ صاحبها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٨-١١].

فبئست الأم وبئس الابن ابنها، فنسأل الله العافية.

وقال: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٩].

وروي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشي عليه، فلما أفاق قال: إلهي من ذا الذي يقدر يملأ كفته حسنات؟ فقال: إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة واحدة، ذكره الفخر والثعلبي.

وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: إن ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم، لو وضعت السماوات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه[١].

قال العلامة: «في كلام ابن سلام إن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس، وهو كذلك، ارتضاه الأئمة». انتهى.

قال القرطبي: المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة، وصغائرهم [إن كانت لهم] في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً، وتثقل الكفة النيرة حتى لا ترفع، وترفع المظلمة ارتفاع الفارغة الخالية.

قال: وأما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة، وإن كان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الأخرى، فلا يقاومها إظهاراً لفضل المتقين، وذل الكافرين.

قلت: الحق أن الكفار لا يقيم الله لهم وزناً، والله أعلم.

وأخرج الحاكم وصححه عن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت**[٢]، **فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي، فتقول**

(١) في حاشية الأصل/ قف على أن الآخذ بلبان الميزان جبريل عليه السلام.

(٢) في الأصل (لوسعتهن).

الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»(١).

وأخرج البزار، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه أن ملكاً من ملائكة الله عز وجل موكل يوم القيامة بميزان ابن آدم فيؤتى به حتى يوقف بين كفتي الميزان فيوزن عمله، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق باسم الرجل: ألا سَعِدَ فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه نادى الملك: ألا شَقِيَ فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً(٢).

وذكر الثعلبي وغيره وابن جرير في تفسيره، وابن أبي الدنيا عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام.

وقال الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان، وهو بيد جبريل عليه السلام.

تنبيه:

اختلف العلماء رحمهم الله هل الميزان واحد أو أكثر. فقال الحسن ابن أبي الحسن البصري: لكل واحد ميزان، لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال بعضهم: الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨].

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٦٢٩) رقم ٨٧٣٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٧٤)، وفي مسند الحارث (٢/ ١٠٠٤) رقم ١١٢٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٣٥) رقم ١٨٣٩٤ وقال: رواه البزار وفيه صالح المري وهو مجمع على ضعفه.

قال: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، وللجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان.

ورده ابن عطية وقال: الناس على خلافه، وإنما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد.

وأجاب بعضهم عن جمع الموازين في الآية فقال: ذلك لكثرة من توزن أعمالهم وهو جمع تفخيم.

واختلف العلماء أيضاً في الموزون، فقيل: يوزن العبد مع عمله، وقيل غير ذلك.

والحق ما قدمناه عن شيخ مشايخنا البلباني: إنما الموزون صحف الأعمال، وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما، وصوبه العلامة في بهجته.

وقال الفخر: سئل رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة؟ فقال: «**الصحف**»(١) وهو مذهب المفسرين لقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨].

فعلى هذا فالثقل الذي يكون في الميزان إنما يكون في صحائف الأعمال.

وحكاه ابن عطية عن ابن أبي المعالي، قال: وهذا أقربها.

فائدة:

أخرج الترمذي، وابن حبان، وابن ماجه، والحاكم وصححه

---

(١) ذكره الفخر الرازي في تفسير هذه الآية من سورة الأعراف.

والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «**يصاح برجل من أمتي على رؤوس الأشهاد يوم القيامة**» وفي لفظ عند ابن الجوزي في «التبصرة» أنه قال ﷺ: «**إن الله عز وجل يستخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له**» وعند ابن الجوزي **عليه تسعة وتسعون سجلًا** ولفظ ابن الجوزي بالبناء للفاعل في (ينشر) ونصب (تسعة وتسعين سجلًا) **كل سجل منها مثل مد البصر، فيها خطاياه وذنوبه، فيقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله: بلى، إن لك عندنا حسنة، وأنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش**». وفي لفظ: «**فطاشت السجلات وتثقل**» وفي لفظ: «**وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء**»(١).

قال شيخ مشايخنا الإمام العلامة المتقن المحدث أوحد عصره ورئيس أهل الحديث في الديار الشامية، مفتي السادة الحنابلة، الشيخ تقي الدين عبد الباقي والد سيدي شيخ الإسلام أبي المواهب رحمهما الله تعالى: هذا حديث جليل له وقع في القلوب.

قال: وقال أبو الحسن الحراني لما أملى علينا حمزة الكناني هذا الحديث: صاح غريب من الحلقة صيحة فاضت فيها نفسه، قال: وأنا ممن

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٤) رقم ٢٦٣٩ وقال: هذا حديث حسن غريب وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٦١) رقم ٢٢٥، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٧) رقم ٤٣٠٠، والحاكم (١/ ٤٦) رقم ٩، وقال: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

حضر جنازته وصلى عليه، وهو جيد الإسناد، انتهى.

قال العلامة في (بهجته) ثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون إنما هو صحائف الأعمال، وهذا هو الحق كما قدمنا.

ونقل المفسرون عن مجاهد: أن المراد بالميزان العدل.

قال الفخر: ويروى مثله عن قتادة والضحاك، قال: وحكاه ابن جبير عن ابن عباس وبه قال الأعمش وكثير من المتأخرين.

ورده الفخر وقال: إن حمل الموازين على مجرد العدل، وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز، لا سيما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة في هذا الباب.

والمعروف عن ابن عباس خلاف ما ذكره ابن جبير عنه.

أخرج أبو الشيخ في تفسيره من طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الميزان له لسان وكفتان.

فالحاصل: أن الميزان محمول على الحقيقة وأنه واحد، وأن الموزون صحائف الأعمال.

فإن قيل: قد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**»[1]. فقد صرح بأن نفس الإنسان هو الموزون.

فالجواب: أن هذا ضربه ﷺ مثلًا للذي يغتر ببعض الأجسام، وهو

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٧٢٩، ومسلم رقم ٢٧٨٥ .

كناية عن قلة اكتراث الله بالأجسام، فإن الله لا ينظر إلى صوركم، وإنما ينظر للأعمال والقلوب، فكم من جسم وسيم وهو من أصحاب الجحيم، ومن ثم ورد: ما أفلح سمين، يروى أنه من كلام سيدنا الإمام الشافعي، قال: ما أفلح سمين إلا محمد الباقر؛ لأن السمن في الغالب إنما ينشأ عن غفلة القلب، وعدم التفكر في أحوال الدنيا والآخرة، والعاقل لا ينفك في هذه الدار عن توارد الأخبار، والتفكر فيما يقوم بأوده في هذه الدار، وما يتزود به لتلك الأسفار، ومن كانت حالته هذه فأنى له بالسمن؟

فنسأل الله العافية.

وقال بعض العلماء: إن الموزون نفس الأعمال بأن تجسد ثم توزن(١).

والصواب ما تقدم، على أن هذا لا ينافيه، والله أعلم.

فائدتان:

الأولى: قال النسفي: إن الإيمان لا يوزن، لأنه ليس له ضد يوضع في كفة الميزان الأخرى، لأن ضده الكفر، والإيمان والكفر لا يكونان في الإنسان الواحد.

---

(١) في حاشية الأصل/ قوله: ونحن نقول الذي يوزن ثواب الإيمان وثواب العمل الصالح إلخ، مخالف لما رجحه وقال إنه الحق من أن الموزون الصحف، وقوله رحمه الله: هذا الذي يظهر لي، ليس بظاهر لأن ثواب الأعمال إنما هو مسند رفع الدرجات في الجنة والنعيم المقيم فيها والنظر إلى وجه الحق سبحانه وتعالى وغير ذلك مما لا يحصى ولا يحصر، وهذا كله بعد الوزن والمحاسبة والمرور على الصراط، ودعوى أن الجنة وما فيها يوزن يحتاج إلى توقيف ليس للاستظهار فيه مثار انتهى - كاتبه/ محمد الباقاني.

قلت: قد تقدم أن كلمة الإخلاص توزن[١]، وهي من الإيمان، بل هي أس الإيمان، ونحن نقول: الذي يوزن ثواب الإيمان، وثواب العمل الصالح، هذا الذي يظهر لي، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال العلامة: قلت: وورد أن البكاء من خشية الله لا يوزن لعظمه عند الله.

أخرج الإمام أحمد «**أن النبي ﷺ نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي، قال: من هذا؟ قال: فلان. قال جبريل عليه السلام إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء فإن الله يطفئ بالدمعة الواحدة بحوراً من جهنم**»[٢].

وأخرج البيهقي «لو أن باكياً بكى في أمة من الأمم لرحموا، وما من شيء إلا له مقدار وميزان إلا الدمعة فإنها يطفأ بها بحار من جهنم»[٣].

وأخرج البزار والطبراني، والدارقطني، والأصبهاني عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتى يوم القيامة بصحف مختمة، فتنصب بين يدي**

(١) في حاشية الأصل/ قوله: قد تقدم أن كلمة الإخلاص توزن إلخ، هذا رد لكلام النسفي القائل أن الإيمان لا يوزن، ولا يخفى أن مرادهم بالإيمان التصديق وهو غير كلمة الإخلاص، على أن الذي تقدم في حديث الترمذي وابن حبان وابن ماجه والحاكم (فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إلا إلا الله) إلخ فالحديث ناص على أن الموزون البطاقة ولا كلمة الشهادة و. . . فلا يتم الرد على النسفي، على أنه مخالف لما أسلفه واعتمده من أن الموزون الصحف. فتأمل. انتهى. كاتبه/ محمد الباقاني.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (٢٧) وروى نحوه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٩٥) رقم ٨١٢، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٤٧) رقم ١٤ مرفوعاً، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٣٥) موقوفاً على يزيد بن ميسرة، وانظر تخريج الحديث التالي .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٩٤، ٤٩٥) رقم ٨١١، ٨١٢ عن مسلم بن يسار، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٨٩) رقم ٢٠٢٩٢ وروى نحو ابن عدي في الكامل (٢/ ٨٥) في ترجمة من اسمه تميم رقم ٣٠٥ وقال: تميم بن خرشف هذا لا أعرف له رواية غير هذا الحديث، وهذا الحديث لم يروه عنه غيره وهو منكر.

الله، فيقول الله: ألقوا هذه، فتقول الملائكة: وعزتك ما كتبنا إلاما عمل، فيقول عز وجل: إن هذا كان لغير وجهي، وإني لا أقبل اليوم إلا ما ابتغي به وجهي»(١).

فهذا الحديث دلنا على أن ما لم يقصد به وجه الله لا يوزن.

فنسأل الله بمنه وكرمه أن يرزقنا علماً وعملًا وإخلاصاً، فإنه لا سبيل لواحد من ذلك إلا بمعونة المالك.

الثانية: اختلف العلماء رحمهم الله تعالى ما الحكمة في وزن الأعمال مع أن الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء على وجه التفصيل والإجمال؟

فقال الثعلبي قولًا سنياً، وحاول وجهاً يصير به اللبيب مرضياً، فقال: ذلك لتعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر، ويعلم كل منهم زواده، أو امتحانهم بالإيمان في الدنيا، وجعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العقبى، وإقامة الحجة عليهم، وإلا فهو يعلم ما لديهم.

وقال العلامة: قلت: الأحسن أن يقال: الحكمة فيه إظهار العدل، وبيان الفضل، حيث إنه تعالى يزن مثاقيل الذر من أعمال العباد ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠] انتهى.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٩٧) رقم ٢٦٠٣ بلفظ: «ما رأينا إلا خيراً» بدل «ما كتبنا إلا ما عمل» والدارقطني في سننه (١/ ٥١) رقم ٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٥/ ١٨٤) وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٣٥) رقم ١٨٣٩٥، ١٨٣٩٦ وقال: رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، ورواه البزار.

أي عمل لك يصلح أن يحصل في الميزان؟ أي فعل لك إذا ظهر زان؟ ستعلم من يفتضح إذا نشر له الديوان، ستعرف خبرك إذا شهد الجلد والمكان بكل قبيح فعل أو كان.

فيا من اشتغل بدنياه عن الآخرة، واكتفى بالخزف عن الدرر الفاخرة، وباع لذة لا تفنى ولا تبيد بما لا يعدل مثقال حبة من الحديد، انتبه يا مسكين قبل أن ينصب الميزان، وتوقف يا حزين بين يدي الرحمن، فلا ثم صديق ينفع، ولا حميم يشفع إلا بإذن المنان ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أم من ذا الذي يأمن من مكره ولعنه؟ فكيف بك وقد أتيته فرداً ونصب الميزان، وما ثم ترجو أحداً؟

ولقد أحسن من قال في ذلك:

تذكر يوم تأتي الله فرداً وقد نصبت موازين القضاء
وهتكت الستور عن المعاصي وجاء الذنب مكشوف الغطاء

لطيفة:

ورد ما يقتضي تضعيف الحسنات إلى عدد معلوم، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقال: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] وذلك يقتضي أن الحسنة تتضاعف إلى سبعمائة حسنة.

وجاء أيضاً ما لا يقتضي العد كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقال: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] ولا شك أن الله يضاعف لمن يشاء ما شاء.

وأخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يروي

عن ربه تبارك وتعالى قال: «**إن الله سبحانه وتعالى كتب الحسنات والسيئات**[١] **ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**»[٢].

قال الحافظ ابن رجب في (شرح الأربعين): وفي هذا المعنى أحاديث متعددة، ثم ذكر حديث أبي هريرة عند الشيخين مرفوعاً «**يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف**»[٣]. هذا لفظ البخاري.

قلت: أفادنا هذا الحديث أن ترك السيئة بعد الهم بها إنما يكون حسنة إذا كان الترك من أجل الله كما نطق به الحديث، ومفهومه أنه إن لم يكن الترك من أجله تعالى فلا يكون ذلك حسنة، وهو كذلك.

واعلم أن الإنسان إذا هم بالحسنة يكون ذلك حسنة، لأن الهم بالمعروف معروف، وقد أحسن من قال:

لأشكرنك معروفاً هممت به ... فإن همك بالمعروف معروف
ولا ألومك إذ لم يمضه قدر ... فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

وإذا هم الإنسان بسيئة فتركها من أجل الله كان ذلك حسنة، فإن عزم

---

(١) في الأصل/ (السيئات والحسنات).

(٢) رواه البخاري رقم ٦٤٩١، ومسلم ١٣١ .

(٣) رواه البخاري رقم ٧٥٠١، ومسلم رقم ١٢٩ باختلاف كبير.

وصمم على فعل السيئة ثم لم يقدر عليها فلا يكون ذلك حسنة بل سيئة، فإن صمم على فعل السيئة ثم تركها من أجل الله فهذا ربما يقال: التصميم على فعل السيئة والرجوع عنه من أجل الله كفارة لذلك التصميم.

وقد بين الحافظ ابن رجب تفصيل ذلك في كتابه (شرح الأربعين) فليراجعه من شاء، والله أعلم.

وعن أبي عثمان النهدي قال: «قدمت إلى مكة حاجاً أو معتمراً فلقيت أبا هريرة رضي الله عنه فقلت: بلغني عنك أنك تقول: الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟ فقال: لم أقل ذلك ولكني قلت: إن الحسنة تضاعف بألفي ألف ضعف، ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]»[١].

قلت: خرجه الإمام أحمد وقال: قال أبو هريرة إذا قال الله تعالى: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فمن يقدر قدره؟ وروي عن أبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً.

وقد قال الحسن ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] أحب إلي من قول العلماء: من أن الحسنة الواحدة تضاعف مائة ألف حسنة، لأن التضعيف الذي قالوه يكون مقداره معلوماً، وأما على هذه العبارة التي في كتاب الله فغير معلوم.

* * *

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٥٢١) رقم ١٠٧٧٠، وفي (٢/ ٢٩٦) رقم ٧٩٣٢ مختصراً باختلاف في بعض الألفاظ وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٢٧) رقم ٣٤٧٠٣، وذكره الهيثمي (١٠/ ٢١٤) رقم ١٧١٨٨، و(٢١٥) رقم ١٧١٨٩ وقال: رواه أحمد بإسنادين والبزار بنحوه وأحد إسنادي أحمد جيد.

فصل

قال الله سبحانه وتعالى في حق الكافرين: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ﴾ [إبراهيم: ١٨] وقال فيهم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

هذا كله بالنسبة إلى الآخرة، وأما في الدنيا فإن الله مجازيهم بها، ففي مسلم عن أنس مرفوعاً: «**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطي بها ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**»(١).

وفي طريق آخر: «إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته»(٢).

قال العلامة: قلت: لكن لو أسلم الكافر فإنه يعتد بحسناته التي سلفت [في حال كفره] كما هو ظاهر الحديث.

هذا كلامه ولعل مراده بحسناته التي لا تحتاج إلى نية، وفيه - لولا سعة فضل الله ورحمته - إشكال.

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٨٠٨، بزيادة يسيرة وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٢٣١) رقم ٢٨٤٤ .

(٢) مسلم نفس الحديث السابق.

تنبيهان:

الأول: اختلف العلماء هل توزن أعمال الكفار أم الوزن خاص بالمؤمنين؟

فذهب بعضهم إلى الأول مستدلًا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]. أي يجحدون، قاله مجاهد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨، ٩]. وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ربما يستدل به من قال: بعدم وزن أعمالهم.

وأجاب القائلون بخلافه: بأن المراد وزناً يعتد به، فلا نكرمهم ولا نعطيهم، وهذا مجاز عن عدم الاعتداد بهم، كذا قيل.

والحق أنه لا يوزن لهم عمل، والله أعلم.

وفي كلام القرطبي تلويح لوجه الجمع وهو: أن بعض الكافرين يعجل بهم إلى النار، فلا يوزن لهم، كما أن بعض أهل الجنة يدخلون الجنة بغير حساب، فغير من يعجل به إلى النار يقام له وزن.

الثاني: تقدم عن النسفي أن الإيمان لا يوزن، وقدمنا في معارضته حديث البطاقة[1]، وليس فيها إلا كلمة التوحيد، وهي أس الإيمان، ولا يعلم أن الإنسان يدخل في الإيمان إلا بها في الجملة، ثم رأيت القرطبي

---

(١) في حاشية الأصل/ قوله: وقد قدمنا في معارضته حديث البطاقة. إلخ كتبنا بالهامش بأنه لا يعارض ما قاله النسفي ولا يرده وبينا وجهه فلا تغفل. انتهى. كاتبه

أجاب عن ذلك كالمنتصر لكلام النسفي تبعاً للحكيم الترمذي، فقال: إن كلمة التوحيد إنما تكون إيماناً أول مرة، وبعد ذلك تكون من حسناته.

قال: ويدل عليه قوله في الحديث: «بلى إن لك عندنا حسنة» ولم يقل: إن لك إيماناً.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن لا إله إلا الله أمن الحسنات هي؟ فقال: **«من أعظم الحسنات»**[١]. خرجه البيهقي وغيره.

فبعد ما حصل للإنسان الإيمان فالنطق بلا إله إلا الله إنما هو حسنات توضع في الميزان انتهى ملخصاً.

وفيه نظر يظهر بالتأمل، والله أعلم.

لطيفة:

حكى القرطبي عن بعضهم أنه قال: رأيت بعضهم في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: وزنت حسناتي فرجحت السيئات على الحسنات، فجاءت صرة من السماء فسقطت في كفة الحسنات فرجحت، فحللت الصرة فإذا فيها كف تراب كنت ألقيته في قبر مسلم[٢].

* * *

(١) رواه أحمد (٥/ ١٦٩) رقم ٢١٥٢٥ عن أبي ذر بلفظ «هذ أفضل الحسنات» وفي الزهد (٢٧)، والطبراني في الدعاء (٤٣٩) رقم ١٤٩٩ وذكره الهيثمي (١٠/ ٨٦) رقم ١٦٧٩٧ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن شهر بن عطية حدث به عن أشياخه عن أبي ذر ولم يسم أحداً منهم.

(٢) لا يجوز أن يكون هذا المنام سنداً لهذا العمل إذ المنامات ليست أدلة أو حججاً شرعية.

الباب السادس
في ذكر الصراط

وهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار، وخلق من حين خلقت جهنم.

قال القرطبي: اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم، ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو تلتقطه عنق النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه - ولا يخلص عنه إلا المؤمنون الذي علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم - حبسوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله تعالى، لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم التي يسقط فيها من أوبقه ذنبه، وأزكى - أي زاد على الحسنات - جرمه وغيه.

وأخرج البخاري والإسماعيلي في مشيخته عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»(١).

وأخرج أبو داود واللفظ له والحاكم وقال: صحيح على شرطهما لولا

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٣٥، وأحمد (٣/ ١٣) رقم ١١١١٠، وفي (٦٣) رقم ١١٦٢١، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٤٦٠) رقم ٧٤٣٤، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٤٠٤) رقم ١١٨٦.

إرسال فيه بين الحسن وعائشة رضي الله عنها قالت: ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك؟**» قلت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز**»(١).

وأخرج الترمذي وقال حسن غريب، والبيهقي في «البعث» عن أنس رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي في يوم القيامة، فقال: «**أنا فاعل إن شاء الله تعالى**. قلت: فأين أطلبك؟ قال: **أول ما تطلبني على الصراط**، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: **فاطلبني عند الميزان**، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: **فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن**»(٢).

وأخرج الحاكم وصححه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعاً: «**يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت**(٣)**، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حد الموسي، فتقول الملائكة: من يمشي على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك...**»(٤).

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٦٥٤) رقم ٤٧٥٥، والحاكم (٤/ ٦٢٢) رقم ٨٧٢٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، وتقدم.

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٦٢١) رقم ٢٤٣٣ وقال: هذا حديث حسن غريب، وأحمد في (٣/ ١٧٨) رقم ١٢٨٤٨ .

(٣) في الأصل (لوسعتهن).

(٤) سبق ص ٧١٦ .

وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن عبد الله رضي الله عنه: **«يوضع الصراط على سواء جهنم، مثل حد السيف المرهف، مدحضة -أي مزلقة- مزلة - أي لا تثبت عليه قدم بل تزل- عليه كلاليب من نار يختطف أهلها فممسك**[١] **يهوي فيها، ومصروع، ومنهم من يمر كالبرق، فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كجري الفرس، ثم كسعي الرجل ثم كرَمَل الرجل، ثم كمشي الرجل، ثم يكون آخرهم إنساناً رجل قد لوَّحته النار ولقي فيها شراً حتى يدخله الله الجنة بفضل رحمته، فيقال له: تمن وسل**[٢]**؟ فيقول: أي رب أتهزأ مني وأنت رب العزة؟ فيقال له: تمن وسل، حتى إذا انقطعت به الأماني قال: لك ما سألت ومثله معه»**[٣].

قال الحافظ المنذري: وليس في أصلي رفعه.

وفي حديث أبي هريرة عند البخاري: **«فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان»**[٤] الحديث.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً عند الشيخين ولفظه لمسلم: **«ثم يضرب الصراط على جسر جهنم، وتحل الشفاعة، وتقولون: اللهم سلم سلم»** قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: **«دحض مزلَّة»** أي

(١) في الأصل (فتمسك).
(٢) في الأصل (واسأل).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٣) رقم ٨٩٩٢، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٣٠) رقم ٥٤٨٩ وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن.
(٤) سبق ص ٦٧٣ .

بإسكان الحاء هو الزلق، والمزلة المكان الذي لا تثبت عليه القدم إلا زلت كما تقدم «**فيه خطاطيف وكلاليب، وحسكة** - تكون بنجد فيها شوكة يقال لها السعدان - **فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مكردس، ومكدوش** -أي مدفوع- **في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده: ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانه الذين في النار**»[(١)].

وفي رواية: «**فما أنتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم**». فيقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار[(٢)]. . . الحديث، ويأتي تمامه إن شاء الله تعالى.

قال القرطبي: معنى يخلص المؤمنون من النار أي يخلصون من الصراط المضروب على النار، ودل هذا الحديث على أن المؤمنين في الآخرة مختلفون الحال.

قال مقاتل: إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وفي حديث الشفاعة المار عند مسلم عن حذيفة، وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعاً وفيه: «**فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له، وترسل معه الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالًا، فيمر أولكم كالبرق** -قال:

(١) مسلم رقم ١٨٣، والبخاري ٨٠٦ .

(٢) البخاري رقم ٧٤٣٩ .

قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج، ومكدوش -أي مدفوع دفعاً عنيفاً- في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده: إن قعر جهنم لسبعون خريفاً[١].

وفي مرفوع ابن مسعود عند ابن أبي الدنيا، والطبراني، والحاكم: «والصراط كحد السيف، دحض مزلة، قال: فيقولون: انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الرجل ويرمل رملًا، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدميه تخر يد وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل فتصيب جوانبه النار»[٢].

وعن عبيد بن عمير عن النبي ﷺ قال: «**الصراط على جهنم مثل حرف السيف بجنبتيه الكلاليب والحسك، فيركبه الناس فيختطفون، فوالذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر**»[٣]. رواه البيهقي مرسلًا وموقوفاً على عبيد بن عمير أيضاً.

وأخرج الحاكم وصححه، وقال: على شرط مسلم، عن أبي هريرة

---

(١) رواه مسلم رقم ١٩٥ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٧) رقم ٩٧٦٣، والحاكم (٢/ ٤٠٨) رقم ٣٤٢٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي.

(٣) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٣٢) وقال: رواه البيهقي مرسلًا وموقوفاً على عبيد بن عمير أيضاً.

رَضِّيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: **«يلقى رجل أباه يوم القيامة فيقول يا أبت أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن، فيقولك هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم، فيقول: خذ بإزرتي، فيأخذ بإزرته ثم ينطلق حتى يأتي الله تعالى وهو يعرض بين الخلق، فيقول: يا عبدي ادخل من أي أبواب الجنة شئت، فيقول: أي رب وأبي معي؟ فإنك وعدتني أن لا تخزني، قال: فيمسخ أباه ضبعاً فيهوي في النار، فيأخذ بأنفه فيقول الله: يا عبدي، أبوك هو؟ فيقول: لا وعزتك»**[(١)].

قال الحافظ المنذري: وهو في البخاري إلا أنه قال: يلقى إبراهيم أباه آزر فذكر القصة انتهى.

قلت: في صحيح البخاري في موضعين: في أحاديث الأنبياء، وفي التفسير عن إسماعيل بن عبد الله، قال: حدثني أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أن يكون أبي في النار؟ فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ[(٢)] متلطخ، فيؤخذ بقوائمه ويلقى في النار»**[(٣)].

قال العلماء: والحكمة في كونه مسخ ضبعاً دون غيره من الحيوان،

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٦٣٢) رقم ٨٧٥٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي والطبراني في الأوسط (٤/ ٥٦) رقم ٣٥٩٩ .

(٢) الذيخ: الذكر من الضباع الكثير الشعر، والجمع أذياخ وذيوخ وذِيَخَةٌ، والأنثى ذيخة والجمع ذيخات. لسان العرب مادة: ذيخ.

(٣) البخاري رقم ٣٣٥٠ .

أن الضبع أحمق الحيوان، ومن حمقه أنه يغفل عما يجب له التيقظ، ولذلك قال علي رضي الله عنه لا أكون كالضبع يسمع الكدم فيخرج له حتى يصاد. والكدم: الضرب الخفيف.

فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه، وقبل خديعة عدوه الشيطان، أشبه الضبع الموصوفة بالحمق، لأن الصيادين إذا أرادوها رموا في جحرها الحجر، فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك، ويقال لها وهي في جحرها: اطرقي أم طريق، خامري أم عامر[1]، استتري بجراد عطلي وشاة هزلي، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصياد فيربط يديها ورجليها ثم يجرها، وحمق الضبع أشهر من أن يذكر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال القرطبي: روي عن بعض أهل العلم أنه قال: لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل عن سبع قناطر؛ فأما القنطرة الأولى فيسأل عن الإيمان بالله وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها مخلصاً - والإخلاص قول وعمل - جاز، ثم يسأل على القنطرة الثانية، عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان، فإن جاء به تاماً جاز، ثم يسأل في الرابعة عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما تامين جاز إلى القنطرة السادسة، فيسأل عن الغسل والوضوء، فإن جاء بهما تامين جاز، ثم يسأل في السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسأل عن ظلامات الناس.

فيا من غره طول الأمل ولم يتزود لمعاده من العمل، افتكر يا مسكين

---

(١) من كنى الضبع - انظر - مجمع الأمثال للنيسابوري (١/٢٣٨) رقم ١٢٦٥ .

فيما أمامك، واغتنم في الحياة أوقاتك وأيامك، وانظر إذا صرت على الصراط هل تكون من أهل الفوز أو الانحطاط؟ وإذا نظرت إلى جهنم تحتك سوداء مدلهمة هل يبقى لك من همة؟ والحال أنه قد لظى سعيرها وعلا لهيبها وزفيرها، وأنت على متنها، ودمعك يجري، تمشي تارة، وتزحف أخرى.

ولله در القائل حيث قال:

أبت نفسي تتوب فما احتيالي إذا برز العباد لدى الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى بأوزار كأمثال الجبال
وقد نصب الصراط لكي تجوزوا فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن تلقاه العرائس بالغوالي
يقول له المهيمن يا وليي غفرت لك الذنوب فما تبالي

وقال الآخر:

إذا مد الصراط على جهنم تصول على العصاة وتستطيل
فقوم في الجحيم لهم ثبور وقوم في الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف الغطاء وطال الويل واتصل العويل

وجاء في الحديث الشريف: إنه إذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت العرش: يا فطرة الملك الجبار، جوزوا على الصراط، وليقف كل عاص منكم وظالم، فيا لها من ساعة ما أعظم خوفها، وما أشد حرها وحوفها، يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفاً مهيناً، ويدحض من كان عظيماً مكيناً، ثم يؤمر بجميعهم بعد ذلك بالجواز على الصراط على قدر أعمالهم، في ظلمتهم وأنوارهم، فإذا عصف بأمتي نادوا: وامحمداه وامحمداه فأبارز من شدة إشفاقي عليهم، وجبريل آخذ حجزي، فأنادي

رافعاً صوتي: رب أمتي، لا أسألك اليوم نفسي، ولا فاطمة ابنتي، والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره وينادون: رب سلم، وقد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال، والعصاة يتساقطون عن اليمين وعن الشمال، والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال، وينادونهم: أما نهيتم عن كسب الأوزار؟ أما خوفتم عذاب النار؟ أما أنذرتم كل الإنذار؟ أما جاءكم النبي المختار؟»[١] ذكر ذلك الإمام ابن الجوزي في كتابه «روضه المشتاق».

فائدة:

في قول الرسل عليهم الصلاة والسلام على الصراط: «رب سلم» إشارة إلى عظم شأن السلامة، لا سيما يومئذ، فمن سلم حينئذ فقد فاز، ومن ثم قال بعضهم: «العاقل لا يعدل بالسلام شيئاً».

ومن ثم قيل:

وقائلة ما لي أراك مجانباً ... أموراً فيها للتجارة مربح
فقلت لها ما لي بربحك حاجة ... فنحن أناس بالسلامة نفرح

فالرسل عليهم الصلاة والسلام اقتصروا على طلب السلامة، لأنها عين الغنيمة والكرامة.

تنبيه:

زعم بعض الناس أن كون الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف راجع إلى اليسر والعسر على قدر الطاعات والمعاصي، وأنكر أن يكون الصراط بهذه الصفة، واستدل على ذلك بما وصف من أن الملائكة يقومون

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (٣٨١) وعزاه إلى ابن الجوزي كما ذكر المصنف، وما أظنه حديثاً مرفوعاً.

بجنبيه، وأن فيه كلاليب، وحسكاً. وأن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يبرك ثم يقوم.

وهذا مردود، والإيمان بما وصفنا من صفات الصراط بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف واجب، والقادر على إمساك الطير في الهوى قادر أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه، وهذا بساط سيدنا سليمان عليه السلام كان يجلس عليه الملأ من جنده وهو بين السماء والأرض.

وأي وجه يلجئنا إلى العدول عن الحقيقة إلى المجاز، مع اعترافنا بأن القدرة صالحة ولا شيء يكثر على الله كيف وهو الفاعل المختار، فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، فمن اعترف بأن الله على كل شيء قدير علم أن ذلك حق، وإنما يخيل لبعض النفوس استحالة ذلك لعدم ألفها ذلك مع قلة معرفتها لله سبحانه.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا علماً ربانياً، يقذفه في قلوبنا، ومعرفة تامة ومحبة كاملة، فمن رزق ذلك فاز، ومن لا فله الويل والثبور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال ابن اليمان: رأيت رجلًا نام وهو أسود الرأس واللحية، شاب يملأ العين، فرأى في منامه كأن الناس قد حشروا، وإذا بنهر من نار وبجسر يمر الناس عليه، فدعي فدخل الجسر فإذا هو كحد السيف يموز به يميناً وشمالًا، فأصبح أبيض الرأس واللحية.

فيا من أعجبه اللهو والانبساط، هلا افتكرت في شدة المرور على الصراط؟ ويا من نام ليله الطويل ولم يرض من دنياه بالقليل هلا تزودت ليوم تشخص فيه القلوب والأبصار؟ واتخذت لك مساعداً على ركوب تلك الأسفار؟ فإنه ليس ثم مساعد ولا رفيق موادد، سوى تقوى العزيز الغفار،

انتبه لتلك الأوقات، واعتبر بمن قبلك قد مات، هل بلغ منهم أحد الأوطار، وهل نجا منهم من الموت من أحد هدَى أو طار، كلا والله لولا الغفلة والأمل لما قر لذي لب قرار.

وأنشدوا:

أجنب جياداً من الدنيا مضمرة ... للسبق يوم يفوز الناس بالسبق
تمر مر الرياح الهوج عاصفة ... أو لمحة البرق إذ يلتاح بالأفق
واركض إلى الغاية القصوى وخل لها ... عنان صدق رمي في الفتنة الصدق
كم جل عزمك من دنيا معوجة ... بقصدك اليوم عن مسلوكة الطرق
وفاز من فاز لا حزن ولا فرق ... وخلفوك حليف الحزن والفرق
يا غافلًا والمنايا منه في فكر ... وضاحكاً والردى يبغيه في حنق
قطعت عمرك في لهو وفي سنة ... ومن أمامك ليل دائم الأرق
ورب رأي تراه اليوم من سفه ... عقلًا تراه غداً في غاية الخرق
فاضرع إلى الله واطلب عفوه فعسى ... ينجيك عند اشتمال الخوف والقلق
واسأله أزكى تحيات مضاعفة ... على النبي الوفي الطيب الخلق
عليه خير صلاة لا نفاد لها ... يزري تعطرها بالمندل العبق

فائدة:

أخرج الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: «شعار المؤمنين على الصراط سلم سلم»[1]. وقال: حديث غريب.

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٢١) رقم ٢٤٣٢ بلفظ «المؤمن»، وقال: هذا حديث غريب والطبراني في الكبير (٢٠/ ٤٢٤) رقم ١٠٢٦ بلفظ «أمتي»، وعبد بن حميد في مسنده (١٥١) رقم ٣٩٤ بلفظ «المسلمين» وكذا الحاكم (٢/ ٤٠٧) رقم ٣٤٢٢ بزيادة «المستقيم» وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وذكر الحافظ عبد الحق الأشبيلي في «العاقبة» أنه ذكره الحارث بن أبي أسامة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

وذكر ابن عساكر عن الفضيل بن عياض قال: بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة، خمسة آلاف صعوداً، وخمسة آلاف هبوطاً، وخمسة آلاف مستوي، أدق من الشعرة، وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله[(١)].

قالت المعتزلة: هذا لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين.

قلنا: أما عدم إمكان المرور عليه فمردود بما مر.

وأما كونه تعذيباً للمؤمنين فباطل، إذ المؤمن لا يحصل له بذلك ألم ولا عذاب، وإنما العذاب على من رفض السنة والكتاب، ورجع إلى رأيه، ونبذ السنة إلى ورائه، والذي أضل هؤلاء عقولهم القاصرة عن معرفة ربهم، وقدرته الباهرة، فنسأل الله سبحانه التمسك بالكتاب والسنة، ومعرفة تمازج قلوبنا حتى يسكن القلب له لا لغيره.

وأخرج الطبراني - بسند حسن - عن أبي أمامة مرفوعاً: «**يجيء الظالم يوم القيامة، حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظلمة والوعرة لقيه المظلوم فعرفه وعرف ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظُلموا يقضون من الذين ظَلموا حتى ينزعوا ما في أيديهم من الحسنات، فإن لم يكن لهم حسنات أدرك عليهم من سيئاتهم حتى يورَدوا الدرك الأسفل من النار**»[(٢)].

---

(١) ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨/ ٣٩٥).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ١١٨) رقم ٥٩٧٦ وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٤٢) رقم ١٨٤١٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا.

وأخرج ابن المبارك وأبو نعيم، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه: «يؤتى بالعبد والأمة يوم القيامة فينصبان على رؤوس الأولين والآخرين، فينادي مناد: هذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه، فترجو المرأة أن يدور لها الحق على ابنها وأخيها ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فيغفر الله ما شاء من حقه، ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً، فيقول: رب فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم؟ فيقال: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق بقدر طلبته، فإن كان ولياً لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخل الجنة، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وإن كان عبداً شقياً قال الملك: رب فنيت حسناته وبقي طالبون كثيرون، قال: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكاً إلى النار»[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه ليكون للوالدين على ولدهما دين، فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به، فيقول: أنا ولدكما فيودان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك**»[٢]. رواه أبو نعيم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه، فيقول: ما لك إليَّ وما بيني وبينك معرفة؟ فيقول: كنت تراني على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهاني[٣].

---

(١) أخرجه بن المبارك في الزهد (٤٩٧) باختلاف في بعض الألفاظ وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٠٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨/ ٢٨٥) كلهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٠٢)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢١٩) رقم ١٠٥٢٦، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٤٣) رقم ١٨٤٢١ وقال: رواه الطبراني عن عمرو بن مخلد عن زكريا بن يحيى الأنصاري ولم أعرفهما، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٣) ذكره القرطبي في التذكرة (٣٠٨) موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه.

فانظر رحمك الله في هذا الحديث الذي يكاد أن يقصم ظهر من له لب، ويعضد هذا الخبر ما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقابه**»[١].

وفي حديث عن أبي هريرة عنه ﷺ أنه قال: «**لتأمرن بالمعروف، ولتنهون[٢] عن المنكر، أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم**»[٣].

وقال مالك بن دينار: «قرأت في التوراة من كان له جار يعمل بالمعاصي فلم ينهه فهو شريكه».

وقال مسعر: «أمر ملك أن يخسف بقرية فقال: يا رب فيها فلان العابد، فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه فيَّ ساعة قط»[٤].

فهذا يدل لما ذكر، والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢) رقم ١، وأبو داود (٢/ ٥٢٥) رقم ٤٣٣٨، والترمذي (٤/ ٤٦٧) رقم ٢١٦٨ وقال: هذا حديث صحيح وابن حبان في صحيحه (١/ ٥٣٩) رقم ٣٠٤، وأبو يعلى في مسنده (١/ ١٢٠) رقم ١٣٢ .

(٢) في الأصل/ (ولتنهن).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ٩٩) رقم ١٣٧٩، والبزار في مسنده (١/ ٢٩٢) رقم ١٨٨، والحارث في مسنده (٢/ ٧٦٧) رقم ٢٦٧ وذكره الهيثمي (٧/ ٥٢٦) رقم ١٢١٣٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه حبان بن علي وهو متروك وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٣٦) رقم ٧٦٦١ مرفوعاً من حديث جابر بلفظ «أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن أقلب مدينة كذا وكذا على أهلها، قال: فإن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين، قال: أقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر لي ساعة قط» والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٩٧) رقم ٧٥٩٥، وذكره الهيثمي (٧/ ٥٣٢) رقم ١٢١٥٦، وقال: رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبيد بن إسحاق العطار عن عمار ابن سيف وكلاهما ضعيف، ووثق عمار بن سيف ابنُ المبارك وجماعة، ورضي أبو حاتم عبيد بن إسحاق.

وأخرج ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر، قال: «**ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟** فقال فتية منهم: بلى، يا رسول الله، بينا نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها، فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده قال: يقول رسول الله ﷺ: «**صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم**»[1].

تنبيه:

أنكر بعض المغفلة المتبعون هواهم بغير هدى من الله، إعجاباً بآرائهم وتحكماً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بخساسة عقولهم الضعيفة وقلة أفهامهم الخسيفة القصاص، حيث زعموا أنه لا يجوز في حكم الله وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها، وتؤخذ حسنات من عملها فتعطى لمن لم يعملها، مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فقالوا: كيف تصح هذه الأحاديث مع مخالفتها الكتاب العزيز والعقل الذي كالذهب الإبريز؟

والجواب: كما في «التذكرة» أن الله سبحانه وتعالى لم يبن أمور الدين على مقتضى عقول العباد، ولم يوعد على ما تحملته عقولهم

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٢٩) رقم ٤٠١٠، وقال: في الزوائد إسناده حسن، وابن حبان في صحيحه (١١/ ٤٤٣) رقم ٥٠٥٨، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٧) رقم ٢٠٠٣، بزيادة يسيرة جداً.

فيدركونها بأفهامهم، بل أوعد ووعد بمشيئته وإرادته، وأمر ونهى بحكمته، ولو كان كل ما لا تدركه العقول مردوداً لكان أكثر الشرائع مستحيلًا على موضوع عقول العباد، وذلك أن الله سبحانه أوجب الغسل بخروج المني، الذي هو طاهر عند بعض الصحابة، وكثير من الأئمة كالإمام أحمد، والإمام الشافعي، وغيرهما، وأوجب غسل الأطراف من الغائط الذي لا خلاف في نجاسته وقذارته، إلى أن قال: وكذلك القصاص بالحسنات والسئات - يعني لا يدرك بالعقل - وقد قال -وقوله الحق-: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ﴾ [العنكبوت: ١٣] و﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [النحل: ٢٥].

وهذا يبين معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي: لا تحمل حاملة ثقل أخرى إذا لم تتعد، فإذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت به فإنها تحمل عليها، ويؤخذ منها بغير اختيارها. انتهى.

قلت: أي عقل يرد مثل هذا القصاص، أفليس هذا عين العدل؟ وإلا فالعدل أن يسفك الدماء، ويأخذ الأموال، وينتهك المحارم، ويظلم الضعيف ويؤلمه ثم لا يؤخذ بمثل هذه الجرائم؟

هذا مما تأباه العقول، وتباينه النقول، فالعدل كل العدل في الحساب والقصاص، ومن ثم جعله الله سبحانه وتعالى بين عباده، ولولا ذلك لأكل القويُّ الضعيفَ، إذ لا يخشى في هذه الدنيا من ضعفه، ولا يخاف يوم القيامة من ذنبه.

فويل لأهل الإفك والابتكار من غضب الجبار، ما أجرأهم على أحاديث المصطفى بالرد، والتزييف والطعن والتضعيف؟ سبحان الله عما يصفون، فليتربصوا فسوف يعلمون.

فعلى العاقل أن يحاسب نفسه قبل يوم الحساب، ويعاتبها قبل أن لا ينفع العتاب، ومن ثم قال سيدنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا.

وحساب النفس هو: التوبة النصوح، وتدارك ما فرط من تقصير في أداء الفرائض، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل ما يمكنه استحلاله، والله الموفق.

* * *

الباب السابع

في الحوض والكوثر

وهما ثابتان بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

وقال الجلال السيوطي في كتابه «البدور السافرة»: قد ورد ذكر الحوض من رواية بضع وخمسين صاحبياً، منهم الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، وأنس، والبراء بن عازب، وجابر، وأبي هريرة، وعائشة، وأم سلمة. وذكر بقيتهم.

قال في «التذكرة»: ذهب صاحب القوت إلى أن الحوض بعد الصراط، والصحيح أنه قبله. وهكذا قال الغزالي: ذهب بعض السلف إلى أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله.

قال القرطبي: والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، كما تقدم، فناسب تقديمه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء؟ قال: «**إي والذي نفسي بيده إن فيه لماء، وإن أولياء الله ليردون إلى حياض الأنبياء عليهم السلام**»(١).

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال

---

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ١٧٠) وقال: هذا حديث غريب، والهندي في كنز العمال (١٤/ ٣٧٨) رقم ٣٩٠٠٩، وعزاه لابن مردويه والقرطبي في التذكرة/ ٣٤٧ .

رسول الله ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبداً**»(١).

وفي رواية: «**حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق**»(٢) وهي عندهما أيضاً.

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح وابن حبان في صحيحه واللفظ للإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله وعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب،** فقال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك في أمتك إلا كالذباب الأصهب في الذباب، فقال رسول الله ﷺ: **قد وعدني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعين ألفاً وزادني ثلاث حثيات،** قال: فما سعة حوضك يا رسول الله؟ قال: **كما بين عدن إلى عمان وأوسع وأوسع** يشير بيده، **فيه مثعبان،** بضم الميم والعين المهملة بينهما مثلثة وآخره موحدة: هو مسيل الماء، قاله الحافظ المنذري، **من ذهب** أي ذلك المثعبان من ذهب، **وفضة،** قال: فماء حوضك يا نبي الله؟ قال: **أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يسود وجهه أبداً**»(٣).

وأخرج مسلم عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني لبعقر حوضي** أي مؤخره وهو بضم العين وإسكان القاف، **أذود الناس لأهل اليمن**

(١) رواه البخاري رقم ٦٥٧٩ واللفظ له، ومسلم رقم ٢٢٩٢.

(٢) انظر مسلم الحديث السابق.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٥٠) رقم ٢٢٢١٠ وفيه (الجنة) بعد (أمتي)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٢٣٠) رقم ٧٢٤٦، وص٢٣١) رقم ٧٢٤٧ باختلاف واختصار، والطبراني في الكبير (٨/ ١٥٥) رقم ٧٦٦٥، وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٥٧) رقم ١٨٤٥٨ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح.

أي أطردهم وأدفعهم ليرد أهل اليمن، قاله ابن المنذر، **أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم** فسئل عن عرضه فقال: **من مقامي إلى عمان** وسئل عن شرابه فقال: **أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل يغت** أي بغين معجمة مضمومة ثم مثناة فوق، أي يجريان **فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق**»[١].

وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إليَّ عمر بن عبد العزيز، فحملت على البريد فلما دخلت إليه قلت: يا أمير المؤمنين لقد شق علي مركبي البريد، فقال: يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك، ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن رسول الله ﷺ في الحوض، فأحببت أن تشافهني به، فقلت: حدثني ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «**حوضي مثل ما بين عدن إلى عَمَّان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين، الشعث رؤوساً**، أي البعيد عهداً بدهن رأسه وغسله وتسريح شعره، **الدنس ثياباً** أي الوسخ ثياباً وهو بضم الدال والنون جمع دنس «**الذين لا ينكحون المنعمات، ولا تفتح لهم الأبواب السَّدَد**» فقال عمر: قد نكحت المنعمات فاطمة بنت عبد الملك، وفتحت لي الأبواب السدد، ولا جرم لا أغسل رأسي حتى يشعث، ولا ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ[٢].

وأخرج الإمام أحمد بإسناد حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله

---

(١) مسلم رقم ٢٣٠١، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣٦٨) رقم ٦٤٥٦.

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٦٢٩) رقم ٢٤٤٤، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٨) رقم ٤٣٠٣، وأحمد (٥/ ٢٧٥) رقم ٢٢٤٢١، والحاكم (٤/ ٢٠٤) رقم ٧٣٧٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ﷺ قال: **«حوضي كما بين عدن وعمان، أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، أكوابه مثل نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس عليه وروداً صعاليك المهاجرين**، قال قائل: من هم يا رسول الله؟ قال: **الشعثة رؤوسهم، الشحبة**، أي بفتح الشين المعجمة وكسر المهملة بعدها موحدة المتغيرة **وجوههم** وذلك من جوع أو هزال أو تعب، **الدنسة**، أي الوسخة **ثيابهم لا تفتح لهم السدد**، أي الأبواب المغلقة وذلك لإهانتهم عند الناس وعدم اكتراثهم بهم، **ولا ينكحون المنعمات الذين يعطون كل الذي عليهم ولا يأخذون كل الذي لهم»**[١].

وعند الطبراني بإسناد حسن في المتابعات عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«حوضي كما بين عدن وعمان فيه أكاويب**، جمع كوب وهو كوز لا عروة له، وقيل: لا خرطوم له فإذا كان له خرطوم فهو إبريق، **عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً»**[٢] الحديث.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة»** وفي رواية: **«مثل المدينة وعمان»**[٣].

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٣٢) رقم ٦١٦٢، والطبراني في مسند الشاميين (٤٥٤) رقم ٨٠٢ باختلاف في بعض الألفاظ عن أبي أمامة، وكذا في المعجم الكبير (٢/ ١٠٠) رقم ١٤٤٣ عن ثوبان وذكره الهيثمي (١٠/ ٦٦٤) رقم ١٨٤٧٧ وقال: رواه أحمد والطبراني من رواية عمرو بن عمر الأحموسي عن المخارق بن أبي المخارق، واسم أبيه عبد الله بن جابر، وقال ذكرهما ابن حبان في الثقات، وشيخ أحمد أبو المغيرة من رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١١٩) رقم ٧٥٤٦، وفي مسند الشاميين (٤٥٤) رقم ٨٠٢ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٢٧) رقم ٥٤٧٦ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن في المتابعات.

(٣) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٩) رقم ٤٣٠٤، وأحمد (٣/ ١٣٣) رقم ١٢٣٨٥ وفي (٣/ ٢١٦) رقم ١٣٢٨٤، و(٢١٩) رقم ٨٣٣١٨ وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣٥٨) رقم ٦٤٤٨ .

وفي رواية: «**ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء**» زاد في رواية: «**وأكثر من عدد نجوم السماء**»[١] رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وفي صحيح البخاري من حديث همام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، قال: فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر**»[٢].

وفي صحيح مسلم عنه مرفوعاً: «**الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل**»[٣].

وفي «حادي الأرواح» للإمام المحقق ابن القيم قدس الله روحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنة فإذا بنهر يجري حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل**»[٤].

وفي سنن الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، ترتبه أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج**»[٥].

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٣٠٣، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٩) رقم ٤٣٠٥، وأحمد (٣/ ٢٣٨) رقم ١٣٥٢١.

(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٨١.

(٣) رواه مسلم رقم ٤٠٠ باختلاف يسير.

(٤) رواه البخاري رقم ٦٥٨١ باختلاف في بعض الألفاظ وتقديم وتأخير.

(٥) رواه الترمذي (٥/ ٤٤٩) رقم ٣٣٦١، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٤٥٠) رقم ٤٣٣٤.

تنبيه:

قال في «التذكرة»: الصحيح أن للنبي ﷺ حوضين:

أحدهما: في الموقف قبل الصراط.

والثاني: في الجنة وكلاهما يسمى كوثراً، والكوثر في كلام العرب: الخير الكثير.

قال الجلال السيوطي: وقد ورد التصريح في حديث صحيح عند الحاكم وغيره، بأن الحوض بعد الصراط[١]. ورجحه القاضي عياض.

قال السيوطي: فإن قيل: إذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلم يحتج إلى الشرب منه، قلت: كلا بل هم محبوسون هناك لأجل المظالم فكان الشرب في موقف القصاص، ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب، حتى يهذبوا منها على الصراط، ولعل هذا أقوى. انتهى.

قال العلامة في البهجة: هذا كلام في غاية التحقيق جامع للقولين، وهو دقيق. انتهى.

قال القرطبي في «التذكرة»: ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أن هذا الحوض يكون على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده على

(١) رواه الحاكم (٤/ ٦٠٥) رقم ٨٦٨٣ ضمن حديث طويل عن لقيط بن عامر وفيه «ثم ينصرف نبيكم ﷺ فيمر علي أثره الصالحون، أو قال ينصرف على أثره الصالحون، قال: فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة فيقول: حس، فيقول ربك أو أنه قال: فيطلعون على حوض الرسول على أظمأ والله ناهلة ما رأيتها قط» ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢١١) رقم ٤٧٧ .

الأرض المبدلة على مسافات هذه الأقطار، وفي المواضع التي تكون بدلًا من هذه المواضع في هذه الأرض، وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط كما تقدم.

لطيفة:

أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله كساه الله، ومن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقى لله أسقاه الله، ومن عمل لله أغناه الله، ومن عفا لله أعفاه الله.

وأخرج ابن خزيمة والبيهقي عن سلمان مرفوعاً: «**من سقى صائماً لله سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة**»[1].

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً: «**من أتاه أخوه متنصلًا** -أي معتذراً- **فليقبل ذلك منه محقاً كان ذلك أو مبطلًا فإن لم يفعل لم يرد الحوض**»[2].

وأخرج الطبراني عن أم المؤمنين عائشة ﷺ مرفوعاً: «**من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد عليَّ الحوض**»[3].

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ضمن حديث سلمان المشهور (٣/ ١٩١) رقم ١٨٨٧ بلفظ «من أشبع فيه» بدل «من سقى» ورواه الحارث في مسنده (٤١٢) رقم ٣٢١، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٠٥) رقم ٣٦٠٨، وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٩٣) في ترجمة عبد العزيز بن عبد الله القرشي رقم ١٤٣٢ وقال: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ١٧٠) رقم ٧٢٥٨، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: بل سويد ضعيف. والطبراني في الأوسط (٦/ ٢٤١) رقم ٦٢٩٥ وذكره الهيثمي (٨/ ١٥٥) رقم ١٣٠٦٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه خالد بن زيد العمري وهو كذاب.

(٣) انظر الطبراني في تخريج الحديث السابق.

تنبيه:

قال القرطبي: ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف، قال: وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: ما بين أدرج وحربا، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن، وتارة يقدره بالزمان فيقول: مسيرة شهر، والمقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا، وكان ذلك التحديد بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، انتهى.

وسيأتي للكلام على الحوض تتمة في صفات الجنة إن شاء الله تعالى.

تتمة:

اعلم أن لكل نبي حوضاً كما ورد ذلك في الأخبار، والأحاديث والآثار فقد أخرج الترمذي عن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإني أرجو أن أكون أكثرهم وارده**»(١). قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وورد في بعض الأخبار: «لكل نبي حوض إلا صالحاً فإن حوضه ضرع ناقته»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٦٤٨) رقم ٢٤٤٣ وقال: هذا حديث غريب، والطبراني في الكبير (٧/ ٢١٢) رقم ٦٨٨١، وفي مسند الشاميين (٤/ ٣٠) رقم ٢٦٤٧.

(٢) ذكره القرطبي في التذكرة (٣٥٤) موقوفاً على ابن الواسطي، وأورده كذلك أيضاً المناوي في فيض القدير (٢/ ٥١٦) رقم ٢٤٣٢.

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «وإن أولياء الله ليردون إلى حياض الأنبياء»[١] .

***

(١) تقدم ص ٧٤٧ .

الفهرس

- مقدمة ٥
- ترجمة المصنف ٧
- علمنا في الكتاب ١٤
- توثيق نسبة الكتاب إلى المصنف ١٦
- وصف النسخ الخطية التي اعتمدنا عليها في إخراج الكتاب ١٧
- خطبة الكتاب ٢٥
- فصل في مثالب الحسد ٢٨
- المقدمة: في ذكر الموت وما يتعلق به ٣٠
- الفصل الأول: في النهي عن تمني الموت وحكمته ٣١
- الفصل الثاني: في فضل الموت وذكره ٣٩
- الفصل الثالث: في علامة خاتمة الخير: ومن دنا أجله والكلام على شدة الموت ٦٥
- الفصل الرابع: فيما يقول الإنسان في مرض الموت: وما يقرأ عنده وما يقال إذا احتضر وتوابع ذلك ٧٧
- الفصل الخامس: فيما جاء في ملك الموت وأعوانه ٨٢
- الفصل السادس: فيما يحضر الميت من الملائكة وغيرهم وما يراه المحتضر وما يقال له وما يبشر به المؤمن وينذر به الكافر ٩٥
- الفصل السابع: في الكلام على الروح وما يتعلق بذلك ١٠٠
- الكتاب الأول: في أحوال البرزخ ١٤٤
- الباب الأول: في ذكر حال الميت عند نزوله قبره وسؤال الملكين له ١٤٥
- فصل: في كلام القبر للميت عند نزوله ١٥٣
- فصل في ذكر شيء مما شوهد من أحوال القبور ١٥٦

- فصل القبر أول منازل الآخرة ١٧٢
- مطلب: أول من سن القبر ١٧٣
- مطلب: قراءة تبارك الملك أمان من عذاب القبر ١٩٠
- فصل: في فظاعة القبر وسعته على المؤمن: وضيقه على الكافر وفي ضمة القبر ١٩٥
- الباب الثاني: في عذاب القبر ونعيمه ٢٠٢
- فصل في إنكار الملاحدة لعذاب القبر ونعيمه والرد عليهم ٢١٩
- فصل ما شوهد من نعيم القبر وكرامة أهله ٢٤٨
- الباب الثالث: فيما ورد من سماع الموتى كلام الأحياء وتلاقيهم .. ٢٥١
- فصل في تلاقي الأموات في البرزخ ٢٥٧
- فصل في معرفة الموتى بمن يزورهم ٢٦٠
- فصل في معرفة الموتى بحال أهلهم وأقاربهم ٢٦٥
- فصل في محل الأرواح بعد الموت ٢٨٢
- فصل في محل أرواح غير الأنبياء والشهداء بعد الموت ٢٩١
- مطلب ٣٠١
- الباب الرابع: في ذكر ضيق القبور وظلمتها على أهلها وتنورها عليهم وفي زيارة الموتى والاتعاظ بحالهم والتفكر بهم ٣٢١
- فصل في زيارة القبور والاتعاظ بذلك ٣٢٥
- فصل الزيارة الشرعية والبدعية للقبور ٣٣٩
- فصل: في التذكر بأهل القبور والتفكر في أحوالهم: وذكر طرف من أحوال السلف الصالح في ذلك ٣٤٣
- فوائد في مسائل شتى ٣٥٣
- مطلب: قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ ٣٦١
- الكتاب الثاني: في أشراط الساعة واقترابها وما يتعلق بذلك ٣٦٩

- الباب الأول: في الأمارات البعيدة التي ظهرت وانقضت ٣٧٣
- من مسخ في الإسلام ٤٢٥
- الباب الثاني: في الأمارات المتوسطة التي ظهرت: ولم تقض بل تتزايد ٤٢٨
- الباب الثالث: في علامات الساعة العظام والأمارات القريبة الجسام التي تعقبها الساعة وفيه اثنا عشر فصلًا ٤٣٨
- الفصل الأول: في المهدي وما يتعلق به ٤٣٨
- الفصل الثاني: في الدجال وما يتعلق به والكلام عليه في أربع مقامات ٤٧١
- الفصل الثالث: في نزول سيدنا عيسى عليه السلام ٥١١
- الفصل الرابع: في ذكر يأجوج ومأجوج وخروجهم من الفتن العظام: والمصائب الجسام ٥٢٠
- الفصل الخامس: خراب المدينة وخروج القحطاني: والجهجاه والهيثم والمقعد وغيرهم وكذا هدم الكعبة ٥٣١
- الفصل السادس: في طلوع الشمس من مغربها ٥٤١
- الفصل السابع: في خروج الدابة ٥٥٢
- الفصل الثامن: في خروج الدخان ٥٦١
- الفصل التاسع: في رفع القرآن العظيم: وكلام اللّه القديم من المصاحف والصدور ٥٦٥
- الفصل العاشر: في النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم: وهي آخر العلامات ٥٦٧
- الفصل الحادي عشر: في نفخة الفزع: وما يكون فيها من تغير انتظام هذا العالم وفساد انتظامه ٥٨١
- الفصل الثاني عشر: في نفخة الصعق ٥٩٧
- الكتاب الثالث: في المحشر وما يتعلق به إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة: وأهل النار النار: وفيه ثمانية أبواب ٦٠١

- الباب الأول: في نفخة البعث ٦٠٣
- الباب الثاني: في الحشر ٦١٠
- فصل يبعث العبد على ما مات عليه ٦١٦
- الباب الثالث: في الوقوف في المحشر: وشدة ما يلقاه الناس من الأهوال في تلك المحال ٦٢٠
- فصل: في الشفاعة العظمى ٦٣٨
- فصل في الإتيان بالصحف وأخذها إما باليمين أو بالشمال ٦٥٤
- الباب الرابع: في ذكر الحساب وما يلقاه العالم من شدة البأس والعقاب ٦٦٤
- مطلب: أول خلق اللّه تعالى يحاسب يوم القيامة الدواب والبهائم: فصل في حساب البهائم ٦٨١
- فصل في حساب الناس والإتيان بالشهود ٦٨٩
- فصل في شهادة الأعضاء والأزمنة والأمكنة ٦٩٣
- فصل: في حساب المؤمن ومن يكلمه الله ومن لا يكلمه ٦٩٩
- فصل: في سرعة الحساب وفيمن يدخل الجنة بغير حساب ٧٠٤
- الباب الخامس في الميزان ٧١٥
- فصل في عدالة الحساب ٧٢٧
- الباب السادس: في ذكر الصراط ٧٣٠
- الباب السابع: في الحوض والكوثر ٧٤٧
- الفهرس ٧٥٦

تم الصف والإخراج
بشركة غراس للطباعة
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥